تفسير القاضي البيضاوي

المُسمّى

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

طُبع محققاً على أربع نسخ خطيّة نفيسة، بعضها بخط الإمامين التفتازاني والخيالي، ومنها نسخة منقولة عن نسخة صحيحة مقابلة مع الأصل بخط المصنف، ومنها نسخة مكتوبة في حياة المؤلف رحمه الله

ومعه

حاشية العلّامة السيوطي

المُسمّاة

نواهد الأبكار وشوارد الأفكار

تُطبع كاملة أول مرة محققة على ثلاث نسخ خطيّة
إحداها مكتوبة في حياة المؤلف، وعليها خطّه في مواضع كثيرة

حقّقه وعلّق عليه
ماهر أديب حبّوش

المجلد الحادي عشر
(غافر - التحريم)

دار اللُّباب
مكتبة الإرشاد

حُقوق الطّبع محفُوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

مكتبة الإرشاد
للطباعة والنشر والتوزيع
إسطنبول

لصاحبها محمد محفوظ أزدمير

هاتف: 08504804773 ـ 02126381633
iskenderpaşa Mah. Feyzullah Efendi Sok. No 8 Dük: 1 Fatih/istanbul
www.irsad.com.tr
info@irsad.com.tr
fb.com /irsadkitabevi
@irsadkitabevi
+90 (0) 5309109575

9 789933 935009

دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

تفسير القاضي البيضاوي

ومعه

حاشية العلامة السيوطي

(١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ غَافِرٍ

سُورَةُ المؤمنِ

مَكيَّةٌ، وآيُها خمسٌ أو ثمان وثمانونَ[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿حمٓ﴾ أمالَهُ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ صريحًا، ونافعٌ بروايةِ وَرشٍ[2] وأبو عمرٍو بينَ بينَ[3]، وقُرِئَ بفتحِ الميم على التَّحريكِ لالتقاءِ السَّاكِنَيْنِ[4]، والنَّصبِ بإضمارِ: اقرأ، ومَنعُ صَرفِهِ للتَّعريفِ والتَّأنيثِ، أو لأنَّها على زِنَةِ أعجميٍّ كقابيلَ وهابيلَ.

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ لعلَّ تخصيصَ الوَصفَينِ لِما في القرآنِ مِن الإعجازِ والحِكَمِ الدَّالِّ على القُدرَةِ الكامِلَةِ والحكمةِ البالغَةِ.

---

(١) قال الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٨): وهي ثمانون وثنتان في البصري، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الكوفي، وست في الشامي، اختلافها تسع آيات...، اهـ.

(٢) قوله: «برواية ورش» لحق غير مصحح في (ض).

(٣) ورش من طريق الأزرق، وهي بخلف عن أبي عمرو، انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٩١)، و«النشر» (٢/ ٧٠).

(٤) وهي قراءة أبي السمال كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣)، وعيسى بن عمر كما في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٥)، وقراءة الجمهور التسكين.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾ صفاتٌ أُخَرُ لتَحقيقِ ما فيهِ مِن التَّرغيبِ والتَّرهيبِ والحَثِّ على ما هو المقصودُ منه، والإضافةُ فيها حقيقيَّةٌ على أنَّه لم يُرَدْ بها زمانٌ مَخصوصٌ، وأُريدَ بـ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ مُشدِّدَه، أو الشَّديدُ عِقابُه، فحذفَ اللامَ للازدواجِ وأمنِ الإلباسِ.

أو أبدالٌ[1]، وجعلُه وحدَه بَدَلًا مُشَوِّشٌ للنَّظمِ.

وتوسيطُ الواو بينَ الأوَّلَين؛ لإفادةِ الجمعِ بين مَحْوِ الذنوبِ وقبولِ التَّوبةِ، أو تغايُرِ الوَصْفَينِ؛ إذ ربَّما يُتوهَّمُ الاتحادُ أو تغايرُ موقعِ الفعلينِ؛ لأنَّ الغفرَ هو السترُ فيكونُ لذنبٍ باقٍ وذلك لِمَن لم يَتُب؛ فإنَّ التَّائبَ من الذَّنبِ كمَن لا ذنبَ له.

والتَّوبُ: مَصدَرٌ كالتَّوبةِ، وقيل: جَمْعُها. والطَّوْلُ: الفَضلُ بتركِ العقابِ المستحقِّ. وفي توحيدِ صفَةِ العَذابِ مغمورةً بصفاتِ الرَّحمةِ دليلُ رُجْحانِها.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيجبُ الإقبالُ الكُلِّيُّ على عبادتِه.

﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فيُجازي[2] المطيعَ والعاصيَ.

قوله: «وأُريدَ بـ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ مُشدِّدُه»:

مأخوذٌ مِن أَبي البَقاءِ حَيثُ قال: يجوزُ أَنْ يكونَ شديدٌ بمعنى مُشدِّدٍ، كما جاءَ أَذِينٌ بمَعنى مُؤذِّنٌ، فتكونُ الإضافَةُ مَحضةً[3].

وبذلكَ يَحصلُ الجوابُ عَن قولِ مَن قالَ: إنَّ (شديدًا) صِفَةٌ مشبَّهةٌ فإضافَتُه غيرُ مَحضَةٍ على كلِّ حالٍ، ولا يفرقُ بينَ ماضيه وغيرِه بخلافِ اسمِ الفاعلِ.

---

(١) قوله: «أو أبدال» بفتح الهمزة عطف على «صفات»، انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٣٨).

(٢) في (ت): «ليجازي».

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١١١٥).

وقال صاحبُ «الفرائد»: يمكنُ أَنْ يقالَ: لَمَّا كانَ (القابلُ)[1] بالنَّظر إلى أنَّه شَيءٌ له القَبولُ لا بالنَّظرِ إلى أنَّه عامِلٌ صَلُحَ أن يكونَ صِفةً له بالإضافةِ إلى التَّوبةِ وكان معرفَةً، فصلُحَ أَنْ يكونَ (الشديد) من حيثُ إنَّه شيءٌ له الشِّدَّةُ لا بالنَّظرِ إلى أنَّه عامِلٌ صِفَةٍ له بالإضافةِ إلى [التوبة وكان] العقابُ [معرفةً]، فعَلَى هذا يكونُ ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ مَعرِفَةً كما أنَّهما مَعرِفَتانِ، فليُتأمَّل[2].

قال الطِّيبيُّ: يؤيِّدُه قولُ الإمامِ: لا نِزاعَ في أنَّ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ صِفتَانِ ومُصحِّحُهُما كونُهما مُفيدَيْنِ مَعنى الدَّوامِ والاستمرارِ، فكذلك قولُه: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾؛ لأنَّ صفاتِ اللهِ مُنزَّهةٌ عَن الحُدوثِ والتَّجدُّدِ، فكونُه شَديدَ العقابِ مَعناه: كونُه بحيثُ يشدِّد عقابَه، وهذا المَعنى حاصِلٌ أبدًا وغيرُ مَوصوفٍ بأنَّه حصلَ بعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ[3].

قوله: «أو الشَّديدُ عِقابُه فحذفَ اللامَ للازدواجِ»:

قال أبو حيَّان: لا ضَرورةَ تدعو إلى ذلك[4].

قوله: «أو أبدالٌ»:

قال أبو حيَّان: لا أعرِفُ عَن أحدٍ من النَّحويينَ نَصًّا في جوازِ التكرارِ في بدلِ الكُلِّ والبعضِ والاشتمالِ أو مَنعِه، إلَّا أنَّ في كلامِ بَعضِ أَصحابِنا ما يدلُّ على أنَّ البَدلَ لا يَتكرَّرُ ويَتَّحِدُ المبدلُ منه، وأمَّا البدلُ مِن البَدلِ فجائزٌ، نَعَم بدل البدل عندَ مَن أثبتَهُ يَتكرَّرُ فيه الأبدالُ[5].

---

(١) في النسخ: «القائل»، والتصويب من «فتوح الغيب».

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٥٤)، وما بين المعكوفين منه.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٥٤)، وانظر: «التفسير الكبير» للرازي (٢٧/ ٤٨٤).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٣٨٦).

(٥) المصدر السابق (١٨/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

قوله: «وجعلَه وحدَه بَدلًا مُشوِّشٌ للنَّظمِ»:

قـال أبو حيَّان: لا تشـويشَ[١]؛ لأنَّ الجَرْيَ على القواعدِ التي اسـتقرَّتْ وصَحَّتْ هو الأَصلُ[٢].

وقال الطِّيبيُّ: عن بَعضِهم: توسيطُ البَدلِ بينَ الصِّفَاتِ جائزٌ في النَّحوِ لكنَّه قَبيحٌ بينَ عُلماءِ البيانِ؛ لأنَّ الصِّفاتِ تدلُّ على أنَّه مَقصودٌ، والبَدَلُ يدلُّ على أنَّه غيرُ مَقصودٍ؛ فيلزمُ التَّناقُضُ[٣].

وقال ابنُ الحاجبِ: في هذا إشكالٌ؛ لأنَّ قولَه: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ معرفةٌ فلا يحسُنُ أن يكونَ صِفَةً لقولِه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ لأنَّكَ فصلتَ بينَهُ وبينَهُ بالبَدلِ، ولا يَحسنُ أَنْ يكونَ صِفَةً للبَدَلِ لأنَّهُ نكِرَةٌ، و﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ مَعرفَةٌ فالأَوْلَى أَنْ يقالَ: هو بدلٌ ثانٍ مِن البَدلِ الأوَّلِ وكأنَّه قالَ: مِن اللهِ العَزيزِ العَليمِ مِن اللهِ غَافرِ الذَّنبِ مِن اللهِ ذي الطَّولِ[٤].

قوله: «التَّائبُ مِن الذَّنبِ كمَنْ لا ذنبَ له»:

أخرجَه ابنُ ماجَه مِن حَديثِ ابنِ مَسعودٍ، والبَيهقيُّ في «سننه» مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ، ومِن حَديثِ ابن عُتبةَ الخولانيِّ، والحكيمُ التِّرمذيُّ في «نوادر الأصول» مِن حَديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ، وابنُ النَّجَّار في «تاريخه» من حديثِ أنسٍ[٥].

---

(١) في «البحر المحيط»: «لا نبوَّ»، والمثبت من النسخ الخطية.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٣٨٤).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٥٤).

(٤) انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ١٥٢)، ومن قوله: «وجعله وحده بدلًا» إلى هاهنا ليس من (ن).

(٥) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٧١)، ورواه البيهقي في «سننه» (٢٠٥٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه وضعف إسناده، و(٢٠٥٦٢) من حديث ابن عتبة الخولاني رضي الله عنه، والحكيمُ التِّرمذيُّ في «نوادر =

(٤) ـ ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لَمَّا حقَّقَ أمرَ التَّنزيلِ سجَّلَ بالكُفرِ على المجادِلِينَ[1] فيه بالطَّعنِ وإدحاضِ الحقِّ لقولِه[2]: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، فأمَّا[3] الجِدَالُ فيه لحلِّ عُقدِهِ واستنباطِ حَقائقِهِ وقَطعِ تَشبُّثِ أهلِ الزَّيغِ به وقطعِ مَطاعِنِهم فيه فمِنْ أعظَمِ الطَّاعاتِ، ولذلك قالَ عليه السَّلامُ: «إنَّ جِدالًا في القرآنِ كفرٌ» بالتَّنكيرِ، مع أنَّه ليس جِدالًا فيه على الحقيقةِ.

﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ فلا يَغرُرْكَ إمهالُهم وإقبالُهم في دُنياهُم وتقلُّبُهم في بلادِ الشَّامِ واليمنِ بالتِّجاراتِ[4] المُربحةِ، فإنَّهُم مأخوذونَ عمَّا[5] قريبٍ بكُفرِهِم أخذَ مَنْ قبلَهُم كما قال:

قوله: «إنَّ جِدالًا في القرآنِ كفرٌ».

أخرجَه الطَّيالسيُّ والبَيهقيُّ في «شعب الإيمان» مِن حَديثِ عبدِ الله بن عمرٍو[6].

= الأصول» (٢/ ٣٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،
ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٨/ ٥٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(١) قوله: «سجل بالكفر على المجادلين» إلخ: أي أثبت ذلك لهم كما يثبت الشيء في السجل، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٣٥٧).

(٢) في (ض): «كقوله».

(٣) في (ت): «أما».

(٤) في (خ): «في التجارات».

(٥) في (ت): «عن».

(٦) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٤٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ والذين تحزَّبُوا على الرُّسُلِ وناصَبوهُمْ بعدَ قومِ نوحٍ كعادٍ وثمودَ.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ مِن هؤلاءِ ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾، وقُرِئَ: (برسولِها)(١).

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليتمكَّنُوا مِن إصابَتِه بما أرادوا مِن تَعذيبٍ وقتلٍ(٢)، مِن الأخذِ؛ بمعنى الأَسْرِ.

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بما لا حقيقةَ له ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليزيلوهُ بهِ.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالإهلاكِ(٣) جزاءً لهَمِّهِم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فإنَّكُم تمرُّونَ على دِيارِهِم وتَرَوْنَ أثرَهُ(٤)، وهو تقريرٌ فيه تعجيبٌ(٥).

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وعيدُهُ أو قَضاؤُهُ بالعذابِ.

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لكُفْرِهِم.

---

(١) قرأ بها ابن مسعود كما في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٨١).

(٢) في (أ) و(ت): «وقيل».

(٣) في (أ): «بالهلاك».

(٤) في (خ): «أثرهم».

(٥) في (ت): «تعجب».

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ بدلٌ مِن ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بدلَ الكلِّ أو الاشتمالِ على إرادةِ اللَّفظِ والمَعْنَى[1].

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ الكَرُوبِيُّونَ[2] أعلى طبقاتِ الملائكةِ وأَوَّلُهم وجودًا، وحَمْلُهم إيَّاه وحَفِيفُهُم[3] حولَه مجازٌ عَن حفظِهم وتَدبيرِهم له، أو كنايةٌ[4] عن قُربِهم مِن ذي العرشِ ومكانَتِهم عندَهُ وتوسُّطِهم في نفاذِ أمرِه.

---

(١) في (خ) و(ض): «أو المعنى».

(٢) قال الشهاب في «حاشيته» (٧/ ٢٥٩): الكروبيون جمع كروبي بفتح الكاف وضم الراء المهملة المخففة وتشديدها خطأ، ثم واو بعدها باء موحدة ثم ياء مشددة من كرب بمعنى قرب، وقد توقف بعضهم في سماعه من العرب وأثبته أبو علي الفارسي البغدادي، واستشهد له بقوله:

كروبيــة منهــم ركــوع وســجد

وفيه دلالة على المبالغة في قربهم بصيغة فعول والياء، فإنها تزاد لذلك.

وقيل الكرب أيضاً شدة القرب وهم سادة الملائكة كما في «الفائق» [(٣/ ٢٥٨)]: كجبريل وإسرافيل.

وقال البيهقي [في «شعب الإيمان» (١٤٦) عن وهب]: إنهم ملائكة العذاب فهو عنده من الكرب بمعنى الشدة والحزن كما صرح به ويجوز أخذه منه على المعنى الأول أيضاً لشدة خوفهم من الله وكلام المصنف على أن الكروبيين هم حملة العرش، اهـ.

(٣) في (ض): «وحفوفهم».

(٤) في كل النسخ عدا (خ): «وكناية».

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يذكرونَ اللهَ بمَجامعِ الثَّناءِ مِن صفاتِ الجلالِ والإكرامِ، وجَعَلَ التَّسبيحَ أَصْلًا والحمدَ حالًا؛ لأنَّ الحمدَ مُقتَضى حالِهم دونَ التَّسبيحِ.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أخبرَ عَنْهُم بالإيمانِ إظهارًا لفَضلِه وتعظيمًا لأهلِه، ومَساقُ الآيةِ لذلك كما صرَّحَ به بقولِه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وإشعارًا[1] بأنَّ حَمَلَةَ العرشِ وسُكَّانَ الفَرشِ في مَعرِفَتِه سواءٌ ردًّا على المُجسِّمَةِ.

واستغفارُهُم: شَفاعَتُهُم وحَملُهُم على التَّوبةِ وإلهامُهُم ما يُوجِبُ المغفرةَ.

وفيهِ تنبيهٌ على أنَّ المُشاركةَ في الإيمانِ تُوجِبُ النُّصحَ والشَّفقةَ وإنْ تَخالَفَتِ الأجناسُ؛ لأنَّها أقوى المناسباتِ كما قالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

﴿رَبَّنَا﴾؛ أي يقولونَ: ربَّنا وهو بيانٌ لـ﴿يستغفرون﴾ أو حالٌ.

﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وَسِعَتْ رحمَتُه وعِلمُه، فأُزيلَ عن أصلِه للإغراقِ في وَصفِهِ بالرَّحمةِ والعلمِ، والمبالغةِ[2] في عُمومِهما، وتقديمُ الرَّحمةِ؛ لأنَّها المقصودةُ بالذَّاتِ هاهنا.

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ للذينَ عَلِمْتَ مِنْهُم التَّوبةَ واتِّباعَ سَبيلِ الحقِّ.

﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ واحفَظْهُم عنه، وهو تصريحٌ بعدَ إشعارٍ للتَّأكيدِ والدَّلالةِ على شِدَّةِ العذابِ.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

---

(١) في (ت): «وإشعار».

(٢) في (ت): «بالمبالغة».

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ وعدْتَهُم[1] إيَّاها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ عطفٌ على (هم) الأوَّلِ؛ أي: أدخِلْهُم ومَعَهُم هؤلاءِ[2] ليتِمَّ سُرورُهُم، أو الثَّاني لبيانِ عُمومِ الوعدِ.

وقُرِئَ: (جنَّةَ عدنٍ)[3]، و(صَلُح) بالضمِّ[4]، و(ذُرِّيَّتِهم)[5] بالتَّوحيدِ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنعُ عليه مَقدورٌ، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعلُ إلَّا ما تقتضيهِ حِكمَتُه، ومِن ذلك الوَفاءُ بالوعدِ.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ العقوباتِ أو جزاءَ السَّيِّئاتِ، وهو تعميمٌ بعدَ تَخصيصٍ، أو مخصوصٌ[6] بـ﴿من صَلَحَ﴾، أو المعاصي[7] في الدُّنيا لقولِه: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾؛ أي: ومَنْ تَقِها في الدُّنيا فقد رَحِمتَهُ في الآخرةِ، كأنَّهم طَلَبُوا السَّبَبَ بعدَما سألُوا المُسبَّبَ[8].

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يعني الرَّحمةَ، أو الوقايةَ[9]، أو مجموعَهُما.

---

(١) «وعدتهم»: ليس في (خ).

(٢) قوله: «هؤلاء»: ليس في (ض).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣) عن الأعمش.

(٤) انظر: «الكامل في القراءات» (ص: ٦٣١)، و«البحر» (١٨/ ٣٩٤)، عن ابن أبي عبلة.

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٨)، و«البحر» (١٨/ ٣٩٤)، عن عيسى بن عمر.

(٦) في (أ): «تخصيص»، والمثبت من (ت) و(ض)، وهي ليست من (خ).

(٧) «أو المعاصي» عطف على «العقوبات أو جزاء السيئات».

(٨) قوله: «كأنهم طلبوا السبب» أي وهو وقايتهم السيئات (بعدما سألوا المسبَّب)؛ أي: وهو إدخالهم الجنات، انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٤١ ـ ٤٢).

(٩) في (ض): «أو الوفاء به»، وفي (ت): «والوقاية».

(١٠ - ١٣) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ يومَ القيامةِ فيقالُ لهم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لَمَقتُ اللهِ إيَّاكم أكبرُ مِن مَقتِكُم أنفسَكُم الأمَّارةَ بالسُّوءِ.

﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ظرفٌ لفعلٍ دلَّ عليه المقتُ الأوَّلُ لا له؛ لأنَّه أخبرَ عنه، ولا للثَّاني؛ لأنَّ مَقتَهُم أنفُسَهُم يومَ القيامةِ حينَ عاينُوا جزاءَ أَعمالِهم الخبيثةِ إلَّا أن يُؤوَّلَ بنحوِ: (الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللبنَ)، أو تعليلٌ للحكمِ، وزمانُ المَقْتَيْنِ واحِدٌ[1].

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إماتَتَيْنِ بأَنْ خلقْتَنا أمواتًا أوَّلًا، ثمَّ صَيَّرْتَنا أمواتًا عند انقضاءِ آجالِنا، فإنَّ الإماتةَ جعلُ الشَّيءِ عادمَ الحياةِ ابتداءً، أو بتَصييرٍ كالتَّصغيرِ والتَّكبيرِ، ولذلك قيل: سبحانَ مَن صغَّرَ البَعُوضَ وكبَّرَ الفيلَ، وإن خُصَّ بالتَّصييرِ فاختيارُ الفاعلِ المختارِ أحدَ مقبوليهِ تَصييرٌ وصَرْفٌ له عَن الآخرِ[2].

﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الإحياءَةَ الأولى وإحياءَةَ البعثِ.

---

(١) انظر: «لباب التفاسير» (٨/ ٧٨)، وذكره الكرماني أيضاً في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧) واستغربه.

(٢) في (ت): «مفعوليه»، وقوله: (فاختيار الفاعل المختار أحد مقبوليه) الضمير للفاعل المختار أو هو للشيء، والمقبول ما يقبله الشيء من الحالين، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٣٦١).

وقيل: الإماتةُ الأولى عندَ انخرامِ الأجَلِ، والثَّانيةُ في القبرِ بعدَ الإحياءِ للسُّؤالِ، والإحياءانِ ما في القبرِ والبَعثِ[١]؛ إذ المقصودُ اعتِرافُهُم بعدَ المعاينةِ[٢] بما غَفَلوا عنه ولم يَكترِثوا به، ولذلك تسبَّبَ لقولِه[٣]: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ فإنَّ اقترافَهُم لها مِن اغترارِهِم بالدُّنيا وإنكارِهِم للبَعثِ.

﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ نوعِ خُروجٍ من النَّارِ ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ طريقٍ فنَسْلُكَه، وذلك إنَّما يَقولونَهُ مِن فَرْطِ[٤] قُنوطِهِم تَعلُّلًا وتحيُّرًا، ولذلك أُجيبوا بقولِه:

﴿ذَٰلِكُم﴾ الذي أنتُمْ فيه ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بسببِ أنَّه ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ متحدًا أو توحَّدَ وحدَهُ، فحُذِفَ الفعلُ وأُقيمَ مُقامهُ في الحاليَّةِ ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ بالتَّوحيدِ ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ بالإشراكِ.

﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ المستحقِّ للعبادةِ حيثُ حكمَ عَلَيكُم بالعذابِ السَّرمَدِ[٥] ﴿ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ مِن أنْ يُشرَكَ به ويسوَّى بغيرِهِ حيثُ حكمَ على مَن أشرَكَ وسَوَّى به بعضَ مخلوقاتِهِ في استحقاقِ العبادةِ = بالعذابِ السَّرمَدِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدَّالَّةَ على التَّوحيدِ وسائرِ ما يجبُ أنْ يُعلَمَ تكميلًا لنُفوسِكُم ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا﴾ أسبابَ رزقٍ[٦] كالمطرِ مُراعاةً لِمَعاشِكُم.

---

(١) في (ت) و(ض): «والمبعث».

(٢) في (ض): «المعاتبة».

(٣) في (أ) و(ت): «بقوله».

(٤) في (خ): «يقولونه لفرط».

(٥) «حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد»: ليس في (خ) و(ت)، وجاء في (ض) بعد قوله: «بغيره حيث حكم».

(٦) «أسباب رزق»: ليس في (خ) و(ت).

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالآياتِ التي هي كالمَركوزَةِ في العُقولِ لِظُهورِهَا المغفولِ عنها للانهماكِ في التَّقليدِ واتِّباعِ الهوى ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ يرجعُ عَن الإنكارِ بالإقبالِ عَلَيها والتَّفكُّرِ فيها، فإنَّ الجازمَ بشَيءٍ لا ينظرُ فيما يُنافيهِ.

قوله: «ظرفٌ لفعلٍ دلَّ عليه المقتُ الأوَّلُ لا له؛ لأنَّه أخبرَ عنه»:

ردًّا لقولِ «الكشاف» أنَّه منصوبٌ بالمقتِ الأوَّلِ.

مأخوذٌ مِن كلامِ أبي البَقاءِ حيثُ قال: وَلا يجوزُ أن يعملَ فيه (مقتُ اللهِ) لأنَّه مَصدرٌ أُخبِرَ عنه، وهو قولُه: أكبَرُ[١]. وتبعَهُ على هذا الردِّ صاحبُ «الكشاف» وأبو حيَّان[٢].

لكن قال الحَلَبِيُّ: إنه مذهبٌ كوفيٌّ قال به، أو لأنَّ الظرفَ يتسعُ فيه ما لا يتسعُ في غيرِهِ[٣].

وقال ابنُ الحاجبِ في «أماليه»: ليسَ فيه سوى الفرقِ بينَ المصدَرِ ومَعمولِه بالأجنبيِّ وهو (أكبرُ) الذي هو الخبرُ وهو جائزٌ؛ لأنَّ الظُّروفَ يُتَّسعُ فيها[٤].

وقال الطيبيُّ: ما قالَه أبو البقاءِ وصاحبُ «الكشاف» مِن أنَّه مُتعلِّقٌ بمُضمَرٍ دلَّ عليه قولُه: (لَمَقتُ اللهِ)؛ أي: مَقتَكُم اللهُ حينَ دُعِيتُم إلى الإيمانِ وكفرتُمْ، لا ارتيابَ في تعسُّفِه.

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١١١٦).

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٥٥٣)، و«البحر المحيط» (١٨/ ٣٩٥-٣٩٦).

(٣) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٤٦١).

(٤) انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ١٤١).

والأحسَنُ ما قدَّره مَكِّيٌّ حيثُ قال: والعاملُ فيه: اذكُروا؛ أي: اذكُروا إِذْ تُدعَوْنَ إلى الإيمانِ فتكفُرون(١).

قوله: «الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ»:

قال أبو عبيدٍ في كتابِ «الأمثال»: مِن أَمثالِهم في التَّفريطِ قولُهُم: (الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللبنَ)، وصاحبُهُ عمرو بنُ عمرِو بنِ عدسِ بنِ زيدٍ التَّميميُّ، وكانَتْ عندَهُ دَخْتَنوس بنتُ لَقيطِ بنِ زُرارةَ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ إلَّا أنَّه كان كبيرَ السِّنِّ فقَلَتْهُ ولَمْ تَزَلْ تَسأَلُه الطَّلاقَ حتى فعلَ، وتَزوَّجَها بعدَهُ عُميرُ بنُ مَعبَدِ بنِ زُرارةَ ابنُ عمِّها وكانَ شابًّا إلَّا أنَّه مُعدَمٌ، فمرَّتْ إبلُ عمرِو بنِ عمرٍو ذات يومٍ بدختنوس، فقالَتْ لخادِمتها: انطلِقِي فقُولي له يَسقينا مِن اللبنِ، فأبلَغَتْهُ، فعِندَها قال: الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللبنَ.

قال أبو عبيدٍ: أراه يعني: أن سؤالَكِ إيَّايَ الطَّلاقَ كان في الصَّيفِ فيومئذٍ ضَيَّعْتِ اللبنَ بالطَّلاقِ.

وقالَ آخرون: معناهُ أنَّ الرَّجُلَ إذا لم يَطرُقْ ماشِيَتَه في الصَّيفِ كانَ مُضيِّعًا لألبانِها حينئذٍ، انتهى(٢).

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مِن الشِّرْكِ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إخلاصَكُم وشقَّ عليهِم.

---

(١) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٦٣٤)، و«فتوح الغيب» (١٣/ ٤٧٢).

(٢) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٤٨).

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خبرانِ آخرانِ للدَّلالةِ على علوِّ صَمديَّته مِن حيثُ المعقولُ والمحسوسُ الدالُّ على تَفرُّدِه في الألوهيَّةِ؛ فإنَّ مَن ارتفعَتْ دَرجاتُ كَمالِه بحيثُ لا يظهَرُ[١] دونَها كمالٌ، وكانَ العرشُ الذي هو أصلُ العالمِ الجسمانيِّ في قبضةِ قُدرَتِه؛ لا يَصِحُّ أن يشركَ به.

وقيل: الدَّرجاتُ مراتِبُ المخلوقاتِ، أو مَصاعِدُ الملائكةِ إلى العرشِ أو السَّمواتِ، أو درجاتُ الثَّوابِ.

وقُرِئَ: (رفيعَ) بالنَّصبِ على المدحِ[٢].

﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ خبرٌ رابعٌ للدَّلالةِ على أنَّ الرّوحانيَّاتِ أيضًا مُسَخَّراتٌ لأمرِهِ بإظهارِ آثارِهَا وهو الوحيُ، وتمهيدٌ للنبوَّةِ بعدَ تقريرِ التَّوحيدِ.

و﴿الرُّوح﴾: الوحيُ، و﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ بيانُه؛ لأنَّه أمرٌ بالخيرِ أو مبدؤهُ، والآمرُ هو المَلَكُ المُبلِّغُ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾: يختارهُ للنبوَّةِ، وفيه دليلٌ على أنَّها عَطائِيَّةٌ.

﴿لِيُنذِرَ﴾ غايةُ الإلقاءِ، والمستكِنُّ فيه (للهِ) أو لِـ(مَن) أو للرُّوحِ[٣]، واللامُ مع القربِ تُؤيِّدُ الثَّاني.

﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يومَ القيامةِ؛ فإنَّ فيه يتلاقى الأرواحُ والأجسادُ وأهلُ السَّماءِ والأرضِ والمعبودونَ والعِبادُ والأعمالُ والعُمَّالُ.

قوله: «﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خبرانِ آخرانِ»:

قال أبو حيَّان: أمَّا تَرتُّبُها على قولِه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فبعيدٌ لطُولِ

---

(١) في (ت): «نظر».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٩٩)، وقد أجازها الأخفش لكن لم يصرح بكونها قراءة.

(٣) في (ت): «الروح».

الفَصلِ، وأمَّا كونُها أخبارًا لمبتدأٍ مَحذوفٍ؛ فمَبنيٌّ على جوازِ تَعدُّدِ الأخبارِ إذا لم تكُن في مَعنى خبرٍ واحِدٍ، والمنعُ اختِيارُ أصحابِنا(١).

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ خارجونَ مِن قُبورِهِم، أو ظاهرونَ لا يستُرُهُم شيءٌ، أو ظاهرةٌ نُفوسُهُم لا تحجُبُهم غواشِي الأبدانِ، أو أعمالُهُم(٢) وسَرائِرُهُم.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ مِن أعيانِهم وأعمالِهم وأحوالِهم، وهو تقريرٌ لقولِه: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ وإزاحةٌ لنَحوِ ما يُتوهَّمُ في الدُّنيا.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ حكايةٌ لِمَا يُسأَلُ عنه في ذلكَ اليومِ، ولِما يجابُ به، أو لِمَا دلَّ عليه ظاهرُ الحالِ فيه مِن زَوالِ الأسبابِ وارتفاعِ الوسائطِ، وأمَّا حقيقَةُ الحالِ فناطقَةٌ بذلك دائمًا.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كأنَّه نتيجةٌ لِمَا سبقَ، وتَحقيقُهُ أنَّ النُّفوسَ تكتسبُ(٣) بالعقائدِ والأعمالِ هيئاتٍ تُوجِبُ لذَّتَها وأَلمَها لكنَّها لا تَشعرُ بها في الدُّنيا لعوائقَ تَشغَلُها، فإذا قامَتْ قِيامَتُها زالتِ العَوائِقُ وأَدركت لذَّتَها وأَلَمَها.

﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ بنقصِ الثَّوابِ وزيادةِ العِقابِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ إذ(٤) لا يَشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، فيَصِلُ إليهم ما يستحقُّونَهُ سَريعًا.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤٠١).

(٢) في (ت): «وأعمالهم».

(٣) في (ض): «تكسب».

(٤) في (ت) و(خ): «أي».

(١٨) ـ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾ أي: القِيامةِ، سُمِّيَت بها لأُزوفِها؛ أي: قُرْبِها، أو الخُطَّةِ الآزِفَةِ وهي مُشارفَتُهم النَّارَ، وقيل: الموتَ[1].

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ فإنَّها ترتفعُ عَن أَماكنِها وتلتَصِقُ[2] بحُلوقِهِم، فلا تعودُ فيتروَّحُوا ولا تخرجُ فيستَرِيحُوا.

﴿ كَـٰظِمِينَ ﴾ على الغمِّ، حالٌ مِن أصحابِ القلوبِ على المعنى؛ لأنَّه على الإضافةِ أو مِنْها، أو مِن ضَمِيرِهَا في (لدى)، وجَمَعَهُ لذلك؛ لأنَّ الكظمَ مِن أفعالِ العُقَلاءِ كقولِه: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، أو مِن مَفعولِ ﴿أَنذِرْهُم﴾ على أنَّه حالٌ مُقدَّرةٌ.

﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريبٍ مُشفِقٍ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ولا شفيعٍ مُشفَّعٍ، والضَّمائرُ إن كانَتْ للكفَّارِ ـ وهو الظَّاهرُ ـ كان وَضعُ الظَّالِمِينَ مَوضِعَ ضَميرِهِم للدَّلالةِ على اختصاصِ ذلك بهم وأنَّه لظُلْمِهِم.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ النَّظرةَ الخائنةَ، كالنَّظرةِ الثَّانيةِ إلى المحرَّمِ[3] واستراقِ النَّظرِ إليه، أو خيانةَ الأعيُنِ.

---

(١) انظر: «لباب التفاسير» (٨/ ٨٤).

(٢) في (ت) و(ض): «فتلتصق».

(٣) في (أ) و(خ): «غير المَحْرَمِ».

﴿وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ مِن الضَّمائرِ، والجملَةُ خبرٌ خامِسٌ للدَّلالةِ على أنَّه ما مِن خَفِيٍّ إلا وهو مُتعلَّقُ العلمِ والجَزاءِ.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ لأنَّه المالكُ الحاكمُ على الإطلاقِ فلا يقضي بشَيْءٍ إلَّا وهو حقُّهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ تهكُّمٌ بهم؛ لأنَّ الجمادَ لا يُقَالُ فيه: إنَّه يَقضي أو لا يَقضي.

وقرأ نافِعٌ وهِشامٌ[1] بالتَّاءِ[2] على الالتفاتِ، أو إضمارِ (قُلْ).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ تقريرٌ لعلمِهِ بخائنةِ الأعيُنِ وقَضائِهِ بالحقِّ، ووعيدٌ لهم على ما يقولونَ ويفعلونَ، وتعريضٌ بحالِ ما يدعونَ مِن دونِه.

قوله: «﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ تهكُّمٌ بهم»:

قال الطِّيبيُّ: فإن قلت: لِمَ لَمْ تَجْعَلْهُ مِن المشاكلةِ؟

قلت: جعلُهُ استعارَةً تهكُّمِيَّةً أبلَغُ، وبالاختيار[3] أولى، والمقامُ له أَدعى، وهو تحقيرُ شأنِ آلِهَتِهِم وتسفيهُ رَأيِهِم[4].

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ تقريرٌ لعلمِهِ بخائنَةِ الأعيُنِ وقَضائِه بالحَقِّ»:

قال الطِّيبيُّ: أي: يعلَمُ خائنةَ الأعيُنِ؛ لأنَّه بصيرٌ لا يحجبُهُ شَيءٌ عن المبصراتِ

---

(١) «وهشام»: ليس في (ض).

(٢) وهي قراءة نافع، وابن عامر من رواية هشام، انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

(٣) في (ز) و(س): «وبالإخبار»، والمثبت من (ن) و«فتوح الغيب».

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٩١).

التي تَخْفَى على كلِّ ذي بصرٍ، ويعلمُ ما تُخفي الصُّدورُ مِن الهَواجسِ التي ربَّما تَخفى على صاحبِها؛ لأنَّه سَميعٌ حقيقيٌّ[(١)].

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ مآلُ حالِ الذين كذَّبُوا الرُّسُلَ قبلَهُم كعادٍ وثمودَ.

﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قُدرةً وتَمكُّنًا، وإنَّما جيءَ بالفصلِ وحَقُّهُ أن يقعَ بينَ مَعرِفتَينِ لِمُضارعَةِ (أفعلَ مِن) للمَعرِفَةِ في امتناعِ دخولِ اللامِ عليه.

وقرأَ ابنُ عامرٍ ﴿أشدَّ مِنكُم﴾ بالكافِ[(٢)].

﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ مثلَ القِلاعِ والمدائنِ الحصينَةِ.

وقيل: المَعنى: وأكثرَ آثارًا كقولِه:

مُتَقلِّـــدًا سَـــيْفًا وَرُمْحَـــا[(٣)]

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٩١).

(٢) «وقرأ ابن عامر «أشد منكم» بالكاف»: ليس في (خ) و(ض)، وانظر: «السبعة» (ص: ٥٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

(٣) عجز بيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٩١) و(٢/ ٢٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» (١/ ١٣٧). ومعناه: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً. وصدره:

يـــا ليـــت زوجـــك قـــد غـــدا =

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ يمنعُ العَذابَ عَنْهُم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذُ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمُعجزاتِ أو الأحكامِ الواضِحَةِ، ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾ مُتمَكِّنٌ ممَّا يُريدُهُ غايةَ التَّمكُّنِ، ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لا يُؤبَهُ بعقابٍ دونَ عِقابِه.

قوله: «وإنَّما جِيءَ بالفَصْلِ وحقُّهُ أَنْ يقعَ بينَ مَعرِفَتينِ لِمُضارعةِ (أفعل مِن) للمعرفةِ في امتناعِ دخولِ اللامِ عليه»:

قال ابنُ الحاجبِ: ولا يجوزُ أَنْ تقولَ: زَيدٌ هو غلامُ رجلٍ وإن كانَ مُمتنعًا دخولُ حرفِ التَّعريفِ عليه؛ لأنَّ هذا مَخصوصٌ بـ(أفعل مِن كذا)، والفرقُ بينَهُما أنَّ (أفعل مِن كذا) يشبهُ المعرفةَ شبهًا قويًّا مِن حيثُ المعنى، حتَّى إنَّ قولَك: أفضلُ مِن كذا، الأفضلُ باعتبارِ فَضيلةٍ مَعهودةٍ ولذلكَ قامَ مقامَه، وليسَ (غلامُ رجلٍ) كذلك، فإنَّه إنَّما امتنعَ دخولُ حرفِ التَّعريفِ عليه مِن جهَةِ أنَّ الإضافةَ قد تكونُ للتَّعريفِ، واللام للتَّعريفِ، فكُرِهَ الجمعُ بينَهُما بخلافِ: (أفضلَ مِنك)(١).

(٢٣ ـ ٢٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوٓا أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني المعجزاتِ.

= ويروى:

ورأيـــتُ زوجَـــك فـــي الوغـــى

(١) انظر: «الإيضاح في شرح المفصل» لابن الحاجب (١/ ٤٦٩)، وانظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٩٢).

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وحُجَّةٍ قاهرَةٍ ظاهرَةٍ[1]، والعطفُ لتغايُرِ الوَصْفَيْنِ، أو لإفرادِ بَعضِ المُعجزاتِ كالعَصَا تفخيمًا لشَأْنِه.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ يعنونَ مُوسى عليهِ السَّلامُ، وفيه تَسليةٌ لرَسُولِ اللهِ ﷺ، وبيانٌ لِعاقبَةِ مَن هوَ أشَدُّ الذين كانوا من قبلِهِم بطشًا وأقرَبُهُم زمانًا.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ أي: أعيدُوا عليهم ما كُنتُمْ تَفعَلُونَ بهم أوَّلًا كي يصدُّوا عَنْ مُظاهرَةِ مُوسى.

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ في ضَياعٍ، ووضعُ الظَّاهرِ فيه موضِعَ الضَّميرِ؛ لتَعميمِ الحُكمِ والدَّلالَةِ على العِلَّةِ.

(٢٦ - ٢٧) - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ كانُوا يَكُفُّونَهُ مِن قتلِهِ ويقولُون: إنَّه ليسَ الذي تخافُه بل هو ساحِرٌ ولو قتلتَهُ ظُنَّ أنَّكَ عَجَزْتَ عَن مُعارضَتِه بالحُجَّةِ، وتَعلُّلُه بذلك مع كونِه سَفَّاكًا في أهوَنِ شيءٍ دَليلٌ على أنَّه تيقَّنَ أنَّه نَبيٌّ فخافَ مِن قتلِهِ، أو ظَنَّ أنَّه لو جادلَه[2] لم يتيَسَّرْ له، ويُؤيِّدُه قولُه: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإنَّه تَجلُّدٌ وعدمُ مُبالاةٍ بدُعائِه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إن لم أَقتُلْه ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾

---

(١) «ظاهرة»: ليس في (خ).

(٢) في كل النسخ عدا (ض): «حاوله».

أن يُغَيِّرَ ما أنتُمْ عليهِ مِن عبادتِه(١) وعبادةِ الأصنامِ؛ لقولِه: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ ما يفسدُ دُنياكُمْ مِن التَّحارُبِ والتَّهارُجِ إن لم يَقْدِرْ أنْ يُبطِلَ(٢) دينكُم بالكُلِّيَّةِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ بالواوِ على مَعنى الجمعِ(٣)، وابنُ كَثيرٍ وأبو عمرو وابنُ عامرٍ والكوفيُّونَ غيرَ حَفصٍ بفتحِ الياءِ والهاءِ(٤) ورفعِ الفسادِ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ أي: لقومِه لَمَّا سَمِعَ بكَلامِه(٥): ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ صَدَّرَ الكلامَ بـ(إنَّ) تأكيدًا(٦) وإشعارًا على أنَّ السَّببَ المؤكِّدَ في دفعِ الشرِّ هو العياذُ باللهِ، وخَصَّ اسمَ الربِّ؛ لأنَّ المطلوبَ هو الحفظُ والتَّربيةُ، وأضافَه(٧) إليه وإليهم حثًّا لهم على مُوافقتِه لِمَا في تَظاهُرِ الأرواحِ مِن استجلابِ الإجابةِ، ولم يُسَمِّ فِرعونَ وذَكَرَ وَصْفًا يعمُّه وغيرَهُ؛ لتَعميمِ الاستعاذةِ ورعايةِ الحقِّ والدَّلالةِ على الحاملِ له على القولِ.

---

(١) في (ت): «عبادتي».

(٢) في (ت): «يبدل».

(٣) أي بالواو العاطفة: ﴿وأن يظهر﴾، وقراءة الكوفيين عاصم وحمزة والكسائي: ﴿أو أن﴾ بألف قبل الواو، وكذلك هي في مصحاف أهل الكوفة، انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٩١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥).

(٤) أي: (يَظْهَرَ) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٩١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥)؟

(٥) في (ت): «كلامه».

(٦) في (خ): «توكيداً».

(٧) في النسخ عدا (ض): «وإضافته».

وقرأ أبو عَمرٍو وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿عُتُّ﴾[1] فيهِ وفي (الدخان) بالإدغامِ، وعن نافعٍ مِثلُه[2].

(٢٨) - ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ مِن أَقاربه، وقيل: ﴿مِّنْ﴾ مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ والرَّجلُ إسرائيليٌّ، أو غريبٌ مُوحِّدٌ كانَ يُنافِقُهم.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ أتقصدونَ قتلَهُ ﴿أَن يَقُولَ﴾ لأن يقولَ، أو: وقتَ أَنْ يقولَ مِن غيرِ رَوِيَّةٍ وتأمُّلٍ في أمرِهِ، ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وحدَهُ، وهو في الدَّلالةِ على الحصرِ مثل: صَدِيقِي زَيدٌ، ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المتكثِّرةِ على صدقِه مِن المعجزاتِ والاستدلالاتِ، ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ أضافَهُ إليهِمْ بعدَ ذكرِ البيِّناتِ احتِجاجًا عليهم واستِدراجًا لهم إلى الاعترافِ بهِ.

ثمَّ أخذَهُم بالاحتجاجِ مِن بابِ الاحتياطِ فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ لا يَتخطَّاهُ وَبالُ كذبِه فيُحتاجَ في دفعِهِ إلى قتلِه، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ فلا أقلَّ مِن أَنْ يُصيبَكُم بعضُهُ، وفيه مُبالغَةٌ في التَّحذيرِ وإظهارٌ للإنصافِ وعَدمِ التَّعصُّبِ ولذلك قدَّمَ كونَهُ كاذبًا، أو يُصِبْكُم ما يَعِدُكُم مِن عذابِ الدُّنيَا وهو بعضُ مَواعيدِهِ؛ كأنَّهُ خوَّفَهُم بما هو أظهَرُ احتمالًا عندَهُم، وتفسيرُ البَعضِ بالكلِّ كقولِ لَبيدٍ:

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ٤٤).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ١٦).

تَــرَّاكُ أَمْكِنَــــةٍ إِذَا لَـــمْ أَرْضَـهَــا أَوْ يَرْتَبِـطْ بَعْـضَ النُّفُـوسِ حِمَامُهَــا

= مردودٌ؛ لأنَّه أرادَ بالبعضِ نفسَهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ احتجاجٌ ثالِثٌ ذات وجهينِ:

أحدهما: أنَّه لو كانَ مُسرِفًا كذَّابًا لَمَا هداهُ اللهُ إلى البيِّناتِ ولَما عضدَهُ بتلكَ المُعجزاتِ.

وثانيهما: أنَّ مَن خذلَهُ اللهُ وأهلكَهُ فلا حاجةَ لَكُم إلى قتلِه، ولعلَّهُ أرادَ به المعنى الأوَّلَ وخيَّلَ إليهم الثَّاني؛ ليُلَيِّنَ[١] شَكِيمتَهُم، وعرَّضَ به لفرعونَ بأنَّهُ مُسرِفٌ كذَّابٌ لا يهديهِ اللهُ[٢] سبيلَ الصَّوابِ وطريقَ[٣] النَّجاةِ.

قوله: «أو: وقت أَنْ يقول»:

قال أبو حيَّان: هذا الذي أجازَهُ مِن تَقديرِ المضافِ المحذوفِ ـ الذي هو وقتٌ ـ لا يجوزُ، تقول: جئتُ صِياحَ الدِّيكِ؛ أي: وقتَ صِياحِ الدِّيكِ، ولا يجوزُ: جئتُ أنْ صاحَ الدِّيكُ، ولا: أجيءُ أنْ يصيحَ الدِّيكُ، نصَّ على ذلك النُّحاةُ، فشرطُ ذلك أن يكونَ المصدرُ مُصرَّحًا به لا مقدَّرًا، و(أن يقولَ) ليسَ مصدرًا مصرَّحًا به[٤].

وقال الشَّيخُ تاجُ الدِّينِ ابنُ مَكتومٍ: أجازَ ابنُ جنِّي ذلكَ؛ أي: وقوعَ المَصدَرِ المقدَّرِ ظرفًا للزَّمانِ في قولِ الشَّاعرِ:

---

(١) في (خ): «التليين».

(٢) في (خ) زيادة: «إلى».

(٣) في (ت) و(ض): «وسبيل» بدل «وطريق».

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤١٧).

وَبِاللهِ مَا إِنْ شَهْلَةٌ أُمُّ وَاحِدٍ   بِأَوْجَدَ مِنِّي أَنْ يُهَانَ صَغِيرُهَا[1]

ذكرَ ذلك في كتابِ «النهاية» مِن تأليفِه.

قوله: «كقولِ لَبيدٍ:

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا   أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا»[2]

قال الطِّيبيُّ: أي: أَتْرُكُ أَمكِنَةً إذا لم أَرْضَها إلى أَنْ يَرْتَبِطَ الحِمامُ بعضَ النُّفوسِ، أي كلَّها، وهو يومُ القيامةِ، وهذا خطأٌ؛ لأنَّه أرادَ ببعضِ النُّفوسِ نفسَهُ؛ أي: إلى أَنْ يموتَ من هو مشهورٌ معروفٌ لا يَخْفَى على أحدٍ[3].

(٢٩) ـ ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبينَ عالينَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مصرَ.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ أي: فلا تُفسِدُوا أمرَكُم ولا تتعرَّضُوا لبأسِ اللهِ بقَتلِهِ فإنَّه إِنْ جاءَنا لم يمنَعْنَا منه أحدٌ.

---

(١) البيت لمساعدة بن جؤية. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ٢١٤)، و«أساس البلاغة» (مادة: فعي).

(٢) البيت في «ديوان لبيد» (ص: ١١٣)، وهو من معلقته المشهورة، وقد فسر أبو عبيدة البعض في البيت بالكل فقال: الموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض. وتعقبه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤١٥) ـ تفسير آل عمران ـ بقوله: إن البعض والجزءَ لا يكونُ الكُل، وأنشد أبو عبيدة بيتًا غلط في معناه ـ يعني هذا البيت ـ وقال: المعنى: أو يعتلق كل النفوس حمامها، وإنما المعنى: أو يعتلق نفسي حمامها. وفي كلام الناس: بعض يعرفك، أي: أنا أعرفك.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٥٠١).

وإنَّما أدرجَ نفسَهُ في الضَّميرَيْنِ؛ لأنَّه كانَ مِنهُم في القرابةِ، وليريَهُم أنَّه معهُم ومُساهِمُهُم فيما ينصحُ[١] لهم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾ ما أشيرُ إليكم ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ وأستَصْوِبُه مِن قتلِه ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ وما أُعَلِّمُكُمْ إلَّا ما عَلِمْتُ مِن الصَّوابِ، وقلبي ولِساني مُتواطِئَانِ عليه ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ طريقَ الصَّوابِ[٢].

وقُرِئَ بالتَّشديدِ[٣] على أنَّه فَعَّالٌ للمُبالغةِ مِن رَشِدَ كعَلَّامٍ، أو مِن رَشَدَ كعَبَّادٍ، لا مِن أرشدَ كجَبَّارٍ مِن أَجْبَرَ؛ لأنَّهُ مَقصورٌ على السَّماعِ، أو للنِّسبَةِ إلى الرُّشدِ كعَوَّاجٍ وبَتَّاتٍ[٤].

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيبِه والتَّعرُّضِ له، ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ مثلَ أيَّامِ الأُمَمِ الماضيةِ يعني وَقائِعَهُم، وجمعُ الأحزابِ مع التَّفسيرِ أَغْنى عن جمعِ اليَومِ.

---

(١) في (أ): «نصح».

(٢) في (خ): «﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ وما أعلمكم إلا ما علمت من طريق الصواب وقلبي ولساني عليه» بدل من قوله: «﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ وما أعلمكم» إلى هاهنا، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤١)، عن معاذ رضي الله عنه.

(٤) قوله: «كعواج وبتات»؛ أي: بيَّاع العاج وبيَّاع البتِّ، وهو الطيلسانُ من خَزٍّ أو صوف، انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٥٠٥).

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ مثلَ جزاءِ ما كانوا عليه دائبًا مِن الكفرِ وإيذاءِ الرُّسُلِ ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كقومِ لُوطٍ.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ فلا يُعاقِبُهم بغيرِ ذنبٍ ولا يُخلِّي الظَّالمَ منهم بغيرِ انتقامٍ، وهو أبلغُ مِن قولِه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦](١) مِن حيثُ إنَّ المنفيَّ فيه نفيُ حُدوثِ تَعلُّقِ إرادتِه بالظُّلم.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ يومَ القيامةِ، ينادي فيه بعضُهم بعضًا للاستغاثةِ، أو يتصايَحُونَ بالويلِ والثُّبورِ، أو يتنادَى أصحابُ الجنَّةِ وأصحابُ النَّارِ كما حكى في (الأعراف).

وقُرِئَ بالتَّشديدِ(٢) وهو أن يَنِدَّ بعضُهم مِن بعضٍ، كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ عن الموقفِ، ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفينَ عنه إلى النَّارِ، وقيل: فارِّينَ عنها ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمُكُم مِن عَذابِه.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

---

(١) لأن نفي إرادة الشيء أبلغ من نفيه، ونفي النكرة أشمل إذ معناه لا يريد شيئاً من الظلم خصوصاً، والآية الثانية فيها نفي المبالغة، وقد ذكر ثمة أن فيها مبالغة من وجه آخر، قاله الخفاجي «حاشيته» (٧/ ٣٧٠)، بتصرف.

(٢) أي: (التنادّ) بتشديد الدال، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٣)، عن ابن عباس والضحاك، وذكرها الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣١٨) دون نسبة.

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ يوسفُ بنُ يعقوبَ على أنَّ فِرعونَهُ فرعونُ موسَى، أو على نسبَةِ أحوالِ الآباءِ إلى الأولادِ، أو سبطُه يوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسفَ.

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ[1] موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمُعجزاتِ ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ مِن الدِّينِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ ماتَ ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ ضمًّا إلى تكذيبِ رِسالَتِه تكذيبَ رِسالةِ مَن بعدَهُ، أو جزمًا بأَنْ لا يُبعَث بعدَهُ رَسولٌ مع الشَّكِّ في رسالتِهِ.

وقُرِئَ: (أَلَنْ يَبْعَثَ اللهُ)[2] على أنَّ بعضَهُم يُقرِّرُ بعضًا بنَفْيِ البعثِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلكَ الإضلالِ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ في العِصْيانِ، ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاكٌّ فيما يشهَدُ به البيناتُ لغَلَبةِ[3] الوهمِ والانهماكِ في التَّقليدِ.

(٣٥) - ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ مِن الموصولِ الأوَّلِ لأنَّه بمَعنى الجمعِ.

---

(١) «من قبل»: ليس في (ت).

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٥/ ١٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٩)، عن أبيٍّ وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٣) في (أ) و(خ): «بغلبة».

﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ بغيرِ حُجَّةٍ، بل إمَّا بتقليدٍ أو شُبهَةٍ داحِضَةٍ ﴿أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيه ضميرُ (مَنْ)، وإفرادُهُ للَّفْظِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مُبتدأً وخبرُهُ ﴿كَبُرَ﴾ على حذفِ مُضافٍ؛ أي: وجدالُ[1] الذين يجادِلُونَ كَبُرَ مَقْتًا أو بغيرِ سلطانٍ، وفاعِلُ ﴿كَبُرَ﴾: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كَبُرَ مقتًا مثلُ ذلك الجدالِ، فيكونُ قولُه: ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ استئنافًا للدَّلالةِ على الموجِبِ لجدالِهِم.

وقرَأَ أبو عمرٍو وابنُ ذكوانَ[2]: ﴿قلبٍ﴾ بالتَّنوينِ[3] على وصفِه بالتَّكبُّرِ والتَّجبُّرِ لأَنَّه مَنبَعُهُما كقولِهِم: رأَتْ عَيني وسَمِعَتْ أُذُني، أو على حذفِ مُضافٍ؛ أي: على كلِّ ذي قلبٍ مُتكبِّرٍ.

قولُه: «فيه ضَميرُ (من)، وأفردَهُ للَّفظِ»:

قال صاحبُ «الانتصافِ»: في ذلك عَوْدُه إلى لفظِ (من) بعدَ مُعاملةِ معناها، وأَهلُ العربيَّةِ يَجتَنِبُونَه[4]، فالأَوْلَى أَنْ لا يُعتمدَ في إعرابِ القرآنِ.

والصَّوابُ أَنَّ فاعلَ ﴿كَبُرَ﴾ ضميرُ مَصدرِ ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ أي: كبرَ جدالُهم مقتًا، ويجعلُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مُبتدأً بتقديرِ [حذف] المضافِ؛ أي: جدالَ الذينَ يُجادلونَ، والضَّميرُ في ﴿كَبُرَ﴾ يعودُ إلى الجدالِ المَحذوفِ[5].

---

(١) في (ض): «وجدل».

(٢) في (ض): «لجدالهم وقُرِئَ».

(٣) والباقون بترك التنوين، انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

(٤) في «الانتصاف»: «يستغربونه».

(٥) انظر: «الانتصاف» (٤/ ١٦٦)، وما بين معكوفتين منه.

قوله: «أو بغيرِ سُلطانٍ، وفاعلُ ﴿كَبُرَ﴾: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كَبُرَ مَقتًا مثل ذلك الجدالِ، فيَكونُ قولُه: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ استئنافًا»:

قال أبو حيَّان: هذا الذي أجازَهُ لا يجوزُ أن يكونَ مثلُه في كلامٍ فَصيحٍ، فكيفَ في كلامِ اللهِ تَعالى؛ لأنَّ فيه تفكيكَ الكَلامِ بعضِه مِن بَعضٍ، وارتكابَ مَذهبِ الصَّحيحُ خِلافُه.

أمَّـا تفكيكُ الـكلامِ فالظَّاهـرُ أنَّ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ مُتعلقٌ بـ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ ولا يُتعقلُ جعلُـه خبـرًا لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لأنَّه جارٌّ ومَجـرورٌ فيصيـرُ التَّقديرُ: الذيـن يجادلون في آيـاتِ الله كائنونَ أو مُسـتقرُّونَ بغيرِ سـلطانٍ، أي: في غيرِ سـلطانٍ؛ لأنَّ البـاءَ ـ إذ ذاك ـ ظرفيَّـةٌ خبرٌ عـن الجثثِ.

وكذلـك في قولِـه: ﴿يَطْبَعُ﴾ أنَّه مُسـتأنفٌ، فيه تفكيـكُ الكلامِ؛ لأنَّ مـا جاءَ في القـرآنِ مِـن ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ﴾ أو ﴿نَطْبَعُ﴾ [يونس: ٧٤] إنَّمـا جـاءَ مَربُوطًـا بعضُه ببعضٍ، فكذلـك هذا.

وأمَّا ارتكابُ مَذهَبِ الصَّحيحُ خلافُه؛ فجعلُ الكافِ اسمًا فاعِلًا لـ﴿كَبُرَ﴾، وذلك لا يَجوزُ على مَذهبِ البَصريِّينَ إلا الأخفش، ولَمْ يَثْبُت في كلامِ العَربِ ـ أعني نثرها ـ جاءَني كزيدٍ؛ تريدُ: مثلَ زيدٍ، فلم يَثبُت اسميَّتُها فتكونُ فاعلَةً[1].

قوله: «أو على حذفِ مُضافٍ؛ أي: على كلِّ ذي قلبٍ مُتكبِّرٍ»:

قال أبو حيَّان: لا ضرورةَ تَدْعُو إلى اعتقادِ الحَذفِ[2].

وقال الحَلَبِيُّ: بَل ثَمَّ ضرورةٌ إلى ذلك، وهو توافقُ القراءتينِ، فإنَّه يصيرُ

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٨/ ٤٢٧).

الموصوفُ في القراءتينِ واحدًا، وهو صاحبُ القَلبِ، بخلافِ عَدَمِ التَّقديرِ، فإنَّه يَصيرُ المَوصوفُ في أَحدِهما القلبَ وفي الآخرِ صاحبَه[1].

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بناءً مَكشوفًا عاليًا، مِن صَرَّحَ الشَّيءُ: إذا ظهرَ.

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ الطُّرقَ ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بيانٌ لها، وفي إبهامِها ثمَّ إيضاحِها تَفخيمٌ لشَأْنِها وتَشويقٌ للسَّامعِ[2] إلى مَعرفَتِها.

﴿فأطَّلعُ إلى إلهِ مُوسَى﴾ عطفٌ على ﴿أَبْلُغُ﴾، وقرأَ حَفصٌ بالنَّصبِ[3] على جوابِ التَّرجِّي، ولعلَّهُ أرادَ أنْ يَبنِيَ له رَصَدًا في موضعٍ عالٍ يرصُدُ منه أحوالَ الكواكبِ التي هي أسبابٌ سَماويَّةٌ تَدلُّ على الحوادثِ الأرضيَّةِ فيَرَى هل فيها ما يدلُّ على إرسالِ اللهِ تَعالى إيَّاه.

أو: أن يُرِيَ فسادَ قولِ مُوسى بأنَّ إخبارَهُ مِن إلهِ السَّماءِ يتوقَّفُ[4] على اطلاعِه ووُصولِه إليه، وذلك لا يَتأتَّى إلا بالصُّعودِ إلى السَّماءِ وهو ممَّا لا يَقْوَى عليهِ الإنسانُ وذلك لجَهْلِه باللهِ وكيفيَّةِ استنبائِه.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ في دَعْوَى الرِّسالةِ[5]، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلك

---

(١) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٤٨١).

(٢) في (أ): «السامع».

(٣) أي: ﴿فأطلعَ﴾، وقراءة الباقين بالرفع، انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٢).

(٤) في (ض): «متوقفٌ».

(٥) في (ض): «النبوة».

التَّزيينِ ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيلِ الرَّشادِ، والفاعِلُ على الحقيقةِ هو اللهُ، ويدلُّ عليه أنَّه قُرِئَ: (وزَيَّنَ) بالفتحِ[1]، وبالتوسُّطِ الشيطانُ.

وقرأ الحِجازيَّانِ والشَّاميُّ وأبو عمرٍو: ﴿وصَدَّ﴾[2] على أنَّ فِرعونَ صَدَّ النَّاسَ عَنِ الهُدى بأمثالِ هذه التَّمويهاتِ والشُّبُهاتِ، ويؤيِّدُه: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ أي: خَسارٍ.

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ يعني مُؤمِنَ آلِ فرعونَ، وقيل: موسى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ بالدَّلالةِ ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ سبيلًا يَصِلُ سالِكُهُ إلى المقصودِ، وفيه تعريضٌ بأنَّ ما عليه فرعونُ وقومُهُ سبيلُ الغَيِّ.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تمتُّعٌ يَسيرٌ لسُرعَةِ زَوالِها ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ لخُلودِها.

(٤٠) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ عدلًا مِن اللهِ، وفيه دليلٌ على أنَّ الجناياتِ تُغْرَمُ بمِثْلِها.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغيرِ تَقديرٍ ومُوازنَةٍ بالعملِ بل أضعافًا مُضاعفَةً فضلًا منهُ

---

(١) انظر: «الكشاف» (٧/ ٥٧٩)، و«البحر» (١٨/ ٤٢٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٧١)، و«التيسير» (ص: ١٣٣)، و«النشر» (٢/ ٢٩٨).

ورَحمةً، ولعلَّ تقسيمَ العُمَّالِ، وجعلَ الجزاءِ جُملَةً اسميَّةً مُصدَّرَةً باسمِ الإشارةِ، وتفضيلَ الثَّوابِ(١) لتَغليبِ الرحمَةِ، وجَعَلَ العملَ عُمدَةً والإيمانَ حالًا؛ للدَّلالةِ على أنَّه شَرطٌ في اعتبارِ العملِ، وأنَّ ثوابَهُ أعلى مِن ذلكَ.

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ كرَّرَ نِداءَهُم إيقاظًا لهم عَن سِنَةِ الغَفلَةِ، واهتمامًا بالمُنادى له، ومبالغةً في تَوبيخِهم على ما يقابلونَ به نُصحَهُ، وعَطفهُ(٢) على النِّداءِ الثَّاني الدَّاخلِ على ما هو بيانٌ لِمَا قبلَهُ، ولذلك لم يَعطِف على الأوَّلِ؛ فإنَّ ما بعدَهُ أيضًا تفسيرٌ لِمَا أَجمَلَ فيه تصريحًا أو تعريضًا(٣) أو على الأوَّلِ.

﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ﴾ بدلٌ أو بيانٌ فيه تعليلٌ، والدُّعاءُ كالهدايةِ في التَّعدِيَةِ بـ(إلى) واللامِ.

﴿وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ﴾ برُبوبيَّتِه ﴿عِلۡمٞ﴾ والمرادُ نفيُ المعلومِ والإشعارُ بأنَّ الأُلوهِيَّةَ لا بُدَّ لها مِن بُرهانٍ واعتقادَهَا لا يَصِحُّ إلا عَنْ إيقانٍ.

﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ المستجمعِ لصِفَاتِ الأُلوهيَّةِ مِن كَمالِ القُدرَةِ والغَلَبَةِ وما يتوقَّفُ عليه مِن العلمِ والإرادةِ والتَّمكُّنِ مِن المُجازاةِ والقُدرَةِ على التَّعذيبِ والغُفرانِ.

---

(١) قوله: «وتفضيل الثواب»: بالضاد المعجمة في جميع النسخ، وكذا قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٣٧١) والمعنى: أنه جعله زائداً على العمل لكونه أضعافاً مضاعفة له. ثم قال: وجوِّز كونه بالصاد المهملة؛ أي جعله مفصلاً.

(٢) قوله: «وعطفه»: اسم مبتدأ، أو فعل ماض معطوف على «كرر نداءهم». انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي» (٧/ ٣٧٢).

(٣) في (ض): «وتعريضًا». وهي في نسخة كما قال الخفاجي في «حاشيته».

قوله: «والمرادُ نَفْيُ المَعلومِ»:

قال الطِّيبيُّ: أي: هو مِن بابِ نَفيِ الشَّيءِ بنَفْيِ لازِمِه على سَبيلِ الكِنايَةِ[١].

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾ لا ردَّ لِمَا دعوهُ إليه و﴿جَرَمَ﴾ فَعَلَ بمعنى: حقَّ، وفاعِلُه: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: حقَّ عدمُ دَعوةِ آلهَتِكُم إلى عِبادَتِها أَصْلًا؛ لأنَّها جماداتٌ ليسَ لها ما يَقتَضِي أُلوهِيَّتَها، أو: عدمُ دَعوَةٍ مُستجابةٍ، أو: عدمُ استجابةِ دعوةٍ لها.

وقيل: ﴿جَرَمَ﴾ بمَعنى كَسَبَ وفاعِلُه مُستكِنٌّ فيه؛ أي: كَسَبَ ذلك الدُّعاءَ إليه أَنْ لا دعوةَ له؛ بمعنى: ما حصلَ مِن ذلك إلا ظهورُ بُطلانِ دَعوَتِه.

وقيل: فَعَلٌ مِن الجَرْمِ بمعنى القَطْعِ، كمَا أنَّ (بُدًّا) مِن (لا بُدَّ) فُعْلٌ مِن (التَّبديدِ) وهو التَّفريقُ، والمعنى: لا قطعَ لبُطلانِ دعوةِ[٢] أُلوهيَّةِ الأصنامِ؛ أي: لا ينقطِعُ في وقتٍ ما فتَنْقَلِبُ[٣] حقًّا، ويؤيِّدُه قولُهم: (لا جُرْمَ أنَّه يفعلُ) لغةً فيه كالرُّشْدِ والرَّشَدِ.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالموتِ ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الضَّلالةِ والطُّغيانِ كالإشراكِ وسَفْكِ الدِّماءِ ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ مُلازِمُوها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ فسيذكرُ بَعضُكُم بعضًا عند مُعاينةِ العَذابِ ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٥١٧).

(٢) في (خ): «دعوى».

(٣) في (ض): «فينقلب».

مِن النَّصيحَةِ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ ليعصمَني مِن كُلِّ سُوءٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فيحرسُهم فكأنَّهُ[1] جوابُ توعُّدِهم المفهومِ مِن قولِه:

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ شَدائدَ مَكرِهم، وقيل: الضَّميرُ لِمُوسى.

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ بفِرْعَونَ وقومِه، واستغنى بذِكرِهم عَن ذكرِهِ للعلمِ بأنَّه أَوْلَى بذلك.

وقيل: بطَلَبةِ المؤمنِ مِن قومِهِ، فإنَّه فرَّ منه إلى جبلٍ فأَتْبعهُ طائِفَةً فوَجدوهُ يُصَلِّي والوحوشُ صفوفٌ حولَهُ فرَجعُوا رعبًا، فقتلَهُم.

﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ الغرقُ، أو القتلُ، أو النَّارُ.

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ جملةٌ مُستأنفَةٌ، أو ﴿ ٱلنَّارُ﴾ خبرُ مَحذوفٍ و﴿يُعْرَضُونَ﴾ استئنافٌ للبيانِ، أو بدلٌ و﴿يُعْرَضُونَ﴾ حالٌ مِنْها أو من الآلِ.

وقُرِئَتْ مَنصوبةً[2] على الاختصاصِ أو بإضمارِ فـعلٍ يُفَسِّرُه ﴿يُعْرَضُونَ﴾ مثل: يُصْلَوْنَ؛ فإنَّ عرضَهُم على النَّارِ إحراقُهُم بها مِن قولِهِم: عُرِضَ الأُسارى على السَّيفِ: إذا قُتِلُوا به، وذلك لأرواحِهِم كما روى ابنُ مَسعودٍ: إنَّ أرواحَهُم في أَجوافِ طَيرٍ سُودٍ تُعرَضُ على النَّارِ بُكرةً وعَشِيًّا إلى يومِ القيامَةِ.

وذكرُ الوَقتينِ يحتمِلُ التَّخصيصَ والتَّأبيدَ، وفيهِ دَليلٌ على بقاءِ النَّفسِ وعَذابِ القَبرِ.

---

(١) في (ض): «وكأنه».

(٢) أي: (النَّارَ)، انظر: «الكشاف» (٧/ ٥٨٥)، و«البحر» (١٨/ ٤٣٢)، وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩)، لكن لم يصرح بأنها قراءة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ أي: هذا ما دامت الدُّنيا، فإذا قامتِ السَّاعةُ قيلَ لهم: ﴿أُدْخُلُوا آلَ فِرعونَ﴾ يا آلَ فِرعونَ ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذابَ جهنَّمَ، فإنَّه أشدُّ مما كانوا فيهِ أو أشدُّ عذابِ جهنَّمَ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ ونافِعٌ ويعقوبُ وحَفصٌ ﴿أَدْخِلُوا﴾[1] على أمرِ الملائكةِ بإدخالِهم النَّارَ.

قوله: «رَوَى ابنُ مَسعودٍ: أنَّ أرواحَهُم في أجوافِ طيرٍ سُودٍ تعرضُ عَلى النَّارِ بكرةً وعَشِيًّا»:

أخرجَه عبدُ الرَّزَّاقِ وابنُ أبي حاتمٍ[2].

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ واذكُرْ وقتَ تَخاصُمِهم فيها، ويحتملُ عطفه[3] على ﴿غُدُوًّا﴾.

﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تفصيلٌ لهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تُبَّاعًا كخَدَمٍ في جمعِ خادِمٍ، أو ذَوِي تَبَعٍ بمعنى اتّباعٍ؛ على الإضمارِ أو التَّجوُّزِ.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ بالدَّفعِ أو الحملِ[4]، و﴿نَصِيبًا﴾

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٢)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٧)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «العطف».

(٤) في (ت): «والحمل».

مفعولٌ لِمَا دَلَّ عليهِ ﴿مُّغْنُونَ﴾، أو له بالتَّضمينِ(١)، أو مَصدرٌ كـ(شيئًا) في قولِه: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فيكون ﴿مِنَ﴾ صِلَةً لـ﴿مُّغْنُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ نحن وأنتُمْ فكيفَ نُغْنِي عَنْكُم ولو قَدَرْنا لأغنينَا عَنْ أنفُسِنَا.

وقُرِئَ: (كُلًّا)(٢) على التَّأكيدِ؛ لأنَّه بمعنى: كلُّنا، وتنوينُه عِوَضٌ عن المضافِ إليهِ، ولا يجوزُ جعلُهُ حالًا مِن المُستكنِّ في الظَّرفِ، فإنَّه لا يعمَلُ في الحالِ المُتقدِّمَةِ كمَا يعملُ في الظَّرفِ المُتقدِّمِ كقولك: كلَّ يومٍ لكَ ثوبٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ بأَنْ أدخلَ أهلَ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلَ النَّارِ النَّارَ ولا مُعقِّبَ لحُكمِه.

قوله: «وقُرِئَ: (كلًّا) على التَّأكيدِ»:

قال ابنُ هشامٍ: سبقَهُ(٣) إليه الفرَّاءُ(٤)، والصَّوابُ أنَّها بدلٌ، وإبدالُ الظَّاهرِ مِن ضَميرِ الحاضرِ بدلَ كلٍّ جائزٌ إذا كان مفيدًا للإحاطةِ نحو: قمتُم ثَلاثَتُكم، وبدلُ الكلِّ لا يَحتاجُ إلى ضَميرٍ.

ويجوزُ لـ(كلٍّ) أن تلِيَ العوامِلَ إذا لم تتَّصِلْ بالضَّميرِ نحو: جاءَنِي كلُّ القَوْمِ، فيجوزُ مَجيئُها بدلًا بخلافِ: جاءَنِي كلُّهم، فلا يجوز إلا في الضَّرورَةِ.

---

(١) قوله: «مفعول»؛ أي به «لما دلَّ عليه مغنون»؛ أي: هل أنتم دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾، «أوله» أي: أو مفعول لـ﴿مُّغْنُونَ﴾ «بالتضمين»؛ أي: بتضمنه معنى (حاملين) «حاشية الأنصاري» (٥/ ٥٧).

(٢) نسبت لابن السميفع، انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٢١٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٦٣)، و«البحر» (١٨/ ٤٣٥).

(٣) أي: سبقَ الزمخشريَّ.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠): «رفعت (كل) بفيها، ولم تجعله نعتا لإنَّا، ولو نصبته على ذلك، وجعلت خبر إنا فيها، ومثله: «قل إن الأمر كله لله» ترفع (كله لله)، وتنصبها على هذا التفسير».

فهذا أحسَنُ ما قيلَ في هذه القراءَةِ[١].

وكذا قالَ أبو حيَّان: الذي أختارُهُ في تَخريجِ هذه القراءَةِ: أنَّ (كلًّا) بدلٌ مِن اسمِ (إن)؛ لأنَّ (كلًّا) يُتصرَّفُ فيها بالابتداءِ ونواسِخِه وغيرِ ذلك، وإذا كانَ البَدَلُ يفيدُ الإحاطةَ جازَ أن يُبْدَلَ مِن ضميرِ المتكلِّمِ وضميرِ المُخاطَبِ، لا نعلَمُ خلافًا في ذلك[٢].

قوله: «ولا يجوزُ جَعْلُه حالًا مِن المستكنِّ في الظَّرفِ فإنَّه لا يعمَلُ في الحالِ المُتقدِّمَةِ»:

قال ابنُ هِشامٍ: وفيه ضَعفان[٣]: وهو تنكيرُ (كلٍّ) بقَطعها[٤] عن الإضافَةِ لفظًا ومَعنًى، وهو نادِرٌ كقولِ بَعضِهِم: مَرَرْتُ بِهِم كلًّا، أي: جميعًا[٥].

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ أي: لخَزَنَتِها، ووَضعُ جهنَّم مَوضِعَ الضَّميرِ للتَّهويلِ أو لبيانِ مَحلِّهِم فيها، إذ يحتملُ[٦] أن تكونَ جَهَنَّمُ أبعدَ دَرَكاتِها مِن قَوْلِهِم: بِئْرٌ جِهِنَّامٌ: بعيدةُ القَعْرِ.

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٣١ ـ ٦٣٢).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧).

(٣) في النسخ الخطية: «ضعف ثان»، والمثبت من «مغني اللبيب».

(٤) في النسخ الخطية: «وقطعها»، والمثبت من «مغني اللبيب».

(٥) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٦٣)، والضعف الثاني هو تقديم الحال على عامله الظرفي.

(٦) في (أ) و(خ): «ويحتمل».

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا﴾ قدرَ يومٍ ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ شيئًا مِن العَذابِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ المفعولُ ﴿يَوۡمٗا﴾ بحذفِ المضافِ و﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ بيانُه.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أرادوا بهِ إلزامَهُم للحُجَّةِ[1]، وتوبيخَهُم على إضاعَتِهِم أوقاتَ الدُّعاءِ وتعطيلِهِم أسبابَ الإجابةِ.

﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ فإنَّا لا نجترئُ فيه إذ لم يُؤذَنْ لنا في الدُّعاءِ لأَمثالِكُم، وفيه إقناطٌ لَهُم عن الإجابةِ، ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ في[2] ضياعٍ لا يُجابُ.

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالحُجَّةِ والظَّفرِ والانتقامِ لَهُم مِن الكفرةِ، ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ أي: في الدَّارينِ ولا ينتقضُ ذلك بما كانَ لأعدائهم عليهم[3] مِن الغلبةِ امتحانًا[4]؛ إذ العبرةُ بالعواقبِ وغالبِ الأمرِ، و﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ جمعُ شاهِدٍ كصَاحبٍ وأَصحابٍ، والمرادُ بهم: مَن يَقومُ يومَ القِيامَةِ للشَّهادةِ على النَّاسِ مِن الملائكةِ والأنبياءِ والمُؤمنينَ.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾ بدلٌ مِن الأوَّلِ، وعدمُ نَفعِ المعذرَةِ؛ لأَنَّها باطِلَةٌ، أو لأَنَّه لا يُؤذَنُ لهم فيعتذرونَ.

وقرأ غيرُ الكوفِيِّينَ ونافِعٌ بالتَّاءِ[5].

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ البعدُ مِن الرَّحمَةِ ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ جهنَّمُ.

---

(١) في (ت): «الحجة».

(٢) «في» من النسخة (ت).

(٣) في كل النسخ ما عدا (ض): «لهم» بدل: «لأعدائهم عليهم».

(٤) في (ض): «أحياناً».

(٥) من قوله: «وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء»: ليس في (ض)، انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٢)، و«التيسير» (٢/ ٣٦٥).

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ ما يُهتدى به في الدِّينِ[1] مِن المعجزاتِ والصُّحُفِ والشَّرائعِ، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وتركْنا عليهم بعدَهُ مِن ذلك التَّوراةَ، ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ ﴾ هدايةً وتذكرةً، أو هاديًا ومُذكِّرًا ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ لذَوِي العُقولِ السَّليمَةِ.

(٥٥) ـ ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذى المشركينَ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ بالنَّصرِ لا يُخْلِفُهُ واستشهِدْ[2] بحالِ مُوسى وفِرعونَ، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ وأقبِلْ على أمرِ دينك، وتدارَكْ فَرطاتِكَ بتركِ[3] الأَولى والاهتمامِ بأمرِ العِدَى بالاستغفارِ؛ فإنَّهُ تَعالى كافيكَ بالنَّصرِ[4] وإظهارِ الأمرِ.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ ودُمْ على التَّسبيحِ والتَّحميدِ لربِّك. وقيل: صَلِّ لهذينِ الوقتينِ؛ إذ كان الواجبُ بمكَّةَ ركعتينِ بُكْرةً وركعتينِ عَشِيًّا.

(٥٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ﴾ عامٌّ في كلِّ مُجادلٍ

---

(١) في (خ): «الدارين».

(٢) قوله: «واستشهد»: إما هو بصيغة الأمر، أو هو بصيغة الماضي. انظر: «حاشية الخفاجي» (٧/ ٣٧٦).

(٣) في (ت) و(ض): «كترك».

(٤) في (ض): «في النصر»، وفي (ت): «من النصر».

مُبطلٍ وإن نزلَت في مُشركي مكَّةَ أو اليهودِ حينَ قالوا: لستَ صاحبَنا بل هو المسيحُ بن داودَ يبلُغُ سلطانُهُ البرَّ والبحرَ ويسيرُ معه الأنهارُ[1].

﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ إلا تكبُّرٌ عن الحقِّ وتعظُّمٌ عَن التَّفكُّرِ والتَّعلُّمِ، أو إرادةُ الرِّياسَةِ، أو أنَّ النبوَّةَ والملكَ لا يكونان[2] إلا لهم، ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ ببالغِي دفعِ الآياتِ أو المرادِ.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فالتَجِئ إليه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لأقوالِكُم وأفعالِكُم.

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ فمَنْ قدَرَ على خلقِها مع عِظَمِها أوَّلًا مِن غيرِ أَصلٍ قدَرَ على خلقِ الإنسانِ ثانيًا مِن أصلٍ وهو بيانٌ لأشْكَلِ ما يُجادِلُونَ فيه من أمرِ التَّوحيدِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّهُم لا ينظرونَ ولا يتأمَّلُونَ لفرطِ غفْلَتِهِم واتِّباعِهِم أهواءَهُم، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الغافلُ والمُستبْصِرُ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ والمحسِنُ والمُسيءُ، فينبَغِي أن يكونَ لَهُم حالٌ يظهرُ فيها التَّفاوُتُ وهي فيما بعدَ البَعثِ، وزيادةُ (لا) في المُسيءِ؛ لأنَّ المقصودَ نفيُ مساواتِه للمُحسنِ فيما له مِن الفضلِ والكرامةِ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) في كل النسخ ما عدا (خ): «يكون».

والعاطفُ الثَّاني عطفَ المَوصولَ[١] بما عُطِفَ عليه على الأَعمى والبَصيرِ؛ لتَغايُرِ الوَصْفَيْنِ في المقصودِ، أو الدّلالةِ بالصَّراحةِ والتَّمثيلِ.

﴿قليلًا ما يتذكرون﴾ أي: تَذكُّرًا ما قليلًا يَتذكَّرونَ، والضَّميرُ للنَّاسِ أو الكُفَّارِ[٢].

وقرأَ الكوفِيُّونَ بالتَّاءِ[٣] على تغليبِ المُخاطبِ، أو الالتفاتِ، أو أمرِ الرَّسولِ بالمُخاطبَةِ.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ في مَجيئِهَا؛ لوُضوحِ الدَّلالةِ على جوازِهَا، وإجماعِ الرُّسُلِ على الوعدِ بوُقوعِها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدِّقونَ بها؛ لقُصورِ نَظرِهم على ظاهرِ ما يحسُّونَ به.

---

(١) قوله: (والعاطف الثاني عطف الموصول...) إلخ إشارة إلى أن المراد عطف المجموع على المجموع كما في قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ ولم يترك العطف بينهما لأن الأول مشبه به والثاني مشبه فهما بحسب المآل متحدان، فكان ينبغي ترك العطف بينهما لأن كلاً من الوصفين مغاير لكل من الوصفين الآخرين، وتغاير الصفات كتغاير الذوات في صحة التعاطف، ووجه التغاير أن الغافل والمتسبصر والمحسن والمسيء صفات متغايرة الفهوم بقطع النظر عن اتحاد ما صدقها، وعدمه ولا حاجة إلى القول بأن القصد في الأولين إلى العلم وفي الآخرين إلى العمل، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٣٧٨).

(٢) في (خ): «أو للكفار».

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم، انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٢).

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ اعبُدُونـي، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أُثِبْكُـم[1]؛ لقولِـه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغريـنَ، وإِنْ فُسِّـرَ الدُّعـاءُ بالسُّـؤالِ كان الاستكبارُ الصَّـارِفُ عنه مُنـزَّلًا مَنزِلتَـهُ للمُبالغَةِ، أو المـرادُ[2] بالعبـادةِ الدُّعـاءُ فإنَّـه مِـن أبوابِها.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو بكرٍ: ﴿سيُدْخَلُونَ﴾ بضمِّ الياءِ وفَتحِ الخاءِ[3].

(٦١) ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ لتَستَريحُوا فيه؛ بأن خلقَهُ بارِدًا مُظلمًا ليؤدِّيَ إلى ضعفِ المُحرِّكاتِ وهدوءِ الحواسِّ، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يُبصَرُ فيه أو بِهِ، وإسنادُ الإبصارِ إليه مَجازٌ فيه مُبالغةٌ، ولذلك عُدِلَ بِهِ عن التَّعليلِ إلى الحالِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ لا يُوازيهِ فضلٌ، وللإشعارِ بـه لـم يَـقُل: لمُفضِلٌ.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لجَهْلِهِم بالمنعمِ، وإغفالِهِم مواقِعَ النِّعَمِ.

وتكريرُ النَّاسِ؛ لتَخصيصِ الكُفرانِ بهم.

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿ذَلِكُمُ﴾ المخصوصُ بالأفعالِ المُقتَضِيَةِ للألوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ

---

(١) في (ت) و(ض): «أثب لكم».

(٢) في (ت): «والمراد».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٢).

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبارٌ مُترادِفَةٌ، تُخصِّصُ اللاحقةُ السَّابقةَ وتُقرِّرُها.

وقُرِئَ: (خالِقَ) بالنَّصبِ[1] على الاختصاصِ فيكونُ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ استئنافًا بما هو كالنَّتيجَةِ للأوصافِ المذكورةِ.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ فكيفَ ومِن أيِّ وجهٍ تُصرَفُونَ مِن عبادتِهِ إلى عبادَةِ غيرِهِ؟!

﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ أي: كمَا أُفِكُوا أُفِكَ عَنِ الحقِّ كلُّ مَن جحدَ بآياتِ الله ولم يتأمَّلْها.

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ استدلالٌ ثانٍ بأفعالٍ أُخَرَ مَخصوصةٍ، ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ بأَنْ خلَقَكُم مُنتصبَ القامةِ باديَ البشرةِ مُتناسبَ الأعضاءِ والتَّخطيطاتِ مُتهيِّأً لِمُزاولَةِ الصِّناعاتِ[2] واكتسابِ الكَمالاتِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ اللذائذِ، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فإنَّ كُلَّ ما سِواهُ مربوبٌ مُفتقِرٌ بالذَّاتِ معرَّضٌ للزَّوالِ.

﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ المتفرِدُ بالحياةِ الذَّاتيةِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا موجودَ يُساويهِ أو

---

(١) انظر: «البحر» (١٨/ ٤٤٦) عن زيد بن علي.

(٢) في (ت): «الصنائع».

يُدانيهِ في ذاتِهِ وصِفاتِه، ﴿فَادْعُوهُ﴾ فاعبدوهُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الطَّاعةَ مِن الشِّركِ والرِّياءِ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قائلينَ له.

(٦٦) - ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾ مِن الحججِ والآياتِ، أو مِن الآياتِ فإنَّها مقويةٌ لأدلَّةِ العقلِ منبِّهةٌ عليها، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَنْ أنقادَ له وأخلصَ له ديني.

(٦٧ - ٦٨) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أطفالًا، والتَّوحيدُ لإرادةِ الجنسِ، أو على تأويلِ كلِّ واحدٍ مِنْكُم.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ اللامُ فيه مُتعلِّقةٌ بمَحذوفٍ تقديرُهُ: ثمَّ يُبقيكُمْ لتبْلُغوا، وكذا في قوله: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾، ويجوزُ عَطفُهُ على ﴿لِتَبْلُغُوا﴾.

وقُرِئَ[1]: ﴿شِيوخًا﴾ بالكسرِ[2]، ....

---

(١) في (ت): «لتبلغوا وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام» بدل: «وقرئ»، والمثبت من بقية النسخ، ولعل عبارة النسخة (ت) غير تامة، قال الأنصاري في «حاشيته» (٥/ ٦٣ - ٦٤): «وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام ﴿شُيُوخًا﴾ بضم الشين»: ساقط من نسخ، وبتقدير ثبوته وصحته كان الأنسب أن يقول بدل قوله: «وقرئ ﴿شيوخًا﴾ بالكسر»: والباقون بالكسر، اهـ. وانظر التعليق القادم.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان وأبو بكر، انظر: «السبعة» (ص: ١٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٢)، و«النشر» (٢/ ٢٢٦).

و(شِيُوخًا)[1] لقولِه ﴿طِفْلًا﴾.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ الشَّيخوخَةِ، أو بلوغِ الأَشُدِّ، ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟﴾ ويفعلُ ذلك لتَبْلُغوا ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ هو وقتُ المَوتِ أو يومُ القِيامةِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في ذلك مِن الحُجَجِ والعِبَرِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ فإذا أرادَهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فلا يحتاجُ في تكوينِهِ إلى عُدَّةٍ وتَجشُّمِ كُلْفةٍ.

والفاءُ الأولى للدَّلالةِ على أنَّ ذلك نتيجةُ ما سبقَ مِن حيثُ إنَّه يَقتَضِي قدرةً ذاتيَّةً غيرَ مُتوقِّفَةٍ على العُدَدِ والموادِّ.

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ عن التَّصديقِ به، وتكريرُ ذمِّ المُجادلةِ؛ لتعدُّدِ المجادِلِ، أو المجادَلِ فيهِ، أو للتَّوكيدِ، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ بالقُرآنِ، أو بجنسِ الكُتُبِ السَّماويَّةِ، ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ مِن سائرِ الكُتبِ، أو الوحيِ والشَّرائعِ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ جزاءَ تكذيبِهِم.

(٧١ ـ ٧٤) ـ ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ ظرفٌ لـ﴿يَعْلَمُونَ﴾ إذ المعنى على الاستقبالِ، والتَّعبيرُ بلفظِ المُضيِّ[2] لتيقُّنِه.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٧/ ٥٩٨).

(٢) في (خ): «الماضي».

﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطفٌ على ﴿الأغلال﴾، أو مُبتدأٌ خبرُه: ﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلْحَمِيمِ﴾، والعائدُ محذوفٌ؛ أي: يُسحَبُونَ بها، وهو على الأوَّلِ حالٌ.

وقُرِئَ: (والسَّلاسِلَ يَسْحَبُونَ) بالنَّصبِ وفتحِ الياءِ[1] على تقديمِ المفعولِ وعطفِ الفِعليَّةِ على الاسميَّةِ، و(السَّلاسلِ) بالجرِّ[2] حملًا على المعنى؛ إذ الأغلالُ في أعناقِهِم بمعنى: أعناقُهُم في الأغلالِ، أو إضمارًا للباءِ، ويدلُّ عليه القراءةُ به[3].

﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يُحْرَقونَ، مِن سَجَرَ التَّنُّورَ: إذا ملأهُ بالوقودِ.

ومِنهُ: السَّجِيرُ[4] للصَّدِيقِ كأنَّه سُجِرَ بالحُبِّ؛ أي: مُلِئَ، والمرادُ أنَّهم يُعذَّبُونَ[5] بأنواعٍ مِن العَذابِ وينقلونَ مِن بعضِهَا إلى بعضٍ.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ غابُوا عنا، وذلك قبلَ أَنْ يُقرَنَ بهم آلهتُهُم، أو ضاعوا عنَّا فلم نَجِدْ مِنْهُم ما كُنَّا نَتوقَّعُ منهم.

﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي: بَلْ تبيَّنَ لَنا أنَّا لم نَكُن نعبدُ شيئًا بعبادَتِهِم فإنَّهُم ليسوا شيئًا يُعتَدُّ به، كقولك: حَسِبْتُه شيئًا؛ فلَمْ يَكُن.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٧٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٣٣)، و«إعراب القرآن» له (٤/ ٣١)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (٢/ ٦٣٨)، و«الكشاف» (٧/ ٥٩٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٦٩)، و«البحر» (١٨/ ٤٥٠).

(٣) أي: «وبالسلاسل يسحبون»، وهي قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه كما في «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٣٣)، وذكرها عنه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٦٩)، وأبو حيان في «البحر» (١٨/ ٤٥٠) بلفظ: (وفي السلاسل).

(٤) قوله: «ومنه السجير»، سجير الرجل خليله وصفيه، انظر: «الصحاح» (مادة: سجر).

(٥) في (خ) و(ت): «والمراد تعذيبهم».

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ هذا[1] الضَّلالِ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حتَّى لا يَهْتَدُوا إلى شيءٍ ينفعُهُم في الآخرةِ، أو يضلُّهُم عَن آلِهَتِهِم حتَّى لو تَطَالَبُوا لَمْ يَتصادَفُوا.

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكُم﴾ الإضلالُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تبطرونَ وتَتكبَّرونَ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الشِّركُ والطُّغيانُ ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسَّعُونَ في الفرحِ، والعُدولُ إلى الخطابِ للمُبالغَةِ في التَّوبيخِ.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ الأبوابَ السَّبعةَ المقسومةَ لَكُم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقدِّرينَ الخُلودَ، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عَنِ الحقِّ جهنَّمُ، وكان مُقتضى النَّظمِ: فبِئْسَ مدخَلُ المُتكبِّرينَ، ولكن لَمَّا كان الدُّخولُ المقيَّدُ بالخلودِ سببَ الثَّواءِ عبَّرَ بالمَثْوَى[2].

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بهلاكِ الكُفَّارِ ﴿حَقٌّ﴾ كائنٌ لا مَحالةَ، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فإنْ نُرِكَ، و(ما) مَزيدةٌ لتَأكيدِ الشَّرطيَّةِ ولذلك لحقَتِ[3] النُّونُ الفِعلَ، ولا تلحقُ مع

---

(١) في (ت): «ذلك».

(٢) في (ض): «ذكر المثوى».

(٣) في (ت): «ألحقت».

(إن) وحدَها، ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ وهو القتلُ والأسرُ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أَنْ تراهُ.

﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يومَ القيامةِ فنجازيهم بأعمالِهم، وهو جوابُ ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وجوابُ ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوفٌ مثلُ: فذاكَ.

ويجوزُ أن يكونَ جوابًا لهما بمعنى: إنْ نُعذِّبْهُم في حياتِكَ أو لم نُعذِّبْهم فإنَّا نُعذِّبُهم في الآخرةِ أشدَّ العَذابِ، ويدلُّ على شِدَّتِه الاقتصارُ بذكرِ الرُّجوعِ في هذا المَعرِضِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ إذ قيلَ: عددُ الأنبياءِ مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعِشرونَ ألفًا، والمذكورُ قِصَّتُهم أشخاصٌ مَعدودةٌ.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فإنَّ المُعجزاتِ عطايا قسَمَها بينَهُم على ما اقتَضَتْه حكمتُه كسائرِ القِسَمِ ليسَ لهم(١) اختيارٌ في إيثارِ بعضِها والاستبدادِ بإتيانِ المقترحِ بها.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بالعذابِ في الدُّنيا أو الآخرةِ ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ بإنجاءِ المُحِقِّ وتعذيبِ المُبطِلِ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ المعاندونَ باقتراحِ الآياتِ بعدَ ظُهورِ ما يُغنيهِم عنها.

(٧٩ ـ ٨١) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

---

(١) في (ت) زيادة: «فيه».

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ فإنَّ مِن جنسِها ما يُؤكَلُ كالغنمِ، ومِنْهَا ما يُؤكَلُ ويُركَبُ وهو الإبلُ والبقرُ، ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ كالألبانِ والجُلودِ والأوبارِ، ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ بالمُسافرَةِ عليها، ﴿وَعَلَيْهَا ﴾ في البرِّ ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ في البَحرِ ﴿تُحْمَلُونَ ﴾.

وإنَّما قال: ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾، ولم يقل: (في الفُلكِ)؛ للمُزاوجَةِ.

وتَغييرُ النَّظْمِ في الأَكلِ؛ لأَنَّهُ في حَيِّزِ الضَّرورَةِ. وقيل: لأنه يُقصَدُ بِه التَّعيُّشُ والتَّلذُّذُ.

والرُّكوبُ، والمسافرةُ عليها قد تكونُ لأَغراضٍ دينيَّةٍ واجبَةٍ أو مندوبةٍ.

أو للفرقِ بين العينِ والمنفعَةِ.

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ﴾ دلائِلَهُ الدَّالَّةَ على كمالِ قُدرَتِه وفرطِ رَحمَتِه.

﴿فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ ﴾ أي: أيَّ آيةٍ مِن تلك الآياتِ ﴿تُنكِرُونَ ﴾ فإنَّها لِظُهورِهَا لا تقبلُ الإنكارَ، وهو ناصبُ (أيَّ)، إذ لَوْ[1] قدَّرْتَهُ مُتعلِّقًا بضَميرِهِ كانَ الأَوْلَى رفعُهُ، والتَّفرِقَةُ بالتَّاءِ في (أي) أغرَبُ منها في الأسماءِ غيرِ الصِّفاتِ لإِبهامِه.

قوله: «والتَّفرِقَةُ بالتَّاءِ في (أي) أغربُ مِنها في الأسماءِ غَيرِ الصِّفاتِ لإبهامِه».

يعني: أنَّ التَّفرِقَةَ بالتَّاءِ بينَ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ في الأسماءِ غيرِ الصِّفاتِ غريبٌ، نحو حِمارٍ وحِمَارَةٍ؛ لأنَّ الشَّائعَ إنَّما هو التَّفرِقَةُ في الصِّفاتِ نحو: مُسلِمٍ ومُسلِمَةٍ، وهي في (أي) أغرَبُ، كقولِه:

---

(١) في (ض): «ولو».

بِـأَيِّ كِتَـابٍ أَمْ بِأَيَّـةِ سُـنَّةٍ(١)

والشَّـائعُ عـدمُ التَّفرِقَـةِ، واستعمالُ (أي) بلفظٍ واحـدٍ بـدونِ التَّـاءِ للمُذكَّـرِ والمؤنَّـثِ معًـا.

قال الطِّيبِيُّ: لأنَّ التَّمييزَ فيها غيرُ مَطلوبٍ أصلًا، يؤيِّدُه قَولُ صاحبِ «التقريب»: وفي (أي) أغربُ لِمَطلوبيَّةِ الإبهامِ ومُنافاتِه التَّمييزَ(٢).

وقـال أبـو حيَّـان: هذا خـاصٌّ بـ(أي) موصولَـةً وشَـرطيَّةً واستفهاميَّةً، ويردُّ علـى إطلاقِـه (أي) فـي النِّـداءِ، فـإنَّ الشَّـائعَ فيهـا التَّفرِقَـةُ نحـو: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ﴾ [الفجر: ٢٧](٣).

وقال السَّفاقُسيُّ: كلامُه في (أي) الاستفهاميَّةِ لا (أي) في النِّداءِ؛ لأنَّ (أيًا) في النداءِ مَعرِفَةٌ بالقصدِ؛ فلا إبهامَ فيها، ولذا لا يوصَفُ إلَّا بالمعرفَةِ.

(٨٢ ـ ٨٣) ـ ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ

---

(١) صدر بيت للكميت، وعجزه:

ترى حبهم عاراً عليَّ وتحسب

انظر: «شرح هاشميات الكميت» (ص: ٤٩)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ١٥٢)، و«المحتسب» (١/ ١٨٣).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٥٥٣).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤٥٨)، بنحوه.

﴿مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ما بَقِيَ مِنْهُم مِن القُصورِ والمصانعِ ونحوهما.

وقيل: آثارَ أقدامِهم في الأرضِ لعِظَمِ أجرامِهم.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ الأولى نافيةٌ أو استفهاميَّةٌ مَنصوبةٌ بـ(أغنى)، والثَّانيةُ موصولةٌ أو مَصدريَّةٌ مرفوعةٌ به.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمُعجِزاتِ أو الآياتِ الواضحاتِ ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ واستحقرُوا علمَ الرُّسلِ، والمرادُ بالعلمِ عَقائِدُهم الزَّائفةُ وشُبَهُهم الدَّاحِضَةُ كقوله: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦] وهو قولهم: لا نُبعَثُ، ولا نُعذَّبُ، وما أظنُّ السَّاعةَ قائمةً، ونحوُها.

وسمَّاها عِلْمًا على زَعمِهم تهكُّمًا بهم، أو مِن علمِ الطَّبائعِ والتَّنجيمِ والصَّنائعِ ونحوِ ذلك، أو علمِ الأنبياءِ.

وفَرَحُهُم به فرحُ[1] ضَحِكِهم منه واستهزائِهم به، ويُؤيِّدُه: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وقيل: الفرحُ أيضًا للرُّسُلِ فإنَّهم لَمَّا رَأَوْا تَمادِيَ جهلِ الكُفَّارِ وسوءَ عاقِبَتِهم فَرِحُوا بما أُوتوا مِن العلمِ وشَكروا اللهَ عليه، وحاقَ بالكافرينَ جزاءُ جهلِهِم واستِهزَائِهم.

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ شِدَّةَ عذابِنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾

---

(١) «فرح» من (ض).

يعنونَ الأصنامَ، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾؛ لامتناعِ قَبولِهِ حينئذٍ، ولذلك قال: (لم يَكُ) بمَعنى: لم يَصِحَّ ولم يَسْتَقِم.

والفاءُ الأولى؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ كالنَّتيجَةِ لقولِه: ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾.

والثَّانيةُ؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ كالتَّفسيرِ لقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾.

والباقِيَتانِ؛ لأنَّ رؤيةَ البأسِ مُسبَّبَةٌ عَن مجيءِ الرُّسُلِ، وامتناعَ نفيِ الإيمانِ مُسبَّبٌ عن الرُّؤيَةِ.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّةً ماضِيَةً في العبادِ، وهي مِن المصادرِ المؤكِّدةِ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: وقتَ رُؤيَتِهِم البأسَ، اسمُ مكانٍ استُعِيرَ للزَّمانِ.

وعن النَّبيِّ[١] ﷺ: «مَن قرأَ سُورَةَ المُؤمِنِ لَمْ يبقَ رُوحُ نَبِيٍّ وَلَا صِدِّيقٍ وَلَا شَهِيدٍ وَلا مُؤْمِنٍ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ».

قوله: «مَن قرأَ سُورَةَ المُؤمنِ...» إلى آخره:

مَوضوعٌ[٢].

* * *

(١) في (ت): «رسول الله».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٥٨)، وهو قطعة من حديث أبي بن كعب الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٧٢).

سُورَةُ فُصِّلَتْ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها ثلاثٌ أو أربعٌ وخمسونَ[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿حمٓ﴾ إنْ جعلتَهُ مُبتدأً فخبرُه: ﴿تَنزِيلُ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وإنْ جعلتَهُ تَعديدَ الحروفِ فـ﴿تَنزِيلُ﴾ خبرُ مُبتدأٍ[2] محذوفٍ، أو مُبتدأٌ لتَخصُّصِه بالصِّفَةِ وخَبرُه: ﴿كِتَٰبٞ﴾، وهو على الأوَّلَيْنِ بدلٌ منه، أو خبرٌ آخرُ، أو خبرُ مَحذوفٍ، ولعلَّ افتتاحَ هذه السُّوَرِ السَّبعِ بـ﴿حمٓ﴾ وتسمِيَتَها به لكونها مُصدَّرَةً ببيانِ الكتابِ مُتشاكلةً في النَّظمِ والمعنى، وإضافةُ التَّنزيلِ إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ للدَّلالةِ على أنَّه مَناطُ المصالحِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ.

﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ مُيِّزَت باعتبارِ اللفظِ والمعنى، وقُرِئَ: (فَصَلَتْ)[3]؛ أي: فَصَلَ

---

(١) قال الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٢٠): هي خمسون وآيتان؛ بصري وشامي، وثلاث؛ مدنيان ومكي، وأربع؛ كوفي، اختلافها آيتان: ﴿حمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدها الباقون، و﴿عَادٖ وَثَمُودَ﴾ لم يعدها البصري والشامي وعدها الباقون.

(٢) «مبتدأ» من (أ).

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٨)، و«البحر» (١٨/ ٤٦٤).

بعضُها مِن بعضٍ باختلافِ الفواصلِ والمعاني، أو فَصَلَتْ بين الحقِّ والباطلِ.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصبٌ على المدحِ أو الحالِ مِن ﴿فُصِّلَتْ﴾، وفيه امتِنانٌ بسُهولةِ قراءَتِه وفَهمِهِ.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لقومٍ يعلمونَ العربيَّةَ، أو لأهلِ العلمِ والنَّظَرِ، وهو صِفَةٌ أخرى لـ﴿قُرْءَانًا﴾، أو صِلَةٌ لـ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو لـ﴿فُصِّلَتْ﴾، والأَوَّلُ أَوْلى لوُقوعِه بينَ الصِّفاتِ.

قوله: «والأَوَّلُ أَوْلَى لوُقُوعِه بينَ الصِّفَاتِ»:

قال الطِّيبيُّ: يعني إنْ عُلِّقَ ﴿لِقَوْمٍ﴾ بـ﴿تَنزِيلٌ﴾ تقعُ التَّفرقةُ بين المفعولِ له وبينَ مُتعلّقه بقولِه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وبينَ الصِّفاتِ أيضًا، لأنَّ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ صفةُ ﴿قُرْءَانًا﴾، وإنْ عُلِّقَ بـ﴿فُصِّلَتْ﴾ فالتَّفرِقةُ بين الصِّفاتِ ـ وهي ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ و﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ـ حاصلةٌ[1].

(٤ ـ ٥) ـ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ للعاملينَ به والمُخالِفينَ له، وقُرِئا بالرَّفعِ[2] على الصِّفَةِ لـ﴿كِتَٰبٌ﴾[3]، أو الخبرِ لِمَحذوفٍ.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن تَدبُّرِه وقبولِه ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تَأمُّلٍ وطاعةٍ.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٥٦٠).

(٢) في (خ): «وقرأنافع». وعزا الطيبيُّ القولَ بأنها قراءةُ نافعٍ إلى المصنف البيضاوي، انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٥٦٠)، وهو وهمٌ، إنما هي قراءة زيد بن علي كما في «البحر» (١٨/ ٤٦٥).

(٣) في (خ) و(ض): «للكتاب».

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ أغطيـةٍ، جمعُ كِنَـانٍ ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ صَمَـمٌ، وأصلُه الثِّقْـلُ، وقُرِئَ بالكسـرِ[1].

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ يمنعُنا عن التَّواصُلِ، و(مِن) للدَّلالةِ على أنَّ الحِجابَ مُبتدأٌ منهم ومنهُ؛ بحيثُ استوعبَ المسافةَ المُتوسِّطَةَ ولم يبقَ فراغٌ، وهذه تمثيلاتٌ لنُبوِّ قُلوبِهم عَن إدراكِ ما يدعوهُم إليه واعتقادِه، ومَجِّ أسماعِهِم له، وامتناعِ مُواصَلَتِهم، ومُوافقَتِهِم للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ علـى دينِـكَ، أو فـي إبطـالِ أمرِنَـا ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على دينِنـا، أو في إبطـالِ أمرِكَ.

(٦ ـ ٧) ـ ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لستُ مَلَكًا ولا جِنيًّا لا يمكنُكُم التَّلقِّي منه، ولا أَدعوكم إلى ما تَنبو عنه العقولُ والأسماعُ وإنَّما أَدعوكُمْ إلى التَّوحيدِ والاستقامةِ في العملِ، وقد دلَّ[2] عليهما دلائلُ العقلِ وشواهِدُ النَّقلِ.

﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ فاستقيموا في أَفعالِكُم مُتوجِّهينَ إليه، أو فاستَوُوا إليه بالتَّوحيدِ والإخلاصِ في العملِ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ ممَّا أَنْتُم عليه مِن سُوءِ العَقيدةِ والعملِ، ثمَّ هَدَّدَهم على ذلك فقال:

---

(١) هي قراءة طلحة بن مصرف كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤)، و«البحر» (١٨/ ٤٦٥)، ووقع في مطبوع «الشواذ»: (وِقراً) بالنصب.

(٢) في جميع النسخ عدا (ض): «يدل» بدل «دل».

﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ مِن فرطِ جهالَتِهم واستخفافِهم باللهِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لبُخْلِهم وعدمِ إشفاقِهم على الخلقِ، وذلك مِن أعظَمِ الرَّذائلِ، وفيه دليلٌ على أنَّ الكُفَّارَ مخاطَبون بالفُروعِ.

وقيل: معناهُ: لا يفعلونَ ما يُزَكِّي أنفُسَهُم وهو الإيمانُ والطَّاعةُ.

﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ حالٌ مُشعِرَةٌ بأنَّ امتِناعَهُم عَن الزَّكاةِ لاستغراقِهِم في طلبِ الدُّنيا وإنكارِهِم للآخرةِ.

(٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يُمَنُّ بـه عليـهم، مِـن المَنِّ وأصلُهُ: الثِّقْلُ، أو لا يُقطعُ[1]، مِن مَنَنْتُ الحبلَ: إذا قطَعْتَه.

وقيل: نزلَتْ في المَرْضَى والهَرْمَى إذا عَجزوا عن الطَّاعةِ كُتِبَ لهم الأجرُ كأَصَحِّ ما كانوا يعملونَ.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ فـي مِقدارِ يومَيْنِ أو بنَوْبَتَينِ، وخلقَ في كلِّ نَوبَةٍ ما خلقَ في أسرعِ ما يكونُ، ولعلَّ[2] المرادَ مِن الأرضِ ما في جِهَةِ السُّفلِ مِن الأجرامِ البَسيطَةِ، ومِن خَلقِهَا في يومينِ أنَّه خَلقَ لها أصلًا مُشترَكًا، ثمَّ خلقَ لها صُوَرًا بها صارَتْ أنواعًا، وكُفرُهُم به إلحادُهُم في ذاتِه وصِفَاتِه.

---

(١) في النسخ عدا (ض): «أو القطع».

(٢) في (ت): «وقيل».

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ ولا يَصِحُّ أن يكونَ له نِدٌّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي خلقَ الأرضَ في يومينِ ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالقُ جميعِ ما وُجِدَ مِن المُمكِنَاتِ ومُرَبِّيهَا[١].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ استئنافٌ غيرُ مَعطوفٍ على ﴿خَلَقَ﴾ للفَصلِ بما هو خارجٌ عَن الصِّلَةِ ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ أي[٢] مرتفعةً[٣] عليها ليظهرَ للنُّظَّارِ ما فيها مِن وُجوهِ الاستبصارِ وتكونَ منافِعُها مُعرَّضةً للطُّلَّابِ ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ وأكثرَ خيرَهَا بأَنْ خلقَ فيها أنواعَ النَّباتِ والحيوانِ.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أقواتَ أهلِها بأن عيَّنَ لكلِّ نوعٍ ما يُصلِحُه ويعيشُ به، أو أقواتًا تنشأُ منها بأن خصَّ حُدوثَ كلِّ قوتٍ بقُطرٍ مِن أقطارِها.

وقُرِئَ: (وقَسَمَ فيها أقواتَها)[٤].

﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ في تتمَّةِ أربعةِ أيَّامٍ[٥]، كقولك: سرتُ مِن البصرةِ إلى بغداد[٦] في عشرٍ، وإلى الكوفةِ في خمسَ عشرةَ، ولعلَّهُ قال ذلك ولم يَقُل: في يومينِ؛ للإشعارِ باتِّصالِهما باليَوْمَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، والتَّصريحِ على الفَذلكَةِ[٧].

---

(١) في (ت): «ومرتِّبها».

(٢) «أي» من (ت).

(٣) في (ض): «مُرَفَّعة».

(٤) هي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٨١).

(٦) في (ض): «بغداذ». وهي لغة فيها.

(٧) الفذلكة في الحساب: إجماله بعد التفصيل، وذلك بأن تذكر أولًا تفاصيله، ثم تجمل تلك التفاصيل، وتكتب في مؤخَّر الحساب: فذلك كذا وكذا، انظر: «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٣٣٥ب).

﴿سَوَآءً﴾ أي: استوَتْ سواءً بمعنى استواءً، والجملةُ صِفَةُ لـ ﴿أَيَّامٍ﴾، ويدلُّ عليه قراءةُ يعقوبَ بالجرِّ[١]، وقيل: حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أو في ﴿فِيهَا﴾.

وقُرِئَ بالرَّفعِ على: هي ﴿سواءٌ﴾[٢].

﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ تقديرُه: هذا الحصرُ للسَّائلينَ عَن مدَّةِ خلقِ الأرضِ وما فيها، أو بـ(قدَّر) أي: قدَّرَ فيها الأقواتَ للطَّالبينَ لها.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قصدَ نحوَها مِن قولِهم: استَوى إلى مكانِ كذا: إذا توجَّهَ إليه توجُّهًا لا يَلْوي على غيرِه، والظَّاهرُ أنَّ (ثُمَّ) لتفاوُتِ ما بينَ الخَلْقينِ، لا للتَّراخِي في المدَّةِ؛ لقولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، ودَحْوُها مُتقدِّمٌ على خلقِ الجبالِ مِن فوقِها.

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ أمرٌ ظُلمانيٌّ، ولعلَّه أرادَ به مادَّتَها، أو الأجزاءَ المُتصغِّرَةَ التي رُكِّبَت[٣] منها.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ بما خلقتُ فيكما مِن التَّأثيرِ والتَّأثُّرِ، وأَبرِزَا ما أَودَعْتُكما مِن الأوضاعِ المختلفةِ والكائناتِ المُتنوِّعَةِ.

أو: ائتِيَا في الوُجودِ على أنَّ الخلقَ السَّابقَ بمعنى التَّقديرِ، أو التَّرتيبِ للرُّتبَةِ أو الإخبارِ.

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٦).

(٢) وهي قراءة أبي جعفر، وقرأ الباقون عدا يعقوب بالنصب، انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٦).

(٣) في (ض): «تركبت».

أو: إتيـانُ السَّـماءِ: حُدوثُهـا، وإتيـانُ الأرضِ: أَنْ تصيـرَ مَدحُـوَّةً، وقد عرفتَ مـا فيه.

أو: لتأتِ كلٌّ مِنْكُما الأُخرى في حدوثِ ما أريدَ توليدُهُ مِنْكُما، ويؤيِّدُه قراءةُ (وآتِيَا)[1] مِن المؤاتاةِ، أي: لتَوافِقْ كلُّ واحدةٍ أختَها فيما أردتُ مِنْكُما.

﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ شئتُما ذلك أو أَبَيْتُما، والمرادُ إظهارُ كمالِ قُدرَتِه، ووجوبُ وقوعِ مُرادِه لا إثباتُ الطَّوْعِ والكَرهِ لهما، وهما مَصدرانِ وَقَعا موقِعَ الحالِ.

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ مُنقادينَ بالذَّاتِ، والأظهرُ أنَّ المرادَ تَصويرُ تأثيرِ قُدرَتِه فيهما وتأثُّرِهما بالذَّاتِ عنها، وتمثيلُهما بأمرِ المُطاعِ وإجابةِ المُطيعِ الطَّائعَ كقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

وما قيل: إنَّه تَعالى خاطبَهُما وأَقْدَرَهُما على الجوابِ إنَّما يُتصوَّرُ على الوجهِ الأوَّلِ والأخيرِ، وإنَّما قال: طائعينَ على المعنى؛ باعتبارِ كونِها مُخاطَباتٍ[2] كقوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾[3].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ فخَلَقهنَّ خلقًا إبداعيًّا وأتقنَ أمرَهُنَّ، والضَّميرُ للسَّماءِ على المعنى، أو مُبهَمٌ، و﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ حالٌ على الأوَّلِ وتمييزٌ على الثَّاني.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل: خَلَقَ السَّمواتِ يومَ الخميسِ والشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ يومَ الجمعةِ.

---

(١) هي قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٤٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٧)، و«البحر» (١٨/ ٤٧٣).

(٢) في جميع النسخ عدا (ض): «باعتبار كونهما مخاطبتين».

(٣) يريد قوله تعالى في (سورة يوسف) الآية رقم (٤): ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ شأنَها وما يتأتَّى منها بأَنْ حملَها عليه اختيارًا أو طبعًا، وقيل: أوحى إلى أهلِها بأوامرِه.

﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ فإنَّ الكواكبَ كلَّها تُرى كأنَّها تتلألأُ عليها ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وحَفِظْناها مِن الآفاتِ أو مِن المُسترِقةِ حِفظًا، وقيل: مفعولٌ له على المَعنى؛ كأنَّه قال: وخَصَّصْنا السَّماءَ الدُّنيا بمصابيحَ زينةً وحِفظًا.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ البالغِ في القُدرةِ والعلمِ.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمانِ بعدَ هذا البيانِ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ فحذرَهُم أن يصيبَهُم عذابٌ شَديدُ الوقعِ كأنَّه صاعقةٌ ﴿مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، وقُرِئ: (صَعْقةً مثلَ صَعْقةِ عادٍ)[1] وهي المرَّةُ مِن الصَّعْقِ أو الصَّعَقِ يقال: صَعَقَتْهُ الصَّاعقةُ صَعْقًا، فصَعِقَ صَعَقًا.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ حالٌ مِن ﴿صَاعِقَةِ عَادٍ﴾، ولا يجوزُ جَعلُه صِفةً لـ﴿صَاعِقَةً﴾ أو ظرفًا لـ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾ لفسادِ المعنى.

﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ مِن جَميعِ جَوانبِهم واجتهدُوا بهم مِن كلِّ جِهةٍ. أو من جِهةِ الزَّمنِ الماضي بالإنذارِ عمَّا جرى فيه على الكُفَّارِ، ومن جهةِ المستقبلِ بالتَّحذيرِ عمَّا أُعِدَّ لهم في الآخرةِ، وكلٌّ مِن اللَّفظينِ يَحتَمِلُهما[2].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٨)، و«البحر» (١٨/ ٤٧٨)، عن ابن الزبير والسلمي وابن محيصن وإبراهيم النخعي.

(٢) أي: كلٌّ من لفظي ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يحتمل التفسيرين السابقين. انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٧٥).

أو مِن قَبلِهِم ومِن بَعدِهِم، إذ قد بلَغَهُم خبرُ المُتقدِّمينَ، وأخبرَهُم هودٌ وصالحٌ عَن المتأخِّرينَ داعيَيْنِ إلى الإيمانِ بهم أجمعينَ[١].

ويحتملُ أن يكونَ عبارةً عَن الكثرةِ، كقولِه تَعالى: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢].

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بأَنْ لا تعبدُوا، أو: أي لا تعبدُوا.

﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ إرسالَ الرُّسلِ ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ برسالتِه ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمِكُم ﴿كَٰفِرُونَ﴾ إذ أنتُمْ بَشرٌ مِثلُنا لا فضلَ لَكُم علينا.

قوله: «لو شاءَ رَبُّنا إرسالَ الرُّسُلِ»:

قال أبو حيَّان: تتبَّعْتُ ما جاءَ في القرآنِ وكلامِ العَرَبِ مِن هذا التَّركيبِ، فوَجَدْتُه لا يكونُ مَحذوفًا إلا مِن جنسِ الجَوابِ، نحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، أي: لو شاءَ جَمْعَهُم على الهُدَى لجَمَعَهُم عليه.

وكذا سائرُ ما وردَ مِن ذلك، وحينئذٍ لا يكونُ تَقديرُ المَحذوفِ إرسالَ الرُّسُلِ، وإنَّما التَّقديرُ: لو شاءَ رَبُّنا إنزالَ ملائكةٍ بالرِّسالةِ منه إلى الإنسِ لأَنزَلَهُم بها إليهِمْ[٢].

وقال الحَلَبِيُّ: تَقديرُ الزَّمخشَرِيِّ أوقَعُ معنًى وأخلَصُ مِن إيقاعِ الظَّاهرِ مَوقِعَ المُضمَرِ؛ إذ يصيرُ التَّقديرُ: لو شاءَ إنزالَ ملائكةٍ لأنزلَ مَلائكَةً[٣].

وقال السَّفاقُسيُّ: للزَّمخشَرِيِّ أن يُنازِعَ في هذه المواضعِ، ويقدِّرَ ما يدلُّ عليه المعنى وإن لم يَكُن مِن جنسِ الجوابِ، وإنَّما يتعيَّنُ ما ذكرَهُ أن لو وجدَ

---

(١) في (ض): «جميعًا».

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤٨٠).

(٣) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٥١٧).

مَلفوظًا به في موضعٍ مِن جنسِ الجوابِ، فيُستدلُّ بهِ على غيرِه.

وقال الشَّيخُ بَهاءُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ في «عروس الأفراح»: إذا حُذِفَ مَفعولُ المشيئةِ بعدَ (لو) فهو المذكورُ في جوابها أبدًا، كذا قالوه.

وقد يَرِدُ عليهِم قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ فإنَّ المعنى: لو شاءَ ربُّنا إرسالَ الرُّسلِ لأنزلَ مَلائكَةً؛ لأنَّ المعنى يُعيِّنُ ذلك، وكذلكَ فسَّره الوالِدُ[1] في «تفسيرِه»، انتهى[2].

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فتعظَّموا فيها على أهلِها بغيرِ استِحْقاقٍ ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ اغترارًا بقوَّتِهم وشَوْكَتِهم، قيل: كان مِن قُوَّتِهم أنَّ الرَّجُلَ مِنهم يَنزِعُ الصَّخرةَ فيقتلِعُها[3] بيدِه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قدرةً؛ فإنَّه قادرٌ بالذَّاتِ، مُقتدِرٌ على ما لا يَتناهى، قويٌّ على ما لا يقدرُ عليه غيرُه.

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يعرفونَ أنَّها حَقٌّ وينكرونَها، وهو عطفٌ على ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾.

---

(١) في (س): «وكذلك قال الوالد».

(٢) انظر: «عروس الأفراح» (١/ ٣٧٦).

(٣) في (أ) و(ت): «فيقلعها».

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردةً تُهلِكُ بشدَّةِ[1] بردِها؛ مِن الصِّرِّ وهو البردُ الذي يَصُرُّ، أي: يَجمعُ، أو شديدةَ الصَّوتِ في هبوبها؛ مِن الصَّريرِ.

﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ جمعُ نَحِسَةٍ، مِن نَحِسَ نَحْسًا نقيضُ: سَعِدَ سَعْدًا.

وقرأ الحِجازِيَّانِ والبَصريَّانِ[2] بالسُّكونِ على التَّخفيفِ، أو النَّعتِ على (فَعْلٍ)، أو الوصفِ بالمصدرِ.

قيلَ: كنَّ آخرَ شوالٍ مِن الأربعاءِ إلى الأربعاءِ، وما عُذِّبَ قومٌ إلَّا في يومِ الأَربعاءِ.

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أضافَ العذابَ إلى الخزيِ وهو الذلُّ، على قَصدِ وصفِهِ به؛ لقولِه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو في الأصلِ صِفَةُ المُعذَّبِ، وإنَّما وُصِفَ به العذابُ على الإسنادِ المَجازيِّ للمُبالغَةِ.

﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفعِ العَذابِ عَنْهُم.

قوله: «أو النَّعتُ على: فَعْل»:

قال أبو حيَّان: تتبَّعْتُ ما ذكرَهُ التَّصريفيُّونَ ممَّا جاءَ صِفَةً من (فَعِلَ) اللازمِ فلَمْ يَذْكُروا فيه فَعْلًا بسكون العينِ.

قالوا: يأتي عَلَى (فَعِل) كفَرِحَ فهو فَرِحٌ، وعلى (أفعل) كحَوِرَ فهو (أَحْوَرُ)، وعلى (فَعلان) كشَبِعَ فهو شَبْعَانُ[3].

وقال السَّفاقسيُّ: ذكرَ الفارسيُّ في المسكَّنِ أنَّه يجوزُ أن يكونَ صِفَةً.

---

(١) في (ت): «الشدة».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٣)، و«النشر» (٢/ ٣٦٦).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤٨٣).

وقال أيضًا: النَّحْسُ يكونُ على ضربينِ: اسمًا ووَصْفًا.

وقال أيضًا: فمَنْ قالَ (في أيام نَحْسات) فأسكن العين أسكَنها لأنَّه صِفَةٌ مثلُ: عَبْلات وصَعْبَات، وظاهرُ هذا موافقَةُ الزَّمخشريِّ في أنَّه صِفَةٌ في الأصلِ.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٧ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ فدَلَلْناهُم على الحقِّ بنَصبِ الحجَجِ وإرسالِ الرُّسُلِ، وقُرِئَ: (ثَمودَ) بالنَّصبِ بفعلٍ مُضمَرٍ يفسِّرُه ما بعدَهُ، ومُنوَّنًا في الحالينِ[١]، وبضمِّ الثَّاءِ[٢].

﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فاختارُوا الضَّلالةَ على الهُدى.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ صاعقةٌ مِن السَّماءِ فأهلكَتْهُم، وإضافتُها[٣] إلى العَذابِ ووصفُه بالهونِ للمُبالغَةِ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِن اختيارِ الضَّلالةِ ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ مِن تلكَ الصَّاعقةِ.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

---

(١) أي: حال الرفع والنصب، وهي بالنصب غير منون قراءة الحسن والمفضل وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي، وبالرفع منوناً يحيى والجهضمي والأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٣٢).
وروي عن ابن أبي إسحاق والأعمش: (ثمودًا) منونة منصوبة، قاله ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠)، ونقله عنه أبو حيان في «البحر» (١٨/ ٤٨٤) وزاد نسبته لابن عباس.

(٢) ذكرها الزمخشري في «الكشاف» (٨/ ٢٤) من غير نسبة.

(٣) في (خ): «وأضافها».

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ وقُرِئ: (يَحشُرُ)(١) على البناءِ للفاعلِ وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، وقرأ نافعٌ: ﴿نَحْشُر﴾ بالنُّونِ مَفتوحةً وضمِّ الشِّينِ ونصبِ ﴿أعداءَ اللهِ﴾(٢).

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبسُ أوَّلُهم على آخرِهم لئلَّا يَتفرَّقُوا، وهي عبارةٌ عَن كثرةِ أهلِ النَّارِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ إذا حَضَروها، و(ما) مَزيدةٌ لتأكيدِ اتِّصالِ الشَّهادةِ بالحُضورِ.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بأَنْ يُنطِقَها اللهُ أو يُظهِرَ عليها آثارًا تدلُّ على ما اقتُرِفَ بها فتنطقَ بلسانِ الحالِ.

(٢١ - ٢٢) - ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ سؤالُ تَوبيخٍ أو تَعجُّبٍ، ولعلَّ المرادَ بِهِ نفسُ التَّعجُّبِ.

﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: ما نطَقْنَا باختيارِنا، بل أَنْطقَنَا اللهُ الذي أنطقَ كلَّ شَيءٍ، أو: ليسَ نُطْقُنا بعجبٍ مِن قُدرَةِ اللهِ الذي أنطقَ كُلَّ حيٍّ، ولو أُوِّلَ الجوابُ والنُّطقُ بدلالةِ الحالِ بَقِيَ الشَّيءُ عامًّا في الموجوداتِ المُمكنَةِ.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يحتملُ أن يكونَ تمامَ كلامِ الجُلودِ، وأن يكونَ استئنافًا.

---

(١) ذكرها الزمخشري في «الكشاف» (٨/ ٢٦) من غير نسبة.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٣)، وقرأ: (نَحْشِر) بالنون وكسر الشين الأعرج، انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠)، و«البحر» (١٨/ ٤٨٧).

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أي: كنتُم تَستَتِرُونَ من[1] النَّاسِ عندَ ارتِكابِ الفَواحشِ مخافةَ الفَضَاحةِ، وما ظننتُمْ أنَّ أعضاءَكُم تشهَدُ عليكُمْ، فما استتَرْتُم عنها، وفيه تنبيهٌ على أنَّ المؤمنَ يَنبَغِي أنْ يَتحقَّقَ أنَّه لا يمرُّ عليه حالٌ إلَّا وعليهِ رَقيبٌ.

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلذلكَ[2] اجترَأْتُم على ما فَعلْتُم.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى ظَنِّهم هذا، وهو مبتدأٌ، وقولُه: ﴿ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبرانِ له، ويجوزُ أن يكونَ ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدلًا و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبرًا.

﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذ صارَ ما مُنِحُوا للاستِسْعادِ به في الدَّارينِ سَبَبًا لشَقاءِ المَنْزِلَيْنِ.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ لا خلاصَ لَهُم عنها ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يَسألُوا العُتْبَى وهي[3] الرُّجوعُ إلى ما يحبُّونَ.

﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ المُجابينَ إليها، ونظيرُهُ قولُه تَعالى حكايةً: ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]، وقُرِئَ: (وإِنْ يُسْتَعْتَبُوا فما هُمْ مِن المُعتَبِين)[4] أي: إن سُئِلوا أن يُرْضُوا رَبَّهُم فما هم فاعلونَ لفَواتِ المُكْنَةِ.

---

(١) في (أ): «تستترون عن»، وفي (خ) و(ض): «تستترون الناسَ».

(٢) في (خ) و(ت): «ولذلك».

(٣) في (ت): «أي».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٥)، عن عمرو بن عبيد والحسن وموسى الأسواري.

قوله: «﴿ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ خبرانِ له»:

قال أبو حيَّان: لا يَصِحُّ أنْ يكونَ ﴿ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ خبرًا لأنَّ قولَهُ: ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى ظنِّهم السَّابقِ، فيصيرُ التَّقديرُ: وظنُّكُم بأنَّ ربَّكُم لا يعلَمُ ظنُّكم بربِّكُم، فاستفيدَ مِن الخبرِ ما استفيدَ مِن المبتدأِ، وهوَ لا يجوزُ، وصارَ نظيرَ ما منعَه النُّحاةُ مِن قولِك: سَيِّدُ الجَارِيَةِ مَالِكُهَا[1].

(٢٥) ـ ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾ وقدَّرنا ﴿لَهُمْ﴾ للكفرةِ ﴿قُرَنَاءَ﴾ أَخدانًا مِن الشَّياطينِ يَستولونَ عليهِم استيلاءَ القَيْضِ على البَيْضِ، وهو القِشْرُ. وقيل: أصلُ القَيْضِ: البَدَلُ، ومنه المُقايضَةُ للمُعاوضَةِ.

﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن أَمرِ الدُّنيا واتِّباعِ الشَّهواتِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِن أمرِ الآخرةِ وإنكارِهِ ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي كلمةُ العَذابِ ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في جملةِ أُمَمٍ، كقولِه:

إِنْ تَـكُ عَـنْ أَحْسَـنِ الصَّنِيـعَةِ مَـأْ ... فُـوكًا فَفِـي آخَرِيـنَ قَـدْ أُفِكُـوا[2]

وهو حالٌ مِن الضَّميرِ المَجرورِ.

---

(١) «البحر المحيط»: (١٨/ ٤٩٠).

(٢) البيت لعروة بن أذينة. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٢٤)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٢٨١)، و«غريب القرآن» له (ص: ٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ١٦١ و٢٦٧)، و«الصحاح» (مادة: أفك). قال الطيبي: «مأفوكًا»؛ أي: مصروفًا، والإفك: الصرف، وأفكته: صرفته بالكذب والباطل، والأفاك: الذي يصد الناس عن الحق بالكذب.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وقد عمِلوا مثلَ أعمالِهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ تعليلٌ لاستحقاقِهم العذابَ والضَّميرُ لَهُم وللأُمَم.

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ وعارِضُوهُ بالخُرافاتِ، أو ارفَعُوا أصواتكُم بها لتُشوِّشُوهُ[١] على القارئِ، وقُرِئَ (والْغُوا) بضمِّ الغينِ[٢]، والمعنى واحدٌ يقال: لَغِيَ يَلْغَى، ولَغَا يَلْغُو: إذا هذَى ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ أي تغلبونَهُ على قراءتِه.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ المرادُ بهم هؤلاءِ القائلونَ[٣]، أو عامَّةُ الكُفَّارِ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سيِّئاتِ أَعمالِهم، وقد سبقَ مِثلُه.

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الأسوأ ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ خبرُه ﴿النَّارُ﴾ عطفُ بيانٍ للجزاءِ، أو خبرُ مَحذوفٍ.

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ في النَّارِ ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾ فإنَّها دارُ إقامَتِهم، وهو كقولك: في هذه الدَّارِ دارُ سُرورٍ، وتعني بالدَّارِ عينَها، على أنَّ المقصودَ هو الصِّفَةُ.

---

(١) في (أ) و(ت): «لتشوشوا».

(٢) هي قراءة بكر بن حبيب السهمي، انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٤٦).

(٣) في (ت): «الكافرون».

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ ينكرونَ الحَقَّ أو يلغونَ، وذَكَرَ الجحودَ الذي هو سببُ اللغوِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ يَعني شَيْطانَي النَّوعينِ الحاملَينِ على الضَّلالةِ[١] والعِصيانِ.

وقيل: هما إبليسُ وقابيلُ، فإنَّهما سَنَّا الكُفْرَ والقتلَ[٢].

وقرأَ وابنُ كثيرٍ وبنُ عامرٍ ويعقوبُ وأبو بكرٍ والسُّوسيُّ: ﴿أَرْنا﴾ بالتَّخفيفِ؛ كفَخْذٍ في فَخِذ، وقرأَ الدُّوريُّ باختلاسِ كسرةِ الرَّاءِ[٣].

﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ نَدُسْهُما انتقامًا مِنْهُما، وقيل: نَجعلْهُما في الدَّركِ الأسفلِ ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ مَكانًا أو ذُلًّا.

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ اعترافًا برُبوبيَّتِه وإقرارًا بوحدانيَّتِه ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ في العملِ، و(ثُمَّ) لتَراخيهِ عَنِ الإقرارِ في الرُّتبةِ مِن حيثُ إنَّه مَبدأُ الاستقامةِ، أو لأنَّها عَسِرةٌ قلَّما تتبعُ الإقرارَ، وما رُوِيَ عن[٤] الخلفاءِ الرَّاشدينَ رَضِيَ اللهُ عَنهم في معنى الاستقامةِ مِن الثَّباتِ على الإيمانِ وإخلاصِ العَمَلِ وأداءِ الفَرائضِ؛ فجُزْئيَّاتُها[٥].

---

(١) في (أ) و(ت): «الضلال».

(٢) انظر: «لباب التفاسير» (٨/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٣)، و«النشر» (٢/ ٢٢٢).

(٤) في النسخ عدا (ت): «من».

(٥) ذكر الزمخشري الآثار عن الخلفاء الأربعة في «الكشاف» (٨/ ٣٤ ـ ٣٥)، وتخريجها ثمَّة.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فيما يَعِنُّ لهم بما يشرحُ صُدورَهُم ويدفعُ عنْهُم الخوفَ والحزنَ، أو عند الموتِ، أو الخروجِ عَن القَبرِ ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ ما تُقدمونَ عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم، و(أَنْ) مَصدَرِيَّةٌ، أو مُخفَّفَةٌ مُقدَّرةٌ بالباءِ، أو مُفسِّرَةٌ.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا على لسانِ الرُّسُلِ.

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نُلهِمُكُم الحقَّ ونَحمِلُكُم على الخيرِ بدلَ ما كانتِ الشَّياطينُ تفعلُ بالكفرَةِ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالشَّفاعةِ والكرامةِ حينما يَتعادَى الكفرَةُ وقُرناؤُهُم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ في الآخرةِ ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ مِن اللذائذِ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ما تَتمنَّوْنَ مِن الدُّعاءِ بمعنى الطَّلَبِ وهو أعمُّ مِن الأوَّلِ.

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ حالٌ مِن ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ للإشعارِ بأنَّ ما يتمنَّوْنَ بالنِّسبةِ إلى ما يُعطَوْنَ ممَّا لا يخطرُ ببالِهم كالنُّزُلِ للضَّيفِ.

قوله: «﴿نُزُلًا﴾ حالٌ من ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾»:

قال الطِّيبيُّ: أي: مِن الموصولِ، أي: لَكُم الذي تدَّعونَه مُعدًّا[1].

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى عبادتِه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فيما بينَهُ وبينَ

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٦٠٦).

رَبِّه ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ تفاخُرًا به، أو اتِّخاذًا[1] للإسلامِ دينًا ومَذهبًا، مِن قَولِهم: هذا قولُ فلانٍ لِمَذهبِه، والآيةُ عامَّةٌ لِمَن استَجْمَعَ تلكَ الصِّفاتِ.

وقيل: نزلَتْ في النَّبيِّ ﷺ، وقيل: في المُؤذِّنينَ.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في الجزاءِ وحُسنِ العاقبةِ، و(لا) الثَّانيةُ مَزيدةٌ لتَأكيدِ النَّفي.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ادفَعِ السَّيِّئةَ حيثُ اعترَضَتْكَ بالتي هي أحسَنُ منها، وهي الحسنَةُ، على أنَّ المُرادَ بالأحسنِ الزَّائِدُ مُطلَقًا، أو بأحسنِ ما يُمكِنُ دَفعُهَا بهِ مِن الحسناتِ، وإنَّما أخرجَهُ مخرجَ الاستئنافِ على أنَّه جوابُ مَن قال: كيفَ أصنَعُ؟ للمُبالغَةِ، ولذلك وُضِعَ ﴿أَحْسَنُ﴾ موضِعَ الحسنةِ.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: إذا فعلتَ ذلك صارَ عدوُّكَ المُشاقُّ مثلَ الوليِّ الشَّفيقِ.

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ وما يُلَقَّى هذه السَّجِيَّةَ، وهي مُقابلَةُ الإساءةِ بالإحسانِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ فإنَّها تحبسُ النَّفسَ عن الانتقام ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ مِن الخيرِ وكَمالِ النَّفسِ، وقيل: الحظُّ العظيمُ: الجنَّةُ.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ نَخسٌ، شبَّه به وَسْوستَهُ لأنَّها بَعثٌ على ما لا يَنبَغِي، كالدَّفعِ بما هو أسوَأُ، وجَعَلَ النَّزغَ نازغًا على طريقةِ: جَدَّ جِدُّهُ، أو: أُريدَ به نازغٌ وصفًا للشَّيطانِ بالمَصدَرِ.

---

(١) في (خ) و(ت): «واتخاذًا».

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ مِن شَرِّهِ ولا تُطِعْه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لاستعاذَتِك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنِيَّتِكَ أو بصَلاحِكَ.

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأنَّهما مَخلوقانِ مَأمورانِ مِثلُكم ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ الضَّميرُ للأربعَةِ المذكورةِ، والمقصودُ تَعليقُ الفعلِ بِهِمَا إشعارًا بأنَّهما مِن عِدادِ ما لا يَعلَمُ ولا يَختارُ.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فإنَّ السُّجودَ أَخصُّ العباداتِ، وهو مَوضِعُ السُّجودِ عِندَنا؛ لاقترانِ الأمرِ به، وعندَ أبي حنيفةَ: آخرُ الآيةِ الأخرى؛ لأنَّه تمامُ المعنى(١).

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الامتثالِ ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ من الملائكةِ ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي دائمًا؛ لقولِه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ أي لا يَملُّونَ.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسَةً مُتطامِنةً، مُستعارٌ مِن الخشوعِ بمَعنى التَّذلُّلِ.

---

(١) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» للعمراني (٢/ ٢٩٣)، و«الهداية» للمرغيناني (١/ ٧٨).

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ تزَخْرَفَت وانتفخَتْ بالنَّباتِ، وقُرِئَ: ﴿رَبَأَتْ﴾ أي زادَتْ[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ بعدَ موتِها ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِن الإحياءِ والإماتةِ ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلونَ عنِ الاستقامةِ ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالطَّعنِ والتَّحريفِ والتَّأويلِ الباطلِ والإلغاءِ فيها ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنُجازِيهِمْ على إلحادِهِم.

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قابَلَ الإلقاءَ في النَّارِ بالإتيانِ آمنًا مبالغةً في إحمادِ حالِ المؤمنينَ.

﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ تهديدٌ شَديدٌ ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعيدٌ بالمُجازاةِ.

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ بدلٌ مِن قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾، أو مستأنفٌ، وخبرُ (إنَّ) محذوفٌ مثل: مُعانِدُونَ، أو هالِكُونَ، أو أولئك يُنادَوْنَ، والذِّكْرُ: القرآنُ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ كثيرُ النَّفعِ عَديمُ النَّظيرِ، أو منيعٌ لا يتأتَّى إبطالُه وتحريفُه.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ لا يَتطرَّقُ إليه الباطلُ مِن جهةٍ مِن الجهاتِ، أو ممَّا فيه مِن الأخبارِ الماضيةِ والأمورِ الآتيةِ.

---

(١) هي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٥).

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ أيِّ حكيمٍ ﴿حَمِيدٍ﴾ يَحْمَدُهُ كلُّ مخلوقٍ(١) بما ظهرَ عليه مِن نِعَمِه.

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: ما يقولُ لكَ كُفَّارُ قَومِك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ إلا مثلَ ما قالَ لهم كُفَّارُ قومِهِم، أو ما يقولُ اللهُ لكَ إلَّا مثلَ ما قالَ لَهُم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لأنبيائِه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائِهم، وهو على الثَّاني يَحتَمِلُ أن يكونَ المقولَ بمعنى: أنَّ حاصِلَ ما أُوحِيَ إليكَ وإِلَيْهم وعدُ المُؤمنينَ بالمغفِرَةِ والكافرينَ بالعُقوبَةِ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ جوابٌ لقَولِهم: هَلَّا نُزِّلَ القُرآنُ بلُغَةِ العجَمِ، والضَّميرُ للذِّكْرِ.

﴿لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ بُيِّنَتْ بلسانٍ نَفْقَهُه.

﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أكلامٌ أَعْجَمِيٌّ ومُخاطَبٌ عربيٌّ؟ إنكارٌ مُقرِّرٌ للتَّخصيصِ، والأَعجَمِيُّ يقالُ للذي لا يُفهَمُ كلامُه، ولكَلامِه(٢)، وهذا قراءةُ أبي بكرٍ وحمزةَ

---

(١) في (أ) و(خ): «خلق».

(٢) «ولكلامه» ليس في (ت) و(خ)، قال الخفاجي في «حاشيته»: (٧/ ٤٠٢): قوله: «والأعجمي إلخ» أصله: أعجم، ومعناه من لا يفهم كلامه للكنةٍ أو لغرابة لغته، وزيدت الياء للمبالغة كما في أحمري ودواري، وأطلق على كلامه مجازًا لكنه اشتهر حتى ألحق بالحقيقة فلذا ذكره المصنف وتركه الزمخشري، فإن قوله: «ولكلامه» وقع في بعض النسخ دون بعض، والعجمي: المنسوب =

والكِسائيّ، وقرأ قالونُ وأبو عمرٍو بالمدِّ والتَّسهيلِ، وورشٌ بالمدِّ وإبدالِ الثَّانيةِ أَلِفًا، وابنُ كثيرٍ وابن ذَكوانُ وحَفصٌ بغيرِ المدِّ بتَسهيلِ الثَّانيةِ(١).

وقُرِئَ (أَعَجَمِيٌّ)(٢) وهو منسوبٌ إلى العجمِ.

وقرأ هشام: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ على الإخبارِ(٣)، وعلى هذا يجوزُ أَنْ يكونَ المُرادُ: هَلَّا فُصِّلَتْ آياتُهُ فجُعِلَ بَعضُها أعجميًّا لإفهامِ العَجَمِ وبعضُهَا عَربيًّا لإفهامِ العَرَبِ، والمقصودُ إبطالُ مُقترَحِهِم باستلزامِه(٤) لِمَحذورٍ، أو الدَّلالةُ(٥) على أَنَّهُم لا يَنفكُّونَ عَن التَّعنُّتِ في الآياتِ كيفَ جاءَتْ.

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ إلى الحقِّ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ لِما في الصدورِ مِن الشَّكِّ والشُّبَه.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مُبتدأٌ خبرُه: ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ على تقديرِ: هو في آذانِهم وقرٌ؛ لقولِه: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾، وذلك لتَصامِّهم عن سماعِه وتَعامِيهِمْ عمَّا يُريهِم مِن الآياتِ، ومَن جوَّزَ العطفَ على عامِلَيْنِ عطفَ ذلك على ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾.

= إلى العجم وهو من عدا العربَ، وقد يخص بأهل فارس، ولغتهم العجمية أيضًا، فبين الأعجمي والعجمي عمومٌ وخصوصٌ وجهي.

(١) من قوله: «وهذا قراءة أبي بكر» إلى هنا ليس في (أ) و(ض). وانظر: «التيسير»: (ص: ١٩٣)، «النشر»: (١/ ٣٦٦).

(٢) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٩) دون نسبة، ونقلها عنه ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤)، ونسبها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٤٨) لعمرو بن ميمون.

(٣) «وقرأ هشام» من (ت). انظر: «التيسير»: (ص: ١٩٣).

(٤) في (ت): «باستلزامهم»، وفي (خ): «باستلزامه المحذور».

(٥) في (خ): «والدلالة».

﴿أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وهو[1] تمثيلٌ لهم في عَدَمِ قبولِهم واستِمَاعِهِم له بمَنْ يُصَيَّحُ به مِن مَسافةٍ بَعيدَةٍ.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتَّصديقِ والتَّكذيبِ كما اختُلِفَ في القُرآنِ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي العِدَةُ بالقيامَةِ وفَصلِ الخُصومَةِ حينئذٍ، أو تقديرُ الآجالِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ باستئصالِ المُكذبينَ.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وإنَّ اليهودَ، أو الذينَ لا يؤمنونَ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ مِن التَّوراةِ، أو القرآنِ ﴿مُرِيبٍ﴾ مُوجِبٍ للاضطِرَابِ.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفعُهُ ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ ضَرُّهُ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فيفعلَ بهم ما ليسَ له أن يَفعَلَه.

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: إذا سُئِلَ عنها؛ إذ لا يعلمُها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَةٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ مِن أَوْعِيَتِها؛ جمعُ كِمٍّ بالكسرِ، وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وحفصٌ:

---

(١) في (خ): «أي هو» وفي (ت): «أي: صمٌّ»، وفي (ض): «أي هم»، وهو تحريف نبه عليه الخفاجي في «حاشيته».

﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ بالجمعِ[١] لاختلافِ الأنواعِ، وقُرِئَ بجمعِ الضَّميرِ أيضًا[٢]، و(ما) نافِيَةٌ، و(مِن) الأولى مَزيدَةٌ للاستغراقِ، ويَحتملُ أن تكونَ موصولةً مَعطوفةً على ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، و(مِن) مُبيِّنَةٌ، بخلافِ قولِه: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ لمكانِ (لا)[٣] ﴿إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾: إلا مقرونًا بعلمِهِ، واقعًا حسبَ تَعلُّقِه به.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي﴾ بزَعمِكُم ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناكَ ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾ مِن أحدٍ يشهَدُ لهم بالشَّرِكَةِ، إذ تبرَّأْنا عنهم لَمَّا عايَنَّا الحالَ، فيكونُ السُّؤالُ عَنْهُم للتَّوبيخِ، أو مِن أَحدٍ يُشاهِدُهُم لأنَّهُم ضَلُّوا عنَّا، وقيل: هو قولُ الشُّركاءِ؛ أي: ما مِنَّا مَن يشهَدُ لهم بأنَّهُم كانوا مُحِقِّينَ.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ﴾ يعبدونَ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ لا يَنفَعُهُم، أو لا يرونَهُ[٤]، ﴿وَظَنُّواْ﴾ وأيقَنُوا[٥] ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ مَهربٍ، والظَّنُّ مُعلَّقٌ عنه بحرفِ النَّفيِ.

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾.

---

(١) والباقون بالإفراد، انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٤)، و«النشر» (٢/ ٣٦٧).

(٢) أي: (من ثمرات من أكمامهن)، ذكرها أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ١١٩) لكن دون التصريح بكونها قراءة، فقال عنها وعن قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٣٧]: ولو كان (من أكمامهنّ)، و(مختلفاً ألوانهنّ) كان حسناً.

(٣) أي: (ما) نافية لا غير، لأنه عطف عليه النفي، فلا يصح كونها موصولة. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٤٠٣).

(٤) في (أ): «يرونهم».

(٥) في (ض): «وعلموا».

﴿لَا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لا يَمَلُّ ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ مِن طَلَبِ السَّعَةِ في النِّعمَةِ، وقُرِئَ: (مِن دُعاءٍ بالخَيْرِ)[1].

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الضَّيقَةُ ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ مِن فَضلِ اللهِ ورَحمَتِه، وهذا صِفةُ الكافرِ؛ لقولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقد بُولِغَ في يأسِهِ مِن جهَةِ البِنيةِ والتَّكريرِ وما في القنوطِ مِن ظُهورِ أثرِ اليأسِ.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ بتَفريجِها عنه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ حقِّي أَستَحِقُّه بمَا لي مِن الفَضْلِ والعَمَلِ، أو لي دائمًا لا يزولُ.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ تقومُ، ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: ولئِنْ قامَتْ على التَّوهُّمِ كانَ لي عندَ اللهِ الحالةُ الحُسْنَى مِن الكرامةِ، وذلك لاعتقادِهِ أنَّ ما أصابَهُ مِن نِعَمِ الدُّنيا فلاستحقاقٍ لا يَنفَكُّ عنه.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فلنُخبِرَنَّهُم ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ بحقيقَةِ أعمالِهم، ولنُبَصِّرَنَّهم عكسَ ما اعتَقَدُوا فيها.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ لا يمكنُهُم التَّفصِّي عنه[2].

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾ عَن الشُّكرِ ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ وانحرفَ عَنه، أو ذهبَ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤).

(٢) أي: لا يمكنهم التخلص منه والنجاة منه، انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٤٠٥).

بنفسِهِ وتباعدَ عنهُ بكُلِّيَّتِه تكبُّرًا، والجانبُ مَجازٌ عن النَّفسِ، كالجَنْبِ في قولِه تعالى: ﴿فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ كثيرٍ، مُستعارٌ ممَّا له عَرْضٌ مُتَّسِعٌ للإشعارِ بكَثْرَتِه واستمرارِهِ، وهو أبلَغُ مِن الطَّويلِ إذ الطُّولُ أطوَلُ الامتدادينِ، فإذا كان عَرْضهُ كذلك فما ظَنُّكَ بطُولِه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾ أي القرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ مِن غيرِ نَظَرٍ واتباعِ دَليلٍ.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: مَن أضلُّ مِنْكُم، فوُضِعَ المَوصولُ مَوضِعَ الصِّلَةِ[1] شرحًا لحالِهم وتَعليلًا لِمَزيدِ ضَلالِهم.

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ﴾ يعني ما أخبرَهم النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ بهِ مِن الحوادثِ الآتيةِ، وآثارِ النَّوازلِ الماضيةِ، وما يَسَّرَ اللهُ لهُ ولخُلَفائهِ مِن الفُتوحِ والظُّهورِ على ممالكِ الشَّرقِ والغَربِ على وجهٍ خارقٍ للعادَةِ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ما ظهرَ فيما بينَ أهلِ مكَّةَ وما حلَّ بهم، أو ما في بدنِ الإنسانِ مِن عجائبِ الصُّنعِ الدَّالَّةِ على كمالِ القُدرَةِ.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضَّميرُ للقُرآنِ، أو الرَّسولِ، أو التَّوحيدِ، أو للهِ[2].

---

(١) في (ض): «الضمير» بدل «الصلة».

(٢) في (ت): «أو الله».

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ أي: أولم يَكفِ رَبُّكَ، والباءُ مزيدةٌ[1] للتَّأكيدِ كأنَّه قيل: أولَمْ تحصُل الكِفايَةُ به، ولا يَكادُ يُزادُ في الفاعلِ إلا مَع (كفى).

﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدلٌ مِنه، والمعنى: أولم يَكفِكَ أنَّه تَعالى على كُلِّ شَيءٍ شَهيدٌ مُحقِّقٌ له، فيحقِّقُ أمركَ بإظهارِ الآياتِ الموعودةِ كما حقَّقَ سائرَ الأشياءِ الموعودةِ، أو مُطَّلِعٌ فيعلمُ حالَكَ وحالَهم، أو أولم يكفِ الإنسانَ رادعًا عَن المعاصِي أنَّهُ تَعالى مُطَّلِعٌ على كلِّ شَيءٍ لا يَخْفَى عليه خافيَةٌ.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شَكٍّ، وقُرِئَ بالضمِّ[2] وهو لُغَةٌ كخُفْيَةٍ وخِفْيَةٍ، ﴿مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبَعثِ والجَزاءِ.

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ عالمٌ بجُمَلِ الأشياءِ وتَفاصيلِها، مُقتَدِرٌ عليها، لا يَفوتُهُ شَيءٌ مِنها.

عَن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورَةَ السَّجدَةِ أعطاهُ اللهُ بكُلِّ حَرْفٍ عشرَ حسناتٍ».

قوله: «مَن قرأ سورةَ السَّجدَةِ...» إلى آخره:

مَوضوعٌ[3].

* * *

(١) في (ت): «زائدة».

(٢) هي قراءة الحسن حيث وقع، انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٥٧٠).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٨) وزاد: «ومحي عنه عشر سيئات»، والواحدي في «تفسيره» (٤/ ٢٤)، من حديث أبيِّ بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٧٨).

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سورة[1] عسق

مكيَّةٌ، وتُسمَّى سورةَ الشُّورى، وهي ثلاثٌ وخمسونَ آيةً[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ لعلَّه اسمانِ للسُّورةِ، ولذلك فُصِلَ بينَهُما وعُدَّا آيتينِ، وإن كانَ اسمًا واحدًا فالفَصلُ لتُطابِقَ سائرَ الحَواميمِ، وقُرِئَ: (حم سق)[3].

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي: مثلَ ما في هذهِ السُّورةِ مِن المَعاني، أو إيحاءً مثلَ إيحائِها أوحى اللهُ إليك وإلى الرُّسُلِ قبلَكَ، وإنَّما ذُكِرَ بلفظِ المضارعِ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ؛ للدَّلالَةِ على استمرارِ الوَحيِ، وأنَّ إيحاءَ مثلِهِ عادتُه.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ: ﴿يُوحَى﴾ بالفَتحِ[4] على أنَّ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مُبتدأٌ و﴿يوحَى﴾ خبرُهُ

---

(١) في (خ) زيادة: «حم».

(٢) في (ض): «وآيها ثلاث وخمسون».

(٣) في (ت): «عسق»، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٩)، عن ابن مسعود، ونسبها الزمخشري في «الكشاف»: (٨/ ٥٥) إليه وإلى ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٤).

المسندُ إلى ضَميرِه، أو مَصدرٌ[1] و﴿يوحَى﴾ مُسندٌ إلى ﴿إِلَيْكَ﴾، و﴿ٱللَّهُ﴾ مُرتَفِعٌ بما دلَّ عليه ﴿يوحَى﴾، و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صِفتَانِ له مُقرِّرتانِ لعُلُوِّ شَأنِ الموحى بهِ كما مرَّ في السُّورةِ السَّابقةِ، أو بالابتداءِ كما في قراءةِ (نُوحي) بالنُّونِ[2]، و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ وما بعدَهُ أخبارٌ، أو ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صِفتَانِ، وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ خبرانِ له، وعلى الوُجوهِ الأُخَرِ استئنافٌ مُقرِّرٌ لعِزَّتِه وحكمتِه.

(٥) ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وقرأَ نافِعٌ والكِسائيُّ بالياءِ[3] ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ يَتشقَّقْنَ مِن عَظمةِ اللهِ، وقيل: مِن دُعاءِ الولدِ له، وقرأَ البَصريَّانِ وأبو بكرٍ ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾[4]، والأوَّلُ أبلَغُ لأنَّه مُطاوِعُ فطَّرَ وهذا مُطاوِعُ فطَرَ، وقُرِئَ: (تَتفَطَّرْنَ)[5] بالتَّاءِ لتأكيدِ التَّأنيثِ، وهو نادرٌ.

---

(١) في هامش (أ): أي: أو نعت مصدر محذوف ومحلها النصب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٤٩)، و«الكشاف» (٨/ ٥٦) دون نسبة، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥) عن أبي حيوة والأعشى عن أبي بكر عن عاصم.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٤).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ١٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٤)، و«النشر» (٢/ ٣١٩).

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٥)، و«الكشاف» (٨/ ٥٦ ـ ٥٧)، وقال أبو حيان في «البحر» (١٩/ ٧) متعقباً: والظاهرُ أنَّ هذا وهمٌ منه ـ يعني الزمخشري ـ؛ لأنَّ ابن خالويه قال في «شاذِّ القراءاتِ» ما نَصُّه: (تَنْفَطِرْنَ) بالتاء والنون، يونس عن أبي عمرٍو، وهذا حرفٌ نادرٌ لأنَّ العربَ لا تجمعُ بين علامتَي التأنيثِ. لا يقال: النساءُ تَقُمْنَ، ولكن: يَقُمْنَ، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ولا يقال: تُرْضِعْنَ. وقد كان أبو عُمَرَ الزاهدُ رَوَى في «نوادرِ ابن الأعرابي»: «الإِبلُ تَشْمَمْنَ» فأنكَرْناه، فقد قَوَّاه الآن هذا.

قال أبو حيان: فإنْ كانَتْ نُسَخُ الزمخشريِّ متفقةً على قوله: «بتاءَيْن مع النون» فهو وهمٌ، وإنْ كان =

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: يبتدئُ الانفطارُ مِـن جِهَتهنَّ الفوقانيَّةِ وتخصيصُها على الأولِ لأنَّ أعظمَ الآياتِ وأدلَّها على علوِّ شأنِه من تلكَ الجِهَةِ، وعلى الثَّاني ليدلَّ على الانفطارِ مِن تَحتهنَّ بالطَّريقِ الأولى.

وقيل: الضَّميرُ للأرضِ؛ فإنَّ المرادَ بها الجنسُ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالسَّعيِ فيما يستدعِي مَغفِرَتَهُم مِن الشَّفاعةِ والإلهامِ وإعدادِ الأسبابِ المُقرِّبَةِ إلى الطَّاعةِ وذلك في الجُملَةِ يَعُمُّ المُؤمِنَ والكافِرَ، بل لو فُسِّرَ الاستغفارُ بالسَّعيِ فيما يدفَعُ الخللَ المُتوقَّعَ عمَّ الحيوانَ بل الجمادَ، وحيثُ خصَّ بالمؤمنينَ فالمرادُ به الشَّفاعةُ.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إذ ما مِن مَخلوقٍ إلا وهو ذُو حَظٍّ مِن رحمَتِه، والآيةُ على الأوَّلِ زيادةُ تَقريرٍ لعَظَمتِهِ، وعلى الثَّاني دلالةٌ على تَقدُّسِه عمَّا نُسِبَ إليه، وإنَّ عدمَ مُعاجلَتِهِم بالعقابِ على تلك الكلمةِ الشَّنعاءِ = باستغفارِ الملائكةِ وفرطِ غُفرانِهِ ورحمتِهِ.

قوله: «وقُرِئَ: (تَتفطَّرْنَ) بالتَّاءِ لتَأكيدِ التَّأنيثِ، وهو نادرٌ»:

قال ابنُ خالويه في كتابِ «شواذِّ القراءات»: لأنَّ العربَ لا تجمعُ بين علامَتَي تأنيثٍ، لا يُقال: النِّساءُ تَقُمْنَ، ولكن يَقُمْنَ، والوالداتُ يُرْضِعْنَ ولا يُقالُ: تُرْضِعْنَ[1].

وقال الزَّمخشَرِيُّ: الوَجهُ في مثلِ هذا تأكيدُ التَّأنيثِ كتَأكيدِ الخطابِ في قولكِ: أرَأَيْتكِ.

= في بعضها «بتاءٍ مع النونِ» كان موافقاً لقولِ ابن خالويه، وكان «بتاءَيْن» تحريفاً من النُّساخ.

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣ ـ ١٣٤)، وانظر التعليق السابق.

وقال: الشاذُّ على وجوهٍ: شاذٌّ عَن القياسِ، وشاذٌّ عن الاستعمالِ مع موافقةِ القياسِ، وشاذٌّ عَنْهُما جميعًا، وهذا مِن قَبيلِه[١].

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ شُركاءَ وأندادًا، ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ رقيبٌ على أحوالِهم وأعمالهم فمُجازيهِم[٢] بها ﴿وَمَآ أَنتَ ﴾ يا محمَّدُ ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بمُوَكَّلٍ بهم، أو بموكولٍ إليك[٣] أمرُهُم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الإشارةُ إلى مَصدَرِ يوحي، أو إلى مَعنى الآيةِ المُتقدِّمَةِ؛ فإنَّه مُكرَّرٌ في القرآنِ في مَواضِعَ جَمَّةٍ، فيكونُ الكافُ مَفعولًا به و﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حالًا منه.

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ أهلَ أُمِّ القُرى وهي مكَّةُ، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مِن العربِ، ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يومَ القيامةِ، يُجمَعُ فيه الخلائقُ، أو الأرواحُ والأشباحُ، أو العُمَّالُ والأعمالُ، وحُذِفَ ثاني مَفْعُولَي الأوَّلِ، وأَوَّلُ مَفعولَي الثَّاني للتَّهويلِ وإيهامِ التَّعميمِ، وقُرِئَ: (لِيُنْذِرَ) بالياءِ[٤] والفِعلُ للقرآنِ، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراضٌ لا محلَّ له.

﴿فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ ﴾ أي بعدَ جَمعِهِم في الموقفِ، يُجمَعونَ أوَّلًا ثمَّ يُفرَّقونَ، والتَّقديرُ: مِنهُم فريقٌ، والضَّميرُ للمَجموعَيْنِ لدَلالةِ الجمعِ عليه، وقُرِئا

(١) نقله الطيبي، انظر: «فتوح الغيب» (١٤/ ٨).

(٢) في النسخ عدا (ض): «فيجازيهم».

(٣) في (أ) و(ض): «إليه».

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ٦٠)، و«البحر» (١٩/ ١٠) دون نسبة.

مَنْصُوبَيْنِ على الحالِ مِنْهُم؛ أي: وتُنذِرَ يومَ جَمعِهِم مُتفرِّقينَ، بمعنى: مُشارفينَ للتَّفرُّقِ، أو مُتفرِّقينَ[1] في دارَي الثَّوابِ والعِقابِ.

قوله: «﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراضٌ لا محلَّ له»:

قال أبو حيَّان: لا يظهرُ أنَّه اعتراضٌ؛ لأنَّه لم يقَعْ بينَ طالِبٍ ومَطلوبٍ[2].

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مُهتَدِينَ أو ضالِّينَ، ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ بالهدايةِ والحملِ على الطَّاعةِ.

﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ويَدَعُهم[3] بغيرِ وَلِيٍّ ولا نَصيرٍ في عذابِه، ولعلَّ العدولَ به عن[4] المقابلةِ للمُبالغةِ في الوَعيدِ، إذ الكلامُ في الإنذارِ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾ بل اتَّخذُوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ كالأصنامِ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ جوابُ شرطٍ مَحذوفٍ مثل: إن أرادُوا أولياءَ[5] بحقٍّ فاللهُ هو الوليُّ بالحقِّ ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالتَّقريرِ لِكونِه حَقيقًا بالولايةِ.

---

(١) في (ض): «مفترقين».

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٩/ ١٠).

(٣) في (ض): «وندعهم».

(٤) في النسخ عدا (ض): «ولعل تغيير» بدل: «العدول به عن».

(٥) في (ض): «وليًّا».

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾ أنتُم والكُفَّارُ ﴿فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ مِن أمرٍ مِن أُمورِ الدِّينِ أو الدُّنيا ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ مُفوَّضٌ إليه يميزُ المُحِقَّ مِن المبطلِ بالنَّصرِ، أو بالإثابةِ والمُعاقبَةِ، وقيل: وما اختَلَفْتُم فيه مِن تأويلِ مُتشابِهٍ فارجِعُوا فيه إلى المحكمِ مِن كتابِ اللهِ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في مَجامعِ الأمورِ ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أَرجِعُ في المُعضِلاتِ.

قوله: «﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ جوابُ شَرطٍ مَحذوفٍ مثل: إن أرادوا أولياءَ بحقٍّ فالله»:

قال أبو حيَّان: لا حاجةَ إلى اعتقادِ شَرطٍ مَحذوفٍ، والكلامُ يتمُّ بدُونِه[1].

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خبرٌ آخرُ لـ﴿ذَٰلِكُمُ﴾، أو مُبتدأٌ خبرُهُ: ﴿جَعَلَ لَكُم﴾، وقُرِئَ بالجرِّ[2] على البدلِ مِن الضَّميرِ أو الوصفِ لـ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ مِن جنسِكُم، ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ نساءً، ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ أي: وخلقَ للأنعامِ مِن جنسِها أزواجًا، أو خلقَ لكُم مِن الأنعامِ أصنافًا أو ذكورًا وإناثًا.

﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ يُكثِّرُكُمْ، مِن الذَّرْءِ وهو البثُّ، وفي مَعناه الذَّرُّ والذَّرْوُ، والضَّميرُ على الأوَّلِ للنَّاسِ والأنعامِ على تغليبِ المخاطبينَ العُقَلاءِ[3]، ﴿فِيهِ﴾ في هذا

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٩/ ١١).

(٢) هي قراءة زيد بن علي كما في «البحر» (١٩/ ١٢).

(٣) «والضمير على الأول للناس والأنعام على تغليب المخاطبين العقلاء» من (ض).

التَّدبيرِ، وهو جعلُ النَّاسِ والأنعامِ أزواجًا يكونُ بينَهُم توالدٌ؛ فإنَّه كالمنبعِ للبَثِّ والتَّكثيرِ(١).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ أي ليسَ مثلَهُ شيءٌ يُزاوِجُهُ ويُناسِبُهُ، والمرادُ مِن (مِثلِهِ): ذاتُه، كمَا في قولِهم: مثلُكَ لا يفعلُ كذا، على قصدِ المُبالغَةِ في نفيِهِ عنه؛ فإنَّهُ إذا نَفَى عمَّنْ يُناسِبُه ويَسُدُّ مَسدَّهُ كانَ نَفيُه عنه أَوْلَى.

ونظيرُهُ قولُ رُقَيْقَةَ بنتِ [أبي] صَيْفيٍّ في سُقْيَا عبدِ المُطَّلبِ: «أَلَا وفيهِم الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لِدَاتُه»(٢).

ومن قال: الكافُ فيه زائدَةٌ، لعلَّهُ عَنَى أنَّه يُعطي مَعنى: ليسَ مِثلَهُ، غيرَ أنَّه آكَدُ لِمَا ذَكَرْناه(٣).

وقيل: (مثلهُ): صِفَتُه، أي: ليسَ كصِفَتِه صِفَةٌ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لكلِّ ما يُسمَعُ ويُبصَرُ.

---

(١) في (ت): «والنشر».

(٢) قطعة من خبر طويل مروي عن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف، وكانت لِدَةَ عبد المطلب جدِّ النبي ﷺ، في قصة إجابة الله سبحانه دعاء عبد المطلب وقد طلبت منه قريش أن يستسقي لها لـمَّا أصابها القحط، وكان معه النبي ﷺ وهو غلام قد أَيْفَعَ، رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٩٠)، وابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (١٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٥٢٧)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٤٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٦٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٥ـ١٩)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٢٧٥). ووقع في جميع النسخ «رقيقة بنت صيفي» والصواب: «رقيقة بنت أبي صيفي»، وقد نبه عليه الخفاجي في «حاشيته»، وأن الصواب: بنت أبي صيفي، وأن المصنف سها عنه تبعًا للزمخشري.

قال صاحب «النهاية» (مادة: لدا): «الطَّاهِرُ لِدَاتُه»؛ أي: أترابُه، وقيل: وِلاداتُه، وذِكْر الأتراب أسلوبٌ من أساليبهم في تَثْبيت الصِّفة وتمكينها، لأنه إذا كان مِن أقرانٍ ذوي طهارةٍ كان أثبتَ لطهارته وطِيبه.

(٣) في (أ) و(ت): «ذكرنا».

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائنُها، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسعُ ويضيقُ على وَفْقِ مَشيئَتِه ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعلُهُ على ما يَنبغِي.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ أي: شَرَعَ لَكُم مِن الدِّينِ دينَ نوحٍ ومحمَّدٍ ومَن بينَهُما مِن أربابِ الشَّرائعِ، وهو الأصلُ المشترَكُ فيما بينَهُم المُفسَّرُ بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾، وهو الإيمانُ بما يَجِبُ تَصديقُهُ، والطَّاعةُ في أحكامِ الله، ومَحلُّهُ: النَّصبُ على البدلِ مِن مفعولِ ﴿شَرَعَ﴾، أو الرَّفعُ على الاستئنافِ كأنَّه جوابُ: وما ذلك المشروعُ؟ أو الجرُّ على البدلِ مِن هاءِ ﴿بِهِۦ﴾.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ ولا تختَلِفُوا في هذا الأصلِ، أمَّا فروعُ الشَّرائعِ فمُختَلِفَةٌ(١)، كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عَظُمَ عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ مِن التَّوحيدِ.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ يجتلبُ إليه، والضَّميرُ لِمَا تدعُوهم أو للدِّينِ ﴿ويهدي إليه﴾ بالإرشاد والتوفيق ﴿مَن يُنِيبُ﴾ يقبلُ إليه.

---

(١) في (ت): «فتختلف» وفي (ض): «فمختلف».

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا﴾ يَعْنِي الأُمَمَ السَّالفةَ، وقيل: أهلَ الكتابِ؛ لقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ العِلمُ بأنَّ التَّفرُّقَ ضَلالٌ مُتوعَّدٌ عليه، أو العلمُ بمَبعَثِ الرَّسُولِ، أو أسبابُ العلمِ مِن الرُّسُلِ والكُتبِ وغيرِهما فلَمْ يَلتَفِتُوا إليها ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ عداوةً أو طَلبًا للدُّنيا.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بالإمهالِ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يومُ القِيامَةِ، أو آخرُ أعمارِهِم المقدرةِ ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ باستئصالِ المبطلينَ حينَ افترَقُوا لعِظَمِ ما اقترَفُوا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: أهلَ الكتابِ الذين كانوا في عَهدِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ، أو المشركينَ الذين أُورثوا القرآنَ مِن بعدِ أهلِ الكتابِ، وقُرِئَ: (وُرِّثُوا) و(وَرِثُوا)[1].

﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ مِن كِتابِهِم لا يعلَمُونَهُ كما هوَ، أو لا يؤمنونَ به حقَّ الإيمانِ، أو مِن القرآنِ، ﴿مُرِيبٍ﴾ مُقلِقٍ أو مدخلٍ في الرِّيبَةِ.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ فلأجلِ ذلك التَّفرُّقِ، أو الكتابِ، أو العلمِ الذي أوتيتَهُ ﴿فَٱدْعُ﴾ إلى الاتِّفاقِ على المِلَّةِ الحنيفيَّةِ، أو الاتباعِ لِمَا أوتيتَ، وعلى هذا يجوزُ أَنْ تكونَ اللامُ في مَوضعِ (إلى) لإفادةِ[2] الصِّلَةِ والتَّعليلِ ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾

---

(١) القراءتان في «الكشاف» (٨/ ٦٩) بلا نسبة، والأولى قراءة زيد بن علي كما في «البحر» (١٩/ ١٨).

(٢) في (أ): «لإفادته».

واستَقِم على الدَّعوةِ كما أمركَ اللهُ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الباطلَةَ.

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ يعني: جميعَ الكُتُبِ المنزلَةِ، لا كالكُفَّارِ[١] الذين آمَنُوا ببعضٍ وكَفَرُوا ببَعْضٍ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في تبليغِ الشَّرائعِ والحُكوماتِ، والأَوَّلُ إشارةٌ إلى كمالِ القُوَّةِ النَّظريَّةِ، وهذا إشارةٌ إلى كمالِ القُوَّةِ العَمَليَّةِ.

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ خالقُ الكلِّ[٢] ومُتولِّي أمرِهِ.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فكلٌّ[٣] مُجازًى بعَمَلِه.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لا حِجَاجَ بمَعنى: لا خُصومةَ إذ الحقُّ قد ظهرَ ولم يبقَ للمَحاجَّةِ مجالٌ ولا للخِلافِ مَبدأٌ سِوَى العِنادِ.

﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يومَ القِيامَةِ ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ مَرجِعُ الكُلِّ لفَصلِ القضاءِ، وليسَ في الآيةِ ما يَدُلُّ على مُتاركَةِ الكُفَّارِ رأسًا حتى تكونَ مَنسوخَةً بآيةِ القتالِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ في دينِه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ من بعدِ ما استجابَ له الناسُ ودَخَلُوا فيه، أو مِن بعد ما استجابَ اللهُ لرَسُولِه فأظهرَ دينَهُ بنَصرِهِ يومَ بدرٍ، أو مِن بعدِ ما استجابَ لَهُ أهلُ الكِتابِ بأَنْ أَقرُّوا بنُبوَّتِه واستَفتَحُوا به ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ زائلَةٌ باطِلَةٌ ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ لِمُعاندَتِهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ على كُفرِهم.

---

(١) في (ض): «خلاف» بدل «لا كالكفار».

(٢) في (خ): «كل شيء».

(٣) في النسخ عدا (ض): «وكل».

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ جنسَ الكِتابِ ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾ مُلتبسًا به بعيدًا مِن الباطلِ، أو بما يحقُّ إنزالُهُ مِن العقائدِ والأحكامِ ﴿وَٱلْمِيزَانَ ﴾ والشَّرعَ الذي يُوازَنُ به الحقوقُ ويُسوَّى بين النَّاسِ، أو العدلَ بأَنْ أنزلَ الأمرَ به، أو آلةَ الوزنِ أَوْحَى بإعدادِها.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ إتيانُها، فاتَّبع الكِتابَ واعمَلْ بالشَّرعِ وواظِبْ على العدلِ قبلَ أنْ يُفاجِئَكَ اليومُ الذي يُوزَنُ فيه أعمالُكَ ويُوفَّى جزاؤكَ.

وقيل: تذكيرُ القَريبِ لأنَّه بمعنى: ذاتُ قربٍ، أو لأنَّ السَّاعةَ بمعنى البعثِ.

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ استهزاءً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ خائفونَ مِنْها مع اعتناءٍ بها لتَوقُّعِ الثَّوابِ ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ الكائنُ لا مَحالةَ.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ ﴾ يجادلونَ فيها، مِن المِريَةِ، أو مِن مَرَيْتُ النَّاقَةَ: إذا مسحتَ ضَرْعَها بشِدَّةٍ للحَلْبِ؛ لأنَّ كُلًّا مِن المتجادِلَيْنِ يستخرِجُ ما عِندَ صاحِبِهِ بكلامٍ فيه شِدَّةٌ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ عَن الحقِّ؛ فإنَّ البعثَ أشبَهُ الغائباتِ إلى المَحسوساتِ[١]؛ فمَنْ لَمْ يَهتَدِ لتَجويزِهَا فهو أبعَدُ عَن الاهتداءِ إلى ما وراءَهُ.

---

(١) في (أ): «بالمحسوسات». وقوله: «أشبه الغائبات إلى المحسوسات»، أي: أقرب من كل شيء، وعدَّاه بـ(إلى) لتضمينه معنى القرب، فلا يقابل الظاهر بالمحسوسات، وقربه إليها لأنه يعلم من بدء الخلقة لمشاهد إعادتها ومما يتكون من الفصول من النباتات ثم عودها مورقة مزهرة مثمرة بعدما تعرت من ذلك، على ما مرَّ مرارًا، انظر: «حاشية الخفاجي» (٧/ ٤١٦).

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ بَرٌّ بهِمْ بصُنوفٍ مِن البِرِّ لا تبلُغُها الأفهامُ[1] ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يَرْزُقُه كما يشاءُ فيخصُّ كُلًّا مِن عبادِهِ بنوعٍ من البِرِّ على ما اقتضَتْهُ حِكمَتُه ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ الباهرُ القُدرَةِ ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ المنيعُ الذي لا يُغلَبُ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ثوابَها، شبَّهَه بالزَّرعِ مِن حيثُ إنَّه فائدةٌ تَحصلُ بعملِ الدُّنيا، ولذلك قيل: الدُّنيا مَزرَعَةُ الآخرةِ، والحرثُ في الأصلِ: إلقاءُ البذرِ في الأرضِ، ويقالُ للزَّرعِ الحاصلِ منه، ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾ فنُعطِه بالوَاحدِ عَشْرًا إلى سبع مائةٍ فما فوقَها.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ شيئًا منها على ما قَسمْنَا له[2] ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ إذ الأعمالُ بالنياتِ ولكُلِّ امرئٍ ما نوى.

(٢١) ـ ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ﴾ بَلْ أَلَهُم شُركاءُ، والهمزةُ للتَّقريرِ والتَّقريعِ، وشُركاؤُهم شَياطينُهُم ﴿شَرَعُواْ لَهُم﴾ بالتَّزيينِ ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كالشِّركِ وإنكارِ البَعثِ والعملِ للدُّنيا.

---

(١) في (خ): «الأوهام»، وأشار إليها الخفاجي في «حاشيته».

(٢) في (ت): «قسمناه».

وقيل: شركاؤُهُم أوثانُهُم، وإضافتُها إليهم لأنَّهُم مُتَّخِذُوها شُركاءَ، وإسنادُ الشَّرعِ إليها لأنَّها سَببُ ضَلالَتِهِم وافتِتانِهِم بما تديَّنُوا بِهِ، أو صُوَرُ من سَنَّهُ(١) لهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: القضاءُ السَّابقُ بتأجيلِ الجزاءِ أو العِدَةِ بأنَّ الفصلَ يَكونُ يومَ القيامَةِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الكافرينَ والمؤمنينَ، أو المشركينَ وشُركائِهِم.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقُرِئَ: (أنَّ) بالفتحِ(٢) عَطْفًا على ﴿كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾، أي: ولولا كلمَةُ الفَصلِ وتقديرُ عذابِ الظَّالِمينَ في الآخرةِ لقُضِيَ بينَهُم في الدُّنيا؛ فإنَّ العَذابَ الأليمَ غالِبٌ في عذابِ الآخرةِ.

(٢٢ - ٢٣) - ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في القيامَةِ ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفينَ ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ مِن السَّيِّئاتِ ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ أي: وَبالُهُ لاحِقٌ بهم أَشْفَقُوا أو لم يُشفِقُوا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ في أطيَبِ بِقاعِها وأنزَهِها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ما يَشتَهُونَه ثابتٌ لهم عندَ ربِّهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما للمُؤمنينَ ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي يصغُرُ دونَهُ ما لغيرِهِم في الدُّنيا.

---

(١) في (خ) و(ت): «شبه».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٠)، و«الكشاف» (٨/ ٧٤)، و«البحر» (١٩/ ٢٤).

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ذلك الثَّوابُ الذي يُبَشِّرُهُم اللهُ به، فحُذِفَ الجارُّ ثمَّ العائِدُ، أو ذلك التَّبشيرَ الذي يُبَشِّرُه اللهُ عِبادَه، وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿يَبْشُرُ﴾ من بَشَرَه[1]، وقُرِئَ: (يُبْشِرُ) من أَبْشَرَهُ[2].

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أَتعاطَاهُ مِن التَّبليغِ والبِشارَةِ ﴿أَجْرًا﴾ نفعًا مِنكم ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أَنْ تَوَدُّوني لِقَرابَتي منكم، أو تَوَدُّوا قرابَتِي.

وقيل: الاستثناءُ مُنقَطِعٌ، والمعنى: لا أسأَلُكُم أجرًا قطُّ، ولكن أسأَلُكُم المودَّةَ[3]، و﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ حالٌ منها، أي: إلَّا المودَّةَ ثابتةً في ذَوِي القُربى مُتمكِّنَةً في أهلِها، أو في حقِّ القرابةِ ومن أجلِها، كمَا جاءَ في الحديثِ: «الحبُّ في اللهِ والبُغْضُ في اللهِ».

رُوِيَ أنَّها لَمَّا نزلَتْ قيل: يا رسولَ اللهِ! مَن قرابَتُك هؤلاءِ الذينَ وجبَتْ علينا مودَّتُهم[4]؟ قال: «علِيٌّ وفاطِمَةُ وابناهُما».

وقيل: القُربَى التَّقرُّبُ إلى الله، أي: إلَّا أَنْ تَوَدُّوا اللهَ ورَسُولَه في تَقَرُّبِكُم إليه بالطَّاعةِ والعملِ الصَّالحِ، وقُرِئَ: (إلَّا مَودَّةً في القُرْبى)[5].

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ ومَن يكتَسِب طاعةً سِيَّما حبَّ آلِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٢) قوله: «يبشر من بشره وقُرِئَ» ليس في (ت) وضرب عليها في (أ)، والقراءة الثانية ليست في (ض)، والمثبت من (خ)، وهي قراءة مجاهد وحميد كما في «المحتسب» (٢/ ٢٥٠)، و«البحر» (١٩/ ٢٥).

(٣) بعدها في (خ): «في القربى».

(٤) «الذين وجبت علينا مودتهم» من (أ).

(٥) هي قراءة زيد بن علي كما في «البحر» (١٩/ ٢٨).

وقيل: نزلَتْ في أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ومودَّتِه لهم ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا﴾ في الحسنَةِ[١]، ﴿حُسْنًا﴾ بمُضاعفةِ الثَّوابِ، وقُرِئَ (يَزِدْ)[٢] أي: يَزِدِ اللهُ، و: (حُسْنَى)؛ مصدرٌ كالبُشْرَى[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَن أذنبَ ﴿شَكُورٌ﴾ لِمَن أطاعَ بتوفيةِ الثَّوابِ والتَّفضُّلِ عليهِ بالزِّيادَةِ.

قوله: «أي: ما يَشتَهُونَه ثابتٌ لهم عندَ رَبِّهِم»:

أي: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مَنصوبٌ بالظَّرْفِ لا بـ﴿يَشَآءُونَ﴾، كمَا أفصَحَ به في «الكشاف»[٤].

قال الطِّيبِيُّ: عَن بَعضِهِم؛ لأنَّ المَعنى: على أنَّ ما يُريدُونَه على سبيلِ العُمومِ مُطلقًا كائنًا ما كانَ حاصلٌ لهم عندَ ربِّهم، ولو نُصِبَ بـ﴿يَشَآءُونَ﴾ تصيرُ مَشيئَتُهُم مُقيَّدَةً بـ(عند ربِّهم)، فلا يَبْقَى العمومُ فيما يريدونَ[٥].

قوله: «أو ذلك التَّبشيرَ الذي يُبَشِّرُه اللهُ عِبادَه»:

قال الطِّيبِيُّ: المشارُ إليه: (الذي يُبشِّرُه اللهُ) نحو: هذا أخوكَ، والعائدُ إلى الموصولِ مَحذوفٌ، ولكن لا يقدَّرُ الجَارُّ[٦].

---

(١) في (خ) و(ت): «في الجنة».

(٢) هي قراءة ابن السميفع وابن يعمر والجحدري كما في «زاد المسير» (٤/ ٦٥)، وبها قرأ زيد بن علي، وعبد الوارث عن أبي عمرو، وأحمد بن جبير عن الكسائي كما في «البحر» (١٩/ ٢٩).

(٣) «مصدر كالبشرى» من (خ)، وهي قراءة عبد الوارث عن أبي عمرو كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٥).

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ٧٥).

(٥) انظر: «فتوح الغيب» (١٤/ ٤٤).

(٦) المصدر السابق (١٤/ ٤٦).

وقال أبو حيَّان: لا يظهَرُ هذا الوَجه؛ إذ لم يَتقدَّمْ في هذه السورةِ لفظُ البُشرى ولا ما يدلُّ عليها مِن بِشْرٍ أو شِبْهِه[١].

قوله: «جاءَ في الحديثِ: «الحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ»».

تتمته: «فريضةٌ»، أخرجَه الدَّيلمِيُّ في «مسند الفردوس» من حديثِ أنسٍ[٢].

قوله: «رُوِيَ أنَّها لَمَّا نَزَلَت قيل: يا رسولَ اللهِ! مَن قرابَتُكَ هؤلاء؟ قال: «عليٌّ وفاطِمَةُ وابناهما»».

أخرجَه ابنُ أبي حاتمٍ والطَّبرانيُّ وابنُ مردويه، عَن ابنِ عبَّاسٍ[٣].

قال الشَّيخُ وَليُّ الدِّينِ: في إسنادِه حُسَينٌ الأشقَرُ: شيعيٌّ مُختَلِقٌ، وهذه الآيةُ مَكِّيَّةٌ، ولم يَكُن لفاطِمَةَ حينئذٍ أولادٌ[٤].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٩/ ٢٦).

(٢) انظر: «مسند الفردوس» (٢/ ١٥٦)، ولم أقف على إسناده. وقد روي الحديث الذي أشار إليه البيضاوي من طرق كثيرة عن غير واحد من الصحابة منها حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله» أخرجه أبو داود (٤٥٩٩). ولا أعرف لم ترك السيوطي رحمه الله تلك الأحاديث المشهورة في السنن والمسانيد وأغرب في عزوه بهذه الزيادة: «فريضة» إلى الديلمي في «مسنده».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٤١) و(١٢٢٥٩)، رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١١٤١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٨)، وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٨)، وضعف السيوطي إسناده.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٥): وحسين ضعيف ساقط، وقد عارضه ما هو أولى منه، ففي البخاري (٤٨١٨) من رواية طاوس عن ابن عباس: أنه سئل عن هذه الآية، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة..، الحديث.

قلت (القائل ابن حجر): وأخرج سعيد بن منصور من طريق الشعبي قال: أكثروا علينا في هذه الآية، فكتبنا إلى ابن عباس فكتب..، فذكر نحوه.

=

(٢٤) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بَلْ أيقولونَ، ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ افتَرى محمَّدٌ بدَعْوى النبوَّةِ أو القُرآنِ ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ استبعادٌ للافتراءِ عَن مثلِهِ بالإشعارِ على أنَّه إنَّما يَجتَرِئُ عليه مَن كانَ مختومًا على قلبِهِ جاهلًا بربِّهِ، فأمَّا مَن كانَ ذا بصيرةٍ ومَعرِفَةٍ فلا، وكأنَّه قال: إنْ يَشأِ اللهُ خِذْلانَكَ يختِمْ على قلبِكَ لتَجْتَرِئ بالافتراءِ عليه.

وقيل: ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: يُمْسِكِ القرآنَ والوَحْيَ عنهُ، أو يَربِطْ عليه بالصَّبرِ فلا يَشُقَّ عليكَ أذاهُم.

﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ استئنافٌ لنَفْيِ الافتراءِ عمَّا يقولُه بأنَّه لو كانَ مُفترًى لَمَحَقَهُ؛ إذ مِن عادَتِه تعالى مَحوُ الباطلِ وإثباتُ الحقِّ بوَحْيِه أو بقَضائِه أو بوعدِهِ[1] بمحقِ[2] باطلِهِم وإثباتِ حَقِّهِ بالقرآنِ أو

= وقال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٤/ ٥٦٣) عن هذا الحديث: هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وممَّا يُبيِّنُ ذلك أنَّ هذه الآيةَ نزلت بمكةَ باتِّفاق أهل العلم؛ فإن سورةَ الشُّورى جميعَها مكيةٌ، بل جميعُ آلِ حم كلُّهنَّ مكِّيَّاتٌ، وعليٌّ لم يَتزوج فاطمةَ إلَّا بالمدينة كما تقدَّم، ولمْ يُولدْ له الحسنُ والحسينُ إلَّا في السَّنة الثالثة والرابعة من الهجرة، فكيف يُمكِنُ أنها لمَّا نزلت بمكةَ قالوا: يا رسولَ اللهِ مَن هؤلاء؟ قال: «عليٌّ وفاطمةُ وابناهما». قال الحافظُ عبدُ الغنيِّ المقدسيُّ: وُلد الحسنُ سنةَ ثلاثٍ من الهجرة في النصف من شهر رمضانَ. هذا أصحُّ ما قيل فيه. ووُلد الحسين لخَمْسٍ خَلَوْن من شعبانَ سنةَ أربعٍ من الهجرة. قال: وقيل سنة ثلاثٍ.

(١) في (ض): «لوعده». وقوله: «أو بوعده» معطوف على قوله: «بوحيه»، وقيل إنه معطوفٌ على قوله: «لنفي الافتراء»، أو على قوله: «بأنه لو كان مفترى... إلخ» فالصيغة على هذا للاستقبال، واللام للعهد، والمعنى على الثاني: باطلهم، فيظهر عدم الافتراء، ويجوز كونها للجنس، فيكون إثباتًا لعدم افترائه بالبرهان والوعد ضمني وفيه نظر، انظر: «حاشية الخفاجي» (٧/ ٤٢٠).

(٢) في (ت): «بمحو».

بقضائِهِ الذي لا مَردَّ له، وسقوطُ الواوِ مِن ﴿يمح﴾ في بعضِ المَصاحفِ لاتِّباعِ اللفظِ كما في قولِه: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٢٥ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالتَّجاوزِ عمَّا تابوا عنه، والقَبولُ يُعَدَّى[١] إلى مفعولٍ ثانٍ بـ(من) و(عن)؛ لتَضمُّنِه مَعنى الأخذِ والإبانةِ، وقد عرفتَ حقيقةَ التوبةِ.

وعَنْ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: هي اسمٌ يقَعُ على سِتَّةِ معانٍ: على الماضي مِن الذُّنوبِ النَّدامةُ، ولتَضييعِ الفرائضِ الإعادةُ، ورَدُّ المظالمِ، وإذابةُ النَّفسِ في الطَّاعةِ كما ربَّيْتَها في المعصيَةِ، وإذاقتُها مرارةَ الطَّاعةِ كما أذَقْتَها حلاوةَ المعصيَةِ، والبكاءُ بدلَ كلِّ ضَحِكٍ ضَحِكْتَه[٢].

﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ صغيرِها وكَبيرِها لِمَن يَشاءُ[٣] ﴿ويعلم ما يفعلون﴾ فيُجازِي ويتجاوزُ عَن إتقانٍ[٤] وحِكمَةٍ، وقرأَ الكوفِيُّونَ: ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ بالتاءِ غيرَ أبي بكرٍ[٥].

---

(١) في (خ): «يتعدى».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤). وفيه شيخ الثعلبي الحسن بن مُحمَّد بن حبيب أبو القاسم المُفسِّر صاحب الأصم، وهَّاه الحاكم في رقعة بخطِّه. انظر: «المغني في الضعفاء» (١/ ١٦٦).

(٣) في (ت) و(ض): «شاء».

(٤) في (ت): «إيقان». قال الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٢٠): وقوله: «عن إيقان» بالياء التحتية: (إفعال) من اليقين كما صحح في النسخ، أي: علمٌ جازمٌ، وفي بعضها بالتاءِ الفوقية، والأول أنسبُ بالعلمِ، لكن الثاني هو الأصحُّ هنا فالمرادُ بإتقانه كونه على مقتضى الحكمة، والله لا يوصف عمله بالإيقانِ؛ فتأمَّل.

(٥) في (خ) و(ت): «وقرأ حمزة وحفص والكسائي». ولم تذكر القراءة في النسخة (ض)، وقراءةُ =

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يستجيبُ اللهُ لَهُم، فحُذِفَ اللامُ كما حُذِفَ في: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣]، والمرادُ: إجابَةُ الدُّعاءِ[١] أو الإثابةُ على الطَّاعةِ؛ فإنَّها كدُعاءٍ وطَلَبٍ لِمَا يترتَّبُ عليه، ومنه قولُه عليهِ السَّلامُ: «أفضَلُ الدُّعاءِ الحمدُ لله».

أو يَستجيبونَ[٢] للهِ بالطَّاعةِ إذا دعاهُم إليها.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ على ما سألُوا أو استَحقُّوا أو استَوْجَبُوا[٣] له بالاستجابةِ.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بدلَ ما للمؤمنينَ مِن الثَّوابِ والتَّفضُّلِ.

قوله: «أفضَلُ الدُّعاءِ الحَمدُ لله»:

أخرجَه التِّرمِذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَه وابنُ حِبَّانَ مِن حَديثِ جابرٍ[٤].

(٢٧) ـ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لتكبَّروا وأفسَدُوا فيها بَطَرًا، أو لبَغَى بَعضُهم على بعضٍ استيلاءً واستِعلاءً، وهذا على الغالبِ.

= الباقينَ بالياءِ، انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٥)، و«النشر» (٢/ ٣٦٧).

(١) في (خ): «دعائهم».

(٢) في (خ) و(ت): «يستجيبوا».

(٣) في النسخ عدا (ض): «واستحقوا واستوجبوا»، وقوله: «على ما سألوا» هو وما عطف عليه بـ(أو) الفاصلة ناظرٌ للوجوه السابقة على الترتيب، وفي بعض النسخ: «واستوجبوا» بالواو، وفي بعضها: «واستحقوا واستوجبوا»، انظر: «حاشية الخفاجي» (٧/ ٤٢١)، وقد فصَّل في بيان توجيه هذه الفروق.

(٤) رواه الترمذي في (٣٣٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٦).

وأصلُ البَغْيِ: طلبُ تَجاوُزِ الاقتصادِ فيما يتحرَّى كميَّةً أو كيفيَّةً[١].

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾ بتقديرٍ ﴿مَّا يَشَآءُ﴾ ما اقتضَتْهُ مَشيئَتُه ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ يعلَمُ خَفايا أمرِهِم وجلايا حَالِهِم، فيقدرُ لهم ما يناسِبُ شأنَهُم.

رُوِيَ أنَّ أهلَ الصُّفَّةِ تَمنَّوا الغِنَى، فنزلَت، وقيل: في العربِ كانوا إذا أخصَبُوا تحارَبُوا، وإذا أجدَبُوا انتجَعُوا.

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وهوَ الذي يُنْزِلُ الغيثَ﴾ المطرَ الذي يُغيثُهُم مِن الجدبِ، ولذلك خصَّ بالنَّافعِ، وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصِمٌ: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتَّشديدِ[٢].

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أَيِسُوا منه، وقُرِئَ بكسرِ النُّونِ[٣].

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ في كلِّ شيءٍ مِن السَّهلِ والجبلِ والنَّباتِ والحيوانِ.

---

(١) في (خ): «كمية وكيفية». وفي هامش (أ): ومنه قوله:

يـا صاحبَ البغـيِ إنَّ البغيَ مَصْرعةٌ ... فاربـعْ فخيـرُ فعـالِ المـرءِ أعدلُـه
فلـو بغـى جبـلٌ يومًـا علـى جبـلٍ ... لانـدكَّ منـه أعاليـهِ وأسـفَلُه

(٢) وقرأ الباقون بالتخفيف، انظر: «التيسير»: (ص: ١٧٧)، «النشر»: (٢/ ٢١٨).

(٣) بالفتح قراءة الجمهور، وبالكسر قرأ الأعمش وابن وثاب كما في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦)، و«البحر» (١٩/ ٣٤). وجاء في (أ) و(خ): «بفتح النون»؛ قال الخفاجي: قوله: «وقرئ بكسر النون»: كذا في النسخ، ووقعَ في بعضها: «بفتح النون» فيكونُ إشارة إلى قراءة السبعة لا إلى القراءة الشاذة وإن كان مخالفًا لما هو المعتاد من التعبير بمثله في الشواذ، فلا حاجة إلى القول بأنه سهو، انظر: «حاشية الخفاجي» (٧/ ٤٢٢).

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ الذي يَتولَّى عبادَهُ بإحسانِهِ ونشرِ رحمَتِه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستحقُّ للحمدِ على ذلك.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فإنَّها بذاتِها وصِفاتِها تدلُّ على وُجودِ صانعٍ قادرٍ حكيمٍ ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ عطفٌ على السَّماواتِ أو الخلقِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ مِن حيٍّ، على إطلاقِ اسمِ السَّبَبِ للمسبَّبِ[1] أو ممَّا يَدُبُّ على الأرضِ، وما يكونُ في أحدِ الشَّيئينِ يصدُقُ أنَّهُ فيهِمَا في الجُملَةِ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ﴾ في أيِّ وقتٍ يَشاءُ ﴿قَدِيرٌ﴾ مُتمكِّنٌ منه، و(إذا) كما تدخلُ الماضيَ تدخلُ[2] المضارِعَ.

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ فبسبَبِ مَعاصيكُم، والفاءُ لأنَّ (ما) شرطيَّةٌ، أو مُتضمِّنَةٌ مَعناه، ولم يَذكُرْها نافعٌ وابنُ عامِرٌ[3] استغناءً بما في الباءِ مِن مَعنى السَّببيَّةِ.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ مِن الذُّنوبِ فلا يعاقبُ عليها، والآيةُ مَخصوصَةٌ بالمُجرمينَ؛ فإنَّ ما أصابَ غيرَهُم فلأسبابٍ أُخَر؛ منها تعريضُهُ[4] للأجرِ العَظيمِ بالصَّبرِ عليهِ.

---

(١) في (أ): «المسبب للسبب».

(٢) في (ت) زيادة: «على».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٤) في (ض): «فلأسباب أخر منها المكلف وتعريضه».

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فائتينَ ما قضى عليكُمْ مِن المصائبِ ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يحرسُكُم عنها ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يدفعُها عنْكُم.

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ السُّفُنُ الجاريةُ ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ كالجبالِ، قالت الخَنساءُ:

وَإِنَّ صَخْـرًا لتَأْتَـمُّ الهُـدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّـهُ عَلَـمٌ فِـي رَأْسِـهِ نَـارُ

﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ وقُرِئَ: ﴿الرِّياح﴾[1] ﴿فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓ﴾ فيبقينَ ثَوابِتَ على ظَهرِ البَحرِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾ لكـلِّ مَـن وكَّلَ هِمَّتَه وحبسَ نفسَهُ على النَّظرِ في آياتِ اللهِ والتَّفكُّرِ في آلائهِ، أو لكُلِّ مُؤمِنٍ كامِلِ الإيمانِ؛ فإنَّ الإيمانَ نِصفانِ: نِصفٌ صَبرٌ ونِصْفٌ شُكْرٌ.

﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾ أو يُهلِكْهنَّ بإرسالِ الرِّيحِ العاصِفَةِ المغرقَةِ، والمـرادُ: إهلاكُ[2] أهلِهـا؛ لقولِـه: ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ وأصلُـه: أوْ يُرسِـلْها فيُوبِقْهـنَّ؛ لأنَّـه قَسِيمُ ﴿يُسۡكِنِ﴾، فاقتصـرَ فيـه على المقصـودِ، كمَا فـي قولِـه: ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾ إذْ المعنى: أو يُرسِـلْها عاصفـةً فيوبِـقْ ناسًـا بذُنوبِهِـم ويُنَجِّي ناسًـا علـى العَفـوِ مِنْهُـم، وقُـرِئَ: (ويَعفُو)[3] على الاسـتئنافِ.

---

(١) هي قراءة نافع، انظر: «السبعة» (ص: ١٧٣)، و«التيسير» (ص: ٧٨). وفي (ت): «وقرأ نافع وحده» بدل «وقرئ».

(٢) في (ت): «إغراق».

(٣) وهي قراءة الأعمش كما في «البحر» (١٩/ ٣٨).

قوله: «قالت الخَنْساءُ:

وَإِنَّ صَخْـرًا لَتَأْتَـمُّ الهُـدَاةُ بِـهِ   كَأَنَّهُ عَلَـمٌ فـي رَأْسِـهِ نَـارُ»[١]

قوله: «الإيمانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ وَنِصْفٌ شُكْرٌ»:

أخرجَه البَيهَقِيُّ في «شعب الإيمان» مِن حَديثِ أَنَسٍ بلَفظِ: «فنَصْفٌ في الصَّبرِ، ونِصْفٌ في الشُّكرِ»[٢].

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ عطفٌ على عِلَّةٍ مُقدَّرةٍ مثل: لينتقمَ مِنْهُم ويعلمَ، أو على الجزاءِ، ونُصِبَ نصبَ الواقعِ جوابًا للأشياءِ الستَّةِ لأنَّه أيضًا غيرُ واجبٍ.

وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ بالرَّفعِ[٣] على الاستئنافِ، وقُرِئَ بالجزمِ[٤] عطفًا على ﴿يعف﴾، فيكونُ المعنى: أو يجمَعُ بينَ إهلاكِ قَومٍ وإنجاءِ قومٍ وتحذيرِ آخرينَ.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ محيدٍ مِن العَذابِ، والجملَةُ مُعلَّقٌ عنها الفِعلُ.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ تُمتَّعونَ به مُدَّةَ حياتِكُم ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِن

---

(١) كذا في النسخ بلا تعليق، وانظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٤٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٦٤)، وكذا القضاعي في «مسند الشهاب» (١٥٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٧٨) عن يزيد الرقاشي عن أنس، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠١١): ويزيد ضعيف.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ٩١)، ونقلها عنه أبو حيان في «البحر» (١٩/ ٤١).

ثوابِ الآخرةِ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لخلوصِ نفعِهِ ودوامِه، و(ما) الأُولى موصولَةٌ[1] تضمَّنَتْ معنى الشَّرطِ مِن حيثُ إنَّ إيتاءَ ما أُوتوا سَببٌ للتَّمتُّعِ بها في الحياةِ الدُّنيا، فجاءَتِ الفاءُ في جوابِها بخلافِ الثَّانِيَةِ.

وعن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: تَصدَّقَ أبو بكرٍ رضي الله عنه بمالِهِ كُلِّهِ، فلامَهُ جَمعٌ، فنزَلَتْ[2].

قوله: «عطفٌ على علَّةٍ مُقدَّرةٍ مثل: لينتقمَ مِنْهُم ويعلمَ»:

قال أبو حيَّان: يبعدُ بتَقدير: (لِيَنتقمَ مِنهُم)، لأنَّه ترتَّبَ على الشَّرطِ إهلاكُ قَوْمٍ ونَجاةُ قومٍ، فلا يَحسُنُ: لِيَنْتَقمَ مِنْهم[3].

وقالَ الحَلَبِيُّ: بل يَحْسُنُ تَقديرُ: (لِيَنتقِمَ مِنهُم)؛ لأنَّه يعودُ في المعنى على إهلاكِ قَومِ المترتِّبِ على الشَّرطِ[4].

وقال السَّفاقسيُّ: قد يجابُ بأنَّ التَّعليلَ يكونُ للإهلاكِ فقط، وهو المناسِبُ لعَطفِ ﴿وَيَعْلَمَ﴾ عليه؛ لأنَّه تحذيرٌ؛ فيحسنُ أن يكونَ عِلَّةً للإهلاكِ لا للنَّجاةِ.

(٣٧-٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾[5] بما

---

(١) «موصولة»: ليس في (خ) و(ض).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٧).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٩/ ٤١).

(٤) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٥٦٠).

(٥) «والذين» من (أ).

بعدَهُ عطفٌ على ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أو مدحٌ مَنصوبٌ أو مَرفوعٌ، وبناءُ ﴿يَغْفِرُونَ﴾ على ضميرِ ﴿هم﴾ خبرًا للدَّلالةِ على أنَّهمُ الأَخِصَّاءُ بالمغفرةِ حالَ الغضبِ، وقرأ حَمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿كبيرَ الإثمِ﴾(١).

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ نزلَتْ في الأنصارِ، دَعاهُم رَسولُ اللهِ ﷺ إلى الإيمانِ فاستجابُوا له.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي(٢): ذو شورى، لا يَنفَرِدُونَ بـرَأيٍ حتَّى يَتشاوَرُوا ويجتَمِعُوا عليه، وذلك مِن فَرطِ تَدبُّرِهم وتَيقُّظِهم في الأمورِ، وهي مَصدَرٌ ـ كالفُتْيا ـ بمَعْنى التَّشاوُرِ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في سُبُلِ(٣) الخيرِ.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ علـى مـا جعلَهُ اللهُ لهم كراهةَ التَّذلُّلِ، وهو وصفُهُم بالشَّجاعَةِ بعد وَصفِهِم بسائرِ أُمَّهاتِ الفضائلِ، وهو لا يُخالِفُ وَصفَهُم بالغُفرانِ؛ فإنَّه يُنبِئُ عَنْ عَجزِ المغفورِ والانتصارِ عَن مقاوِمَةِ الخصمِ، والحِلْمُ عَن العاجزِ مَحمودٌ، وعَن المُتغلِّبِ مَذمومٌ؛ لأنَّه إجراءٌ وإغراءٌ على البَغْيِ، ثمَّ عقَّبَ وصفَهُم بالانتصارِ للمَنعِ عَن التَّعدِّي، فقال(٤):

﴿وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وسمَّى الثَّانيةَ سَيِّئَةً للازدواجِ، أو لأنَّها تسوءُ مَن

---

(١) والباقون بالجمع، انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١)، و«التيسير» (ص: ١٩٥). وقوله: «قرأ حمزة...» ليس في (ض).

(٢) «أي» من (خ).

(٣) في (خ): «سبيل».

(٤) «فقال» من (ت).

تَنْزِلُ به ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بينَهُ وبينَ عَدوِّه ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ عِدَةٌ مبهمةٌ تدلُّ على عِظَمِ المَوعودِ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المبتدئينَ بالسَّيئَةِ والمتجاوزينَ في الانتقام.

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ بعدَما ظلمَ، وقد قُرِئَ به[1]، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ بالمُعاتبةِ والمُعاقبةِ.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يبتدِئونَهم بالإضرارِ، أو يطلبونَ[2] ما لا يَستَحِقُّونَه تجبُّرًا عليهِم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على ظُلْمِهِم وبَغيِهِم.

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم يَنتَصِر، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إنَّ ذلك منه، فحُذِفَ (منه)[3] كما حُذِفَ في قولهم: السَّمْنُ مَنَوانِ بدِرْهَمٍ؛ للعلمِ به.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِن ناصرٍ يتولَّاهُ مِن بعدِ خِذلانِ اللهِ إيَّاه.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٩٦)، و«البحر» (١٩/ ٤٧) من غير نسبة.

(٢) في (خ) و(ض): «ويطلبون».

(٣) «منه» من (خ). وقوله: «أي: إن ذلك منه.. إلخ» لأن الجملة خبرٌ؛ فلا بد من تقدير العائد، وذلك إشارة إلى الصبر والمغفرة، وكونه مغنيًا عن العائد لأن المراد صبره، أو ﴿ذَٰلِكَ﴾ رابطٌ والإشارة ﴿لَمِنْ﴾ بتقدير: من ذوي عزم الأمور= تكلف. انظر: «حاشية الخفاجي» (٧/ ٤٢٦).

﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ حينَ يرَوْنَه، فذكرَ بلفظِ المُضيِّ[1] تحقيقًا ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: إلى رَجْعَةٍ إلى الدُّنيا.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ على النَّارِ، ويدلُّ عليها ﴿ٱلْعَذَابَ﴾، ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ مُتذلِّلينَ مُتقاصِرينَ مما يلحقُهُم مِن الذُّلِّ ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: يبتدِئُ نظرُهُم إلى النَّارِ مِن تحريكٍ لأَجْفانِهم ضعيفٍ، كالمَصْبورِ يَنظُرُ إلى السَّيفِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالتَّعريضِ للعذابِ المخلَّدِ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ظرفٌ لـ﴿خَسِرُوٓاْ﴾ والقولُ في الدُّنيا[2]، أو لـ(قال)، أي: يقولونَ إذا رَأَوْهُم على تلكَ الحالِ.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ تمامُ كَلامِهِم، أو تصديقٌ مِن اللهِ لَهُم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ إلى الهُدَى أو النَّجاةِ.

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾.

---

(١) في (خ): «الماضي».

(٢) أي: ويكون القول المأخوذ من (قال) واقعاً في الدنيا. انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ١٠٥).

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي[1]: لا يردُّهُ اللهُ بعدَما حكمَ بهِ، و(مِن) صِلةٌ لـ﴿مَرَدَّ﴾، وقيل: صِلةُ ﴿يَأْتِيَ﴾، أي: مِن قبلِ أَنْ يأتِيَ يومٌ مِن اللهِ لا يُمكِنُ رَدُّه.

﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ مفرٌّ ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ إنكارٍ لِمَا اقترفْتُموهُ؛ لأنَّه مدوَّنٌ في صَحائفِ أعمالِكُم يشهَدُ عليه ألسنتُكم وجوارِحُكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبًا أو محاسبًا ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وقد بلَّغْتَ.

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ أرادَ بالإنسانِ الجنسَ؛ لقولِه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ بليغُ الكُفرانِ يَنْسى النِّعمَةِ[2] رأسًا، ويذكرُ البَلِيَّةَ ويُعظِّمُها، ولَمْ[3] يتأمَّلْ سببَها، وهذا وإن اختصَّ بالمجرمينَ؛ جازَ إسنادُهُ إلى الجنسِ لغَلَبتِهم واندراجِهم فيه.

وتَصديرُ الشَّرطيَّةِ الأولى بـ(إذا) والثَّانيةِ بـ(إن)؛ لأنَّ إذاقةَ النِّعمَةِ مُحقَّقةٌ مِن حيثُ إنَّها عادةٌ مقضِيَّةٌ بالذَّاتِ، بخلافِ إصابةِ البَلِيَّةِ، وإقامةُ عِلَّةِ الجزاءِ مقامَه ووضعُ الظَّاهرِ مَوضِعَ المُضمَرِ في الثَّانيةِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذا الجنسَ مَوسومٌ بكفرانِ النِّعمةِ.

قوله: «و(مِن) صِلةٌ لـ﴿مَرَدَّ﴾»:

(١) «أي» من (ت).

(٢) في (ض): «الرحمة».

(٣) في (ض): «ولا» بدل «ولم».

قال أبو حيَّان: هذا ليسَ بجَيِّدٍ؛ إذ لو كانَ (مِن) صِلتَه لكانَ مَعمولًا له، فكانَ يكونُ اسمُ (لا) مِن قبيلِ المطوَّلِ، فيكونُ مُعربًا مُنوَّنًا[1].

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلهُ أن يقسمَ النعمةَ والبليَّةَ كيفَ يشاءُ[2]، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ مِن غيرِ لُزومٍ ومجالِ اعتراضٍ.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ بدلٌ مِن ﴿يَخْلُقُ﴾ بدلَ البَعضِ، والمعنى: يجعَلُ أحوالَ العبادِ في الأولادِ مُختَلِفَةً على مُقتضَى المَشيئَةِ؛ فيهبُ لِبَعضٍ إمَّا صِنفًا واحِدًا مِن ذَكَرٍ أو أنثى، أو الصِّنفينِ جَميعًا، ويُعقِمُ آخرين.

ولعلَّ تقديمَ الإناثِ لأنَّها أكثرُ؛ لتكثيرِ النَّسلِ، أو لأنَّ مساقَ الآيةِ للدَّلالةِ على أنَّ الواقعَ ما يتعلَّقُ به مشيئةُ اللهِ لا مَشيئَةُ الإنسانِ، والإناثُ كذلك، أو لأنَّ الكلامَ في البلاءِ ـ والعَرَبُ تَعدُّهُنَّ بلاءً ـ، أو لتطييبِ قُلوبِ آبائِهنَّ، أو للمُحافظةِ على الفواصلِ، ولذلك عرَّفَ الذُّكورَ، أو لجبرِ التَّأخيرِ، وتغييرُ العاطفِ في الثَّالث[3] لأنَّه

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٩/ ٥١). والمطوَّل: الشبيه بالمضاف، ويسمَّى الممطول أيضًا؛ انظر: «التذييل والتكميل» لأبي حيان (٥/ ٢٢٦).

(٢) في (ت) و(ض): «شاء».

(٣) في النسخ عدا (ض): «الثاني». قال الخفاجي: وقوله: «وتغيير العاطف.. إلخ» إذ عطف بـ(أو) دون غيره، والمشترك بين القسمين الأولين هو الانفرادُ بأحد الصنفين سواءٌ تعدد أو لا، وهذا مقابله لأنه الجمع بينهما، فلو عطف بالواو توهم أنه قسمٌ لكل من القسمين دون المشترك بينهما، وفي =

قسيمُ المشتركِ بين القسمين، ولم يَحتجْ إليه الرَّابعُ لإفصاحِهِ بأنَّه قسيمُ المشتركِ بين الأقسامِ المتقدمةِ.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فيفعلُ ما يفعلُ بحكمةٍ واختيارٍ.

(٥١) - ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صحَّ له ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ كلامًا خفيًّا يُدرَكُ بسرعةٍ؛ لأنَّه تمثيلٌ ليس في ذاتِه مُركَّبًا مِن حُروفٍ مُقطَّعةٍ تتوقَّفُ على تموُّجاتٍ مُتعاقبَةٍ، وهو ما يعمُّ المُشافَهَ بهِ؛ كما رُوِيَ في حَديثِ المعراجِ، وما وُعِدَ به في حديثِ الرُّؤيةِ، والمُهْتَفُ بهِ كما اتَّفقَ لِمُوسى عليه السَّلامُ في طُوَى والطُّورِ، ولكنَّ عَطْفَ قولِه: ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ عليه يخصُّهُ بالأوَّلِ، والآيةُ دليلٌ على جَوازِ الرُّؤيةِ لا على امتناعِها.

وقيل: المرادُ به الإلهامُ والإلقاءُ في الرُّوعِ، أو الوحيُ المُنزَّلُ به الملكُ إلى الرُّسلِ، فيكونُ المرادُ بقولِه: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾: أو يرسلَ إليهِ نَبيًّا فيُبلِّغُ وحيَهُ كما أمرَهُ، وعلى الأوَّلِ المرادُ بالرَّسولِ: الملكُ المُوحِي إلى الرَّسولِ، و﴿وَحْيًا﴾ بما عُطِفَ عليه مُنتَصِبٌ بالمصدرِ؛ لأنَّ ﴿مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ صِفَةُ كلامٍ مَحذوفٍ، والإرسالُ نوعٌ مِن الكلامِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿وَحْيًا﴾ و﴿يُرْسِلَ﴾ مصدرَينِ، و﴿مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ ظرفًا وقعَتْ أحوالًا، وقرأَ نافعٌ: ﴿أو يرسلُ﴾ برفعِ اللامِ[1].

= بعض النسخ: «الثاني» بدل «الثالث» والمراد: العطف الثاني أو القسم الثاني، والأولى أَوْلى. انظر: «حاشية الخفاجي» (٧/ ٤٢٨).

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٥)، و«النشر» (٢/ ٣٦٨)، وذكر في «السبعة» خلافاً عن ابن عامر. وقوله: «وقرأ نافع...» ليس في (ض).

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفاتِ المخلوقينَ ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعلُ ما تقتضيهِ حِكمَتُه، فيُكلِّمُ تارةً بوَسَطٍ وتارةً بغيرِ وَسَطٍ[1]، إمَّا عِيانًا وإمَّا مِن وَراءِ حِجابٍ.

قوله: «ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿وَحْيًا﴾ و﴿يُرْسِلَ﴾ مَصدَرَيْنِ و﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ ظرفًا وقعَتْ أحوالًا»:

قال أبو حيَّان: أمَّا وُقوعُ المصدَرِ موقِعَ الحالِ فلا ينقاسُ[2]، وإنَّما يقالُ مِنه ما قالَتْه العَرَبُ، و﴿أَن يُرْسِلَ﴾ بمعنى إرسالًا الواقعِ مَوقِعَ (مُرسِلًا) ممنوعٌ بنَصِّ سيبويهِ[3].

وقال السَّفاقسيُّ: ظاهرُ كَلامِ سيبويه وُقوعُ ﴿وَحْيًا﴾ حالًا على تقديرِ رَفعِ ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾، نصَّ عليه السِّيرافيُّ[4].

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يعني ما أُوحِيَ إليه، وسمَّاهُ روحًا لأنَّ القلوبَ تحيا به وقيل: جبريلُ، والمعنى: أرسلناهُ إليكَ بالوَحيِ[5].

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي: قبلَ الوَحيِ، وهو دليلٌ على أنَّه لم يَكُن متعبَّدًا قبلَ النبوَّةِ بشرعٍ. وقيل: المرادُ هو الإيمانُ بما لا طريقَ إليه إلَّا السَّمعُ.

---

(١) في (خ): «واسطة» في الموضعين.

(٢) في النسخ: «يقاس»، والمثبت ما في «البحر المحيط».

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٩/ ٥٦)، وانظر: «الكتاب» (١/ ٤٩ ـ ٥١).

(٤) انظر: «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ٢٤٦).

(٥) انظر: «لباب التفاسير» (٨/ ٢١٤).

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الرُّوحَ، أو الكتابَ، أو الإيمانَ ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ بالتَّوفيقِ للقَبُولِ والنَّظَرِ فيه.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو الإسلامُ، وقُرِئَ: (لَتُهْدَى)[1] أي: ليهديك اللهُ، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ مِن الأوَّلِ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا ومُلْكًا.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ بارتفاعِ الوَسائطِ والتَّعلُّقاتِ، وفيه وَعدٌ ووَعيدٌ للمُطيعينَ والمُجرمينَ.

عَن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ كان ممَّنْ يُصَلِّي عليه الملائكةُ ويَستغفرونَ له ويسترحِمونَ له».

قوله: «مَن قرأ سُورَةَ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾...» إلى آخره: موضوعٌ[2].

* * *

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٥) عن الجحدري وحوشب.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢)، من حديث أبيٍّ رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٧٩).

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مَكِّيَّةٌ، وقيل: إلا قولَه: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾، وآيها تسعٌ وثمانونَ آية[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٤) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أقسمَ بالقُرآنِ على أنَّه جَعَلَهُ قُرآنًا عربيًّا وهو مِن البدائعِ؛ لتَناسُبِ القسمِ والمقسَمِ عليهِ، كقولِ أبي تمامٍ:

وَثَنَايَاكِ إِنَّهَا إِغْرِيضُ[2]

ولعلَّ إقسامَ اللهِ بالأشياءِ استشهادٌ بما فيها مِن الدَّلالةِ على المقسَمِ عليه.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٣)، وفيه: ثمانون وثمان في الشَّامي، وتسع في عدد الباقينَ، اختلافها آيتان: ﴿حمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون، ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾ لم يعدها الكوفي والشامي وعدها الباقون.

(٢) جاء في (ت) تتمة البيت «ولآل توم وبرق وميض»، وانظر: «ديوان أبي تمام» بشرح التبريزي (٢/ ٢٨٧)، و«الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» للآمدي (٢/ ٦٤ و١٠٥). قال الآمدي: وهذا وصف حسن، وزاد حسنَه وبهجتَه أنه جعله يميناً حلف بها.

والقرآنُ مِن حيثُ إنَّه مُعجِزٌ مبينٌ طرقَ[(١)] الهُدَى وما يحتاجُ إليه في الدِّيانةِ، أو بيِّنٍ للعربِ ما يدلُّ على أنَّه تَعالى صيَّره كذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهَمُوا مَعانيَه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عطفٌ على (إنَّا)[(٢)].

﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ في اللوحِ المحفوظِ فإنَّه أصلُ الكتبِ السَّماويَّةِ، وقرأ حمزة والكسائي[(٣)]: ﴿إِم الكتاب﴾ بالكسرِ[(٤)].

﴿لَدَيْنَا﴾ محفوظًا عندَنا عَن التَّغييرِ، ﴿لَعَلِىٌّ﴾ رفيعُ الشَّأنِ في الكتبِ لكونِه مُعجِزًا[(٥)] مِن بَينِها.

﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمةٍ بالغةٍ، أو محكَمٌ لا ينسَخُهُ غيرُه، وهما خَبرانِ لـ(إنَّ)، و﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿عَلِيٌّ﴾ واللامُ لا تمنعُه، أو حالٌ منه، و﴿لَدَيْنَا﴾ بدلٌ منه، أو حالٌ مِن ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾.

قوله: «أقسَمَ بالقُرآنِ على أنَّه جَعلَهُ قُرآنًا عَربيًّا، وهو مِن البَدائعِ لتَناسُبِ القَسَمِ والمُقسَمِ عَليه»:

---

(١) في (ت): «طريق».

(٢) في (أ) و(ض) زيادة «وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف»، ولم تقع هذه الزيادة في (ت) و(خ) وهو الصواب، إذ القراء متفقون على القراءة بالكسر.

(٣) في (أ) و(ض): «وقرئ».

(٤) هي قراءة حمزة والكسائي في حال الوصل، والباقون بضم الهمزة في الحالين، انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٨)، و«التيسير» (ص: ٩٤).

(٥) في (خ): «لأنه معجز».

قال الحَلَبِيُّ: هذا إِنْ أُريدَ بالكتابِ القُرآنُ، وإِن أُريدَ به جنسُ الكتبِ المُنزلةِ غيرِ القرآنِ لم يَكُن مِن ذلك[١].

وقال صاحبُ «التَّقريب»: المُقسَمُ به ذاتُ القُرآنِ، والمُقسَمُ عليه وَصفُهُ، وهُوَ جَعْلُه عَربيًّا فتَغايَرا[٢].

قوله: «كقَولِ أَبي تَمَّامٍ:

وَثَنَايَـــاهُ كَأَنَّهَـــا إِغْرِيـــضٌ»

تمامه:

وَلآلٍ تُـــومٌ وَبَـــرْقٌ وَمِيـــضُ

وَأَقَـــاحٍ مُـــنَـــوَّرٌ فـي بِـطَـاحٍ هَـزَّه في الصَّبَاحِ رَوْضٌ أَرِيضُ

قال الطِّيبيُّ: الإِغْرِيضُ: الطَّلعُ والبَرَدُ، والتُّومُ واحِدُهُ تُومَةٌ، وهي حبَّةٌ تُعمَلُ مِن الفضَّةِ كالدُّرَّةِ، وأَرْضٌ أَرِيضَةٌ أي: زَكِيَّةٌ[٣].

(٥) ـ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أفنذودهُ ونبعدُهُ عنكُم مجازٌ مِن قولِهم: ضربَ الغَرَائبَ عَن الحوضِ، قال طرفَةُ:

اضْـــرِبَ عَنْـــكَ الهُمُـــومَ طَارِقَـــهَا ضَرْبَكَ بالسَّـــيْفِ قَوْنَـــسَ الفَـــرَسِ

---

(١) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٥٧١).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٤/ ٩٥).

(٣) المصدر السابق (١٤/ ٩٥).

والفاءُ للعَطفِ على محذوفٍ؛ أي[1]: أنُهمِلُكُم فنَضرِبُ عَنكم الذِّكرَ.

و﴿صَفۡحًا﴾ مَصدَرٌ مِن غيرِ لفظِهِ فإنَّ تَنحِيَةَ الذِّكرِ عنهم إعراضٌ، أو مفعولٌ له، أو حالٌ بمَعنى: صافِحينَ، وأصلُه: أنْ تُولِيَ الشَّيءَ صَفْحَةَ عُنقِكَ.

وقيل: إنَّه بمعنى الجانبِ فيكونُ ظرفًا، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (صُفْحًا)[2]، وحينئذٍ يحتملُ أن يكونَ تخفيفَ صُفُح جمعُ صَفوحٍ بمعنى صَافحينَ، والمرادُ إنكارُ أَنْ يكونَ الأمرُ على خلافِ ما ذكرَ مِن إنزالِ الكتابِ على لُغَتِهِم ليفهموهُ.

﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾ أي: لأَنْ كُنْتُم، وهو في الحقيقَةِ عِلَّةٌ مُقتضِيَةٌ لتركِ الإعراضِ.

وقرأَ نافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ ﴿إِنْ﴾[3] بالكسرِ على أنَّ الجُملةَ شرطيَّةٌ مُخرِجَةٌ[4] للمحقَّقِ مخرجَ المشكوكِ؛ استجهالًا لهم وما قبلَها دليلُ الجزاءِ.

قوله: «أفنذودُهُ ونُبعِدُه عَنكُم، مَجازٌ مِن قولِهِم: ضَربَ الغَرائِبَ عَنِ الحَوْضِ»:

قال الطِّيبيُّ: أي: استعارَةٌ تمثيلية، استعارَ للتَّنحِيَةِ (الضَّربَ) الذي بمعنى الذِّياد، بعد أن شبَّهَ حالة هذه التَّنحِيَةَ بحالةِ ذودِ غَرائبِ الإبلِ عَن الحوضِ، وبُولِغَ فيه، ثمَّ استُعمِلَ هُنا ما كانَ مُستعمَلًا هُناك.

---

(١) في (ت): «يعني».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٥)، و«البحر» (١٩/ ٦٥)، عن حسان بن عبد الرحمن الضبعي والشبيل بن عزرة والسميط بن عمير.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٤) في (ض): «فخرجه».

قال المَيْدَانِيُّ: ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ، وذلك أنَّ الغريبة تَزْدَحِمُ على الحياضِ عِندَ الوُرودِ وصاحِبُ الحَوْضِ يَطْرُدُهَا ويَضْرِبُها بسَبَبِ إِبِلِه[1].

قوله: «قالَ طَرَفَةُ:

اضْرِبَ عَنْكَ الهُمُومَ طَارِقَهَا ضَرْبَكَ بالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ»[2]

قال الطِّيبِيُّ: أي: (اضْرِبَنْ) فحُذِفَت النُّونُ الخَفيفَةُ وحُرِّكَت الباءُ بالفَتْحِ، وطارِقَها: ما يَطرقُ بالليلِ وهوَ بَدلُ اشتمالٍ من الهمومِ، والقَوْنَسُ: مَنبتُ شَعرِ النَّاصيةِ وهو عظمٌ ناتئ بينَ أُذُنَي الفَرسِ[3].

(٦ ـ ٨) ـ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ تَسلِيَةٌ لرَسولِ اللهِ ﷺ عن[4] استهزاءِ قَومِه، ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: مِن القومِ المسرفينَ؛ لأنَّه صَرفَ الخطابَ عنهم إلى الرَّسولِ مخبرًا عنهُم، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وسلفَ في القُرآنِ قِصَّتُهُم العجيبةُ، وفيهِ وعدٌ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ ووعيدٌ لَهُم بمثلِ ما جَرى على الأولينَ.

---

(١) انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٤١٩)، و«فتوح الغيب» (١٤/ ٩٩)، وعنه نقل المصنف.

(٢) نسب لطرفة في «التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٤٦٢)، و«الصحاح» (مادة: قنس)، وجاء في «النوادر» لأبي زيد (ص: ١٦٥) عن أبي حاتم: أنشدني الأخفش بيتًا مصنوعًا لطرفة، فذكره.

قلت: وليس في «ديوان طرفة»، وذكره ابن جني في «سر صناعة الإعراب» (١/ ٩٧) وقال: مدفوع مصنوع عند عامة أصحابنا، ولا رواية تثبت به.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٤/ ٩٩).

(٤) في (خ): «من».

(٩ ـ ١١) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ لعلَّهُ لازِمُ مَقولِهِم، أو ما دلَّ عليه إجمالًا أقيمَ مقامَهُ تَقريرًا؛ لإلزامِ الحُجَّةِ عليهِمْ، فكأنَّهُم[1] قالوا: (الله) كما حُكِيَ عنهم في مواضِعَ أُخَرَ، وهو الذي مِن صِفَتِه ما سردَ مِن الصِّفاتِ. ويجوزُ أَنْ يكونَ مَقُولَهُم، وما بعدَهُ استئنافٌ.

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فتَسْتقرُّونَ فيها، وقرأَ غيرُ الكوفيين[2] ﴿مِهادًا﴾ بالألفِ[3].

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ تَسلكونَها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ لكي تَهتَدُوا إلى مَقاصِدِكُم، أو إلى حكمةِ الصَّانعِ بالنَّظرِ في ذلك.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدارٍ ينفَعُ ولا يَضرُّ، ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ زالَ عنه النَّماءُ، وتذكيرُهُ؛ لأنَّ البلدةَ بمعنى البلدِ والمكانِ، ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثلُ ذلك الإنشارِ ﴿تُخْرَجُونَ ﴾ تُنشرونَ مِن قُبورِكُم.

---

(١) في (خ) و(ت): «وكأنهم».

(٢) في (ت): «وقرأ الحرميان وأبو عمرو وابن عامر».

(٣) «وقرأ غير الكوفيون ﴿مهادا﴾ بالألف»: ليس في (خ) و(ض)، وكتب قوله تعالى: ﴿مِهَادًا﴾ في (ض) و(أ) بالألف؛ أي: ﴿مهاداً﴾، وانظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١)، و«النشر» (٢/ ٣٢٠).

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ بفتح التَّاءِ وضمِّ الرَّاء[١].

(١٢ - ١٤) - ﴿ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ أصنافَ المَخلوقاتِ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ ما تركبونَهُ على تغليبِ المُتعدِّي بنَفسِه على المتعدِّي بغيرِه؛ إذ يقال: ركبتُ الدَّابَّةَ وركِبْتُ في السَّفينَةِ، أو المخلوقِ للرُّكوبِ على المصنوعِ له، أو الغالبِ على النَّادرِ ولذلك قال: ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِۦ ﴾ أي: ظهورِ ما تركبونَ، وجمعُهُ للمعنى.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ تذكروها بقُلوبِكُم مُعترفينَ بها حامِدينَ عليها، ﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ مُطيقينَ، مِن أقرنَ الشَّيءَ: إذا أطاقَهُ، وأصلُهُ: وَجدَهُ قرينته[٢]، إذ الصَّعبُ لا يكونُ قَرينَةَ الضَّعيفِ.

وقُرِئَ بالتَّشديدِ، والمعنى واحِدٌ[٣].

وعنه عليه السلام: أنَّه كانَ إذا وضعَ رجلَهُ في الرِّكابِ قال: «بسمِ اللهِ» فإذا استوَى على الدابَّةِ قال: «الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾... إلى قوله: ﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾» أي: راجعونَ، واتِّصالُه[٤] بذلك؛ لأنَّ الرُّكوبَ

---

(١) قوله: «وقرأ ابن عامر...» من (ت)، وانظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٢) في (خ): «قرينه».

(٣) أي: (مقرِّنين)، انظر: «الكشاف» (٨/ ١١٤)، وذكر في «البحر» (١٩/ ٧١): (المقرنين) ولم ينسبها.

(٤) في (ض): «وإيصاله».

للتَّنقُّلِ، والنُّقلةُ العُظمى: هو الانقلابُ[١] إلى اللهِ تَعالى، أو لأنَّه مُخْطِرٌ فينبغي للرَّاكبِ أن لا يغفُلَ عنه ويستعِدَّ للقاءِ اللهِ تَعالى.

قوله: «ما تركَبُونَه على تَغليبِ المُتعدِّي بنَفسِهِ على المُتعدِّي بغَيرِه»:

قال صاحبُ «الانتصاف»: هذا غيرُ مُحرَّرٍ؛ فإنَّ الفعلَ المُتعدِّيَ إلى (الفُلك) هو المتعدِّي إلى (الأَنعام) غيرَ أنَّ العربَ خصَّتْهُ في بعضِ مَفاعيلِه بواسطَةٍ.

والاختلافُ في آلاتِ التَّعدِّي أو في عددِ المَفاعيلِ لا يوجِبُ اختِلافَ المعنى، فالفعلُ الواحدُ يَعدُّونَه تارةً ويقصرونَه أخرى، نحو: (شَكرت) وأخواتِها.

ويَجعلونَ الأفعالَ مُترادِفَةً وإن اختَلفَتْ مُتعلَّقَاتُها نحو: (صَلَّى على آلِ أبي أَوْفى، ودعا لهم).

ويجعلون (عَلِمَ) وإن تَعدَّى إلى مفعولينِ مُرادِفًا لـ(عرَفَ) المُتعدِّي إلى واحدٍ.

فالأَوْلَى أَنْ يُقالَ: تَقديرُهُ: وجعلَ لَكُم مِن الفلكِ والأنعامِ مَا تركَبون فيه.

أو يقال: غلَّبَ أحدَ اعتبارَي الفِعلِ عَلى الآخرِ، وهو أسهَلُ مِن التَّغليبِ في قولِه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] [على أحدِ التأويلَين]؛ فإنَّ تباينَ (أَجمع في الأمرِ) و(جمعِ الشُّركاءِ) ظاهِرٌ»[٢].

وقال الطِّيبيُّ بعد حِكايتِه: ليسَ غرضُ المُصنِّفِ مِن التَّغليبِ هُنا إلا هذا المعنى[٣].

---

(١) في (خ): «الانتقال».

(٢) انظر: «الإنصاف» لعلم الدين العراقي (٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) وما بين معكوفتين منه.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

قوله: «وعنه عليهِ السَّلامُ: أنَّه كانَ إذا وضعَ رِجلَهُ في الرِّكابِ قال: «بسمِ اللهِ» فإذا استوَى على الدَّابَّةِ قال: «الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾.. إلى قولِه: ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾»:

رواهُ الثَّعلبيُّ مِن حَديثِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ بهذا اللفظِ، ورواه أبو داودَ والتِّرمذِيُّ والنَّسائيُّ مِن حَديثِه بدونِ قولِه: «على كل حال»[1].

(١٥) ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ متصلٌ بقولِه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي: وقد جعلُوا له بعدَ ذلك الاعترافِ مِن عبادِهِ ولدًا فقالوا: الملائكةُ بَناتُ اللهِ، ولعلَّهُ سَمَّاه جزءًا كما سُمِّيَ بعضًا؛ لأنَّه بضعةٌ مِن الوالدِ دلالةً على استحالتِهِ على الواحدِ الحقِّ في ذاتِه.

وقَرأَ أبو بكر[2]: ﴿جُزُؤًا﴾ بضَمَّتينِ[3].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ الكُفرانِ، ومِن ذلك نِسبةُ الوَلَدِ إلى اللهِ؛ لأنَّها مِن فَرطِ الجَهلِ به والتَّحقيرِ لشأنِه.

---

(١) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٣)، وبنحوه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٤٨)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

ولمسلم (١٣٤٢) بعضه من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال: «﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾، اللهُمَّ إنَّا نسألُكَ في سفرِنا هذا البرَّ والتَّقوى، ومن العمل ما تَرضَى...» الحديث.

(٢) في كل النسخ ما عدا (ت): «وقرئ».

(٣) قرأ بها أبو بكر حيث وقع، والباقون بإسكانها، انظر: «التيسير» (ص: ٨٢).

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ معنى الهمزةِ في ﴿ أَمِ ﴾ الإنكارُ والتَّعجيبُ[1] مِن شَأنِهِم حيثُ لم يقنعُوا بأن جعلُوا له جزءًا حتَّى جعلُوا له مِن مَخلوقاتِه أجزاءَ أخسَّ ممَّا اختيرَ لَهُم وأبغضَ الأشياءِ إليهم[2] بحيثُ إذا بُشِّرَ أَحدهُمْ به اشتَدَّ غمُّهُ به[3] كما قال:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾ بالجنسِ الذي جعلَهُ له مثلًا إذ الولدُ لا بُدَّ وأن يماثلَ الوالدَ.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ صارَ وَجهُهُ أسودَ في الغايةِ لِمَا يَعتريهِ مِن الكآبةِ.

﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوءٌ قَلبُهُ مِن الكربِ، وفي ذلك دلالاتٌ على فسادِ ما قالوهُ، وتعريفُ البنينِ لِمَا مرَّ في الذُّكورِ[4].

---

(١) يعني أن أم هنا منقطعة مقدرة بـ(بل) والهمزة المقدرة معها للاستفهام الإنكاري على طريق التعجيب، والمراد إنكار مقولهم أو قولهم على معنى كيف قالوا هذا، والجملة الشرطية معترضة لتأكيد ما أنكر عليهم أو حالية كما ارتضاه التفتازاني في «شرحه» ويجوز عطفه على ما قبله، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٣٥).

(٢) في (ض)، وهامش (ت): «الأجزاء إليهم»، وفي (خ): «الأشياء لهم».

(٣) في (خ): «غمهم به» وفي (ت): «غمهم».

(٤) إشارة إلى ما مر في سورة «الشورى» في وجه تقديم الإناث وتنكيره، وتعريف البنين وتأخيره، والمراد أن التقديم لأنه الأنسب بالمقصود إذ هو أشد في إنكار ما نسبوه له تعالى، ولما قدم منكراً جر تأخير البنين بالتعريف للإشارة إلى أنهم نصب أعينهم فالتعريف للتنويه بالذكور وتحقير الإناث فيفيد زيادة في الإنكار والتعجيب، ولا يجري فيه ما ذكر ثَمَّة بتمامه بعينه للفرق بين السياقين، وليس التعريف هنا للفاصلة لأن التنكير لا ينافيها، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٣٦).

وقُـرِئَ: (مُسْـوَدٌّ) و(مُسْـوادٌّ)[١] على أنَّ فـي ﴿ظَلَّ﴾ ضميرَ المبشَّـرِ، و(وجهُهُ مُسْـوَدٌّ) جملةٌ وقعَـتْ خبرًا.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

﴿أوَمَنْ يَنْشَأُ في الحِلْيَةِ﴾ أي: أو جَعَلُوا له[٢]، أو اتخذَ مَن يتربَّى في الزِّينةِ؛ يعني البناتِ[٣].

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ في المُجادَلَةِ ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مقرِّرٍ لِمَا يدَّعيهِ مِن نُقصانِ العَقلِ وضعفِ الرَّأيِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ (مَن) مُبتدأً محذوفَ الخبرِ؛ أي: أوَمَنْ هذا حالُه ولدُه، و﴿فِي الْخِصَامِ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿مُبِينٍ﴾ وإضافةُ ﴿غَيْرُ﴾ إليهِ لا يمنعُه كما عرفت.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ: ﴿يُنَشَّؤُا﴾[٤] أي: يربَّـى، وقُـرِئَ: (يُنْشَأُ) و(يُنَاشَأُ)[٥] بمعناه، ونظيرُ ذلك: أعلاهُ وعَلَّاه وعَالاهُ بمعنًى.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ١١٧)، والأولى أجازها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨) ولم يصرح بكونها قراءة.

(٢) يعني أنَّ من معمولة لفعل مقدَّر فيقدَّر بقرينة وجعلوا له من عباده... إلخ أو جعلوا له من ينشأ في الحلية، ولذا أو اتخذ بقرينة أم اتخذ، أي أو اتخذ من ينشأ إلخ ولداً ففيه تقدير فعل ومفعول، والهمزة إما مقدمة من تأخير أو داخلة على معطوف عليه مقدر أي اجترؤوا على ما ذكر وجعلوا... إلخ على المذهبين المشهورين، وليس إشارة إلى عطفه على مفعول جعل، أو اتخذ كما توهم لأن الهمزة لصدارتها تمنع منه كما لا يخفى، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٣٧).

(٣) في (ض): «الثياب»، وأشار في هامشها إلى: «البنات» وكتب عندها (خ).

(٤) وقرأ باقي السبعة بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٥) الأولى قراءة الجحدري، والثانية قراءة الحسن، وكلاهما من الشواذ، انظر: «المختصر في شواذ =

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ كفرٌ آخرُ تضمَّنه مَقالُهُم شنَّعَ به عليهِم: وهو جعلُهُم أكملَ العبادِ وأكرمَهُم على اللهِ أنقصَهُم رأيًا وأخسَّهُم صِنْفًا.

وقُرِئَ: (عَبِيد)(١)، وقرأ الحِجازِيَّانِ وابن عامر ويعقوب(٢) ﴿عِنْدَ﴾ (٣) على تمثيلِ زُلفاهُم، وقُرِئَ: (أُنُثًا)(٤) وهو جمعُ الجَمْعِ.

﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾ أحَضَرُوا خلقَ اللهِ إيَّاهُم فشَاهَدوهُم إناثًا فإنَّ ذلك مما يُعلَمُ بالمشاهدةِ، وهو تجهيلٌ وتَهكُّمٌ بهم.

وقرأ نافِعٌ: ﴿أَأُشْهِدُوا﴾ بهمزةِ الاستفهامِ وهمزةٍ مضمومةٍ بينَ بينَ، و﴿آأُشْهِدُوا﴾ بمدَّةٍ بينَهُما برواية قالون(٥).

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ التي شَهِدوا بها على الملائكةِ ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ أي: عَنْهَا يومَ القيامةِ، وهو وعيدٌ.

= القراءات» (ص: ١٣٥).

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ١١٩).

(٢) في (أ) و(ض): «البصريان» بدل: «ابن عامر ويعقوب»، والصواب المثبت كما في (ت) و(خ).

(٣) وقراءة الباقين ﴿عِبَٰدُ﴾ انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٦)، و«النشر» (٢/ ٣٦٨).

(٤) في (ض): «زلفاهم وأنثًا»، وهي قراءة زيد بن علي كما في «البحر» (١٩/ ٧٧).

(٥) وهي بخلاف عن قالون، وقراءة الباقين ﴿ أَشَهِدُوا۟ ﴾ بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين، انظر: «التيسير» (ص: ١٦٩)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩).

وقُرِئَ: (سَيُكْتَبُ)، و: (سنكْتُبُ) بالياءِ والنُّونِ[١]، و(شَهادَاتُهُم)[٢] وهي أنَّ للهِ جُزءًا وأنَّه بناتٌ وهنَّ الملائكةُ، و: (يُسَاءلونَ) مِن المُساءلةِ[٣].

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾.

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم ﴾ أي: لو شاءَ عدمَ عِبادَةِ الملائكةِ ما عبدناهُم، فاستدلُّوا بنَفْيِ مَشيئَةِ عدمِ العبادةِ على امتناعِ النَّهيِ عنها أو على حُسْنِها، وذلك باطِلٌ؛ لأنَّ المشيئةَ تَرجيحُ بعضِ المُمْكِنَاتِ على بعضٍ مأمورًا كانَ أو مَنْهِيًّا، حَسَنًا كان أو غيرَهُ[٤]، ولذلك جهَّلَهُم فقال: ﴿مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يَتمحَّلُونَ تَمحُّلًا باطلًا.

ويجوزُ أن تكونَ الإشارةُ إلى أصلِ الدَّعوَى كأنَّه لَمَّا أَبْدَى وُجوهَ فَسادِهَا وحَكى شُبهَتَهُم المزيَّفَةَ نفى أن يكونَ لَهُم بها عِلمٌ مِن طَرِيقِ العَقلِ، ثمَّ أضربَ عنه[٥] إلى إنكارِ أَنْ يكونَ لَهُم سندٌ مِن جهَةِ النَّقلِ فقال: ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ ﴾ مِن

---

(١) الأولى قراءة الزهري، والثانية قراءة الأعرج وقرأ معها: (شهادتهم) بالنصب، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٥).

(٢) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٢٠).

(٤) وكفرهم إنما حصل بالاستهزاء بذلك؛ إذ قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ ـ كلمة حق ـ لكن أرادوا بها ـ باطلاً ـ بزعمهم أنها حجة لهم على الله في أن لا يعاقبهم، كما توهمت القدرية، قاله الأنصاري في «حاشيته» (٥/ ١١٦).

(٥) هو جار على الوجهين وفيه إشارة إلى أن أم منقطعة لا متصلة معادلة لقوله: ﴿ أَشَهِدُوا ﴾ كما قيل لبعده، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٣٧).

قبلِ القُرآنِ، أو ادِّعائِهِم ينطقُ على صِحَّةِ ما قالوه، ﴿فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ﴾ بذلكَ الكتابِ مُتمسِّكُونَ.

(٢٢ - ٢٣) - ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾.

﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ أي: لا حُجَّةَ لَهُم على ذلك عَقليَّةً ولا نقليَّةً، وإنَّما جنَحُوا[1] فيه إلى تقليدِ آبائِهِم الجَهَلةِ.

والأُمَّةُ: الطَّريقةُ التي تُؤَمُّ كالرُّحْلَةِ للمَرحولِ إليه.

وقُرِئَتْ بالكسرِ[2] وهي الحالةُ التي يكونُ عليها الآمُّ؛ أي: القاصِدُ، ومنها الدِّينُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ تسليةٌ لرَسُولِ اللهِ ﷺ، ودلالةٌ على أنَّ التَّقليدَ في نحوِ ذلك ضَلالٌ قَديمٌ، وأنَّ مُقدَّميهِمْ أيضًا لم يَكُن لَهُم سَنَدٌ مَنظورٌ إليه، وتخصيصُ المترفينَ إِشعارٌ بأنَّ التَّنعُّمَ وحبَّ البَطالةِ صَرفَهُم عَن النَّظرِ إلى التَّقليدِ.

(٢٤ - ٢٥) - ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

---

(١) في (ت): «احتجوا».

(٢) أي: (إِمَّةٍ) وهي قراءة عمر بن عبد العزيز ومجاهد والجحدري، وقرأ ابن عباس بفتح الهمزة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦).

﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ أي: أتتبعونَ آباءَكُم ولو جئتُكم بدينٍ أهدى مِن دينِ آبائِكُم؟!

وهو حكايةُ أمرٍ مَاضٍ أُوحِيَ إلى النَّذيرِ، أو خطابٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ أنَّه قرأَ ابنُ عامرٍ وحفصٌ: ﴿قَلَ﴾[1].

وقولُه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: وإن كانَ أهدى؛ إقناطًا للنَّذيرِ مِن أَنْ ينظرُوا أو يتفكَّرُوا[2] فيه، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالاستئصالِ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ولا تكترِثْ بتكذيبِهم.

(٢٦ ـ ٢٨) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ واذكُرْ وقتَ قولِه هذا؛ ليَرَوْا كيفَ تبرَّأَ عن التَّقليدِ وتمسَّكَ بالدَّليلِ، أو ليقلِّدُوهُ إن لم يكَنْ لهم بُدٌّ مِن التَّقليدِ فإنَّه أشرفُ آبائِهم ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ بَرِيءٌ مِن عِبادَتِكُم أو مَعبودِكُم، مَصدَرٌ نُعِتَ به ولذلك استوَى فيه الواحِدُ والمُتعدِّدُ والمُذكَّرُ والمؤنَّثُ.

وقُرِئَ: (بَرِيء)[3]، و: (بُراء) ككَرِيمٍ وكُرَامٍ[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٢) في (خ): «ويتفكروا».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦)، عن الأعمش ومصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ استثناءٌ مُنقَطِعٌ أو مُتَّصِلٌ على أنَّ (ما) يعمُّ أولي العِلمِ وغيرَهم، وأنَّهُم(١) كانوا يعبدونَ اللهَ والأوثانَ، أو صفةٌ على أنَّ (ما) مَوصوفَةٌ؛ أي: إنَّني براءٌ مِن آلهةٍ تَعبدونَها غيرِ الذي فطَرَني.

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ سيُثبِّتُني على الهدايةِ، أو سيهديني إلى ما وراءِ ما هَداني إليهِ(٢).

﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: وجعلَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ، أو اللهُ كلمَةَ التَّوحيدِ ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في ذُرِّيَّتِهِ، فيكونُ فيهِمْ أبَدًا مَن يُوحِّدُ اللهَ ويَدعو إلى توحيده(٣).

وقُرِئَ: (كِلْمةً)(٤)، و: (في عَقْبِه) على التَّخفيفِ، و(في عاقِبِه)(٥)؛ أي: فيمَنْ عقَبَه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يرجعُ مَن أشركَ مِنهُم بدُعاءِ مَن وَحَّدَ(٦).

قوله: «أو صِفَةٌ على أنَّ (ما) مَوصوفةٌ؛ أي: إنَّني براءٌ مِن آلهةٍ تَعبُدُونَها غيرِ الذي فَطَرني»:

---

(١) في (خ): «فإنهم».

(٢) قوله: (سيثبتني على الهداية) إشارة إلى أن السين هنا للتأكيد لا للتسويف والاستقبال؛ لأنه قال في الشعراء ﴿يَهْدِينِ﴾ بدونها، والقصة واحدة والمضارع في الموضعين للاستمرار، وقوله: (أو سيهديني) فالسين على ظاهرها والمراد هداية زائدة على ما كان له أولاً فيتغاير ما في الآيتين من الحكاية أو المحكي بناء على تكرر القصة، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٣٨).

(٣) في (أ): «التوحيد».

(٤) انظر: «المختصر شواذ القراءات» (ص: ١٣٦)، و«البحر» (١٩/ ٨٢)، عن حميد بن قيس، و«الكشاف» (٨/ ١٢٦) بدون نسبة، وضبطت في بعض نسخه بفتح الكاف.

(٥) القراءاتان في «البحر» (١٩/ ٨٢) دون نسبة.

(٦) في (أ): «وحده».

قال أبو حيَّان: تَقديرُهُ (ما) نكرةٌ مَوصوفةٌ ولم يبقها موصولةً؛ لاعتقادِهِ أنَّ (إلَّا) لا تكونُ صفةً إلا لِنكرَةٍ، وهذهِ المَسألةُ فيها خلافٌ بينَ النَّحويِّينَ، مَن قال: يوصفُ بها النَّكرَةُ والمعرفَةُ فعلى هذا تبقى (ما) مَوصولَةً وتكونُ (إلا) في موضعِ الصِّفَةِ للمَعرِفَةِ[1].

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾.

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ هؤلاءِ المُعاصرينَ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ مِن قُرَيشٍ، ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ بالمدِّ في العمرِ والنِّعمَةِ؛ فاغترُّوا بذلك وانهمَكُوا في الشَّهواتِ.

وقُرِئَ: (مَتَّعْتَ) بالفتحِ[2] على أنَّهُ تَعالى اعترَضَ به على ذاتِهِ في قولِه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ مُبالغةً في تَعييرِهِم.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ دعوةُ التوحيدِ[3]، أو القرآنِ، ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ الرِّسالَةِ بما لهُ مِن المعجزاتِ، أو مبيِّنٌ للتَّوحيدِ بالحُجَجِ والآياتِ.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ ليُنبِّهَهُم عَن غفلَتِهِم ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ زادوا شرارةً فضمُّوا إلى شِرْكِهِم مُعاندةَ الحقِّ والاستخفافَ به وسَمَّوا القرآنَ سِحْرًا وكفَرُوا به واستَحْقَرُوا الرَّسُولَ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٩/ ٨١ ـ ٨٢).

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٣٣)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٢)، و«البحر» (١٩/ ٨٢)، عن قتادة والأعمش.

(٣) في (أ) و(ت): «دعوة الحق».

قوله: «وقُرِئَ (مَتَّعْتَ) بالفتحِ على أنَّه تعالى اعترضَ بهِ على ذاتِه»:

قال الطِّيبيُّ: يعني هذا الأسلوبُ مِن بابِ التَّجريدِ في الخطابِ على منوالِ قولِ امرئِ القَيسِ:

تَطاوَلَ لَيْلُكَ بِالأثْمُدِ ... وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ[1]

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ ﴾ مِن إحْدَى القَرْيتينِ مَكَّةَ والطَّائفِ ﴿عَظِيمٍ﴾ بالجاهِ والمالِ كالوَليدِ بن المغيرةِ وعُروَةَ بنِ مَسعودٍ الثَّقفِيِّ، فإنَّ الرِّسالةَ مَنصِبٌ عَظيمٌ لا يليقُ إلا بعَظيمٍ، ولم يعلَمُوا أنَّها رُتبةٌ روحانيَّةٌ تَستَدعي عظمَ النَّفسِ بالتَّحلِّي بالفَضائلِ والكَمالاتِ القُدسيَّةِ لا التَّزخرفَ بالزَّخارفِ الدُّنيويَّةِ.

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ إنكارٌ فيهِ تَجهيلٌ وتعجيبٌ مِن تَحكُّمِهِم، والمرادُ بالرَّحمةِ النُّبوَّةُ.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهم عاجزونَ عَن تَدبيرِهَا وهي خويصةُ أمرِهِم في دُنياهم فمِنْ أينَ لَهُم أن يَتدبَّرُوا أمرَ النبوَّةِ التي هي أَعْلى المراتبِ الإنسيَّةِ، وإطلاقُ المَعيشَةِ يقتضي أَنْ يكونَ حلالُها وحَرامُهَا مِن اللهِ تَعالى.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ وأوقَعْنا بينَهُم التَّفاوُتَ في الرِّزقِ وغيرِه، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ليستَعمِلَ بَعضُهُم بعضًا في حَوائجِهِم، فيحصلَ بينَهُم تآلفٌ وتَضامٌّ ويَنتَظِمَ بذلك نِظامُ العالمِ، لا لِكَمالٍ في المُوسِعِ ولا لنَقْصٍ في المُقتِرِ، ثمَّ إنَّه لا اعتراضَ لَهُم علينا في ذلك ولا تَصرُّفَ فكيفَ يَكونُ فيما هو أَعْلى مِنه؟!

(١) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٨٧)، و«فتوح الغيب» (١٤/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ هذه، يعني النبوَّةَ وما يَتبَعُها ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِن حُطامِ الدُّنيا، والعظيمُ[1] مَن رُزِقَ مِنْها لا مِنْه.

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لولا أنْ يرغَبُوا في الكُفرِ إذا رَأَوا الكُفَّارَ في سَعَةٍ وتَنعُّمٍ لحُبِّهم الدُّنيا فيجتَمِعُوا عليه، ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ ومَصاعِدَ، جمعُ مِعْرَجٍ.

وقُرِئَ: (مَعاريجَ)[2] جمعُ مِعراجٍ.

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلونَ السُّطوحَ لحَقارةِ الدُّنيا، و﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدلٌ مِن ﴿لِمَن﴾ بدلَ الاشتمالِ، أو عِلَّةٌ له كقولِك: وهبتُ[3] له ثوبًا لِقَميصِه.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ﴿سَقْفًا﴾[4] على التوحيد[5] اكتفاءً بجمعِ البيوتِ.

وقُرِئَ: (سُقْفًا) بالتَّخفيفِ[6]، ....

(١) في (ض): «فالعظيم».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦)، و«البحر» (١٩/ ٨٨) عن طلحة بن مصرف.

(٣) في (ض): «هيأت».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٥) «على التوحيد» من (خ).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٢)، و«المحتسب» (٢/ ٩)، عن مجاهد.

و(سُقُوفًا)[١]، و(سَقَفًا)[٢] وهو لغةٌ في سَقْفٍ.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ أي: أبوابًا وسُرُرًا مِن فضَّةٍ.

﴿وَزُخْرُفًا﴾ وزينةً، عطفٌ على ﴿سُقُفًا﴾، أو (ذهبًا) عطفٌ على محلِّ ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (إِنْ) هي المخفَّفَةُ واللامُ هي الفارِقَةُ.

وقرأَ عاصِمٌ وحمزةُ وهِشامٌ بخلافٍ عنه: ﴿لَمَّا﴾ بالتَّشديدِ[٣] بمَعنى (إلَّا) و(إن) نافيةٌ، وقُرِئَ به مَع (إن) و(ما)[٤].

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الكفرِ والمَعاصي، وفيه دلالةٌ على أنَّ العَظِيمَ هو العَظِيمُ في الآخرةِ لا في الدُّنيا، وإشعارٌ بما لأجلِهِ لم يجعَلْ[٥] ذلك للمُؤمنينَ

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٣١)، و«البحر» (١٩/ ٨٧)، وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٣٢) ولم يصرح بكونها قراءة.

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٣١)، و«البحر» (١٩/ ٨٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٦)، و«النشر» (٢/ ٢٩١)، وبكسر اللام مع تخفيف الميم قراءة أبي رجاء كما في «المحتسب» (٢/ ٢٥٥)، وأبي حيوة كما في «البحر» (١٩/ ٨٩).

(٤) أي: قرأ بـ(إلا) مع واحدٍ منهما، فقرئ: (وما كل ذلك إلا) ذكره في «الكشاف» (٨/ ١٣٢)، وعزاه في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٤) إلى مصحف أبي رضي الله عنه دون كلمة (كل)؛ أي: (وما ذلك إلّا)، ولم أقف على القراءة الأولى.

(٥) في (ض): «يحصل».

حتَّى يَجتَمِعَ النَّاسُ على الإيمانِ، وهو أنَّه تَمتُّعٌ قَليلٌ بالإضافةِ إلى ما لهم في الآخرةِ مُخَلٌّ به في الأغلبِ لِمَا فيه من الآفاتِ قلَّ مَن يَتخلَّصُ عَنْها كما أشارَ إليهِ بقوله:

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ يتعامَ ويُعْرِضْ عنه لفَرْطِ[1] اشتغالِهِ بالمَحسوساتِ وانهِمَاكِه في الشَّهَواتِ.

وقُرِئَ: (يَعْشَ) بالفتحِ[2]؛ أي: يعمَ، يقال: عَشِيَ: إذا كانَ في بصرهِ آفةٌ، وعَشَا: إذا تَعشَّى بلا آفةٍ؛ كعَرِجَ وعَرَجَ، وقُرِئَ (يَعْشُو)[3] على أنَّ (مَن) مَوصولةٌ.

﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ يُوسوسُهُ ويُغويهِ دائمًا.

وقرأ[4] يعقوبُ بالياءِ[5] على إسنادِهِ إلى ضميرِ الرَّحمنِ، ومَن رفعَ (يعشو) ينبَغِي أَنْ يرفعَ (نُقيِّض)[6].

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عَن الطَّريقِ الذي مِن حَقِّه أن يُسْبَلَ، وجمعُ الضَّميرينِ للمَعْنى إذ المرادُ جِنسُ العاشي والشَّيطانِ المُقيِّضِ له، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم

---

(١) في (ض): «بفرط».

(٢) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٩) من رواية أبي نوفل بن أبي عقرب عن ابن عباس رضي الله عنهما، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٢).

(٣) نسبت لزيد بن علي، انظر: «البحر» (١٩/ ٨٨).

(٤) في (خ): «وقراءة».

(٥) انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٩).

(٦) في كل النسخ عدا (أ): «ينبغي أن يرفعه».

﴿مُّهۡتَدُونَ﴾ الضَّمائرُ الثَّلاثةُ الأُوَلُ له، والباقيانِ للشَّيطانِ.

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ أي: العاشي.

وقرأ الحِجازِيَّانِ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ ﴿جاءانا﴾[1] أي: العاشي والشَّيطانُ.

﴿قَالَ﴾ أي: العاشي للشَّيطانِ: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ بُعْدَ المَشرقِ مِن المَغربِ فغُلِّبَ المشرقُ وثُنِّيَ وأُضيفَ البعدُ إليهِمَا، ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ أنتَ.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: ما أنـتُمْ عليه مِن التَّمنِّي ﴿إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ إذ صَحَّ أنَّكُم ظَلَمْتُم أنفسَكُم في الدُّنيا، بدلٌ مِن ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾.

﴿أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ لأنَّ حقَّكُم أَنْ تَشترِكُوا أنتُمْ وشَياطينُكُم في العذابِ كما كُنتُم مُشتركينَ في سببِهِ.

ويجوزُ أَنْ يُسندَ الفِعلُ إليه بمَعنى: ولَنْ ينفعَكُم اشتراكُكُم في العذابِ كما ينفَعُ الواقعينَ في أمرٍ صعبٍ مُعاونَتُهُم[2] في تحمُّلِ أَعبائِه وتَقسُّمِهِم بمُكابدَة عنائِه إِذْ لكُلٍّ[3] مِنْكُم ما لا يَسعُه طاقتُه.

وقُرِئَ: (إِنَّكُم) بالكسرِ[4]، وهو يقوِّي الأوَّلَ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٦)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩).

(٢) في (ض): «بتعاونهم».

(٣) في (ت) و(ض): «بكل».

(٤) وهي قراءة ابن عامر كما في «السبعة» (ص: ٥٨٦)، ولم يذكرها الداني في «التيسير»، وابن الجزري في «النشر».

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ إنكارُ تَعجُّبٍ[1] مِن أَنْ يكونَ هو الذي يقدرُ على هدايَتِهم بعدَ تَمرُّنِهم على الكُفرِ واستغراقِهم في الضَّلالِ بحيثُ صارَ عشاهُم عمًى مَقرونًا بالصَّمَمِ.

كان رَسولُ اللهِ ﷺ يُتعِبُ نفسَهُ في دُعاءِ قَومِهِ وهم لا يَزيدونَ إلَّا غَيًّا، فنزلَتْ[2].

﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْعُمْىَ﴾ باعتبارِ تَغايُرِ الوَصْفَينِ، وفيه إشعارٌ بأنَّ المُوجِبَ لذلك تمكُّنُهم في ضَلالٍ لا يخفى.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي: فإنْ قبضناكَ قبلَ أَنْ نُبصِّرَكَ عَذابَهم، و(ما) مَزيدَةٌ مُؤكدةٌ بمنزلةِ لامِ القَسَمِ في استجلابِ النُّونِ المؤكدةِ.

﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعدكَ[3] في الدُّنيا أو الآخرة، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ أو إن أَرَدْنا أن نُرِيَك ما وَعَدْناهم مِن العَذابِ.

وقرأ يعقوب بروايةِ رُويس ﴿أو نُرِيَنْكَ﴾ بإسكان النون وكذا ﴿نَذْهَبَنْ﴾[4].

﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ لا يَفوتونَنا.

---

(١) في (ض): «تعجيب».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٦٠٠ ـ ٦٠١).

(٣) في (خ): «بعذاب».

(٤) قوله: «وقرأ يعقوب...» من (خ) و(ت)، انظر: «النشر» (٢/ ٢٤٦).

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾.

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ من الآياتِ والشَّرائعِ.

وقُرِئَ: (أَوْحَى)(١) على البناءِ للفاعلِ، وهو اللهُ تَعالى.

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لا عِوَجَ له، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ ﴾ لشرفٌ لكَ ﴿ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي: عنه يومَ القيامةِ وعَن قِيامِكُم بحقِّه.

(٤٥) ـ ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾.

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ أي: وسَلْ(٢) أُمَمَهُم وعلماءَ دِينِهم(٣).

﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ هل حكَمْنا بعبادةِ الأوثانِ وهل جاءَتْ في ملةٍ مِن مِلَلِهِم، والمرادُ به الاستشهادُ بإجماعِ الأنبياءِ على التَّوحيدِ، والدَّلالةُ على أنَّه ليسَ بِبِدْعٍ ابتدعَهُ فيكذَّبَ ويعادَى له، فإنَّه كانَ أقوى ما حملَهُم على التَّكذيبِ والمُخالفَةِ.

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يريدُ باقتصاصِه تسليةَ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ، ومُناقضةَ قَولِهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ

---

(١) نسبت للضحاك، انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٧)، و«البحر» (١٩/ ٩٧).

(٢) في (خ): «واسأل».

(٣) في (خ) زيادة: «وقرأ ابن كثير والكسائي بتخفيف الهمزة».

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ والاستشهادَ بدَعوةِ[(١)] موسى عليه السَّلامُ إلى التَّوحيدِ؛ ليتأملوا فيها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ فاجَؤوا وقتَ ضحكِهِم مِنْها أي: استهزَؤوا بها أوَّلَ ما رأَوْها ولم يَتأمَّلوا فيها.

(٤٨) ـ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ إلا وهيَ بالِغةٌ أقصى دَرجاتِ الإعجازِ بحيثُ يَحسِبُ النَّاظرُ فيها أنَّها أكبرُ ممَّا يُقاسُ إليها مِن الآياتِ، والمرادُ وَصفُ الكُلِّ بالكِبَرِ كقولِك: رأيتُ رِجالًا بعضُهُم أفضَلُ مِن بَعضٍ وكقوله:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ التِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي[(٢)]

أو إلَّا وهي مُختصَّةٌ بنوعٍ من الإعجازِ مُفضلَةٌ على غيرِها بذلك الاعتِبَارِ.

---

(١) في (ت): «والاستشهاد به بحق».

(٢) انظر: «الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ١١١٧)، ونسبت فيه القصيدة التي منها البيت للعرندس أحد بني أبي بكر بن كلاب، ومثله في «أمالي القالي» (١/ ٢٣٩)، و«الحماسة المغربية» (١/ ٣٠٠)، وزاد القالي: يمدح بني عمرو الغنويين، قال: وكان الأصمعيّ يقول: هذا المحال، كلابيّ يمدح غنوياً!

ونسب في «الكامل» للمبرد (١/ ٦٧)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٥١)، لعبيد بن العرندس الكلابي.

ودون نسبة في «الحيوان» (٢/ ٣٠٠)، و«عيون الأخبار» (١/ ٣٢٩)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٣٨٧).

﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ كالسِّنين والطُّوفانِ والجرادِ؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ على وجهٍ يُرجى رُجوعُهُم.

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ نادَوهُ بذلك في تلكَ الحالِ[١]؛ لشِدَّةِ شَكِيمَتِهم وفرطِ حَماقَتِهم، أو لأنَّهُم كانوا يسمونَ العالِمَ الباهِرَ[٢] ساحِرًا.

وقرأ ابن عامر بضم الهاء[٣].

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: تَدْعُو لنا فيكشف عنَّا العذابَ[٤].

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بعَهْدِه عندكَ من النبوَّةِ، أو أَنْ[٥] يستجيبَ دعوتَكَ، أو أن يكشفَ العذابَ عمَّن اهتدَى، أو بما عَهِدَ عندَكَ فوَفيتَ به وهو الإيمانُ والطَّاعةُ، ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[٦].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ فاجؤُوا نَكْثَ عَهدِهِم بالاهتداءِ.

---

(١) في (خ): «الحالة».

(٢) في (ت): «الماهر».

(٣) كذا في (خ) و(ت). وانظر: «السبعة» (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٤) قوله: «أي تدعو لنا فيكشف عنا العذاب» ليس في (ت) و(ض). وقد أشار الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٤٤) إلى سقوطها من بعض النسخ هنا، وذكرت عند قوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

(٥) في (أ): «أو من».

(٦) في (ض) هنا: «أي: إن تدع لنا فينكشف عنا العذاب»، وانظر التعليق السابق.

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ بنفسِه أو بمُناديهِ ﴿فِى قَوْمِهِۦ﴾ في مَجْمَعِهِم، أو فيما بينَهُم بعدَ أن كشفَ العذابَ عَنْهم مخافةَ أن يؤمِنَ بعضُهم، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أنهارُ النِّيلِ، ومُعظَمُها أربعةٌ: نهرُ الملكِ، ونهرُ طولونَ، ونهرُ دمياط، ونهرُ تِنِّيس، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ تحتَ قَصْرِي، أو أَمْرِي، أو بينَ يَدَيَّ في جِناني.

والواوُ إمَّا عاطِفَةٌ لهذه الأنهارِ على ﴿مُلْكُ﴾، و﴿تَجْرِى﴾ حالٌ منها، أو واوُ حالٍ و(هذه) مُبتدأٌ و﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ صِفَتُها و﴿تَجْرِى﴾ خبرُها.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ مَع هذه المَملَكَةِ والبسطةِ ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيفٌ حَقِيرٌ لا يَستَعِدُّ الرِّئاسةَ؛ مِن المهانةِ وهي القِلَّةُ، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلامَ لِمَا بهِ مِن الرُّتَّةِ[1] فكيفَ يصلحُ للرِّسالةِ[2].

و﴿أَمْ﴾ إمَّا مُنقطِعةٌ والهمزةُ فيها للتَّقرير، إذ قدمَ مِن أسبابِ فَضلِه، أو مُتَّصِلَةٌ على إقامةِ المُسبَّبِ مقامَ السَّبَبِ والمعنى: أفَلا تُبصِرُونَ أم تُبصِرُونَ فتعلَمُونَ أنِّي خيرٌ منه.

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

﴿فلولا أُلْقِيَ عليه أساوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ﴾ أي: فهَلَّا أُلقِيَ إليه مَقاليدُ الملكِ إنْ كانَ

(١) الرُّتَّة: اللثغة واللكنة، والعقلة في اللسان. «حاشية الخفاجي» (٧/ ٤٤٥).

(٢) في (أ): «للرياسة».

صادِقًا، إذ كانوا إذا سَوَّدُوا رَجُلًا سَوَّرُوهُ وطَوَّقوهُ بسوارٍ وطوقٍ مِن ذهبٍ، وأساورةٌ جمعُ إِسْوَارٍ بمعنى السوار على تَعويضِ التَّاءِ مِن ياءِ أَساوِيرَ وقَدْ قُرِئَ بِهِ[1]، وقرأ يعقوبُ وحَفصٌ ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ وهي جمعُ سِوَارٍ[2]، وقُرِئَ: (أساوِرُ)[3] جمع أَسْوِرَة، و(أَلْقَى عليه أَسْوِرَةً)[4]، و(أساوِرَ)[5][6] على البناءِ للفَاعلِ، وهو اللهُ تَعالى.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ مَقرونينَ يُعينُونَهُ أو يُصدِّقُونَه؛ مِن قَرَنْتُه بِهِ فاقترنَ، أو مُتقارِنينَ؛ مِن اقترنَ بمَعْنى تَقارَنَ.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ فطلَبَ مِنهُم الخفَّةَ في مُطاوعَتِه، أو فاستخفَّ أَحلامَهُم، ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما أمرَهُم به، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ فلذلك أطاعُوا ذلك الفاسقَ.

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونَا بالإفراطِ في العنادِ والعِصيانِ؛ منقولٌ مِن أَسِفَ:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦) عن أُبيٍّ وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦) عن الأعمش.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٩)، و«البحر» (١٩/ ٦٠٩)، عن الضحاك.

(٥) في (خ): «أساورة» وفي (ت): «أساوير».

(٦) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٤٦).

إذا اشتدَّ غَضبُه ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في اليَمِّ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ قُدوةً لِمَن بعدَهُم مِن الكُفَّارِ يَقتدونَ بهم في استحقاقِ مثلِ عِقابِهم، مَصدرٌ نُعِتَ به أو جمعُ سالفٍ كخَدَمٍ.

وقرأَ حَمزَةُ والكِسائيُّ بضَمِّ السِّينِ واللامِ[1] جمعُ سَلِيفٍ كرُغُفٍ، أو سالفٍ كصُبُرٍ، أو سَلَفٍ كخُشُبٍ.

وقُرِئَ (سُلَفًا) بإبدالِ ضَمَّةِ اللامِ فتحةً[2]، أو على أنَّهُ جمعُ سُلَفَةٍ؛ أي: ثُلَّةٍ سَلَفَتْ.

﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ وعِظَةً لَهُم، أو قِصَّةً عَجيبةً تسيرُ سَيْرَ[3] الأمثالِ لهم فيقالُ: مَثَلُكُم مثلُ قومِ فِرعونَ.

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أي: ضربَهُ ابنُ الزِّبَعْرَى لَمَّا جادلَ رسولَ اللهِ ﷺ في قولِه تَعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨][4]،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦) عن مجاهد وحميد، و«تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٤٦٣) عن علي وابن مسعود.

(٣) في (خ): «مسير».

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٩٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٦١) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، ولعله من روايات الكلبي عن أبي صالح فقد ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٨٩) عن الكلبي.

وروى نحوه من طريقٍ آخر حسنٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما الإمام أحمد في «مسنده» (٢٩١٨)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٤٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٦).

أو غيرُه[١] بأَنْ قالَ: النَّصارَى أهلُ كتابٍ وهُم يَعبدونَ عِيسى ويَزعمونَ أنَّه ابنُ اللهِ والملائكةُ أَوْلَى بذلك على قوله[٢] ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾، أو إنَّ مُحمَّدًا[٣] يريدُ أَنْ نَعبُدَهُ كما عُبِدَ المَسيحُ.

﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قُرَيشٌ، ﴿مِنْهُ﴾ مِن هذا المثلِ ﴿يَصِدُّونَ﴾ يَضِجُّونَ فرحًا لظَنِّهِم أنَّ الرَّسولَ صارَ مُلزَمًا به.

وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ والكِسائيُّ بالضَّمِّ مِن الصدودِ[٤]؛ أي: يصُدُّونَ عَن الحقِّ ويُعرِضونَ عنه.

وقيل: هُما لُغَتانِ نحو: يَعْكِفُ ويَعْكُفُ.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: آلِهَتُنا[٥] خيرٌ عِندَكَ أَمْ عيسى؛ فإنْ كانَ في النَّارِ فلتكُن آلِهَتُنا معَهُ.

أو: آلهَتُنا الملائكةُ خيرٌ أم عيسى؛ فإذا جازَ أَنْ يُعبَدَ ويكونَ ابنَ اللهِ كانَتْ آلِهَتُنا أَوْلى بذلك.

أو: آلهتُنا خيرٌ أَمْ مُحمَّدٌ فنعبدَهُ وندعَ آلِهتَنَا.

---

(١) «أو غيره» معطوف على «ابن الزبعرى».

(٢) «على قوله» عطف على «يزعمون» بتقدير: وهم يعبدون عيسى بناء على زعمهم أن عيسى ابن الله، وعلى ظاهر قوله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ١٢٥)

(٣) قوله: «أو أن محمداً» عطف على «النصارى»، و(إنَّ) فه مكسورة، كما قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٤٦).

(٤) أي: ﴿يصُدُّون﴾ انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٥) في (خ): «أي آآلهتنا».

وقرأ الكوفيُّونَ: ﴿ءَأَلِهَتُنَا﴾ بتحقيقِ الهمزتينِ وألفٍ بعدَهُما ويعقوب برواية روح[١].

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ ما ضَربُوا هذا المثلَ إلَّا لأجلِ الجدلِ والخُصومةِ لا لتَمييزِ الحقِّ مِن الباطلِ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شِدَادُ الخُصومَةِ حِراصٌ على اللَّجاجِ.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنُّبوَّةِ ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أمرًا عجيبًا كالمثلِ السَّائرِ لبَنِي إسرائيلَ، وهو كالجوابِ المُزِيحِ لتلكَ الشُّبهةِ.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ لولَّدْنَا مِنْكُم يا رجالُ كما وَلَّدْنا عيسى مِن غيرِ أَبٍ[٢]، أو لَجَعَلْنا بدلَكُم ﴿مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ ملائكةً يخلفونَكُم في الأرضِ، والمعنى:

---

(١) والقراءة دون استفهام ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٥٨٨) روايةً عن ورش في غير المشهور عنه، واتفق السبعة في المشهور عنهم على الاستفهام، مع تحقيق الكوفيين إياها وتسهيل بعضهم الهمزة بين بين، وانظر: «النشر» (١/ ٣٦٤ـ٣٦٥).

(٢) قوله: «لولدنا» يعني إنه تعالى بقدرته الباهرة يجوز أن يولد الملائكة من البشر كما ولد عيسى عليه السلام من غير أب فمن على هذا تبعيضية أو ابتدائية، أو المعنى: لحولنا بعضكم ملائكة فملائكة مفعول ثان أو حال، والمراد أن الملائكة مخلوقون مثلكم لا يصلحون للعبادة والذي خيل لكم اعتقادكم كونهم من غير توليد ولو شاء أوجدهم بالتوليد كما أوجدهم بالإبداع.
وقوله: «يا رجال» تفسير للضمير المخاطب في منكم وإشارة إلى أنه للذكور من غير تغليب، وأن المعنى أن في عظيم قدرته أن يخلق توليداً من الذكور بدون الإناث كما خلق من أنثى بلا ذكر عيسى عليه السلام ومن غير ذكر وأنثى آدم عليه الصلاة والسلام، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٤٧).

أنَّ حالَ عيسى وإن كانَتْ عجيبةً فإنَّه[1] تعالى قادِرٌ على ما هو أعجَبُ من ذلك، وأنَّ الملائكةَ مثلُكُم مِن حيثُ إنَّها ذواتٌ ممكِنَةٌ يحتملُ خلقُها توليدًا كما جازَ خلقُها إبداعًا، فمِنْ أينَ لَهُم استحقاقُ الألوهيَّةِ والانتسابُ إلى اللهِ سبحانَه؟!

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنَّ عِيسَى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ لأنَّ حدوثَهُ، أو نُزولَهُ مِن أَشراطِ السَّاعةِ يُعلَمُ به دُنوُّهَا، أو لأنَّ إحياءَهُ الموتى يَدُلُّ على قُدرَةِ اللهِ عليه.

وقُرِئَ: (لعَلَمٌ)[2]؛ أي: علامَةٌ، ولَذِكرٌ على تسميَةِ ما يُذكرُ به ذِكرًا.

وفي الحديثِ: «ينزلُ عيسى على ثَنِيَّةٍ بالأرضِ المُقدَّسةِ يقالُ لها أَفِيْق، وبيدِهِ حَرْبةٌ بها يقتُلُ الدَّجَّالَ، فيأتي بيتَ المَقدِسِ والنَّاسُ في صَلاةِ الصُّبحِ، فيَتأخَّرُ الإمامُ، فيُقدِّمُه عِيسى ويُصَلِّي خلفَهُ على شريعَةِ مُحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، ثمَّ يَقتُلُ الخنازيرَ ويكسِرُ الصَّليبَ ويخرِّبُ البِيَعَ والكَنائِسَ ويقتلُ النَّصارَى إلا مَنْ آمنَ به»[3].

---

(١) في (خ) و(ض): «فالله».

(٢) نسبت لابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك، كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٤٧٢)، وعزاها الهذلي في «الكامل» (ص: ٦٣٤) إلى ابن مقسم وابن محيصن وحميد.

(٣) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٣) دون راو ولا سند. وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٥٤): غريب بهذا اللفظ، وهو في «تفسير الثعلبي» هكذا من غير سند، وهو مفرق في غضون الأحاديث.

وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٨): أخرجه الثعلبي بغير سند، وهو موجود في أحاديث متفرقة، فقوله: «ثنية أفيق» عند الحاكم من حديث عثمان بن أبى العاص، وقوله «فيقتل الخنزير ويكسر الصليب» في الصحيح من حديث أبي هريرة. =

وقيل: الضَّميرُ للقُرآنِ؛ فإنَّ فيه الإعلامَ بالسَّاعةِ والدَّلالةَ عَليها.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تَشُكُّنَّ فيها ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ واتَّبِعوا هُدايَ، أو شَرْعي، أو رَسُولي.

وقيل: هو قولُ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ أُمِرَ أَنْ يقولَه.

﴿هَٰذَا﴾ الذي أَدْعوكُم إليهِ ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ لا يَضِلُّ سالِكُه ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ عَنِ المتابعةِ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بانَتْ(1) عَداوَتُه بأَنْ أَخرجَكُم مِن الجنَّةِ وعرَّضَكُم للبَلِيَّةِ.

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمُعجزاتِ، أو بآياتِ الإنجيلِ، أو بالشَّرائعِ الواضحاتِ.

﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: بالإنجيلِ، أو الشَّريعةِ، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو ما يكونُ مِن أمرِ الدِّينِ لا ما يَتعلَّقُ بأمرِ الدُّنيا؛ فإنَّ

= قلت: حديث عثمان بن أبي العاص رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٧٣)، ورواه (٨٥٠٧) من حديث حذيفة.

ونزوله والناس في صلاة الصبح رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وحديث: «فيقتل الخنزير ويكسر الصليب» رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، من حديث أبي هريرة.

(١) كذا في (ض)، وفي بقية النسخ: «ثابت» بالمثلثة وهو اسم من الثبوت، ومعنى «بانت عداوته»: ظهرت ورجحت، وكلتاهما جاءت في النسخ الخطية، كما أشار إليه الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٤٨).

الأنبياءَ لَمْ تُبعَثْ لِبَيانِه، ولذلك قالَ عليهِ السَّلامُ: «أنتُمْ أعلَمُ بأمرِ دُنياكُمْ».

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أبلغهُ عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بيانٌ لِمَا أمرَهُم بالطَّاعةِ فيه، وهو اعتقادُ التَّوحيدِ والتَّعبُّدِ بالشَّرائعِ.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الإشارةُ[1] إلى مجموعِ الأمرينِ وهو تتمَّةُ كلامِ عِيسى عليه السَّلامُ، أو استئنافٌ مِن (الله) يدلُّ على ما هو المقتضي للطَّاعةِ في ذلك.

قوله: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»:

أخرجَهُ [.......][2].

(٦٥ ـ ٦٧) ـ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ الفِرقُ المُتحزِّبَةُ ﴿مِن بَيْنِهِمْ﴾ مِن بينِ النَّصارَى، أو اليَهودُ والنَّصارَى مِن بين قومِه المبعوثِ إليهِمْ، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مِن المُتحزِّبينَ، ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هو يوم القِيامة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الضَّميرُ لقُريشٍ، أو للذينَ ظَلمُوا ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدلٌ مِن السَّاعةِ والمعنى: هل ينظرونَ إلَّا إتيانَ السَّاعةِ ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ غافلونَ عنها؛ لاشتِغالِهم بأمورِ الدُّنيا وإنكارِهم لها؟!

---

(١) في (خ): «إشارة».

(٢) كذا في النسخ بلا تعليق، والحديث رواه مسلم (٢٣٦٣) من حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما.

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ الأَحِبَّاءُ ﴿يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أي: يَتعادَوْنَ يومئذٍ؛ لانقطاعِ العُلَقِ لظُهورِ ما كانوا يَتخالُّونَ له سببًا للعَذابِ ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فإنَّ خُلَّتَهم لَمَّا كانَتْ في اللهِ تبقى نافعةً أبدَ الآبادِ.

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾.

﴿يا عبادي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ حكايةٌ لِمَا يُنادى بـه المتَّقونَ المتحابُّونَ في اللهِ يومئذٍ.

وقرأ ابنُ كثير وحمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ بغير الياء[1].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ صِفَةٌ للمُنادى، ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ حالٌ مِن الواوِ؛ أي: الذينَ آمَنوا مخلصينَ، غيرَ أنَّ هذه العبارةِ آكَدُ وأبلَغُ.

(٧٠ ـ ٧١) ـ ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ ﴾ نساؤُكم المؤمناتُ، ﴿تُحْبَرُونَ ﴾ تُسَرُّونَ سُرورًا يظهرُ حَبَارُه؛ أي: أثَرُه على وُجوهِكُم، أو تُزَيَّنُونَ مِن الحِبْرِ[2] وهو حُسْنُ الوجهِ والهيئةِ[3]، أو تُكرَمُونَ إكرامًا يُبالَغُ فيه، والحَبْرَةُ المُبالغَةُ فيما وُصِفَ بجَميلٍ[4].

(١) «وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء» من (خ) و(ت)؛ أي: ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾، انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٢) الحبر: بكسر الحاء وفتحها.

(٣) في (أ) و(ض): «حسن الهيئة».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤١٩).

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الصِّحافُ جمعُ: صَحْفَةٍ، والأكوابُ جمعُ كوبٍ، وهو كوزٌ لا عُرْوَةَ له.

﴿وَفِيهَا﴾ وفي[1] الجنَّةِ، ﴿مَا﴾ به ﴿تَشْتَهِي الأنفُسُ﴾ وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وحفصٌ ﴿تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾[2] على الأصلِ.

﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ بمُشاهَدَتِه، وذلك تَعميمٌ بعد تخصيصِ ما يعدُّ مِن الزَّوائدِ في التَّنعُّمِ والتَّلذُّذِ.

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فإنَّ كلَّ نعيمٍ زائلٌ مَشوبٌ بكُلْفةِ[3] الحفظِ وخوفِ الزَّوالِ، ومُستَعقَبٌ للتَّحسُّرِ في ثاني الحالِ[4].

(٧٢ - ٧٣) - ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقُرِئَ: (وُرِّثتُموها)[5] شَبَّهَ

---

(١) في (ت): «أي في».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٣) في (أ) و(خ): «موجب لكلفة»، وفي (ت): «موجب لكلفته».

(٤) قوله: (فإن كل نعيم زائل) أي غير نعيم أهل الجنة وليس المراد ما يشمله وزواله بمعنى ذهاب بعض أفراده بتجدد الأمثال كما يوجه به وقوله:

وكل نعيم لا محالة زائل

إن لم يخصص وهذا بيان لخطابهم بقوله: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فإنه تأكيد لقوله ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ وثاني الحال ما يعقبه ولله در القائل:

وإذا نظرت فإن بؤساً زائلاً ... للمرء خير من نعيم زائل

قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٤٩).

(٥) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٥٧).

جزاءَ العملِ بالميراثِ؛ لأنَّه يخلُفُهُ عليه[١] العاملُ، و﴿تلكَ﴾ إشارةٌ[٢] إلى الجنَّةِ المَذكورةِ وقَعَتْ مُبتدأً و﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ خبرُها و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ صِفتُها، أو ﴿تلك﴾ مُبتدأٌ و﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ صِفتُها[٣] و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ خبرُها، أو صِفةُ الجنَّةِ والخبرُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وعليه يتعلَّقُ الباءُ بمَحذوفٍ لا بـ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ بعضَها تأكلونَ لِكَثرتِها ودَوامِ نَوعِهَا، ولعلَّ تفصيلَ[٤] التَّنعُّمِ بالمَطاعمِ والملابسِ وتكريرَهُ في القرآنِ، وهو حقيرٌ بالإضافةِ إلى سائرِ نَعائمِ الجنَّةِ؛ لِمَا كانَ بهم مِن الشِّدَّةِ والفاقةِ.

(٧٤ ـ ٧٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكاملينَ في الإجرامِ وهم الكُفَّارُ؛ لأنَّه جُعِلَ قسيمَ المؤمنينَ بالآياتِ، وحكى عنهم ما يخصُّ بالكُفَّارِ ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾ أو ﴿خَٰلِدُونَ﴾ خبرٌ، والظَّرفُ مُتعلِّقٌ به.

---

(١) في (ض): «على»، ووجهه: يخلفه مضارع خلفه: إذا صار خليفة له والعامل فاعله وضمير يخلفه للعمل وضمير عليه للجزاء؛ أي: يخلفه ثابتاً ومستولياً على ما ناله من جزائه بفضل الله تعالى وتوفيقه، قاله الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٤٩).

(٢) في (ت): «الإشارة».

(٣) في كل النسخ عدا (أ): «والتي أورثتموها صفتها، أو الجنة صفة تلك».

(٤) في (ت): «تفصيله».

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يُخفَّفُ عنهم، مِن فَترت عنهُ الحُمَّى: إذا سَكَنَتْ قليلًا، والتَّركيبُ للضَّعفِ[1].

﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ في العَذابِ ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيِسُونَ مِن النَّجاةِ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ مرَّ مِثلُهُ غيرَ مَرَّةٍ، و﴿هُمْ﴾ فصلٌ.

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ وقُرِئَ: (يا مال) عَلى التَّرخيمِ مَكسورًا ومَضمُومًا[2]، ولعلَّهُ إِشعارٌ بأنَّهُم لضَعْفِهم لا يَستَطِيعونَ تَأدِيَةَ اللفظِ بالتَّمامِ، ولذلك اختصَرُوا فقالوا: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ والمعنى: سَلْ رَبَّك[3] أَنْ يَقْضِيَ علينا، مِن قَضى عليه: إذا أماتَهُ، وهو لا يُنافي إبلاسَهُم فإنَّهُ جُؤارٌ وتَمَنٍّ للموتِ مِن فرطِ الشِّدَّةِ.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ لا خلاصَ لَكُم بموتٍ ولا غيرِه، ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾ بالإرسالِ والإنزالِ، وهو تتمَّةُ الجَوابِ إن كان في ﴿قَالَ﴾ ضَميرُ اللهِ، وإلَّا فجوابٌ مِنْه، فكأنَّه[4] تَعالى: تَوَلَّى جوابَهُم بعدَ جوابِ المالكِ.

---

(١) قوله: «والتركيب»؛ أي: مادته بأي صيغة كانت تدل على الضعف مطلقاً، ففترة الحمى ضعف في ألمها، وكذا العذاب وفتور القوى وغيره. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي» (٧/ ٤٥٠).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦ ـ ١٣٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٧)، وقراءة الكسر نسبت لعلي وابن مسعود رضي الله عنهما، وقراءة الضم نسبت لأبي السرار الغنوي.

(٣) في كل النسخ عدا (أ): «ربنا».

(٤) في (ت) و(ض): «وكأنه».

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ لِمَا في اتِّباعِه مِن إتعابِ النَّفسِ وإدْآبِ الجَوارحِ.

(٧٩ ـ ٨٠) ـ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ في تكذيبِ الحَقِّ ورَدِّهِ ولم يَقتَصِرُوا على كراهَتِه[1]، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أمرًا في مُجازاتِهِم، والعُدولُ مِن الخطابِ للإشعارِ بأنَّ ذلك أسوَأُ مِن كراهِيَّتِهِم، أو أم أَحْكَمَ المشركونَ أَمْرًا مِن كيدِهِم بالرَّسولِ؟!

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدَنا بِهِم، ويُؤَيِّدُه قولُه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ حديثَ نَفسِهِم[2] بذلك، ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ وتَناجِيهِمْ ﴿بَلَىٰ﴾ نسمَعُهما، ﴿وَرُسُلُنَا﴾ والحفظَةُ مع ذلك ﴿لَدَيْهِمْ﴾ ملازِمونَ لهم[3] ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

(٨١) ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ مِنْكُم؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يكونُ أعلمَ باللهِ وبما يَصِحُّ له وما لا يَصِحُّ، وأَوْلى بتَعظيمِ ما يُوجِبُ تعظيمُه[4] تعظيمَهُ، ومِن تَعظيمِ الوالدِ تعظيمُ ولدِهِ، ولا يلزمُ مِن ذلك صِحَّةُ كينونَةِ الولدِ وعِبادتِه له، إذ المحالُ قد يَستلزِمُ المحالَ، بل المرادُ نَفيُهُما على أبلَغِ الوُجوهِ كقولِه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ غيرَ أنَّ (لو) ثَمَّ مُشعِرَةٌ بانتفاءِ الطَّرفينِ، و(إنْ) هاهنا

---

(١) في (خ) و(ض): «كراهيته».

(٢) في (خ): «أنفسهم».

(٣) (أ) و(ت): «تلازم لهم»، وفي (ت): «ملازموهم».

(٤) «تعظيمُه»: من (ض).

لا تُشعِرُ به ولا بنَقيضِهِ[١]، فإنَّها لِمُجرَّدِ[٢] الشَّرطيَّةِ، بل الانتفاءُ مَعلولٌ[٣] لانتفاءِ اللازمِ الدَّالِّ على انتفاءِ مَلزومِهِ، والدَّلالةُ على أنَّ إنكارَهُ للولدِ ليسَ لِعنادٍ ومِراءٍ بل لو كانَ لكانَ أَوْلَى النَّاسِ بالاعترافِ بهِ.

وقيل: معناهُ: إن كانَ لهُ وَلَدٌ في زَعمِكُم فأنا أوَّلُ العابدينَ للهِ الموحِّدِينَ له، أو الآنِفينَ مِنْهُ، أو مِن أَنْ يكونَ لَهُ وَلَدٌ؛ مِن عَبِدَ يَعْبَدُ: إذا اشتدَّ أَنَفُه، أو ما كانَ له ولدٌ فأنَا أوَّلُ المُوحِّدينَ مِن أهلِ مَكَّةَ.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿وُلْدٌ﴾ بالضَّمِّ وسكون اللام[٤].

(٨٢-٨٣)- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٨٢ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

---

(١) في (ت) زيادة هنا ليست في بقية النسخ وهي: «وصح ببرهان فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك بتعظيم أبيه، وهو كلام وارد على نيل الغرض».

(٢) في (ت): «بمجرد».

(٣) في (ت) و(ض): «معلوم» بدل «معلول»، وكلتاهما في النسخ كما أشار إليه الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٤٥٣)، حيث قال: قوله: «بل الانتفاء معلول لانتفاء اللازم» إشارة إلى طريقه البرهاني، والمراد باللازم: عبادته للولد، وهو مقتضٍ لنفي نفسه كفرد من الأربعة، وهذا الانتفاء الذي يقتضيه ذات اللازم المنفي كما يشير إليه قوله: «معلول لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه» وهو كينونة الولد هكذا ينبغي أن يقرر كلامه على ما وقع في أكثر النسخ، ووقع في بعضها: «بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم»؛ أي: انتفاء كينونة الولد معلوم من انتفاء اللازم؛ أي عبادته ﷺ في نفسه، وإن لم تشعر به (إن)، وهو كاف في الاستدلال.

(٤) انظر: «التيسير» (ص: ١٤٩).

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عَن كونِه ذا ولدٍ فإنَّ هذه الأجسامَ لكونِها أُصولًا ذات[1] استمرارٍ تبرَّأَتْ عمَّا يَتَّصِفُ به سائرُ الأجسامِ مِن تَوليدِ المثلِ، فمَا ظنُّكَ بمُبدِعِها وخالِقِها؟!

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلِهم[2]، ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دُنياهُم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي القيامةَ، وهو دلالةٌ على أنَّ قولَهُم هذا جهلٌ واتِّباعُ هَوى، وأنَّهم[3] مَطبوعٌ على قلوبِهم مُعذَّبونَ في الآخرةِ.

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ مُستحِقٌّ لأن يُعبدَ فيهما، والظَّرفُ مُتعلِّقٌ به لأنَّه بمَعنى المَعبودِ، أو مُتضمِّنٌ معناهُ؛ كقولِك: هو حاتِمٌ في البَلَدِ، وكذا فيمَنْ قرأَ (الله)[4]، والرَّاجِعُ مُبتدأٌ محذوفٌ لطُولِ الصِّلَةِ بمُتعلِّقِ الخبرِ والعطفِ عليهِ، ولا يجوزُ جَعْلُه خبَرًا له لأنَّه لا يبقى عائدٌ، لكن لو جُعِلَ صِلَةً وقُدِّرَ لـ(إلهُ) مُبتدأٌ محذوفٌ يكونُ به جملةً مبينةً للصِّلَةِ دالَّةً على أنَّ

---

(١) في (ت): «ذوات».

(٢) في (خ): «في أباطيلهم».

(٣) في (ت): «فإنهم».

(٤) أي: (وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله)، ونسبت لعمر وعلي وابن مسعود وأبي رضي الله عنهم، ويحيى بن يعمر واليماني وابن محيصن وحميد وابن مقسم، انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٨١)، و«معاني القرآن» له (٦/ ٣٨٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٧)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٣٤).

كونَهُ في السَّماءِ بمَعنى الأُلوهيَّةِ دونَ الاستقرارِ، وفيه نفيُ الآلهةِ السَّماويَّةِ والأرضيَّةِ واختصاصُهُ باستحقاقِ الأُلوهيَّةِ[١] ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ كالدَّليلِ عليه.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ كالهواءِ.

﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ العِلمُ بالسَّاعةِ التي تقومُ القيامَةُ فيها.

﴿وإليهِ يُرجَعُونَ﴾ للجزاءِ.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو عمرٍو وعاصمٌ ورَوْحٌ بالتَّاءِ[٢] على الالتفاتِ للتَّهديدِ.

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ كما زَعمُوا أنَّهم شُفعاؤهُم عندَ اللهِ.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ بالتَّوحيدِ، والاستثناءُ مُتَّصِلٌ إنْ أُرِيدَ بالمَوصولِ كلُّ ما عُبِدَ مِن دونِ اللهِ لاندِرَاجِ المَلائكةِ والمسيحِ فيه، ومُنفَصِلٌ إن خُصَّ بالأَصنامِ.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ﴾ سألتَ العابِدينَ أو المعبودينَ.

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لتعذُّرِ المُكابرَةِ فيه مِن فَرْطِ ظُهورِهِ.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ يُصرَفُونَ مِن عِبادَتِه إلى عِبادَةِ غَيرِه.

---

(١) في (ت): «الآلهة».

(٢) قراءة روح بفتح التاء، والباقين بضمها، وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧)، و«النشر» (٢/ ٣٧٠).

(٨٨ ـ ٨٩) ـ ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وقيلَهُ﴾ وقولَ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ، ونصبُه للعَطفِ على ﴿سِرَّهُمْ﴾، أو على محلِّ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، أو لإضمارِ فعلِهِ؛ أي: وقالَ قيلَهُ.

وجرَّهُ عاصِمٌ وحمزةُ[1] عطفًا على ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[2] على أنَّه مُبتدأٌ خبرُه: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، أو مَعطوفٌ على ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ بتقديرِ مُضافٍ.

وقيل: هو قَسَمٌ مَنصوبٌ بحَذفِ الجارِّ، أو مَجرورٌ بإضمارِهِ، أو مَرفوعٌ بتَقديرِ: وقيلُهُ يا رَبِّ قَسَمِي و﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ جوابُه.

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فأعرِضْ عَن دَعْوَتِهم آيِسًا عَن إيمانِهم.

﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ تَسَلُّمٌ مِنكُم[3] ومُتارَكَةٌ.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تسليةٌ للرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ وتَهديدٌ لهم.

وقرأ نافِعٌ وابنُ عامرٍ بالتَّاءِ على أنَّه مِن المأمورِ بقولِه[4].

---

(١) وقراءة الباقين بالنصب، انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٢) وهي قراءة أبي قلابة والحسن وقتادة كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٢١).

(٣) في (ت): «منهم».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

عَن النَّبيِّ ﷺ «مَن قرَأَ سورةَ الزُّخْرُفِ كانَ ممَّنْ يُقالُ لهُ يومَ القيامةِ: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[1]».

قوله: «مَن قرَأَ سورةَ الزُّخرُفِ...» إلى آخره:

مَوضوعٌ[2].

* * *

(١) في (خ) زيادة: «ادخلوا الجنة بغير حساب».

(٢) قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

سُورَةُ الدُّخَانِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

مَكِّيَّةٌ، إلَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ الآيةَ، وهي سبعٌ أو تسعٌ وخمسونَ آيةً[1].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ القرآنِ[2]، والواوُ للعطفِ إن كانَ ﴿حمٓ﴾ مُقسَمًا بها[3]، وإلَّا فللقسمِ، والجوابُ قولُه:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ في ليلةِ القدرِ[4]، أو البراءةِ، ابتُدِئَ[5] فيها إنزالُهُ،

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٥) وفيه: «وهي خمسون وتسع آيات في الكوفي، وسبع في البَصريّ، وست في عدد الباقين، اختلافها أربع آيات...».

(٢) في (ض): «والقرآن».

(٣) في (خ): «به».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥ ـ ٦) عن قتادة وابن زيد، وهو قول ابن عباس فيما رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٠٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٧٨) وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٨٨). قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٨٧): وهو قول الأكثرين.

(٥) في (خ) و(ض): «ابتدأ».

أو أُنزلَ فيها جملةً إلى سماءِ الدُّنيا مِن اللوحِ، ثمَّ أُنزلَ على الرَّسولِ ﷺ نجومًا، وبركتُها لذلك؛ فإنَّ نُزولَ القرآنِ سببٌ للمَنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، أو لِمَا فيها مِن نُزولِ الملائكةِ والرَّحمةِ وإجابةِ الدَّعوةِ وقسمِ النِّعمَةِ وفصلِ الأقضيَةِ.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ استئنافٌ يُبيِّنُ المقتضي للإنزالِ، وكذلك قولُه:

(٤ ـ ٦) ـ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ فإنَّ كونَها مفرقَ الأمورِ المحكمةِ أو المُلتبسةِ بالحكمةِ يَستدعي أَنْ يُنزلَ فيها القرآنُ الذي هو مِن عَظائِمِها، ويجوزُ أن يكون صِفَةَ ﴿لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ، وهو يدلُّ على أنَّ الليلةَ ليلةُ القَدرِ لأنَّه صِفتُها لقولِه[١]: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.

وقُرِئَ (يُفرَّقُ) بالتَّشديدِ[٢]، و(يَفرُقُ كُلَّ) أي: يفرقُه اللهُ[٣]، و(نَفْرقُ) بالنُّونِ[٤].

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أي: أعني بهذا الأمرِ أمرًا حاصِلًا مِن عندنا على مُقتضى حِكمَتِنا، وهو مزيدُ تَفخيمٍ للأَمرِ.

---

(١) في (خ) و(ت): «كقوله».

(٢) نسبت للحسن ولزائدة عن الأعمش، انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٣٥)، و«البحر» (١٩/ ١٣٦).

(٣) نسبت للحسن والأعرج والأعمش، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٨)، و«البحر» (١٩/ ١٣٦).

(٤) نسبت لزيد بن علي، انظر: «الكشاف» (٨/ ١٧٤)، ونقلها عنه أبو حيان في «البحر» (١٩/ ١٣٦)، ثم قال: وفيما ذكر أبو علي الأهوازي عنه أي عن زيد بن علي: بفتح الياء وكسر الراء ونصب (كلَّ) ورفع (حكيمٌ) على أنه الفاعل بـ(يَفرِقُ).

ويجوزُ أن يكونَ حالًا مِن ﴿كُلُّ﴾ أو ﴿أَمْرٍ﴾ أو ضَميرِهِ المُستكنِّ في ﴿حَكِيمٍ﴾ لأنَّه مَوصوفٌ، وأن يرادَ به مقابلُ النَّهيِ وقعَ مصدرًا لـ﴿يُفْرَقُ﴾، أو لفعلِهِ مُضمَرًا مِن حيثُ إنَّ الفرقَ به، أو حالًا مِن أحدِ ضَميرَيْ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ بمعنى: آمرينَ أو مَأمُورًا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ بدلٌ مِن ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: إنَّا أنزلنا القُرآنَ لأنَّ مِن عادَتِنا إرسالَ الرُّسُلِ بالكتبِ إلى العبادِ لأجلِ الرَّحمةِ عليهِمْ.

ووضعُ الربِّ مَوضِعَ الضَّميرِ؛ للإشعارِ بأنَّ الرُّبوبيَّةَ اقتضَتْ ذلك، فإنَّه أعظَمُ أنواعِ التَّربيَةِ، أو عِلَّةٌ لـ﴿يُفْرَقُ﴾، أو ﴿أَمْرًا﴾ و﴿رَحْمَةً﴾ مفعولٌ بهِ؛ أي: يُفصَّلُ[1] فيها كلُّ أمرٍ، أو تصدرُ الأوامرُ من عندِنَا؛ لأنَّ مِن شأنِنا أن نرسِلَ رحمتَنا، فإنَّ فصلَ كلِّ أمرٍ مِن قسمةِ الأرزاقِ وغيرِها، وصدورَ الأوامرِ الإلهيَّةِ مِن بابِ الرَّحمةِ.

وقُرِئَ: (رحمةٌ)[2] على: تلكَ رَحمةٌ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يسمعُ أقوالَ العبادِ ويعلَمُ أحوالَهُم وهو بما بعدَهُ تحقيقٌ لرُبوبيَّتِه وأنَّها لا تَحِقُّ إلَّا لِمَن هذه صِفاتُه.

(٧ ـ ٩) ـ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿ربُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ خبرٌ آخرُ، أو استئنافٌ[3].

---

(١) في (ت): «مفصل».

(٢) نسبت للحسن، انظر: «الكشاف» (٨/ ١٧٦)، و«البحر» (١٩/ ١٣٧) وزاد نسبتها لزيد بن علي.

(٣) في هامش (أ): على حذف المبتدأ.

وقرأ الكوفيُّونَ بالجرِّ بدلًا مِن ﴿رَّبِّكَ﴾[1].

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كنتُمْ مِن أهلِ الإيقانِ في العلومِ.

أو: إِنْ كُنْتُم موقنينَ في إقرارِكُم إذا سُئِلْتُم: مَن خلقَها؟ فقلتم: الله، عَلِمْتُم أنَّ الأمرَ كما قلنا.

أو: إنْ كُنْتُم مُريدينَ اليقينَ فاعلَمُوا ذلكَ.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا خالقَ سِواهُ ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ كما تشاهدونَ ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قُرِئَا بالجرِّ بَدلًا[2].

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ردٌّ لكونِهم موقنينَ.

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتَظِرْ لهم، ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يومَ شدَّةٍ ومَجاعةٍ؛ فإنَّ الجائعَ يرى بينَهُ وبين السَّماءِ كهيئةِ الدُّخانِ مِن ضعفِ بَصرِهِ.

أو: لأنَّ الهواءَ يُظلِمُ عامَ القَحطِ لقِلَّةِ الأمطارِ وكثرةِ الغُبارِ.

أو: لأنَّ العربَ تُسَمِّي الشَّرَّ الغالبَ دُخانًا، وقد قَحطُوا حتَّى أكلُوا جِيَفَ الكلابِ وعِظامَها، وإسنادُ الإتيانِ إلى السَّماءِ لأنَّ ذلك يكفُّهُ عَن الأمطارِ.

---

(١) وقراءة الباقون بالرفع، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٢) نسبت لابن محيصن وابن أبي إسحاق والكسائي في غير المشهور عنه، وقراءة الجمهور بالرفع، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٨).

أو: يومَ ظُهورِ الدُّخانِ المَعدودِ في أشراطِ السَّاعةِ؛ لِمَا رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا قال: «أوَّلُ الآياتِ الدُّخانُ[1]، ونزولُ عيسى عليهِ السَّلامُ، ونارٌ تخرجُ مِن قعرِ عدن أَبينَ تَسوقُ النَّاسَ إلى المحشرِ» قيل: وما الدُّخانُ؟ فتَلا رسولُ اللهِ ﷺ الآيةَ وقال: «يملأُ ما بينَ المشرقِ والمَغربِ يمكثُ أربعينَ يَوْمًا وليلةً، أمَّا المؤمنُ فيصيبُهُ كهيئةِ الزُّكامِ، وأمَّا الكافِرُ فهوَ كالسَّكرانِ يخرجُ مِن مَنْخِرِهِ وأُذُنيهِ ودبرِهِ».

أو: يومَ القيامةِ، والدُّخانُ يحتملُ المعنيينِ.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ يحيطُ بهم، صِفةٌ للدُّخانِ وقولِه: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قوله: «أوَّلُ الآياتِ الدَّجَّالُ ونُزولُ عِيسى..» الحديث:

أخرجَه ابنُ جَريرٍ والثَّعلبيُّ والبَغويُّ مِن حَديثِ حُذيفةَ[2].

---

(١) في (ض): «الدجال»، وفي الهامش: في نسخة: «الدخان»، والذي في (ض) هو الموافق للطبري.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩ ـ ٢٠) قال: حدثني عصام بن روَّاد بن الجراح، قال: ثني أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن رِبْعِيِّ بن حرَاش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: «أوَّلُ الآيات الدَّجالُ...»، ومن طريق الطبري رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠)، وقد نبه الطبري إلى ضعفه فقال: وإنما لم أشهد له بالصحة لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني أنه سأل روَّاداً عن هذا الحديث: هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، فقلت له: فقرأته عليه؟ فقال: لا، فقلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر فأَقرَّ به؟ فقال: لا، فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا، فقرؤوه عليّ، ثم ذهبوا فحدّثوا به عني، أو كما قال؛ فلمَا ذكرتُ من ذلك لم أشهد له بالصحة.

قلت: ولكن يشهد له حديث حذيفةَ بنِ أَسِيدِ الغِفاريِّ عند مسلم (٢٩٠١)، قال: اطَّلَعَ النَّبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكرُ، فقال: «ما تَذَاكَرُون؟» قالوا: نَذْكرُ السَّاعةَ، قال: «إنها لن تقومَ حتى ترون قَبْلَها عشرَ آياتٍ» فذَكَر الدُّخانَ، والدَّجَّالَ، والدابَّةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى ابنِ مريمَ =

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مقدرٌ بقولٍ وقعَ حالًا، و﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ وعدٌ بالإيمانِ إن كُشِفَ العذابُ عنهم.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ مِن أينَ لَهُم وكيفَ يَتذكَّرُونَ بهذه الحالِ.

﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ بيَّنَ لهم ما هـو أعظَمُ منها في إيجابِ الإذكارِ[1] مِن الآياتِ والمُعجِزَاتِ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي: قالَ بَعضُهُم: يُعَلِّمُه غلامٌ أعجميٌّ لبعضِ ثَقيفٍ، وقال آخرونَ: إنَّه مَجنونٌ.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ بدُعاءِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ فإنَّه دعا فرُفِعَ القحطُ.

﴿قَلِيلًا﴾ كَشفاً قليلًا أو زمانًا قليلًا وهو ما بقي مِن أعمارِهِم.

﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى الكفرِ غِبَّ[2] الكشفِ، ومَن فسَّرَ الدُّخانَ بما هو مِن الأشراطِ

= ﷺ، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثة خسوفٍ: خَسْفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، وآخِرُ ذلك نارٌ تخرجُ من اليمن، تطردُ الناسَ إلى مَحشَرهم».

(١) في (ض): «الادِّكار».

(٢) في (خ): «عقيب».

قال: إذا جاءَ الدُّخانُ غوَّثَ الكفَّارُ بالدُّعاءِ فيكشفه اللهُ عَنْهُم بعدَ الأربعينَ[1]، فريْثما يكشفُهُ عنهم يرتدُّونَ، ومَن فسَّرَه بما في القِيَامةِ أوَّلَه بالشَّرطِ والتَّقديرِ.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يومَ القيامةِ، أو يومَ بدرٍ، ظرفٌ لفعلٍ دلَّ عليه ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ لا لـ﴿مُنتَقِمُونَ﴾؛ فإنَّ (إنَّ) تحجزُهُ عنه، أو بدلٌ مِن ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾.

وقُرِئَ: ﴿نَبْطُشُ﴾[2] أي[3]: نجعَلُ البطشَةَ الكبرى باطشةً بهم، أو نَحمِلُ الملائكةَ على بطشِهِم، وهو التَّناولُ بصَوْلَةٍ.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ امتحنَّاهُم بإرسالِ موسى إليهِمْ، أو أوْقعناهُم في الفتنةِ بالإمهالِ وتوسيعِ الرِّزقِ عليهِم.

وقُرِئَ بالتَّشديدِ للتَّأكيدِ أو لكثرةِ القومِ[4].

﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على اللهِ، أو على المؤمنينَ، أو في نفسِهِ لشَرَفِ نَسبِهِ وفضلِ حَسَبِهِ.

---

(١) في (خ): «بعد أربعين خريفاً» وفي (ض): «بعد أربعين».

(٢) هي قراءة أبي جعفر من العشرة، انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٤)، وقرأ الحسن كما ضبطت في (ض): (نُبطِشُ) بضم النون، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٠)، ووقع في مطبوع «المختصر»: (يُبْطِشُ) بالياء.

(٣) في (خ): «بأن».

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٨١)، و«البحر» (١٩/ ١٤٢) من غير نسبة.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ بأَنْ أَدُّوهم إليَّ وأرسِلُوهُم مَعي، أو بأَنْ أدُّوا إليَّ حقَّ اللهِ مِن الإيمانِ وقبولِ الدَّعوةِ يا عبادَ اللهِ، ويجوزُ أَنْ تكونَ (أن) مُخفَّفةً ومُفسِّرةً؛ لأنَّ مجيءَ الرَّسولِ يكونُ برسالةٍ ودعوةٍ.

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ غيرُ مُتَّهمٍ لدلالةِ المُعجزاتِ على صدقِهِ، أو لائتمانِ اللهِ إيَّاه على وَحيِهِ وهو عِلَّةُ الأمرِ.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تتكبَّرُوا عليه بالاستهانةِ بوَحيِهِ ورسولِه، و(أَنْ) كالأولى في وجوهِهَا.

﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ عِلَّةٌ للنَّهيِ[1]، ولِذِكرِ الأمينِ مع الأداءِ، والسُّلطانِ مع العلاءِ = شأنٌ لا يَخفَى.

﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ﴾ التَجأتُ إليه وتوكَّلْتُ عليه ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ أَنْ تُؤذوني ضَرْبًا أو شَتْمًا، أو أن تَقتلوني.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿عُتُّ﴾ بالإدغامِ[2].

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾.

---

(١) في كل النسخ عدا (خ): «النهي» بدل: «للنهي».

(٢) وقراءة الباقين دون إدغام، انظر: «التيسير» (ص: ٤٤).

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ فكونُوا بمَعزلٍ مِنِّي لا عليَّ ولا لي ولا تتعرَّضُوا لي بسُوءٍ؛ فإنَّه ليسَ جزاءُ مَن دَعاكُم إلى ما فيهِ فلاحُكُم.

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ ﴾ بعدَما كذَّبوه ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بأنَّ هؤلاءِ ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ وهو تَعريضٌ بالدُّعاءِ عليهِمْ بذكرِ ما استوجَبُوهُ[1] به، ولذلك سمَّاهُ دعاءً.

وقُرِئَ بالكسرِ[2] على إضمارِ القولِ.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾.

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ أي: فقالَ أَسرِ، أو قال: إنْ كانَ الأمرُ كذلك فأَسْرِ.

وقرأَ الحِرْمِيَّان بوَصلِ الهمزةِ مِن سَرى[3].

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكُمْ فِرعونُ وجُنودُهُ إذا عَلِمُوا بخُروجِكُم.

﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ مَفْتوحًا ذا فجوةٍ واسِعَةٍ، أو ساكنًا على هيئَتِه بعدَما جاوزْتَه، ولا تضربْهُ بعصاكَ، ولا تغيِّرْ منه شيئًا ليدخلَهُ القِبطُ.

---

(١) في (خ): «ما استوجبوا».

(٢) أي: (إن هؤلاء)، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٨) عن عيسى والحسن وابن أبي إسحاق.

(٣) قرأ بالوصل الحِرميان وهما نافع وابن كثير كما سماهما في النسخة (ت)، وكذا قرأ أبو جعفر بالوصل وجاء في (أ): «وقرأ أبو عمرو» بدل «الحرميان» وهو خطأ، إذ قراءة أبي عمرو هنا بالقطع كالباقي، والباقون بالقطع، انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥)، و«النشر» (٢/ ٢٩٠).

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وقُرِئَ بالفَتحِ[١] بمَعْنى: لأَنَّهم.

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾.

﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ كثيرًا تركوا ﴿مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ محافلَ مُزيَّنةٍ ومَنازِلَ حسنةٍ ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ وتنعم ﴿كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ مُتنعِّمين، وقُرِئَ: ﴿فكِهِينَ﴾[٢].

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الإخراجِ أخرَجْناهُم منها، أو الأمرُ كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ عطفٌ على الفعلِ المُقدَّرِ، أو على ﴿تَرَكُوا﴾.

﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ ليسُوا مِنْهُم في شيءٍ وهُمْ بنو إِسرائيلَ.

وقيل: غيرُهُم لأَنَّهم لم يَعُودوا إلى مِصرَ.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ مجازٌ عَن عدمِ الاكتراثِ بهَلاكِهِم والاعتدادِ بوُجودِهِم كقولِهِم: بَكَتْ عليهم[٣] السَّماءُ وكسفَتْ لمَهْلِكِهم[٤] الشَّمسُ في نقيضِ ذلك، ومنه ما رُوِيَ[٥] في الأخبارِ: إنَّ المؤمنَ ليَبكي عليه مُصَلَّاه ومحلُّ عِبادَتِه ومَصعَدُ عملِه ومَهبِطُ رزقِه.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٨٥).

(٢) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٣) في (ض): «عليه».

(٤) في (خ): «بمهلكهم» وفي (ض): «المهلكه».

(٥) في (ض): «ما رووا».

وقيل: تقديرُهُ: فما بكَتْ عليهم أهلُ السَّماءِ والأرضِ.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ مُمهَلِينَ إلى وقتٍ آخرَ.

قوله: «رُوِيَ في الأخبارِ: أنَّ المؤمنَ لَيَبكي عليهِ مُصلَّاه ومَوضِعُ عِبادَتِه ومصعَدُ عملِه ومَهبطُ رزقِه»:

رَوى التِّرمذيُّ عَن أنسٍ قال: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «ما مِن عَبدٍ إلَّا ولَهُ في السَّماءِ بابان: بابٌ يصعَدُ منه عَمَلُه وبابٌ ينزِلُ منه رِزقُه، فإذا ماتَ فَقَداهُ وَبَكَيا»[١].

وروى ابنُ جَريرٍ والبَيهقيُّ في «شعب الإيمان» عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه سُئِلَ عَن قولِه تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ هَل تَبكي السَّماءُ والأرضُ على أحدٍ؟ قال: «نعم، إنَّه ليسَ أحدٌ مِن الخلائقِ إلَّا له بابٌ في السَّماءِ منه ينزِلُ رزقُه وفيهِ يَصعَدُ عملُه، فإذا ماتَ المؤمنُ فأُغلِقَ بابُه في السَّماءِ فقدَهُ فبكَى عليهِ، وإذا فقَدَ مُصلَّاه مِن الأرضِ التي كان يُصَلِّي فيها ويذكرُ اللهَ فيها بكَتْ عليه»[٢].

(٣٠ - ٣١) - ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ مِن استعبادِ فِرْعَونَ وقتلِهِ أبناءَهُم، وقُرِئَ بالإضافةِ على أنَّ المرادَ بالمُهينِ: فرعون[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٥)، من طريق موسى بن عبيدة، عن يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: موسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يُضعَّفان في الحديث.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠١٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤١)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿مِن فِرۡعَوۡنَ﴾ بدلٌ مِن العذابِ على حذفِ المضافِ، أو جعلِه عذابًا لإفراطِه في التَّعذيبِ، أو حالٌ مِن المُهينِ بمَعْنى: واقعًا مِن جِهَتِه.

وقُرِئَ: (مَن فِرْعَوْنُ)(١) على الاستفهامِ؛ تَنكيرًا له لنُكرِ ما كانَ عليه مِن الشَّيطنَةِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ مُتكبرًا ﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ في العتوِّ والشَّرارةِ(٢)، وهو خبرٌ ثانٍ أي: كان مُتكبِّرًا مُسرِفًا، أو حالٌ مِن الضَّميرِ في عاليًا؛ أي: كان رفيعَ الطَّبقةِ مِن بينِهم.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾ اختَرْنا بني إسرائيلَ ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ عالِمينَ بأنَّهم أحقَّاءُ بذلك، أو مع علمٍ مِنَّا بأنَّهم يَزيغونَ في بعضِ الأحوالِ ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لكثرةِ الأنبياءِ فيهم، أو على عالَمِي زَمانِهم.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ كفَلْقِ البَحرِ وتَظليلِ الغَمامِ وإنزالِ المَنِّ والسَّلْوَى ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ﴾ نعمةٌ جَلِيَّةٌ، أو اختبارٌ ظاهرٌ.

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كُفَّارَ قريشٍ؛ لأنَّ الكلامَ فيهم، وقصَّةُ فِرعونَ وقَومِه مَسوقَةٌ للدَّلالةِ على أنَّهم مِثلُهُم في الإصرارِ على الضَّلالةِ والإنذارِ عَن مثلِ ما حلَّ بهم.

---

(١) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما، انظر: «الكشاف» (٨/ ١٨٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٧٤)، و«البحر» (١٩/ ١٤٩).

(٢) «والشرارة»: ليس في (ض).

﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ ما العاقبَةُ ونهايةُ الأمرِ إلَّا الموتةُ[1] الأولى المزيلةُ للحَياةِ الدُّنيويَّةِ، ولا قصدَ فيه إلى إثباتِ ثانيةٍ كما في قولِك: حجَّ زيدٌ الحجَّةَ الأولى وماتَ.

وقيل: لَمَّا قيلَ لَهُم: إنَّكُم تموتونَ مَوتةً يعقبُهَا حياةٌ كما تَقدَّمَتْكُم موتةٌ كذلك، قالوا: إنْ هيَ إلَّا مَوتَتُنا الأولى؛ أي: ما الموتَةُ التي مِن شَأنِها كذلك[2] إلا الموتَةُ الأولى.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمَبْعوثينَ.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خطابٌ لِمَن وعدَهُم بالنُّشورِ مِن الرَّسولِ والمؤمنينَ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في وَعدِكُم؛ ليدلَّ عليه.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ في القوَّةِ والمَنعةِ ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ تُبَّعِ الحِميَرِيِّ الذي سارَ بالجُيوشِ وحيَّرَ الحيرةَ وبنى سَمَرْقندَ، وقيل: هدمَها[3].

---

(١) في (أ): «إلا موتتنا».

(٢) في (ت) و(ض): «ذلك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩) عن قتادة برواية الهدم، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٢) عن قتادة أيضاً لكن برواية البناء.

وقوله: «حير الحيرة»؛ أي: بناها ونظم أمرها. انظر: «روح المعاني» (٢٤/ ٤٧٧).

وكان مُؤمِنًا وقومُه كافرينَ، ولذلك ذمَّهُم دونَهُ(١).

وعنه عليهِ السَّلامُ «ما أَدرِي أكانَ تُبَّعٌ نَبِيًّا أَو غيرَ نَبِيٍّ».

وقيل لِمُلوكِ اليَمَنِ: التَّبابِعَةُ؛ لأنَّهم يُتبَّعونَ كما قيل: الأَقْيَال لأنَّهُم يُتقيَّلُون.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ كعادٍ وثَمودَ ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ استئنافٌ بمآل قومِ تُبَّعٍ والذين مِن قبلِهِم، هدَّدَ به كفَّارَ قُرَيشٍ، أو حالٌ بإضمارِ (قد)، أو خبرٌ مِن الموصولِ إن استُؤنِفَ به.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ بيانٌ للجامعِ المُقتَضِي للإهلاكِ.

قوله: «ما أدري أكان تبع نبيًّا أو غيرَ نبيٍّ»:

رواهُ بهذا اللفظِ الثَّعلبيُّ مِن حَديثِ أبي هُريرةَ(٢).

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ وما بين الجنسينِ.

وقُرِئَ: (وما بينَهُنَّ)(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩)، عن كعب الأحبار. وروي عن عائشة رضي الله عنها أيضا كما سيأتي.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة بهذا.

قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٩): والمعروف بهذا الاسناد: «ما أدري أتبعٌ لعينٌ هو أم لا، وما أدري أعزير نبي أم لا» أخرجه أبو داود [(٤٦٧٤)]، وكذا الحاكم [في «المستدرك» (٣٦٨٢)] لكن قال: «ذو القرنين» بدل «عزير»، قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق وغيره أرسله.

(٣) نسبت لعبيد بن عمير، انظر: «الكشاف» (٨/ ١٩٣)، و«البحر» (١٩/ ١٥٤).

﴿لَٰعِبِينَ﴾ لاهينَ، وهو دليلٌ على صِحَّةِ الحشرِ كما مرَّ في (الأنبياءِ) وغيرِها[١].

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا بسببِ الحقِّ الذي اقتضاهُ الدَّليلُ مِن الإيمانِ والطَّاعةِ، أو البعثِ والجزاءِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقِلَّةِ نَظَرِهِم.

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ فصلِ الحقِّ عَن الباطلِ والمحقِّ عن المُبطِلِ بالجزاءِ[٢]، أو فَصلِ الرَّجُلِ عَن أقاربِهِ وأَحِبَّائِه.

﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾ وقتُ مَوعدِهِم ﴿أَجْمَعِينَ﴾، وقُرِئَ: (مِيقَاتَهم) بالنَّصبِ[٣] على أنَّه الاسمُ؛ أي: إنَّ ميعادَ جَزائِهِم في يومِ الفَصلِ.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾ بدلٌ مِن ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾، أو صِفَةٌ لـ﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾، أو ظرفٌ لِمَا دلَّ عليه الفصلُ لا له للفَصلِ[٤].

---

(١) في (ض): «كما مر في غيرها».

(٢) في (ض): «بإجزاء».

(٣) نسبت في «الكشاف» (٨/ ١٩٤) لعبيد بن عمير، وانظر: «البحر» (١٩/ ١٥٤). وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٤٢) لكن دون التصريح بكونها قراءة، وكذا الكسائي كما في «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٨٨)، ووافقهما الزجاج على الجواز في «معاني القرآن» (٤/ ٤٢٧) على الجواز لكنه نفى أن يكون قد قرئ بها حيث قال: ويجوز: (ميقاتَهم) بنصب التاء، ولا أعلم أنه قرئ بها، فلا تقرأن بها.

(٤) قوله: «للفصل»؛ أي: للفصل بين الفصل الذي هو المضاف إليه في يوم الفصل وبين يوم القيامة.

﴿مَوْلًى﴾ مِن قرابةٍ أو غيرِها ﴿عَن مَّوْلًى﴾ أيِّ مولًى كانَ ﴿شَيْـًٔا﴾ من الإغناءِ[١].

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضَّميرُ لـ﴿مَوْلًى﴾ الأول باعتبارِ المعنى لأنَّه عامٌّ.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ بالعَفوِ عنه وقَبولِ الشَّفاعةِ فيه، ومحلُّهُ الرَّفعُ على البدلِ مِن الواوِ، أو النَّصبُ على الاستثناءِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا يُنصَرُ مِنه مَن أرادَ تَعذيبَهُ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لِمَن أرادَ أَنْ يرحمَهُ.

(٤٣ ـ ٤٦) ـ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ وقُرِئَ بكسرِ الشِّينِ[٢]، ومَعنى الزَّقُّومِ سبقَ في (الصافات).

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ الكثيرِ[٣] الآثامِ، والمرادُ به الكافرُ لدلالةِ ما قبلَهُ وما بعدَهُ عليه.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو ما يُمهَلُ في النَّارِ حتى يَذوبَ.

وقيل: دُرْدِيُّ الزَّيتِ[٤].

---

(١) في (خ): «﴿مَوْلًى﴾ من قرابة وغيرها ﴿عَن مَّوْلًى﴾ أي مولى كان ذا قرابة أو أجنبيًّا ﴿شَيْـًٔا﴾ أي شيئاً من العذاب».

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ١٩٥)، و«البحر» (١٩/ ١٥٥) بدون نسبة.

(٣) في (خ): «كثير».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥) عن ابن عباس، ودردي الزيت: عكره وما يستقر منه في قعر الإناء، انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٩٨).

﴿تَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾، وقرأ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ ورُوَيسٌ بالياءِ[١] على أنَّ الضَّميرَ للطَّعامِ أو الزَّقُّومِ لا للمهلِ؛ إذ الأظهرُ أنَّ الجُملةَ حالٌ مِن أَحدِهِما.

﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ غليانًا مثلَ غَلْيِه.

(٤٧ ـ ٥٠) ـ ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿خُذُوهُ﴾ على إرادةِ القَوْلِ، والمقولُ له الزَّبانيَةُ.

﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ فجرُّوهُ، والعَتْلُ: الأخذُ بمَجامعِ الشَّيءِ وجرُّهُ بقَهرٍ، وقرأ الحِجازيَّانِ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ بالضَّمِّ، وهما لُغَتانِ[٢].

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وَسَطِه.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ كان أصلُه: يُصَبُّ مِن فوقِ رؤوسِهم الحَميمُ، فقيل: يُصَبُّ مِن فوقِ رُؤوسِهم عذابٌ هو الحَميمُ للمُبالغَةِ، ثمَّ أضيفَ العذابُ إلى الحميمِ للتَّخفيفِ وزيدَ (مِنْ) للدلالةِ على أنَّ المصبوبَ بعضُ هذا النَّوعِ.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ أي: وقولوا له ذلك استهزاءً به وتَقريعًا[٣] على ما كانَ يزعمُه.

وقرأ الكِسائيُّ: ﴿أَنَّكَ﴾ بالفتحِ[٤] أي: ذُقْ لأَنَّكَ، أو عَذابَ أَنَّك.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧١).

(٣) في (ض): «أو تقريعاً».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إنَّ هذا العذابَ ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ تَشكُّونَ وتُمارونَ فيه.

(٥١ ـ ٥٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾ في مَوضعِ إقامةٍ.

وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ بضمِّ الميمِ[1].

﴿أَمِينٍ﴾ يأمنُ صاحِبُه عَنِ الآفةِ والانتقالِ.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَقَامٍ﴾ جيءَ به للدَّلالةِ على نَزاهَتِه واشتمالِه على ما يُستلذُّ به مِن المآكلِ والمشاربِ.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ مِن الضَّميرِ في الجارِّ والمجرورِ، أو استئنافٌ.

والسُّندسُ: ما رقَّ مِن الحريرِ، والإستبرقُ: ما غَلُظَ منه، مُعرَّبٌ، أو مُشتقٌّ مِن البراقةِ.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ في مَجالِسِهم ليستأنسَ بَعضُهُم ببعضٍ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الأمرُ كذلك، أو آتيناهُم مثلَ ذلك.

---

(١) «وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم»: ليس في (ض)، وضبطت كلمة ﴿مقام﴾ بضم الميم، وقراءة الباقين بالفتح، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قَرَنَّاهُم بهنَّ، ولذلك عُدِّيَ بالباءِ، والحَوراءُ: البَيْضاءُ، والعَيْناءُ: عظيمةُ العينينِ، واختُلِفَ في أنَّهنَّ نِساءُ الدُّنيا أو غيرُها.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ يطلبونَ ويأمرونَ بإحضارِ ما يشتهونَ مِن الفواكِه لا يتخصَّصُ شيءٌ مِنْهَا بمَكانٍ ولا زمانٍ.

﴿ءَامِنِينَ﴾ مِن الضَّررِ.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ بل يَحيَوْنَ فيها دائمًا، والاستثناءُ مُنقَطِعٌ، أو مُتَّصِلٌ والضَّميرُ للآخرةِ والموتُ أوَّلُ أَحوالِها، أو الجنَّةِ والمؤمنُ يشارِفُها بالموتِ ويُشاهِدُها عندَهُ فكأنَّهُ فيها، أو الاستثناءُ للمُبالغَةِ في تعميمِ النَّفْيِ وامتناعِ الموتِ وكأنَّه[1] قال: لا يذوقونَ فيها الموتَ إلا إذا أمكنَ ذوقُ الموتةِ الأُولى في المُستقبَلِ.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ وقُرِئَ (ووَقَّاهُم)[2] على المُبالغَةِ.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: أُعْطُوا كلَّ ذلك عطاءً وتَفضُّلًا منه، وقُرِئَ بالرَّفعِ[3] أي: ذلك فضل.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لأنَّه خلاصٌ عن المكارهِ وفَوزٌ بالمطالبِ.

---

(١) في (خ) و(ت): «فكأنه».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٨) عن أبي حيوة.

(٣) أي: (فضلٌ)، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٢٩)، وفيه: يجوز: (فضلٌ مِن ربِّك)، ولا يُقرأنَّ بها لخلاف المصحف.

(٥٨ - ٥٩) - ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ سَهَّلْناهُ حيثُ أنزلناهُ بلُغَتِكَ، وهو فَذْلكَةٌ للسُّورَةِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لعلَّهُم يَفهمُونَه فيتذكَّرُونَ به لِمَا لم يَتذكَّرُوا.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتَظِرْ ما يَحُلُّ بهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ مُنتَظِرونَ ما يَحُلُّ بك.

عن النبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأ ﴿حمٓ﴾ الدُّخانَ ليلةَ جمعةٍ أصبحَ مَغْفورًا لهُ»[1].

---

(١) رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٨٥)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور الذي ورد مقطعاً في هذا الكتاب عند كل سورة، وقد سبق الكلام عليه مراراً، لكن ورد لهذه القطعة من الحديث شواهد مرفوعة ضعيفة وأخرى مرسلة.

فمن المرفوع: ما رواه الترمذي (٢٨٨٩)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٢٣٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٣)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٨٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٧) من طريق الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «مَن قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غُفر له». قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعف، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة.

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨) من طريق هشام بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَن قرأ ليلةَ الجمعة حم الدخان ويس أصبح مغفورًا له»، وقال: تفرد به هشام، وهو هكذا ضعيف.

أما المرسل: فمنه ما رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٨٩٥) عن رجل من أهل البصرة يكنى أبا الحارث حدثهم يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له».

ورواه الدارمي في «سننه» (٣٤٦٣) عن عبد الله بن عيسى قال: «أُخبِرتُ أنه مَن قرأ حم الدُّخان ليلةَ الجمعةِ إيمانًا وتصديقًا بها أصبحَ مغفورًا له».

ورواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٢) عن الحسن، و(٢٢٣) عن إسحاق بن عبد الله بن =

= أبي فروة، كلاهما عن النبي ﷺ. وهما مرسلان، وإسحاق بن عبد الله متروك كما في «التقريب».
ورواه الدارمي في «سننه» (٣٤٢١)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ١٦٩)، عن أبي رافع قال: «مَن قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبحَ مغفورًا له وزوج من الحور العين». أبو رافع هو نفيع الصائغ وهو تابعي ثقة يروي عن عمر وعثمان، من رجال «التهذيب».
وروى الطبراني في «الكبير» (٨٠٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٤)، وقوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٩٤٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «من قرأ حم الدّخان في ليلة الجمعة ـ أو يومَ الجمعة ـ بنى الله له بيتاً في الجنّة». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٠١٧): فيه فضال بن جبير، وهو ضعيف جدًّا.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سُورَةُ الجاثِيَةِ

مَكِّيَّةٌ، وهي سبعٌ أو سِتٌّ وثلاثون آيةً.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إنْ جَعلْت ﴿حمٓ﴾ مُبتدأً خبرُهُ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ احتجتَ إلى إضمارِ مثلِ: تنزيلُ حم[1]، وإن جَعَلْتَها تَعديدًا للحُروفِ كان ﴿تَنزِيلُ﴾ مُبتدأً خبرُه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

وقيل: ﴿حمٓ﴾ مُقسَمٌ به و﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ صِفَتُه، وجوابُ القسمِ:

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو يحتملُ أن يكونَ على ظاهرِه، وأن يكونَ المعنى: إنَّ في خلقِ السمواتِ؛ لقولِه: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾، ولا[2] يَحْسُنُ عطفُ (ما) على الضَّميرِ المجرورِ، بل عطفُه على المضافِ إليه بأحدِ الاحتمالَينِ،

---

(١) يعني تنزيل هذه السورة كتنزيل سائر القرآن، فيكون في قوله ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ دلالةٌ على وجه الشبه، فكونه من الله دل على أنه حق وصدق وصواب، وكونه من العزيز دل على أنه معجزٌ يَغلب ولا يُغلَب، وكونه من الحكيم دل على أنه مشتمل على الحكم البالغة، وعلى أنه محكم في نفسه ينسخ ولا يُنسخ، انظر: «فتوح الغيب» (١٤/ ٢٣١).

(٢) في (ض): «إذ لا» وفي الهامش: في نسخة: «ولا».

فإنَّ بثَّهُ وتَنوُّعَهُ واستجماعَهُ لِمَا به يتمُّ مَعاشُه إلى غيرِ ذلك دلائلُ على وجودِ الصَّانعِ المُختارِ.

﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ محمولٌ على محلِّ (إنَّ) واسمِها، وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ ويعقوبُ بالنَّصبِ حملًا على الاسمِ[1].

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ﴾ مِن مطرٍ، وسمَّاهُ رزقًا لأنَّه سببُهُ.

﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ يُبسِها ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ باختلافِ جِهاتِها وأحوالِها.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿وتصريفِ الرِّيح﴾[2].

﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ فيه القراءتانِ[3]، ويلزَمُهما العطفُ على عاملَين[4] (في) والابتداء، أو (إنَّ)، إلَّا أَنْ يُضمرَ (في) أو يُنصبَ (آياتٍ) على الاختصاصِ، أو تُرفعَ بإضمارِ (هي)، ولعلَّ اختلافَ الفواصلِ الثَّلاثِ لاختلافِ الآياتِ في الدِّقَّةِ والظُّهورِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧١).

(٢) وقراءة الباقين بالجمع، انظر: «السبعة» (ص: ١٧٢ ـ ١٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) في (خ): «قراءتان»، وقد تقدمتا.

(٤) في (أ): «العاملين».

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: تلك الآياتُ دَلائِلُه ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ حالٌ عامِلُها معنى الإشارةِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُلتَبسينَ به، أو مُلتبسةً به.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: بعدَ آياتِ اللهِ، وتقديمُ اسمِ اللهِ للمُبالغَةِ والتَّعظيمِ كما في قولِك: أعجبَني زَيدٌ وكَرَمُه، أو بعدَ حَديثِ اللهِ وهو القرآنُ لقَولِه تَعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ وآياتُه دلائله[1] المَتلوَّةُ أو القرآنُ، والعَطفُ لتَغايُرِ الوصفينِ.

وقرأ الحِجازيَّانِ وحَفصٌ وأبو عمرٍو ورَوْحٌ: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالياءِ[2]؛ ليُوافِقَ ما قبلَهُ.

قوله: «أي: بعد آياتِ اللهِ، وتقديمُ اسمِ اللهِ للمُبالغَةِ والتَّعظيمِ كمَا في قولِك: أعجبَني زَيدٌ وكَرَمُه»:

زادَ في «الكشاف»: يريدونُ: أَعجبني كَرَمُ زَيدٍ[3].

قال أبو حيَّان: هذا ليسَ بشَيءٍ؛ لأنَّ[4] فيه مِن حيثُ المعنى إقحامَ الأَسماءِ مِن غيرِ ضَرورةٍ، والعطفَ، والمرادُ غيرُ العَطفِ مِن إخراجِهِ إلى بابِ البَدلِ؛ لأنَّ تقديرَ كرمِ زَيدٍ إنَّما يكونُ في: أعجَبَني زَيدٌ كَرَمُه، بغيرِ واوٍ على البَدَلِ.

---

(١) في (أ): «الدلائل».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧١ـ ٣٧٢).

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٨/ ٢٠٨).

(٤) في النسخ الخطية: «كان»، والمثبت من «البحر المحيط».

وهذا قلبٌ لِحقائِقِ النَّحوِ، وإنَّما المَعنى في: (أعجبَنِي زَيدٌ وكَرمُهُ): أنَّ ذاتَ زيدٍ أعجبَتهُ وكرَمَهُ أعجبَهُ، فهما إعجابانِ لا إعجابٌ واحدٌ[1].

(٧ - ١٠) - ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذَّابٍ ﴿أَثِيمٍ﴾ كثيرِ الآثامِ ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يقيم على كفرِه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عَنِ الإيمانِ بالآياتِ، و(ثمَّ) لاستبعادِ الإصرارِ بعدَ سَماعِ الآياتِ كقولِه:

يَرَى غَمَـرَاتِ المَـوْتِ ثُـمَّ يَزُورُهَا[2]

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ١٦٦).

(٢) البيت لجعفر بن عُلْبَةَ ـ بضم العين وسكون اللام بعدها باء ـ الحارثي. وصدره:

لا يَكْشِـفُ الغَمَّـاءَ إلَّا ابْـنُ حُـرَّةٍ

أي: لا يكشف الأمر الشديد عن القوم إلا كريم الطرفين يرى شدائد الحرب ثم يقصدها بسيوفٍ مصقولةٍ غيرَ مفكِّر فيها. وقال الطيبي في «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٥٦): ثمة، وإنَّما ذَهَب في «ثم» إلى المجاز وإن احتَمَل الحقيقة؛ لأنَّ الشاعرَ يمدحُ جَريئاً لا يبالي بالموتِ ويقتحمُ الأهوالَ، لا أنه يَرى الغَمراتِ ثم يَمكُث زمانًا طويلاً متفكِّرًا ثم يَزُورها؛ لأنَّه ذمٌّ له، وكذا ما في الآية؛ الأصلُ: ومَن أظلمُ ممَّن ذُكِّر بآيات ربِّه فأعرض عنها، فوَضع ﴿ثُمَّ﴾ موضعَ الفاءِ لبيان عنادِه وتَمرُّدِه.

وقال هنا: أي: أن زيارة غمرات الموت بعد رؤيته إياها مستبعدة مستنكرة في العقل والعادة، وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه إياها، بالغ في مدحه. ونظيره في الاستبعاد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: (كأنَّهُ) فخُفِّفَ وحُذِفَ ضَميرُ الشَّأنِ، والجملةُ في موضعِ[1] الحالِ، أي: يُصِرُّ مثلَ غيرِ السَّامعِ.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ على إصرارِه، والبشارةُ على الأصلِ، أو التَّهكُّمِ.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ وإذا بلغَهُ شيءٌ مِن آياتِنا[2] وعلمَ أنَّه[3] منها ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ لذلك مِن غيرِ أَنْ يرى فيها ما يُناسِبُ الهُزْءَ، والضَّميرُ لآياتِنا، وفائدتُهُ الإشعارُ بأنَّه إذا سَمِعَ كلامًا وعَلِمَ أنَّه مِن الآياتِ بادرَ إلى الاستهزاءِ بالآياتِ كلِّها ولم يقتصِرْ على ما سَمِعَه.

أو: لشيءٍ لأنَّه بمَعنى الآيةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ مِن قدَّامِهِم لأنَّهم مُتوجِّهُونَ إليها، أو مِن خلفِهِم لأنَّه بعدَ آجالِهِم.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم﴾ ولا يدفعُ عَنْهُم ﴿مَّا كَسَبُواْ﴾ مِن الأموالِ والأولادِ، ﴿شَيْـًٔا﴾ مِن عذابِ اللهِ ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: الأصنامَ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لا يَتحمَّلونَهُ.

(١١) - ﴿هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

﴿هَٰذَا هُدًى﴾ الإشارةُ إلى القُرآنِ، ويدلُّ عليهِ قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) في (خ) و(ض): «موقع».

(٢) «من آياتنا»: ليس في (خ) و(ض).

(٣) في (ض): «آية».

وقرأ ابنُ كثيرٍ ويعقوبُ وحفصٌ برفعِ ﴿أَلِيمٌ﴾[١].

والرِّجزُ أشدُّ العَذابِ.

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ بأَنْ جعلَهُ أملسَ السَّطحِ يطفو عليهِ ما يتخلخَلُ كالأخشابِ ولا يمنع الغوصَ فيه.

﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بتَسخيرِهِ وأنتُمْ راكِبُوها.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتِّجارَةِ والغَوصِ والصَّيدِ وغيرِها، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النِّعمَ[٢].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ بأَنْ خلقَها نافِعةً لكُم.

﴿مِّنْهُ﴾ حالٌ مِن (ما)، أي: سخَّرَ هذه الأشياءَ كائنةً منهُ، أو خبرٌ لِمَحذوفٍ أي: هي جميعًا منه، أو لِـ﴿مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، و(سخَّرَ لكُم) تكريرٌ[٣] للتَّأكيدِ، أو لِمَا في الأرضِ.

وقُرِئَ: (مِنَّةً) على المفعولِ له، و(مَنُّهُ)[٤].........

(١) وقراءة الباقين الجر، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩).

(٢) في (خ): «رب هذه النعمة».

(٣) في (خ): «تكريراً».

(٤) الأولى حكيت عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير، والثانية عن مسلمة بن محارب، وهما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٢).

على أنَّه فاعلُ (سخَّر) على الإسنادِ المَجازيِّ، أو خبرُ مَحذوفٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صَنائعِه.

قوله: «أو خبرٌ لمحذوفٍ؛ أي: أو جميعًا منه، أو لِـ(مَا في السَّمواتِ)»:

قال أبو حيَّان: لا يجوزُ هذانِ الوَجهانِ إلَّا على قولِ الأَخفَشِ؛ لأنَّ (جميعًا) إذ ذاكَ حالٌ، والعامِلُ فيها مَعنوِيٌّ وهو الجارُّ والمجرورُ، فهو نظيرُ: زيدٌ قائمًا في الدَّارِ، ولا يجوز على مَذهبِ الجُمهورِ[1].

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾ حُذِفَ المَقولُ لدلالةِ الجوابِ عليه، والمَعنى: قُلْ لهم: اغفِرُوا يَغفِرُوا؛ أي يَعْفُوا ويَصْفَحُوا.

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ لا يَتوقَّعُونَ وقائِعَهُ بأَعدائِه، مِن قَولِهم: أَيَّامُ العربِ لوَقائِعِهم، أو لا يأملونَ[2] الأوقاتَ التي وَقَّتَها اللهُ لنَصرِ المُؤمنينَ وثوابِهم ووَعدَهُم بها.

والآيةُ نَزَلَتْ في عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه شتمَهُ غِفارِيٌّ فهمَّ أن يبطِشَ به[3].

وقيل: إنَّها مَنسوخةٌ بآيةِ القتالِ.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ عِلَّةٌ للأمرِ، والقومُ هُم المؤمنونَ، أو الكافرونَ، أو كِلاهُما، فيكونُ التَّنكيرُ للتَّعظيمِ أو التَّحقيرِ أو الشُّيوعِ. والكسبُ: المغفِرَةُ أو الإساءةُ أو ما يَعُمُّهُما[4].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ١٦٩).

(٢) في (ت): «ولا يتأملون».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢)، عن ابن عباس ومقاتل.

(٤) قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته» (٨/ ١٧): وقوله: «والكسب» إلخ هو أيضاً لف ونشر، فإذا أريد =

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿لنَجْزِيَ﴾ بالنُّونِ[1].

وقُرِئَ: (لِيُجـزَى قـومٌ)[2]، و﴿لِيُجْزَى قَوْمًا﴾[3] أي: ليُجزى الخيرُ أو الشَّرُّ أو الجـزاءُ قومـاً؛ أعني: مـا يُجزى به، لا المصدر؛ فإنَّ الإسـنادَ إليهِ سِـيَّما مـع المفعولِ بهِ ضعيفٌ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ إذ لها ثوابُ العَملِ وعليها عقابُه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيُجازِيكُم على أعمالِكُم.

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التَّـوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ والحكمـةَ النَّظريَّـةَ والعمليَّـةَ، أو فصـلَ الخُصومـاتِ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ إذ كَثُر فيهـم[4] الأنبياءُ ما لـم يَكْثُر في غيـرِهِم.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما أحلَّ اللهُ مِن اللذائذِ ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيثُ آتيناهُم ما لم نُؤتِ[5] غيرَهُم.

= بالقوم المؤمنون فكسبهم المجازون عليه مغفرتهم للناس وتجاوزهم عنهم لا مغفرة الله حتى يقال فيه مضاف مقدر، وهو مثل أو تجوز بجعلها كسباً كما توهم، والمغفرة: المتاركة، لا إسقاط الحق.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤ ـ ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢١٥) بدون نسبة.

(٣) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٢).

(٤) في (خ): «منهم».

(٥) في (أ) و(ت): «يؤت».

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أدلةً في أمرِ الدِّينِ، ويندرجُ فيها المعجزاتُ.

وقيل: آياتٍ مِن أمرِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ مبينةً لصدقِه.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ ﴾ في ذلك الأمرِ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ بحقيقةِ الحالِ ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ عداوةً وحَسَدًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ بالمؤاخذةِ والمُجازاةِ.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ طريقةٍ[1] ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أمرِ الدِّينِ ﴿فَٱتَّبِعْهَا ﴾ فاتَّبع شَريعتكَ الثَّابتةَ بالحُجَجِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ آراءَ الجُهَّالِ التابعةَ للشَّهواتِ، وهم رُؤساءُ قُريشٍ قالوا له: ارجعْ إلى دينِ آبائك.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ممَّا أرادَ بك ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ إذ الجنسيَّةُ عِلَّةُ الانضمامِ[2]، فلا تُوالهم باتِّباعِ أهوائِهم.

﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فوالِهِ بالتُّقى واتِّباعِ الشَّريعةِ.

---

(١) في (ت): «على طريقة».

(٢) في (خ): «للانضمام».

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآنُ، أو اتِّباعُ الشَّريعةُ ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ بيِّناتٌ تُبصِّرُهُم وجهَ الفلاحِ ﴿وَهُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ[1] ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ونعمةٌ مِن اللهِ ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبونَ اليقينَ.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ﴿أَمْ﴾ مُنقَطِعةٌ، ومَعنى الهمزةِ فيها إنكارُ الحِسْبانِ والاجتراحُ: الاكتسابُ، ومنه الجارحةُ.

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أن نُصيِّرَهُم، ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مثلَهم، وهو ثاني مَفعُولَيْ (نجعَلُ)، وقوله: ﴿سواءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بدلٌ منه إن كانَ الضَّميرُ للمَوصولِ الأوَّلِ لأنَّ المُماثلةَ فيه، إذ المَعنى إنكارُ أَنْ تكونَ حياتُهم ومَماتُهم سِيَّينِ في البهجةِ والكرامةِ كمَا هو للمُؤمنينَ، ويدلُّ عليه قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ ﴿سَوَآءً﴾[2] بالنَّصبِ على البدلِ أو الحالِ مِن الضَّميرِ في الكافِ، أو المفعوليَّةِ والكافُ حالٌ.

وإن كانَ للثَّاني فحَالٌ منه أو استئنافٌ يبيِّنُ المُقتَضِيَ للإنكارِ.

وإن كان لهما فبدلٌ أو حالٌ مِن الثَّاني، وضميرُ الأوَّلِ، والمَعنى: إنكارُ أن يَستوُوا بعدَ المماتِ في الكرامةِ أو تركِ المؤاخذةِ كما استوَوْا في الرِّزقِ والصِّحَّةِ في الحياةِ، أو استئنافٌ مُقرِّرٌ لتَساوِي مَحْيَا كلِّ صنفٍ ومماتِه في الهُدى والضَّلالِ.

---

(١) في (ض): «الضلال».

(٢) والباقون بالرفع، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

وقُرِئَ: (مَمَاتَهُم) بالنَّصبِ[١] على أنَّ مَحْيَاهُم ومماتَهُم ظرفانِ[٢]، كـ: مَقْدَمَ الحاجِّ.
﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ساءَ حكمُهُم هذا، أو بئسَ شَيْئًا حكموا به ذلك.

قوله: «﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بدلٌ منه»:

قال أبو حيَّان: هذا الذي ذهبَ إليه مِن إبدالِ الجُملَةِ مِن المفرَدِ.

وقَد أجازَهُ أبو الفتحِ واختارَهُ ابنُ مالكٍ، وأوردَ على ذلك شواهدَ على زعمِه ولا يَتعيَّنُ فيها البَدلُ.

وقال بعضُ أَصحابِنا وهوَ الإمامُ ضِياءُ الدِّينِ أبـو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الله الإشبيليُّ ويُعرَفُ بابنِ العِلْجِ، وكانَ ممَّنْ أقامَ باليَمنِ وصنَّفَ بها: قال في كتابِه «البسيط»: لا يَصِحُّ أَنْ تكونَ جُملَةٌ مَعمولَةٌ للأَوَّلِ في مَوضِعِ البَدَلِ كمَا كانَ في النَّعتِ؛ لأنَّها تُقدَّرُ تَقديرَ المُشتَقِّ، وتَقديرُ المُشتَقِّ تَقديرُ الجامدِ فيكونُ بَدلًا، فيَجتمِعُ فيه تجوُّزان، ولأنَّ البدلَ يعمَلُ فيه العامِلُ الأوَّلُ فيَصِحُّ أَنْ يكونَ فاعلًا، والجُملة لا تكونُ في مَوضعِ الفاعلِ بغيرِ سابكٍ[٣]؛ لأنَّها لا تُضمَرُ، فإِنْ كانَتْ غيرَ مَعمُولَةٍ فهَلْ تَكونُ جُملَةٌ بدلًا مِن جُملَةٍ؟ لا، لا يبعُدُ عندي جَوازُها، كما يتبَعُ في العَطفِ الجملَةُ للجُملَةِ، وكتأكيدِ الجملَةِ التَّأكيدَ اللَّفظِيَّ.

قال أبو حيَّان: وتبيَّنَ مِن كلامِ هذا الإمامِ أنَّه لا يَجوزُ أَنْ تكونَ الجُملَةُ بَدَلًا مِن المُفرَدِ[٤].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٩) عن الأعمش.

(٢) قوله: «ظرفان» يعني سواء حالهم وقت حياتهم ومماتهم.

(٣) في النسخ: «شامل» بدل «سابك»، والمثبت من «البحر المحيط».

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٢٢) ـ ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ كأنَّه دليلٌ على الحكمِ السَّابقِ مِن حيثُ إنَّ خلقَ ذلك بالحقِّ المُقتَضِي للعدلِ يَستَدْعِي انتصارَ المظلومِ مِن الظَّالمِ، أو التَّفاوُتَ بينَ المُسيءِ والمُحسنِ، وإذا لم يَكُن في المَحْيَا كان بعدَ المَماتِ.

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عطفٌ على ﴿بِالْحَقِّ﴾ لأنَّه في مَعنى العِلَّةِ، أو على عِلَّةٍ مَحذوفَةٍ مثلِ: ليدلَّ بها على قُدرَتِه، أو ليعدلَ ولِتُجزَى.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ ثوابٍ وتضعيفِ عِقَابٍ[1]، وتسمِيَةُ ذلك ظلمًا ـ ولو فعلَهُ اللهُ ـ لم يَكُن مِنهُ ظُلمًا؛ لأنَّه لو فعلَهُ غيرُهُ لكانَ ظُلْمًا كالابتلاءِ والاختبارِ[2].

(٢٣ ـ ٢٥) ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ تركَ مُتابعَةَ الهُدى إلى مُطاوعَةِ الهَوى فكأنَّه يَعبُدُه.

---

(١) في (ت) و(ض): «عذاب».

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٧/ ٦٧٧).

وقُرِئَ: (آلهةَ هواهُ)[١] لأنَّه كان أحدُهُم يستحسِنُ حَجَرًا فيعبدُهُ فإذا رأى أحسنَ مِنه رفضَهُ إليه.

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾ وخذلَه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عالِمًا بضَلالِهِ وفسادِ جوهرِ رُوحِه.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يُبالي بالمواعظِ ولا يتفكَّرُ في الآياتِ.

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فلا يَنظرُ بعينِ الاستبصارِ والاعتبارِ.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ ﴿غَشْوَةً﴾[٢].

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ﴾ مِن بعدِ إضلالِه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وقُرِئَ: (تَتذكَّرونَ)[٣].

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ﴾ ما الحياةُ، أو الحالُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ التي نحنُ فيها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نكونُ أمواتًا نُطَفًا وما قبلَها ونحيا بعدَ ذلك، أو نموتُ بأَنفُسِنَا ونحيا ببقاءِ أولادِنَا، أو يموتُ بَعضُنَا ويحيا بعضٌ، أو يصيبُنا الموتُ والحياةُ فيها وليسَ وراءَ ذلك حياةٌ، ويحتملُ أنَّهُم أرادوا به التَّناسُخَ فإنَّه عقيدةُ أكثرِ عَبَدَةِ الأوثانِ.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ إلا مرورُ الزَّمانِ، وهو في الأصلِ مُدَّةُ بَقاءِ العالَمِ؛ مِن دَهَرَهُ: إذا غلبَهُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٩) عن عبد الرحمن الأعرج، وفيه أيضاً عن أبي جعفر: (إلهةَ) بالإفراد، وذكرهما «الكشاف» (٨/ ٢١٩)، وأبو حيان في «البحر» (١٩/ ١٧٩).

(٢) بفتح الغين وإسكان الشين، والباقون: ﴿غِشاوةً﴾ بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٧)، و«البحر» (١٩/ ١٨٠)، عن الأعمش.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني نسبةَ الحوادثِ إلى حركاتِ الأفلاكِ وما يَتعلَّقُ بها على الاستقلالِ؛ أو إنكارِ البعثِ، أو كِلَيْهِما.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ إذ لا دليلَ لَهُم عليهِ، وإنَّما قالوه[1] بناءً على التَّقليدِ والإنكارِ لِمَا لم يُحِسُّوا به.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحاتِ الدلالةِ على ما يُخالِفُ مُعتقدَهُم، أو مبيِّناتٍ لهم.

﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ ما كانَ لهم مُتشبَّثٌ يُعارِضُونَها به ﴿إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، وإنَّما سُمِّيَ[2] حُجَّةً على حُسبانِهم ومَساقِهِم، أو على أسلوبِ قولِهم:

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[3]

فإنَّه لا يلزمُ مِن عدمِ حُصولِ الشَّيءِ حالًا امتناعُهُ مُطلقًا.

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ على ما دلَّتْ عليه الحججُ.

---

(١) في (ض): «من دهره إذا غلبه يعني نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الاستقلال أو إنكار البعث أو كليهما ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ إذ لا دليل لهم عليه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ وإنما قالوه».

(٢) في (خ) و(ض): «سماه».

(٣) عجز بيت لعمرو بن معدي كرب. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٢٨)، و«الخزانة» (٩/ ٢٦٥)، وقال البغدادي: ولم أره في شعره. وقد تقدم الاستشهاد به غير مرة.

﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإنَّ مَن قَـدَرَ على الإبداءِ قَدَرَ على الإعادةِ، والحكمةُ اقتَضَت الجمعَ للمُجازاةِ على ما قررَ[١] مرارًا، والوعدُ المصدَّقُ بالآياتِ دلَّ على وُقوعِها، وإذا كانَ كذلك أمكنَ الإتيانُ بآبائِهم، لكنَّ الحكمةَ اقتَضَتْ أن يُعادوا يومَ الجمعِ للجَزاءِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقِلَّةِ تفكُّرِهم وقُصورِ نَظرِهم على ما يُحِسُّونَه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعميمٌ للقُدرةِ بعدَ تَخصيصِها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يخسرُ يومَ تَقومُ، و(يومئذٍ) بدلٌ مِنه.

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ مُجتمعةً، مِن الجُثْوَةِ وهي الجماعةُ، أو باركةً مُستوفِزةً على الرُّكَبِ.

وقُرِئَ: (جاذِيَةً)[٢] أي جالسَةً على أطرافِ الأصابعِ[٣] لاستيفازِهم.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ صحيفةِ أعمالِها، وقرأ يعقوبُ: ﴿كلَّ﴾[٤] على أنَّه بدلُ الأوَّلِ و﴿تُدْعَىٰ﴾ صفةٌ، أو مفعولٌ ثانٍ.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ محمولٌ على القولِ.

---

(١) في (ض): «على ما مر».

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢٢٢)، و«البحر» (١٩/ ١٨٣).

(٣) في (ض): «أصابعهم».

(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٢).

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ أضافَ صحائفَ أعمالِهم إلى نفسِهِ لأنَّه أَمَرَ الكَتَبةَ أن يكتُبوا فيها أعمالَهُم.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يشهَدُ عليكم بما عَمِلْتُم بلا زِيادةٍ ونُقصانٍ.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نَستكتِبُ الملائكةَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعمالَكُم.

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ التي مِن جُمْلَتِها الجنَّةُ.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ الظَّاهرُ لخلوصِهِ عَن الشَّوائبِ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فيقالُ لهم: أَلَمْ تأتِكُم رُسُلِي فلَمْ تكُن آياتي تُتْلى عليكُم؟! فحُذِفَ القولُ والمعطوفُ عليه، اكتفاءً بالمقصودِ واستغناءً بالقرينةِ.

﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمانِ بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ عادتُكُم[1] الإجرامُ.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ يحتملُ الموعودَ والمصدرَ ﴿حَقٌّ﴾ كائنٌ هو، أو مُتعلَّقُه لا محالةَ.

---

(١) في (خ): «عادتهم» وفي (ض): «قوماً عادتهم».

﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا﴾ إفـرادٌ للمَقصـودِ، وقـرأَ حمـزَةُ بالنَّصـبِ(١) عَطفًـا علـى اسـمِ (إنَّ).

﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أيُّ شيءٍ السَّاعةُ استِغرابًا لها.

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ أصلُه: نَظُنُّ ظَنًّا، فأُدخلَ حرفا النَّفيِ والاستثناءِ لإثباتِ الظَّنِّ ونَفْيِ ما عداهُ كأنَّه قال: ما نحنُ إلَّا نَظُنُّ ظَنًّا، أو لنَفْيِ ظَنِّهِم فيما سِوَى ذلك مُبالغَةً، ثمَّ أكَّدَه بقولِه: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ أي: لإمكانِه، ولعلَّ ذلك قولُ بَعضِهِم تحيَّرُوا بينَ ما سَمِعُوا مِن آبائِهِم وما تُلِيَت عليهِم مِن الآياتِ في أمرِ السَّاعةِ.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ﴾ ظهرَ لَهُم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ على ما كانَتْ عليه؛ بأَنْ عرَفُوا قُبحَها وعاينوا وَخامةَ عاقِبَتِها أو جزائِها(٢).

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ وهو الجَزاءُ.

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ نترُكُكُم في العذابِ تركَ ما يُنْسَى.

﴿كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ كما ترَكْتُم عُدَّته ولم تُبالُوا به، وإضافةُ اللقاءِ إلى اليومِ إضافةُ المصدرِ إلى ظرفِه.

﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يخلِّصونكُم مِنها.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ استهزَأْتُم بها ولم تتفكَّرُوا فيها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

(٢) في (ض): «أو جزاءَها» ولكلٍّ وجه.

﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ فحَسِبتُم أن لا حياةَ سِوَاها.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ بفتحِ الياءِ وضمِّ الرَّاءِ[1].

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يُطلَبُ منهم أن يُعتِبُوا ربَّهم أي: يُرضُوهُ لِفَواتِ أوانِه.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ إذ الكلُّ نِعمةٌ منه، الدالُّ[2] على كمالِ قُدرَتِه.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ إذ ظهرَ فيها آثارُها.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَبُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما قدَّرَ وقَضى، فاحمَدُوهُ وكَبِّرُوهُ وأَطيعُوا لهُ.

عَن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ ﴿حمٓ﴾ الجاثيةَ سترَ اللهُ عورتَهُ وسكَّنَ رَوعتَهُ يومَ الحسابِ».

قوله: «مَن قرأَ ﴿حمٓ﴾ الجاثية..» إلى آخره:

مَوضوعٌ[3].

* * *

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٥).

(٢) في هامش (أ): «الدال: خبر بعد خبر» وكذا في «حاشية الأنصاري» (٥/ ١٥٣).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٤)، من حديث أبيٍّ رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. انظر: «الفتح السماوي» (٣/ ٩٩٠).

سُورَةُ الأَحْقَافِ

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها أربعٌ أو خمسٌ وثلاثونَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلَّا خلقًا مُلتبِسًا بالحقِّ وهو ما تَقتضيهِ الحكمَةُ والمَعْدِلَةُ، وفيه دلالةٌ على وُجودِ[1] الصَّانعِ الحَكيمِ، والبعثِ للمُجازاةِ على ما قَرَّرناهُ مِرارًا.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وبتقديرِ أَجَلٍ مُسمًّى يَنتَهِي إليه الكُلُّ وهو يومُ القيامةِ، أو كلُّ واحدٍ وهو آخرُ مُدَّةِ بقائِه المقدَّرِ له.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ مِن هولِ ذلك الوقتِ، ويجوزُ أَنْ تكونَ (ما) مصدريَّةً.

﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتفكَّرونَ فيه ولا يَستَعِدُّونَ لحُلولِه.

(٤) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

---

(١) في (ت): «وجوب».

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: أخبرُوا عَن حالِ آلِهَتِكُم بعد تأمُّلٍ فيها هل يعقلُ أن يكونَ لها في أنفُسِها[1] مدخلٌ في خلقِ شَيءٍ مِن أجزاءِ العالمِ فتستحقَّ به العِبادةُ، وتخصيصُ الشِّركِ بالسَّماواتِ احترازٌ عمَّا يُتوهَّمُ أنَّ للوَسائطِ شركةً في إيجادِ الحوادثِ السُّفليَّة.

﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ من قبلِ هذا الكتابِ يعني القرآنَ، فإنَّه ناطِقٌ بالتَّوحيدِ.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو بقيَّةٍ مِن علمٍ بَقِيَت عليكُم مِن علومِ الأوَّلينَ هَلْ فيها ما يدلُّ على استحقاقِهِم للعبادةِ أو الأمرِ بِهِ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دَعْواكُم، وهو إلزامٌ بعدمِ ما يدلُّ على أُلوهِيَّتِهِم بوجهٍ ما نقلًا بعدَ إلزامِهِم بعدمِ ما يَقتَضِيها عقلًا.

وقُرِئَ: (إثارة) بالكسرِ[2]، أي مناظرةً، فإنَّ المُناظرةَ تثيرُ[3] المعانيَ، و(أَثَرَةٍ)[4] أي: شيءٍ أوثِرْتُم بهِ، و(أَثْرَةٍ) بالحركاتِ الثلاثِ في الهمزةِ وسُكونِ الثَّاءِ[5] فالمفتوحةُ للمرَّةِ مِن مصدرِ أَثَرَ الحَديثَ: إذا رواهُ، والمكسورةُ بمعنى الأَثَرَةِ، والمضمومةُ اسمُ ما يؤثَرُ.

---

(١) في (ض): «نفسها».

(٢) لم أجدها.

(٣) في (ض): «المناظر يثير».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٤)، وعزاها ابن جني لابن عباس وعكرمة وقتادة وعمرو بن ميمون والأعمش.

(٥) القراءات الثلاث في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠)، والقراءة بفتح الهمزة مع سكون الثاء عزاها في «المحتسب» (٢/ ٢٦٤) لعلي رضي الله عنه وأبي عبد الرحمن السلمي.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ إنكارُ أن يكونَ أحدٌ أضلَّ مِن المشركينَ حيثُ تركُوا عبادةَ السَّميعِ المُجيبِ القادرِ الخبيرِ إلى عبادةِ مَن لا يَستَجِيبُ لَهُم لو سَمِعَ دُعاءَهُم، فضلًا أَنْ يعلمَ سَرائِرَهُم ويُراعِيَ مَصالِحَهُم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ما دامَتِ الدُّنيا.

﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنَّهُم إمَّا جَماداتٌ وإمَّا عِبادٌ مُسخَّرُونَ مُشتَغِلونَ بأحوالِهِم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ يَضرُّونَهُم ولا يَنفعُونَهُم.

﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ مُكذِّبينَ بلسانِ الحالِ أو المقالِ.

وقيل: الضَّميرُ للعَابدينَ وهو كقولِه: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضِحاتٍ أو مُبيِّناتٍ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ لأجلِه وفي شأنِه، والمرادُ به الآياتُ ووضعَهُ مَوضِعَ ضَميرِهَا، ووضعَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مَوضِعَ ضميرِ المتلوِّ عليهِمْ للتَّسجيلِ عليها بالحقِّ وعليهِمْ بالكُفرِ والانهماكِ في الضَّلالَةِ.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ حينَما جاءَهُم مِن غيرِ نَظرٍ وتَأمُّلٍ.

﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهِرٌ بُطلانُه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إضرابٌ عَن ذكرِ تَسمِيَتِهِم إيَّاهُ سِحْرًا إلى ذكرِ ما هو أشنَعُ مِنه وإنكارٌ له وتَعجيبٌ.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ على الفَرضِ ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: إنْ عاجَلَني اللهُ بالعُقوبَةِ فلا تقدرونَ على دفعِ شيءٍ منها فكيفَ أجتَرِئُ عليه وأُعرِّضُ نفسي للعِقابِ مِن غيرِ توقُّعِ نَفعٍ ولا دفعِ ضرٍّ مِن قبلِكُم.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تندَفِعُونَ فيه مِن القدحِ في آياتِه.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهَدُ لي بالصِّدقِ والبلاغِ وعليكُم بالكَذبِ والإنكارِ، وهو وعيدٌ بجزاءِ إفاضَتِهم.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وعدٌ بالمَغفِرَةِ(١) والرَّحمةِ لِمَن تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً(٢) وإشعارٌ بحلمِ اللهِ عنهم مع عِظَمِ جُرمِهِم(٣).

(٩) ـ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ بديعًا مِنهُم أَدعوكُم إلى ما لا يدعونَ إليه، أو أقدِرُ على ما لم يَقدِرُوا عليه وهو الإتيانُ بالمقترحاتِ كُلِّها، ونظيرُه(٤) الخِفُّ بمعنى الخفيفِ.

---

(١) في (ت): «وعدني بمغفرة».

(٢) «وعمل صالحاً» من (خ).

(٣) في (خ): «جرأتهم».

(٤) في (خ): «ونظيرها».

وقُرِئَ بفتحِ الدَّالِ[١] على أَنَّهُ كقِيَمٍ، أو مُقدَّرٌ بمُضافٍ أي: ذا بِدْعٍ.

﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ في الدَّارينِ على التَّفصيلِ إذ لا علم لي بالغيبِ، و(لا) لتأكيدِ النَّفيِ المُشتَملِ على ﴿مَا يُفۡعَلُ بِي﴾، و(ما) إمَّا مَوصولةٌ مَنصوبةٌ أو استفهاميَّةٌ مَرفوعَةٌ.

وقُرِئَ (يَفْعَلُ)[٢]؛ أي: يفعلُ اللهُ.

﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ لا أتجاوَزُه، وهو جوابٌ عن اقتراحِهِم الإخبار عمَّا لم يوح إليه مِن الغيوبِ، أو استعجال المسلمينَ أن يتخلَّصُوا مِن أذى المشركينَ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ عن عقابِ اللهِ ﴿مُّبِينٞ﴾ يبيِّنُ الإنذارَ بالشَّواهدِ المبيِّنةِ والمُعجزاتِ المصدِّقةِ.

قوله: «وقُرِئَ بفتحِ الدَّالِ على أنَّه كقِيَم»:

عبارَةُ «الكشاف» يجوزُ أَنْ تكونَ صِفةً على فِعَلٍ كقَولِهِم: دِينٌ قِيَمٌ[٣].

قال أبو حيَّان: هذا الذي أجازَهُ إنْ لم يُنقَل استعمالُه عَن العَربِ لم يَجُز؛ لأنَّ فِعَلًا في الصِّفاتِ لم يَحْفَظ منه سيبويه إلا عِدًى.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠)، عن مجاهد وأبي حيوة، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٤) عن عكرمة وابن أبي عبلة وأبي حيوة.

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٣٧) عن ابن أبي عبلة، وزاد أبو حيان في «البحر» (١٩/ ١٩٦) نسبتها لزيد بن علي.

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٨/ ٢٣٣).

قال سيبويه: ولا نَعلَمُه جاءَ صِفَةً إلَّا في حرفٍ مُعتَلٍّ يوصَفُ به الجمعُ، وهو قومٌ عِدًى[1].

وقَد استَدرَكَ[2] على سيبويهِ (زِيَمٌ) بمَعنى مُتَفَرِّقٍ، وهو استدراكٌ صَحيحٌ.

وأمَّا (قِيَمٌ) فأصلُه قِيَامٌ، وقِيَمٌ مقصورٌ منه، لذلك اعتلَّت الواوُ فيه إذ لَو لم يَكُن مَقصورًا لصَحَّت كما صَحَّت في حِوَلٍ وعِوَضٍ.

وأمَّا قولُ العَربِ: مكانٌ سِوًى وماءٌ رِوًى ورَجُلٌ رِضًى وماءٌ صِرًى؛ فمتأولَةٌ عندَ التَّصريفيينَ[3] لا يُثبِتونَ بها فِعَلًا في الصِّفاتِ[4].

قال الحَلَبيُّ: تأويلُها إمَّا بالمصدريَّةِ أو القصرِ، كَقِيَمٍ في قِيَامٍ[5].

وقال الطِّيبيُّ: بِدْعٌ على هذا التَّقديرِ بمعنى مُبدِعٍ[6].

قوله: «و(لا) لِتأكيدِ النَّفيِ المُشتملِ على ﴿مَا يُفْعَلُ بِي﴾»:

قال ابن المُنيِّر: هي على أنَّ المجرورَ قَدْ عُطِفَ على مِثلِه وأنَّهما جَميعًا في صِلَةِ مَوصولٍ واحِدٍ، ولو قيلَ الموصولُ الثَّاني مِن صِلَةِ مَوصولٍ مَحذوفٍ مَعطوفٍ أي: وما أَدْرِي ما يُفعَلُ بي ولا مَا يُفعَلُ بِكُم؛ لم يَفتَقِر إلى تَأويلٍ، وحذفَ الموصولُ، قال حَسَّان:

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٤/ ٢٤٤).

(٢) أي: الزمخشري في «الكشاف».

(٣) في جميع النسخ: «البصريين» والتصويب من «البحر المحيط».

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ١٩٥).

(٥) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٩/ ٦٦٣).

(٦) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٢٧٠).

فَمَــــنْ يَهْجُــو رَسُــولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَـمْـدَحُــــهُ وَيَنْـصُرُهُ سَــوَاءُ[١]

قوله: «و(ما) إما مَوصولَةٌ مَنصوبَةٌ، أو استفهاميَّةٌ مَرفوعَةٌ»:

قال أبو حيَّان: الصَّحيحُ المَشهورُ أن دَرَى يَتعدَّى بالباءِ، ولذلك حين عُدِّيَ بهمزَةِ النَّقلِ تعدَّى بالباءِ نحو قولِه: ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: ١٦] فجعلُ (ما) استفهاميَّةً هو الأَوْلَى، وكثيرًا ما عُلِّقَت في القُرآنِ نحو: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، و(يُفْعَل) مُثبَتٌ غيرُ مَنفِيٍّ، لكنَّه قد انسَحَبَ عليه النَّفيُ لاشتِمالِه على (ما) و(يفعل)، ولذلك قالَ: ﴿وَلَا بِكُمۡ﴾، فلَوْلَا اعتِبارُ النَّفيِ لكانَ التَّركيبُ: ما يفعلُ بي وبِكُم، أَلَا تَرى زِيادَةَ (مِن) في قولِه: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٠٥] لانسحابِ قَولِه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على ﴿يُنَزَّلَ﴾[٢].

(١٠) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: القرآنُ.

﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ وقد كفَرْتُم به، ويجوزُ أن تكونَ الواوُ عاطِفةً على الشَّرطِ، وكذا الواوُ في قولِه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلَّا أنَّها تعطِفُه بما عُـطِفَ عليه على جملةِ ما قبلَه، والشَّاهدُ هو عبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ.

---

(١) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٢٩٨)، والبيت المذكور تقدم ذكره في سورة العنكبوت، الآية (٢٢).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ١٩٦ ـ ١٩٧).

وقيل: موسى عليهِ السَّلامُ، وشَهادَتُه ما في التَّوراةِ مِن نَعتِ(١) الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ مثلِ القُرآنِ، وهو ما في التَّوراةِ مِن المعاني المصدِّقةِ للقُرآنِ المطابقةِ لها، أو مثلِ ذلك وهو كونهُ مِن عندِ اللهِ.

﴿فَـَٔامَنَ﴾ أي: بالقرآنِ لمَّا رآهُ مِن جنسِ الوَحيِ مُطابِقًا للحقِّ ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمانِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ استئنافٌ مُشعِرٌ بأنَّ كُفرَهُم به لضَلالِهم المُسبَّبِ عَن ظُلمِهِم ودليلٌ على الجَوابِ المَحذوفِ مثل: ألَسْتُم ظالمينَ؟

قوله: «ودليلٌ على الجَوابِ المَحذوفِ مثل: ألَسْتُم ظَالمين»:

قال أبو حيَّان: جملَةُ الاستفهامِ لا تكونُ جوابًا للشَّرطِ إلا بالفاءِ؛ فإن كانَت الأَداةُ الهمزَةَ تقدَّمَت على الفَاء نحو: إنْ تَزُرنا أفمَا نُكرِمُك، فقوله: ألَسْتُم ظالمينَ بغيرِ فاءٍ لا يَجوزُ أن يكونَ جوابَ الشَّرطِ(٢).

وقال الحَلَبِيُّ: إنمَّا ذُكِرَت أمرًا تقديريًّا فُسِّرَ به المعنى لا الإعرابُ(٣).

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) في (ض): «من بعثة».

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ١٩٧).

(٣) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٩/ ٦٦٤).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لأجلِهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمانُ، أو ما أتى[1] به مُحمَّدٌ.

﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ وهم سُقَّاطٌ إذ عامَّتُهُم فُقَراءُ ومَوالي ورُعاةٌ، وإنَّما قالَهُ قُرَيشٌ[2].

وقيل: بنو عامرٍ وغَطفانُ وأَسَدٌ وأَشجَعُ لَمَّا أَسْلَمَ جُهَينَةُ ومُزَينَةُ وأَسْلَمُ وغِفَارٌ[3].

أو اليهودُ حينَ أَسلمَ ابنُ سَلَامٍ وأَصحابُه.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ ظرفٌ لِمَحذوفٍ مثل: ظهرَ عِنادُهُم.

وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ مُسبَّبٌ عنه وهو كقولِهم: أساطيرُ الأوَّلينَ.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ ومن قبلِ القُرآنِ، وهو خبرٌ لقولِه: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ ناصبٌ لقولِه: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ على الحالِ.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لكتابِ موسى، أو (لِمَا بينَ يديهِ)، وقد قُرِئَ بهِ[4].

﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حالٌ مِن ضميرِ ﴿كِتَٰبٌ﴾ في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، أو مِنهُ لتَخصُّصِه بالصِّفَةِ، وعامِلُها معنى الإشارةِ، وفائدَتُها الإشعارُ بالدلالةِ على أنَّ كونَهُ مُصدِّقًا

---

(١) في (خ): «أي الإيمان أو ما أوتي».

(٢) أورده أبو حفص النفسي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٢) عن قتادة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٧٥ ـ ٧٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦) عن الكلبي، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٥١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٤٤٠)، دون نسبة.

(٤) نسبت لمصحف ابن مسعود، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥١)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٤٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٩٥).

للتَّوراةِ كما دلَّ على أنَّه حقٌّ دلَّ على أنه وحيٌ وتَوقيفٌ مِن اللهِ سُبحانَه.

وقيل: مفعولُ ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ أي: يصدقُ ذا لسانٍ عربيٍّ بإعجازِه.

﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ عِلَّةُ ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ وفيه ضميرُ ﴿الكتاب﴾ أو اللهِ أو الرَّسولِ، ويؤيِّدُ الأخيرَ قِراءةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ والبَزِّيِّ بخلافٍ عنه[١] ويَعقوبَ بالتَّاءِ[٢].

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ عطفٌ على محلِّه.

قوله: «﴿لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ ظرفٌ لِمَحذوفٍ مثل: ظهرَ عنادهم، وقولُه: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ مسببٌ عنه»:

قال صاحبُ «الانتصاف»: لم يمنَعْ عَملَ ﴿فسَيقولونَ﴾ إلَّا الاستقبالُ، فلا مانعَ إذًا؛ لأنَّ الاستقبالَ إنَّما جاءَ للإشعارِ بدَوامِ ما وقَعَ وأنَّهم حرَّفُوا وقالُوا: هذا أساطيرُ الأوَّلِينَ وإفكٌ قَديمٌ.

ومَعناها: فقالوا إذ لم يَهتَدُوا به هذا إِفكٌ قَديمٌ وداموا عليه، فعبَّرَ عَن الوُقوعِ والدَّوامِ والاستقبالِ بالسِّينِ كقولِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧]، وقولِه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] ولولا دخولُ الفاء على الفعلِ لتعيَّنَ هذا الذي ذكرتُ، لَكِنَّ الفاءَ دَلَّت بسَبَبيَّتِها على مَحذوفٍ هو المُسبَّبُ، وقَطَعَتِ الفعلَ عَن الظَّرفِ، فتَعيَّنَ ما ذكرَه[٣] الزمخشريُّ لأجلِ الفَاءِ لا لأجلِ السِّينِ،[٤] انتهى.

---

(١) «والبزي بخلاف عنه»: ليس في (ض).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٩)، و«النشر» (٢/ ٣٧٢ـ ٣٧٣).

(٣) في (ز) زيادة: «الذي ذكرت لكن الفاء دلت بسببيتها على محذوف هو المسبب وقطعت الفعل عن الظرف فتعين ما ذكره».

(٤) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٣٠٠).

وقال ابنُ الحاجبِ في «أماليه»: يجوزُ أَنْ تكونَ (إذ) مُتضمنةً معنى الشَّرطِ لدَلالةِ الفاءِ بعدَها، وكونِها في مَعنى (إذا)، وحَسُنَ تَعبيرُها بها لدلالَتِها على تحقُّقِ ذلك لكونِها للمَاضي، ويجوزُ أَنْ تكونَ مَعمولةً لقولِه: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ باعتبارِ إرادةِ الاستمرارِ[1].

قوله: «﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ عَطفٌ على محلِّه»:

عبارَةُ «الكشاف»: أنَّه في محلِّ النَّصبِ مَعطوفٌ على مَحلِّ ﴿لِيُنذِرَ﴾ لأنَّه مَفعولٌ له[2].

قال أبو حيَّان: تبعَهُ في ذلك أبو البقاءِ[3]، وهو لا يجوزُ على الصَّحيحِ مِن مَذاهبِ النَّحويِّينَ؛ لأنَّهم يَشترطونَ في الحملِ على المحلِّ أَنْ يكونَ المحلُّ بحقِّ الأصالةِ وأَنْ يكونَ للمَوضعِ مُحرِزاً، والمحلُّ هنا ليس بحقِّ الأصالةِ؛ لأنَّ الأصلَ هو الجرُّ في المفعولِ له، وإنَّما النَّصبُ ناشئ عن إسقاطِ الخافضِ لكنَّه لَمَّا كَثُرَ بالشُّروطِ المذكورةِ في النَّحوِ وصلَ إليه الفعلُ فنَصَبَه[4].

وقال الحَلَبيُّ: قولُه: (الأصلُ في المفعولِ له الجرُّ بالحرفِ) ممنوعٌ بدليلِ قولِ النَّحويِّينَ: إنَّه يُنصَبُ بشروطٍ، ثمَّ يقولون: ويجوزُ جَرُّهُ باللامِ، فقولُهم: (ويجوزُ جرُّه) ظاهرٌ في أنه فرعٌ لا أصلٌ[5].

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، و«فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٢٨٢).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٨/ ٢٤١).

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» لأبي البقاء (٢/ ١١٥٥).

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٢٠٢).

(٥) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٩/ ٦٦٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ جمَعُوا بين التَّوحيدِ الذي هو خلاصةُ العلمِ والاستقامةِ في الأُمورِ التي هي مُنتَهى العملِ، و(ثم) للدَّلالةِ على تأخُّرِ رتبةِ العملِ وتوقُّفِ اعتبارِه على التَّوحيدِ.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عن لحوقِ مَكروهٍ.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فواتِ مَحبوبٍ، والفاءُ لتَضمُّنِ الاسمِ مَعنى الشَّرطِ.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِن اكتِسابِ الفَضائلِ العِلْميَّةِ والعَمَليَّةِ، و﴿خَالِدِينَ﴾ حالٌ مِن المستكنِّ في ﴿أَصْحَابُ﴾، و﴿جَزَاءً﴾ مصدرٌ لفعلٍ دلَّ عليه الكلامُ، أي: جُوزوا جزاءً.

(١٥) - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وقرأ الكوفيُّونَ: ﴿إِحْسَانًا﴾[١]، وقُرِئَ: (حَسَنًا)[٢]، أي: إيصاءً حَسَنًا.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ ذات كرهٍ، أو حملًا ذا كرهٍ وهو المشقَّةُ.

وقرأَ الحِجازيَّانِ وأبو عمرٍو وهِشامٌ بالفتحِ[٣]، وهما لُغتانِ كالفَقْرِ والفُقْرِ.

وقيل: المَضمومُ اسمٌ والمفتوحُ مصدرٌ.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالأخيرة، والباقون بالأولى، انظر: «السبعة» (ص: ١٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) وقراءة الباقين بالضم، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ ومُدَّةُ حملِه وفصالِه، والفِصالُ الفِطامُ، ويدلُّ عليهِ قراءةُ يعقوبَ: ﴿وفصْلُه﴾[1]، أو وقتُه، والمرادُ به الرضاعُ التامُّ المنتهى به، ولذلك عبَّر به كما يعبرُ بالأمدِ عَن المدَّةِ قال:

كُلّ حَـيٍّ مُسْـتكمِلٌ مُدَّةَ[2] العُمْـ ـرِ وَمُـودٍ إذَا انْـتَـهَـى أَمَدُهْ

﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ كلُّ ذلك بيانٌ لِمَا تُكابِدُهُ الأمُّ في تربيةِ الولدِ مبالغةً في التَّوصِيَةِ بها، وفيه دليلٌ على أنَّ أقلَّ مُدَّةِ الحملِ سِتَّةُ أشهُرٍ لأنَّه إذا حُطَّ عنه للفصالِ حولانِ لقولِه تَعالى: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] بَقِيَ ذلك، وبه قال الأطبَّاءُ، ولعلَّ تخصيصَ أقلِّ الحملِ وأكثرَ الرضاعِ لانضِباطِهِما وتَحقُّقِ ارتباطِ حُكمِ النسبِ والرضاعِ بِهمَا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ إذا اكتهلَ واستحكمَ قوَّتُه وعَقلُه.

﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ قيل: لم يُبعَث نبيٌّ إلا بعدَ أربعينَ.

﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أَلهِمْنِي، وأَصْلُه: أَوْلِعني، مِن أوزَعْتُه بكذا.

﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ يعني نعمةَ الدِّينِ، أو ما يَعمُّها وغيرَها، وذلك يؤيِّدُ ما رُوِيَ أنَّها نزَلَتْ في أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنه[3] لأنَّه لم يَكُن أحَدٌ أسلمَ هو وأبواهُ مِن المُهاجرينَ والأنصارِ سِواهُ.

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٣).

(٢) في (ض): «عدة».

(٣) رواه أبو جعفر النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٤٩) عن أبي بكر بن عياش، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ نكَّره للتَّعظيمِ، أو لأنَّهُ أرادَ نَوْعًا مِن الجنسِ يَستجْلِبُ رِضَا اللهِ عزَّ وجلَّ.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ واجعَلْ لي الصَّلاحَ سارِيًا في ذُرِّيَّتي راسِخًا فيهِمْ، ونحوه:

يَجْـرَحُ فِـي عَرَاقِيبِهَـا نَصْلِـي[1]

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عمَّا لا ترضاهُ أو يشغلُ عنك.

﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المخلصينَ لك.

قوله:

«كُلُّ حَـيٍّ مُسْتَـكْمِلٌ مُـدَّةَ الـ ـعُمْرِ وَمُـودٍ إِذَا انْتَهَـى أَمَلُهْ»[2]

قال الطِّيبِيُّ: مُودٍ أي: هالكٌ مِن أَوْدَى: إذا هلكَ، تقول: كلُّ حَيٍّ مُستكمِلٌ مُدَّةَ عمرِه ويهلِكُ إذا انتهَى عُمرُه[3].

قال الرَّاغبُ: الأَبَدُ والأَمَدُ مُتقاربانِ، لكنَّ الأبدَ عِبارةٌ عَن مُدَّةِ الزَّمانِ التي ليسَ لها حدٌّ مَحدودٌ ولا يتقيَّدُ، لا يقال: أمدُ كذا، والأَمَدُ مُدَّةٌ لها حدٌّ مَجهولٌ إذا أطلقَ، وقَدْ يَنحَصِرُ نحو أَنْ يقال: أَمَدُ كذا كما يقالُ: زَمَنُ كذا.

---

(١) قطعة من بيت لذي الرمة يمدح نفسه، وهو في ديوانه (١/ ١٥٦)، وتمامه:

وإن تَعْتَـذِرْ بالمحـلِ عـن ذي ضروعِها إلـى الضيفِ يجرحْ في عراقيبِهـا نَصْلي

قال الباهلي شارح الديوان: أي: وإن تعتذر إبلي بالمحل فلم يكن في ضروعها لبن عرقبتُها للضيف، وقوله: «من ذي ضروعها» يريد: اللبن. ونصله: سيفه.

قال الطيبي: جعل المتعدي بمنزلة اللازم لإرادة الحقيقة، ثم عداه كما يعدى اللازم مبالغة.

(٢) البيت للطرماح، وهو في «ديوانه» (ص: ١٩٧)، وتقدم في سورة البقرة، الآية (٢٣١).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٢٨٧).

والفَرقُ بينَ الزَّمانِ والأَمَدِ: أنَّ الأَمَدَ يقالُ باعتبارِ الغايَةِ، والزَّمانُ عامٌّ في المبدأِ والغايةِ، ولذلك قيل: المَدَى والأَمَدُ يتقاربانِ[1].

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝١٦ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ يُتقبَّلُ عَنْهُم أحسنُ ﴿مَا عَمِلُواْ﴾ يعني طاعاتِهم؛ فإنَّ المباحَ حسنٌ ولا يثابُ عليه.

﴿ويُتجاوَزُ عن سيِّئاتِهِم﴾ لتوبَتِهم، وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحَفصٌ بالنُّونِ فيهما[2].

﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ كائنينَ في عِدادِهِم، أو مُثابينَ، أو مَعدودينَ فيهم.

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لنفسِه، فإنَّ[3] (يتقبلُ) و(يتجاوزُ) وعدٌ.

﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: في الدُّنيا.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ مُبتدأٌ خبرُهُ: (أولئك)، والمرادُ به الجنسُ، وإن

---

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (مادة: أمد).

(٢) وقراءة الباقين بالياء على ما لم يسم فاعله، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

(٣) في (ت): «بأن» وفي (ض): «لأن».

صَحَّ نُزولُها في عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي بكرٍ قبلَ إسلامِه[١] فإنَّ خُصوصَ السَّببِ لا يوجِبُ التَّخصيصَ.

وفي (أفٍّ) قِراءاتٌ ذُكِرَت في سورةِ بني إسرائيلَ[٢].

﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ أبعثَ، وقرأَ هِشامٌ ﴿أَتَعِدانِّي﴾ بنونٍ واحدةٍ مُشدَّدةٍ[٣].

﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ فلم يَرجِعْ أحدٌ منهم.

﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يقولانِ: الغياثُ باللهِ منك، أو يَسألانِه أن يغيثَهُ بالتَّوفيقِ للإيمانِ.

﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ أي: يقولانِ لهُ ويلكَ وهو دعاءٌ بالثُّبورِ بالحثِّ على ما يخافُ على تركِه.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أباطيلَهم التي كتَبُوها.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٨٦ ـ ٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٨)، وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٢١). وهذا القول مردود، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر قد أسلم وكان من أجلاء الصحابة، وإنما ينزل مثل هذا فيمن مات على كفره كأبي لهب والوليد بن المغيرة، وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها هذا القول، وقالت: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري. رواه البخاري (٤٨٢٧).

وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه. وسيشير المؤلف لهذا لاحقاً.

(٢) قرأ نافع وحفص بالتنوين وكسر الفاء، وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، وباقي السبعة بكسرها من غير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٩). فهذا ما تواتر فيها والباقي شاذ، وقد سبق تفصيله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(٣) «وقرأ هشام ﴿أتعدانّي﴾ بنون واحدة مشددة»: ليس في (ض).

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بأنَّهم أهلُ النَّارِ، وهو يردُّ النزولَ في عبدِ الرَّحمنِ لأنَّه يدلُّ على أنَّه مِن أهلِها لذلك، وقد جُبَّ عنه إنْ كان لإسلامِه.

﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ كقولِه: ﴿في أصحابِ الجنَّةِ﴾.

﴿مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ بيانٌ للأُمَمِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ تعليلٌ للحُكمِ على الاستئنافِ.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِن الفريقَيْنِ ﴿دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ مراتبُ مِن جزاءِ ما عَمِلُوا[1] مِن الخيرِ والشرِّ، أو مِن أجلِ ما عَمِلُوا، والدَّرَجاتُ غالبَةٌ في المثوبةِ وهاهنا جاءَتْ على التَّغليبِ.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاءَهَا.

وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وابنُ ذكوانَ بالنُّونِ[2].

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ ثوابٍ وزيادةِ عِقابٍ.

(٢٠) ـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ يعذَّبونَ بها.

وقيل: تُعرضُ النَّارُ عليهم فقُلِبَ مبالغةً كقولهم: عَرضتُ النَّاقةُ على الحوضِ.

---

(١) في (ض): «من جزاء أعمالهم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧٣).

﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ أي: يقالُ لهم: أَذْهَبْتُم، وهو ناصِبُ (اليوم).

وقرأَ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ ويَعقوبُ بالاستِفهامِ غيرَ أَنَّ ابنَ كثيرٍ يقرَأُ بهمزةٍ مَمدودةٍ، وهُما يقرآنِ بها وبهمزتينِ مُحقَّقتينِ[١].

﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ لذَّاتِكُم[٢]، ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ باستيفائِها ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ فما بَقِيَ لَكُم مِنها شيءٌ.

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الهوانِ، وقد قُرِئَ بِهِ[٣].

﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ بسببِ الاستكبارِ الباطلِ والفُسوقِ عَن[٤] طاعةِ اللهِ.

وقُرِئَ: (تفسقون)[٥] بالكسرِ[٦].

قوله: «فقُلب مُبالغَةً كقَوْلِهم: عَرضتُ النَّاقةُ على الحوضِ»:

قال صاحبُ «الانتصاف»: إن كانَ عرضُ النَّاقةِ على الحوضِ مَقلوبًا فعرضُ الذين كفروا على النَّارِ ليسَ مَقلوبًا؛ لأنَّ الحوضَ جَمادٌ لا إدراكَ له والنَّاقةُ هي المدركةُ، أمَّا النَّارُ فقَدْ وردَ أنَّها مُدركَةٌ كإدراكِ أُولي العلمِ فهوَ كقَولِك: عَرَضْتُ الأسرى على النَّارِ[٧].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٩٩)، و«البدور الزاهرة» (ص: ٢٩٥).

(٢) في (خ) و(ت): «لذائذكم».

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢٥٠)، و«البحر» (١٩/ ٢١٣).

(٤) في (ت): «على».

(٥) في (ت): «يفسقوا».

(٦) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢٥٠).

(٧) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٣٠٥)، وفيه: (الأمير) بدل (النار).

وقال أبو حيَّان: لا يَنبَغِي حَملُ القُرآنِ على القلبِ، إذ الصَّحيحُ في القلبِ أنَّه مما يُضطَرُّ إليه في الشِّعرِ، وإذا كان المعنى صَحيحًا واضحًا مع عدمِ القلبِ فأيُّ ضَرورةٍ تَدعو إليه؟ وليسَ في قَولِهم: عرضتُ النَّاقةَ على الحوضِ ما يدلُّ على القلبِ؛ لأن عرضَ النَّاقةِ على الحوضِ وعرضَ الحوضِ على الناقَةِ كلٌّ مِنهُما صَحيحٌ، إذ العَرْضُ أمرٌ نسبي يَصِحُّ إسنادُهُ لكلِّ واحدٍ من الحوضِ والنَّاقةِ[1].

(٢١ ـ ٢٣) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هودًا ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ هو جمعُ حِقْفٍ، وهو رملٌ مُستَطيلٌ مُرتفِعٌ فيه انحناءٌ مِن احقَوْقَفَ الشَّيءُ: إذا اعوجَّ، وكانوا يسكنونَ بينَ رمالٍ مُشرفةٍ على البحرِ بالشَّجرِ مِن اليَمنِ.

﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ الرُّسلُ ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ قبلَ هودٍ وبعدَهُ، والجملةُ حالٌ أو اعتراضٌ.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: لا تَعبدُوا، أو بأَنْ لا تَعبدُوا، فإنَّ النَّهيَ عَن الشَّيءِ إنذارٌ عن مَضرَّتِه.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ هائلٍ بسببِ شركِكُم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ لتَصْرِفَنا ﴿عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ عن عِبادَتِها ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِن العذابِ على الشِّركِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعدِكَ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٢١١ ـ ٢١٢).

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا عِلمَ لي بوقتِ عَذابِكُم ولا مدخلَ لي فيه فأستعجلَ بهِ، وإنَّما عِلمُهُ عندَ اللهِ فيأتيكُم به في وقتِه المقدَّرِ له.

﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم، وما على الرَّسُولِ إلا البلاغ.

﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ لا تعلمونَ أنَّ الرُّسُلَ بُعِثُوا مُبلِّغينَ مُنذِرينَ لا مُعذِّبينَ مُقترِحينَ.

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ سحابًا عَرَضَ في أفقِ من السَّماءِ.

﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ متوجِّهَ أَودِيَتِهِم، والإضافةُ فيه لَفظيَّةٌ، وكذا في قولِه:

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي يأتينا بالمطرِ.

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: قالَ هودٌ: بَل هو ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ مِن العذابِ، وقُرِئَ: (قُلْ بل)[1].

﴿رِيحٌ﴾ هي ريحٌ، ويجوزُ أَنْ يكونَ بدلَ (ما).

﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ صِفتُها، وكذا قولُه:

﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلكُ ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن نُفوسِهِم وأموالِهِم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ إذ لا تُوجَدُ نابضةُ حركةٍ ولا قابضةُ سُكونٍ إلَّا بمَشيئَتِه، وفي ذكرِ الأمرِ والربِّ وإضافَتِه إلى الرِّيحِ فَوائِدُ سبقَ ذِكرُهَا مِرارًا.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقُرِئَ: (يَدْمُرُ كُلُّ شيء)[١] مِن دَمَرَ دمارًا: إذا هلكَ، فيكونُ العائدُ محذوفًا، أو الهاءُ في ﴿رَبِّهَا﴾، ويحتملُ أن يكونَ استئنافًا للدلالةِ على أنَّ لِكُلِّ ممكنٍ فَناءً مَقضِيًّا لا يَتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ، ويكونُ الهاءُ لكلِّ شيءٍ فإنَّه بمعنى الأشياءِ.

﴿فأصبحوا لا تَرى إلا مَساكِنَهُم﴾ أي: فجاءَتْهُم الرِّيحُ فدَمَّرَتْهُم فأصبَحُوا بحيثُ لو حضرتَ بلادَهُم لا ترى إلا مَساكِنَهُم.

وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ بالياءِ المضمومةِ ورفعِ المساكنِ[٢].

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ رُوِيَ أنَّ هُودًا لَمَّا أحسَّ بالرِّيحِ اعتزلَ بالمُؤمِنينَ في الحظيرةِ وجاءَتِ الرِّيحُ فأمالَتِ الأحقافَ على الكفرَةِ وكانوا تحتَها سبعَ لَيالٍ وثمانيَةَ أيَّامٍ ثمَّ كُشِفَت عنهم واحتَمَلَتْهُم وقَذَفَتْهُم في البحرِ[٣].

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢٥٤)، وذكر أبو حيان في «البحر» (١٩/ ٢١٦) قراءتين: التاء مع نصب (كلَّ)، والياء مع رفعها، ونسب الأولى لزيد بن علي.

(٢) وقراءة الباقين بالتاء مفتوحة وبالنصب، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).
وقرأ الحسن وأبو رجاء والجحدري وقتادة وعمرو بن ميمون والسلمي ومالك بن دينار والأعمش وابن أبي إسحاق، واختلف عن الكل إلا أبا رجاء ومالك بن دينار: (لا تُرى)، بالتاء مضمونة وبالرفع، انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٦٥)، واقتصر في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠) على عزوها للحسن، وتحرفت (تُرى) في مطبوعه إلى: (يُرى) بالياء.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١١٣) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ (إن) نافيةٌ وهي أحسَنُ مِن (ما) هاهنا لأنَّها تُوجِبُ التَّكريرَ لفظًا، ولذلك قُلِبَت أَلِفُها هاءً في (مهما)، أو شرطيَّةٌ محذوفةُ الجَوابِ والتَّقديرُ: ولقَدْ مَكَّنَّاهُم في الذي أو في شيءٍ إِنْ مَكنَّاكُم فيه كانَ بَغْيُكُم أكثرَ، أو صِلَةٌ كمَا في قولِه:

يُرَجِّي المَرْءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ وتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الخُطُوبُ

والأوَّلُ أظهَرُ وأَوْفَقُ لقولِه: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ ﴿كانوا أكثرَ منهم وأشدَّ قوةً وآثارًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ ليعرفُوا تلك النِّعَمَ ويَستَدِلُّوا بها على مانِحِها ويُواظِبُوا على شُكرِها.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ مِن الإغناءِ وهو القليلُ.

﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صِلَةٌ[1] لـ(ما أغنى)، وهو ظرفٌ جَرى مجرى التَّعليلِ مِن حيثُ إنَّ الحكمَ مُرَتَّبٌ على ما أُضِيفَ إليه، وكذلك (حيث).

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مِن العَذابِ.

قوله:

«يُرَجِّي المَـرْءُ مـا إنْ لا يَـرَاهُ وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الخُطُوبُ»[2]

---

(١) في (ض): «علة» وفي الهامش: في نسخة: «صلة».

(٢) نسبه أبو زيد في «النوادر» (ص: ٢٦٤) لجابر بن رألان الطائي برواية:

يرجِّي العبدُ ما إنْ لا يُلاقي وتَعرِضُ دونَ أَبعدِها خُطوبُ

وذكره البغدادي في «شرح أبيات المغني» (١/ ١٠٧) بالروايتين، وله فيهما كلام طويل، ومما قاله في شرحه: قوله: «يرجي العبد» وهو عبد الخلقة، و«يرجي»: مبالغة يرجو، أي: يأمل، وقد حذف =

قال ابنُ الأَعرابيّ في «نوادره»: هو لجابرِ بنِ رألان[١] الطائيِّ، ويقال: لإياسِ بن الأرت[٢]، وقبلَه:

إِنْ أُمْسِكْ فَإِنَّ العَيْشَ حُلْوٌ ... إِلَيَّ كَأَنَّهُ عَسَلٌ مَشُوبُ

وبعده:

وَمَا يَدْرِي الحَرِيصُ عَلَامَ يَلْقَى ... شَرَاشِرَهُ أَتُخْطِي أَمْ تُصِيبُ[٣]

قال ابنُ الدَّمامينيِّ: المعنى أنَّ الإنسانَ تمتدُّ أطماعُه إلى الأمورِ المغيبَةِ التي لا يراها، ويعترضُ دونَ أقربِها عندَه حُصولًا الأمور الشديدة التي تقتطعُ رجاءَه، فما ظنُّكَ بأبعدِ تلك الأشياءِ؟!

وقال الطِّيبيُّ: البيتُ مأخوذٌ مِن قولِه: تأملون ما لا يدركونَ، وقريبٌ مِن مَعناه قولُ الآخر:

المَرْءُ قَدْ يَرْجُو الرَّجَا ... ءَ مُؤَمِّلًا وَالمَوْتُ دُونَهْ[٤]

= العائد إلى «ما» الموصولة من قوله: «لا يلاقي»، والأصل: لا يلاقيه، و«ما» واقعة على الأمور التي تطلبها النفس، و«تعرض»؛ أي: تحول، من عرضتُ له بسوء؛ أي: تعرضت، من باب ضرب، و«دون» هنا بمعنى: أمام، و«أدناه»: أقربه، من الدنو وهو القرب، والخطوب: جمع خطب، وهو الأمر والشأن عظم أو صغر والمراد هنا الأمر العظيم الشديد. يعني: إذا كان أقرب ما يتمناه الإنسان تحول الأمور الشاقة عن الوصول إليه فما ظنك بأبعدها! فإن الإنسان وإن اجتهد بكل حيلة لم ينل جميع ما يرومه: ما كل ما يتمنى المرء يدركه.

(١) في النسخ الخطية: «راآن»، والتصويب من «خزانة الأدب» (٨/ ٤٤٥)، وفيه: رألان بالراء المهملة بعدها همزة ساكنة.

(٢) في النسخ الخطية: «الأرث»، والتصويب من «خزانة الأدب» (٨/ ٤٤٥)، وفيه: والأرت بالمثناة.

(٣) وانظر: «النوادر في اللغة» لأبي زيد (ص: ٢٦٤)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٨/ ٤٤٠ ـ ٤٤٥).

(٤) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٣٠٦)، والبيت المذكور قاله خليفة بن بَرَاز، وهو شاعر جاهلي، =

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٧ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهلَ مَكَّةَ ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كحِجْرِ ثَمُودَ وقُرَى قومِ لوطٍ.

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ بتكريرِها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَن كُفرِهِم.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ فهَلَّا مَنَعَتْهُم مِن الهلاكِ آلِهَتُهم الذين يَتقرَّبُونَ بهم إلى اللهِ حيثُ قالوا: هؤلاءِ شُفَعاؤُنا عندَ اللهِ، وأوَّلُ مَفعولَيْ (اتَّخذ)[1] الراجعُ إلى المَوصولِ المَحذوفِ وثانيهِمَا ﴿قُرْبَانًا﴾، و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ بدلٌ أو عَطفُ بيانٍ، أو ﴿ءَالِهَةَۢ﴾ و﴿قُرْبَانًا﴾ حالٌ أو مفعولٌ له على أنَّه بمَعنى التَّقرُّبِ.

وقُرِئَ: (قُرُبانًا) بضمِّ الرَّاءِ[2].

﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ غابوا عَن نصرِهِم وامتنعَ أَنْ يَستَمِدُّوا بهم امتناعَ الاستمدادِ بالضَّالِّ.

﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ وذلك الاتِّخاذُ الذي هذا أثرُهُ صَرفُهُم عن الحقِّ.

وقُرِئَ (أَفَّكَهُم) بالتَّشديدِ للمُبالغَةِ، و(آفَكَهُم) أي: جعلَهُم آفِكينَ، و(آفِكُهُم)[3] أي: قولهم الآفِكُ؛ أي: ذو الإفكِ، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

= كما في «المقاصد النحوية» للعيني (٢/ ٦٢٤)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٩/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(١) في (خ): «اتخذوا».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٠)، قال ابن خالويه: هذه زيادة على سيبويه لأنه ذكر أنه ليس في كلام العرب كلمة على فُعُلان إلا سُلُطان.

(٣) انظر هذه القراءات مع نسبتها لقارئيها في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٧٨)، و«البحر» (١٩/ ٢٢٠).

قوله: «وثانيهما ﴿قُرْبَانًا﴾ و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ بدلٌ»:

هذا تابعٌ فيه مَكِّيًّا وأبا البَقاءِ.

وقد منعَهُ الزَّمخشريُّ فقال: ولا يَصِحُّ أن يكونَ (قُربانًا) مَفعولًا ثانيًا، و(آلهةً) بدلٌ منه لفسادِ المعنى[1].

قال صاحبُ «الانتصاف»: لأنَّه يَصيرُ المَعنى الذَّمُّ على تركِ اتِّخاذِ اللهِ متقرَّباً به؛ لأنَّكَ إذا قلت لعبدك: اتَّخذتَ فُلانًا سَيِّدًا دُوني، فقَدْ لُمْتَه على نسبةِ السِّيادَةِ لغيرِه، واللهُ تعالى لا يُتَقرَّبُ به ولكن يُتقرَّبُ إليه[2].

وفي «حاشية الطِّيبيِّ»: قيل: لأنَّ الآلهةَ لا تُتَّخَذُ قُربانًا وإنَّما يُتقرَّبُ إليها.

وقال بَعضُهُم: لا يَصِحُّ أن يقال: تقرَّبُوا بها مِن دونِ اللهِ؛ لأنَّ الآلهةَ لا يُتقرَّبُ بها؛ لأنَّكَ إذا جعلتَ قربانًا [مفعولاً][3] ثانيًا لـ(اتَّخذ) فكأنَّكَ قلت: اتَّخذوهم أي الأصنام قربانًا وآلهةً، والإلهُ لا يُتَّخَذُ قربانًا، فيفسدُ المعنى.

وقال الفاضِلُ نورُ الدِّينِ الحَكيمُ الأَبَرْقُوهِي: يفسدُ المعنى لأنَّه لا يَستقيمُ أن يُقالَ كانَ مِن حقِّ اللهِ أن يُتَّخذَ قربانًا وهم اتَّخذوا الأصنامَ مِن دونه قربانًا، كما استقامَ أن يقال: كانَ مِن حَقِّ اللهِ أَنْ يُتخذَ إلهًا وهم اتَّخذُوا الأصنامَ مِن دونِه آلهةً.

قال الطِّيبيُّ: وهو سديدٌ إلَّا أن لقائلٍ أن يقولَ: إنَّ الزَّمخشريَّ ذكرَ في البقرةِ في قولِه: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] أي بينَ يَدَي اللهِ على قولٍ، وعَلى ذلك يَستقيمُ أَنْ يُقال: اتَّخذوا الأصنامَ مُتقرَّبًا بها بينَ يدَي اللهِ تَعالى.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٨/ ٢٥٨).

(٢) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٣١٠)، و«فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٣٠٨).

(٣) ما بين معكوفتين من «فتوح الغيب».

وأيضًا قد قيل: إنَّ ﴿قُرْبَانًا﴾ مَفعولٌ له، وعلى ذلكَ فهو غيرُ مَخصوصٍ بما يتقرَّبُ به فيسوغُ أَنْ يجريَ بمَعنى المتقرَّبِ إليه، وحينئذٍ يَستدُّ أن يقالَ: إنه مفعولٌ ثانٍ أيضًا.

وقال صاحبُ «الكشف»: ﴿قُرْبَانًا﴾ مَفعولٌ ثانٍ قُدِّمَ على الأوَّلِ؛ أي: آلهةً ذاتَ قربَةٍ.

وقال صاحبُ «التقريب»: غايةُ تَقريرِه: أنَّ اتِّخاذَ اللهِ قربانًا وشفعاءَ جهةٌ مُعتبرةٌ في النُّصرةِ، ولو جُعلَ مُبدلًا منه لكانَ في حكمِ الطَّرحِ وخرجَ عَن الاعتبارِ، وفيه نظرٌ[١]، انتهى.

وقال أبو حيَّان: لم يُبيِّن الزَّمخشريُّ كيفَ يفسدُ المعنى، ويظهرُ أنَّ المعنى صحيحٌ على ذلك الإعرابِ[٢].

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أَمَلْناهُم إليكَ، والنَّفَرُ دونَ العشرةِ وجمعُهُ أَنْفارٌ.

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ حالٌ مَحمولَةٌ على المعنى.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: القرآنَ أو الرَّسولَ.

﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُوا۟﴾ قالَ بعضُهُم لِبَعضٍ: اسكُتوا لِنَسمَعَه.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٢٢٠).

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أُتـمَّ وفُـرغَ مِـن قِراءَتِـه، وقُرِئَ علـى بنـاءِ الفاعلِ[١] وهـو ضَميرُ الرَّسُولِ.

﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ أي: مُنذِرينَ إيَّاهُم بما سَمِعُوا، رُوِيَ أَنَّهُم وافَـوْا رَسولَ اللهِ ﷺ بوادي النخلةِ عندَ مُنصرَفِهِ مِن الطَّائفِ يقرَأُ في تَهجُّدِه.

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ قيل: إنَّما قالوا ذلك لأنَّهم كانوا يَهُودًا، أو ما سَمِعُوا بأمرِ عيسى عليهِ السَّلامُ.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ مِـن العَقائـدِ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مِـن الشَّـرائعِ.

قوله: «رُوِيَ أَنَّهُم وافَوْا رسولَ الله ﷺ بوادِي نخلة...» الحديث:

رواهُ الحاكمُ عن ابن مَسعودٍ[٢].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٥)، و«البحر» (١٩/ ٢٢٣)، عن خبيب بن عبد الله بن الزبير وأبي مجلز.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٠١).

وروى بعضه البخاري (٤٩٢١) ، ومسلم (٤٤٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن الجن أتوه ﷺ بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر. وقد بيَّن الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٥١) ما ليس في رواية الصحيحين منه فقال: متفق عليه بمعناه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس دون أوله، ودون قوله: «وكانوا تسعة نفر أحدهم زوبعة» ودون قوله: «في جوف الليل يصلي» ودون قوله: «من نينوى» ودون قوله: «عند منصرفه...» إلى آخره.

وأما زوبعة فأخرجه الحاكم [«المستدرك» (٣٧٠١) وصححه] من رواية زِرٍّ عن ابن مسعود قال: «هبطوا ـ يعني: الجن ـ على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية».

وقوله: «نينوى» أخرجه الطبري [في «تفسيره» (٢١/ ١٦٦)] من رواية قتادة في هذه الآية قال: «ذكر =

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ بعضَ ذُنوبِكُم وهو ما يكونُ في خالصِ حقِّ اللهِ، فإنَّ المظالمَ لا تُغفَرُ بالإيمانِ.

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو مُعَدٌّ للكفَّارِ، واحتجَّ أبو حنيفةَ باقتصارِهم على المَغفِرَةِ والإجارةِ على أنْ لا ثوابَ لَهُم[1]، والأظهرُ أنَّهُم في توابعِ التَّكليفِ كبَني آدمَ.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إذ لا يُنْجِي منه مَهرَبٌ.

﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ يمنعونَه منه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ حيثُ أعرَضُوا عن إجابةِ مَن هذا شَأْنُه.

= لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى...» الحديث.

قلت: وقد تابع المؤلفُ الزمخشريَّ في كون ذلك عند رجوعه من الطائف، وقد نقله ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية من رواية محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن محمد بن كعب القرظي، ثم تعقبه بقوله: قوله: «إن الجن كان استماعهم تلك الليلة» فيه نظر؛ لأن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، كما دل عليه حديث ابن عباس المذكور، وخروجه عليه السلام إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين، كما قرره ابن إسحاق وغيره.

قلت: ويؤيد ما قاله ابن كثير أن في حديث ابن عباس في الصحيحين كما قدمنا: أن الجن أتَوْه بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، وعند عودته من الطائف كان وحيداً، ولم يكن معه أصحابه.

(١) هي إحدى الروايتين عن الإمام أبي حنيفة، والرواية الثانية التوقف في ذلك.

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ ولم يَتْعَب ولَمْ يَعجِزْ، والمعنى: أنَّ قُدرتَهُ واجِبةٌ لا تنقصُ ولا تنقطِعُ بالإيجادِ أبدَ الآباد[1].

﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ أي: قادرٌ، ويدلُّ عليهِ قِراءةُ يَعقوبَ ﴿يَقْدِرُ﴾، والباءُ مَزيدةٌ لتأكيدِ النَّفيِ فإنَّهُ مُشتَمِلٌ على (أنَّ) وما في حَيِّزِها، ولذلكَ أجابَ عنهُ بقولِه:

﴿بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تقريرًا للقُدرَةِ على وجهٍ عامٍّ يكونُ كالبُرهانِ على المقصودِ، كأنَّه لَمَّا صَدَّرَ السُّورةَ بتَحقيقِ المبدأِ أرادَ خَتْمَها بإثباتِ المعادِ.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ منصوبٌ بقولٍ مُضمَرٍ مَقولُه:

﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ والإشارةُ إلى العذابِ.

﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكُفرِكُم في الدُّنيا، ومعنى الأمرِ هو إهانتُهم والتَّوبيخُ لَهُم.

(٣٥) ـ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أولو الثَّباتِ والجِدِّ منهم فإنَّك مِن جُملَتِهم، و(مِن) للتَّبيينِ.

---

(١) «أبد الآباد» من (خ) و(ت).

وقيل: للتَّبعيضِ، وأولو العَزمِ أصحابُ الشَّرائعِ اجتَهدُوا في تَأسيسِها وتقريرِهَا وصَبَروا على تحمُّلِ مَشاقِّها ومُعاداةِ الطَّاعنينَ فيها، ومَشاهيرُهُم: نوحٌ وإبراهيمُ ومُوسى وعِيسى صَلَواتُ اللهِ عليهم.

وقيل: الصَّابِرونَ على بلاءِ اللهِ كنُوحٍ صبرَ على أذى قومِه كانوا يَضرِبُونَه حتى يُغشى عليه، وإبراهيمُ على النَّارِ وذَبحِ ولدِهِ، والذَّبيحُ على الذَّبحِ، ويَعقوبُ على فقدِ الولدِ والبَصَرِ، ويوسفُ على الجُبِّ والسجنِ، وأيُّوبُ على الضرِّ، ومُوسَى قالَ لهُ قومُه: إنَّا لَمُدرَكُونَ قال: كلَّا إنَّ مَعي ربِّي سَيهدِين، وداودُ بَكى على خَطيئَتِه أربعينَ سنةً، وعيسى لم يَضَع لَبِنةً على لَبنَةٍ.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لكُفَّارِ قُريشٍ بالعَذابِ فإنَّهُ نازلٌ بهم في وَقتهِ لا محالةَ.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ استقصرُوا مِن هَولِه مدَّةَ لُبثِهِم في الدُّنيا حتى يحسَبونَها ساعةً.

﴿بَلَٰغٌ﴾ هذا الذي وُعِظتُم به أو هذهِ السُّورَةُ بلاغٌ أي: كفايةٌ أو تبليغٌ مِن الرَّسولِ[1]، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (بَلِّغْ)[2].

وقيل: مُبتدَأٌ خبرُه لهم وما بينَهُما اعتراضٌ؛ أي: لهم وَقتٌ يبلُغونَ إليه كأنَّهُم إذا بلَغُوه ورأَوْا ما فيهِ استقصَرُوا مُدَّةَ عُمرِهِم، وقُرِئَ بالنَّصبِ[3] أي: بُلِّغُوا بلاغًا.

---

(١) في (خ): «الرسل».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٨)، عن أبي مجلز وأبي سراج الهذلي.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤١)، و«المحتسب» (٢/٢٦٨)، و«البحر» (١٩/٢٢٧)، عن الحسن وعيسى الثقفي وأبي عمرو الهذلي وزيد بن علي.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجونَ عَنِ الاتِّعاظِ أو الطَّاعةِ.

وقُـرِئَ: (يَهْلِـكُ) بفتحِ اللامِ وكسـرِها[١] من هَلِـكَ وهلَكَ، و(نُهلِـكُ) بالنُّونِ ونَصـبِ القَومِ[٢].

عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ الأحقافِ كُتِبَ لهُ عَشرُ حَسَناتٍ بعَددِ كلِّ رملَةٍ في الدُّنيا».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ الأحقافِ...» إلى آخره:

موضوعٌ[٣].

* * *

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤١)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٨)، الأولى عن ابن محيصن، والثانية عن أبي مجلز.

(٢) ذكرها في «الكشاف» (٨/ ٢٦٦) من غير نسبة، والآلوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ١٢٠) عن زيد بن ثابت، وجاء في «البحر» (١٩/ ٢٢٨) ععن زيد بن علي: (فهل يُهْلِكُ) بضم الياء وكسر اللام (إلا القومَ الفاسقين).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠٢)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وتتمته: «ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٩١).

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سورة محمد

عليه السَّلامُ

وتُسمَّى سورةَ القتالِ، وهي مَدنيَّةٌ، وقيل: مَكِّيَّةٌ، وآيُها سبعٌ أو ثمان وثلاثونَ(1).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(1 ـ 2) ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ امتَنَعُوا عن الدُّخولِ في الإسلامِ وسلوكِ طَريقِه، أو منعوا النَّاس عنه كالمطعمينَ(2) يومَ بدرٍ(3)، أو شياطينِ(4) ....

---

(1) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: 228)، وفيه: وهي ثلاثون وثماني آيات في الكوفي، وتسع في المدنيين والمكي والشامي، وأربعون آية في البَصريّ، اختلافها آيتان ﴿أَوْزَارَهَا﴾ لم يَعُدَّها الكوفي وعدَّها الباقون، ﴿لِّلشَّارِبِينَ﴾ عدَّها البَصري ولم يعدها الباقون. ولم يذكر الداني سوى القول بمدنيتها، وهو ما صححه أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير». وقال هبة الله في «الناسخ والمنسوخ» (ص: 165): وهي من السُّور المُختَلَف في تنزيلها، فقالت طائفة: نزلت بمكة، وهو مَرويّ عن السّدي والضحاك، وقال آخرون: نزلت بالمدينة، وهو مرويّ عن مجاهد، وهي إلى تنزيل المدينة أشبه، والله أعلم.

(2) في (ت): «وهم المطعمون».

(3) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (3/ 296) عن الكلبي، معدداً أسماءهم وهم ستة، ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(4) في (ض): «وشياطين».

قُريشٍ[١]، والمُصرِّينَ[٢] مِن أهلِ الكِتابِ، أو عامٌّ في جميعِ مَن كفرَ وصدَّ.

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ جعلَ مَكارِمَهُم كصِلَةِ الرَّحمِ وفكِّ الأُسارى وحفظِ الجِوارِ ضالَّةً أي ضائعةً مُحبَطةً بالكُفرِ، أو مَغلوبَةً مَغمورةً فيه كما يَضِلُّ الماءُ في اللبنِ، أو ضلَّالًا حيثُ لم يقصِدُوا به وجهَ اللهِ، أو أبطلَ ما عَمِلُوه مِن الكيدِ لرَسُولِه والصَّدِّ عَن سَبيلِه بنصرِ رَسُولِه وإظهارِ دينِه على الدِّينِ كلِّه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يَعُمُّ المُهاجرينَ والأنصارَ والذين آمَنُوا مِن أهلِ الكتابِ وغيرَهم.

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ تخصيصٌ للمنزلِ عليه ممَّا يَجِبُ الإيمانُ به تعظيمًا له وإشعارًا بأنَّ الإيمانَ لا يَتِمُّ دونَه[٣] وأنَّه الأَصلُ فيه، ولذلك أكَّدَه بقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ اعتراضًا على طريقِه وحقيقتِه بكونِه[٤] ناسخًا لا يُنسَخُ.

وقُرِئَ: (نَزَّلَ) على البناءِ للفَاعلِ[٥]، و: (أنزلَ) على البناءِ[٦]، و: (نَزَلَ) بالتَّخفيفِ[٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٣)، وعددهم، وهم الستة المذكورون في خبر الكلبي مع ستة آخرين.

(٢) في (خ) و(ت): «أو المصرون».

(٣) في (خ): «بدونه».

(٤) في (ض): «اعتراضًا، وحقِّيتُه كونه».

(٥) وهي قراءة ابن مقسم كما في «الكامل» للهذلي (ص: ٦٣٨)، وابن مسعود كما في «زاد المسير» (٤/ ١١٥).

(٦) بالبناء للمفعول، قراءة الأعمش كما في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٩)، وأبي ومعاذ القارئ كما في «زاد المسير» (٤/ ١١٥).

(٧) وهي قراءة أبي رزين وأبي الجوزاء وأبي عمران كما في «زاد المسير» (٤/ ١١٥).

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ سَترَها بالإيمانِ وعَملِهِم الصَّالحِ.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالَهُم في الدِّينِ والدُّنيا بالتَّوفيقِ والتَّأييدِ.

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما مرَّ مِن الإضلالِ والتَّكفيرِ والإصلاحِ، وهو مُبتدَأٌ خبرُه: ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ بسببِ اتِّباعِ هؤلاءِ الباطلَ واتباعِ هؤلاءِ الحقَّ، وهو تصريحٌ بما أشعرَ به ما قبلَها، ولذلك يُسمَّى[١] تَفسيرًا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الضَّربِ ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ يُبيِّنُ لهم ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾ أحوالَ الفَريقَيْنِ، أو أحوالَ النَّاسِ، أو يضربُ أمثالَهُم بأَنْ جعلَ[٢] اتِّباعَ الباطلِ مَثَلًا لعملِ الكُفَّارِ والإضلالَ مثلًا لخيبَتِهِم، واتِّباعَ الحقِّ مثلًا للمُؤمنينَ وتكفيرَ السَّيِّئاتِ مثلًا لفَوزِهِم.

(٤ ـ ٦) ـ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في المحاربةِ ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أصلُه: فاضرِبُوا الرِّقابَ ضَرْبًا، فحُذِفَ الفِعلُ وقُدِّمَ المصدَرُ وأُنيبَ مَنابَه مُضافًا إلى المفعولِ ضمًّا إلى التَّأكيدِ الاختصارَ، والتَّعبيرُ به عن القتلِ إشعارٌ بأنَّه يَنبغي أَنْ يكونَ بضربِ الرَّقبةِ حيثُ أمكنَ وتصويرٌ له بأشنَعِ صُورةٍ.

---

(١) في (خ): «سمي».

(٢) في (خ): «يجعل».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أكثَرْتُم قتلَهُم وأغلَظْتُموهُ، مِن الثَّخينِ وهو الغَليظُ.

﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ فأْسِرُوهم واحفَظُوهُم، والوثاقُ بالفتحِ والكسرِ: ما يُوثَقُ بهِ.

﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي: فإمَّا تَمنُّون مَنًّا أو تُفدونَ فداءً، والمرادُ التَّخييرُ بعدَ الأسرِ بينَ المنِّ والإطلاقِ وبين أخذِ الفِداءِ وهو ثابتٌ عِندَنا = فإنَّ الذَّكَرَ الحُرَّ المُكلَّفَ إذا أُسِرَ تخيَّرَ الإمامُ بينَ القتلِ والمنِّ والفِداءِ، والاسترقاقُ = مَنسوخٌ عند الحنفيَّةِ أو مَخصوصٌ بحربِ بدرٍ؛ فإنَّهُم قالوا: يتعيَّنُ القتلُ أو الاسترقاقُ.

وقُرِئَ: (فَدًى) كعَصا[1].

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ آلاتِها وأثقالَها التي لا تقومُ إلَّا بها كالسِّلاحِ والكُراعِ أي: تَنْقَضي الحربُ ولم يبقَ إلَّا مُسلِمٌ أو مُسالمٌ.

وقيل: آثامَها والمعنى: حتَّى يضعَ أهلُ الحربِ شِركَهُم ومَعاصِيَهُم وهو غايةٌ للضَّربِ أو الشَّدِّ، أو للمَنِّ والفداءِ أو للمَجموعِ بمعنى: أنَّ هذه الأحكامَ جارِيَةٌ فيهم حتَّى لا يكونَ حربٌ مع المشركينَ بزَوالِ شَوْكَتِهم.

وقيل: بنُزولِ عيسى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمرُ ذلك، أو افعَلُوا بهم ذلك.

﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ لانتقمَ مِنهم باستئصالٍ.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ ولكن أمرَكُم بالقِتالِ ليَبْلُوَ المُؤمنينَ بالكافرينَ بأَنْ يُجاهِدُوهُم فيَستَوجِبُوا الثَّوابَ العَظيمَ، والكافرينَ بالمؤمنينَ بأَنْ يُعاجِلَهُم على أيديهِم ببعضِ عَذابِهم كي يَرتَدِعَ بعضُهم عَن الكفرِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤١)، و«البحر» (١٩/ ٢٤٠)، وهي كما ذكرا رواية عن ابن كثير لكن بكسر الفاء كما يظهر من كلامهما.

﴿والذينَ قاتَلُوا في سبيلِ اللهِ﴾ أي جاهَدُوا، وقرأ البَصريَّانِ وحَفصٌ: ﴿قُتِلُوا﴾[١] أي: استشهدُوا.

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ فلن يُضيعَها، وقُرِئَ: (يَضِلَّ) مِن ضَلَّ، و: (يُضَلَّ) على البناءِ للمَفعولِ[٢].

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الثَّوابِ، أو سيُثبِتُ هِدايَتَهم.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ وقد عرَّفَها لهم في الدُّنيا حتى اشتاقُوا[٣] إليها فعَمِلُوا ما استحقُّوها به، أو بيَّنَها لهم بحيثُ يعلَمُ كلُّ أحدٍ منزلَهُ ويهتدِي إليه كأنَّه كان ساكنَهُ مُذ خُلِقَ، أو طيَّبَها لهم مِن العَرْفِ وهو طيبُ الرَّائحةِ، أو حدَّدها لهم بحيثُ يكونُ لكلٍّ جنَّةٌ مُفرَزةٌ.

(٧ ـ ٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ إن تنصروا دينَهُ ورسولَهُ ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوِّكُم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في القيامِ بحُقوقِ الإسلامِ والمُجاهدةِ مع الكُفَّارِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ فعُثورًا وانحطاطًا، ونقيضُه: لَعًا، قال الأعشى:

فَالتَّعْسُ أَوْلَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٢) رويت القراءتان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤١)، و«البحر» (١٩/ ٢٤٢).

(٣) في (خ) زيادة: «في الدنيا».

وانتصابُه بفِعلِهِ الواجبِ إضمارُهُ سَماعًا، والجملةُ خبرُ ﴿الذين كفروا﴾، أو مُفسِّرٌ لناصبِه.

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ عطفٌ عليه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآنَ؛ لِمَا فيه مِن التَّوحيدِ والتَّكاليفِ المُخالِفَةِ لِمَا أَلِفُوه واشتَهَتْ أنفُسُهم، وهو[1] تخصيصٌ وتَصريحٌ بسببيَّةِ الكُفرِ بالقُرآنِ للتَّعسِ والإضلالِ.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ كرَّرَه إشعارًا بأنَّه يلزمُ الكفرَ بالقرآنِ[2] ولا يَنفكُّ عنه بحالٍ.

قوله: «قالَ الأَعشَى:

فالتَّعْسُ أَوْلَى بِهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا»[3]

أوَّلُه:

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ

وقبلَه:

كلَّفْتُ مجهولَها نَفْسِي وشَايَعَنِي ... هَمِّي عَلَيْهَا إذا ما آلُها لَمَعَا

قال الطِّيبيُّ: المعنى: قَوِيَ هَمِّي على قطعِ بَلدَةٍ مَجهولةِ الأَعلامِ إذا ما سَرابُها يلمعُ بناقةٍ ذاتِ قوَّةٍ غليظةٍ، واللَّوثُ بالفتحِ: القُوَّةُ، وناقةٌ عَفَرْنَاةٌ: قويَّةٌ، بالعينِ المهملة

---

(١) «وهو»: ليس في (ت) و(ض).

(٢) في (خ): «يلزم الكفر به».

(٣) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٣٥)، و«العين» (٨/ ٢٣٩)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٢١٩)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٨٨)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٣١)، و«الصحاح» (مادة: لوث ولعا)، وانظر: «الصبح المنير في شعر أبي بصير» (ص: ٨٣)، وفيه: (أدنى) بدل (أولى).

والفاءِ والنونِ والألف للإلحاقِ، ويقال للعاثرِ: لَعًا لك، دعاءٌ له بأن يَنتعِشَ[١].

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ استأصلَ عليهِم ما اختصَّ بهم مِن أنفُسِهم وأهليهِم وأَموالِهم.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ مِن وَضعِ الظَّاهرِ مَوضِعَ المُضمَرِ.

﴿أَمْثَٰلُهَا﴾ أمثالُ تلك العاقبَةِ أو العقوبَةِ أو الهلَكةِ؛ لأنَّ التَّدميرَ يدلُّ عليها، أو للسنَّةِ لقولِه تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ناصرُهُم على أعدائِهم.

﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ فيدفع العذابَ عنهم، وهو لا يخالِفُ قولَه: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ فإنَّ المولى فيه بمعنى المالكِ.

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعونَ بمتاعِ الدُّنيا.

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ حَرِصينَ غافِلينَ عَن العاقبةِ.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٣٣١).

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزلٌ ومُقامٌ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ على حذفِ المُضافِ وإجراءِ أَحكامِه على المضافِ إليه، والإخراجُ باعتبارِ التَّسبُّبِ.

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بأنواعِ العذابِ ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يدفعُ عنهم، وهو كالحالِ المَحكيَّةِ.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ حجَّةٍ مِن عندِه وهو القرآنُ، أو ما يعمُّهُ، والحججُ العَقليَّةُ كالنبيِّ والمؤمنينَ.

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ كالشِّركِ والمعاصي.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ في ذلك لا شُبهَةَ لهم عليه فضلًا عن حُجَّةٍ.

(١٥) - ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي فيما قَصصْنا عليك صِفتَها العجيبةَ.

وقيل: مبتدأٌ خبرُه: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ وتقديرُ الكلامِ: أَمَثَلُ أهلِ الجنَّةِ كمثلِ مَن هو خالدٌ؟ أو: أَمَثَلُ الجنَّةِ كمثلِ جزاءِ مَن هو خالدٌ في النَّارِ؟ فعُرِّيَ عَن حرفِ الإنكارِ وحُذِفَ ما حُذِفَ استغناءً بجري مثلِه تصويرًا لمكابرةِ مَن يُسَوِّي بين المتمسِّكِ بالبيِّنَةِ والتَّابعِ للهَوى بمكابرةِ من سوَّى بين الجنَّةِ والنَّارِ.

وهو على الأوَّلِ خبرُ مَحذوفٍ تقديرُه: أفمَنْ هو خالدٌ في هذه الجنَّةِ كمَنْ هو خالدٌ في النَّارِ؟!

أو بدلٌ مِن قولِه: ﴿كَمَن زُيِّنَ﴾، وما بينَهُما اعتراضٌ لبيانِ ما يمتازُ به مَن على بيِّنَةٍ في الآخرةِ تقريرًا لإنكارِ المساواةِ.

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ استئنافٌ يشرحُ المثَلَ، أو حالٌ مِن العائدِ المحذوفِ، أو خبرٌ لـ﴿مَّثَلُ﴾.

و﴿ءَاسِنٍ﴾ مِن: أَسَنَ الماءُ بالفتحِ: إذا تغيَّرَ طَعمُه وريحُه، أو بالكسرِ على مَعنى الحدوثِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿أَسِنٍ﴾[1].

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ لم يَصِرْ قارِصًا ولا حازرًا[2].

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لذيذةٍ لا يكونُ فيها كراهةُ غائلةِ ريحٍ، ولا غائلةِ سُكرٍ وخُمَارٍ، تأنيثُ لَذٍّ، أو مَصدَرٌ نُعِتَ به بإضمارٍ أو تجوُّزٍ.

وقُرِئَت بالرَّفعِ على صِفَةِ الأنهارِ، والنَّصبِ على العِلَّةِ[3].

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لم يُخالِطْهُ الشَّمعُ وفَضَلاتُ النَّحلِ وغيرِها، وفي ذلك تمثيلٌ لِمَا يقومُ مقامَ الأَشْرِبَةِ في الجنَّةِ بأنواعِ ما يستلذُّ منها في الدُّنيا بالتَّجريدِ عمَّا يَنقُصُها ويُنَغِّصُها والتَّوصيفِ بما يوجِبُ غزارَتَها واستمرارَها.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ صنفٌ على هذا القياسِ.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عطفٌ على الصِّنفِ المحذوفِ، أو مُبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ أي: لَهُم مَغفِرَةٌ.

﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ مكانَ تلك الأشربَةِ.

﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ مِن فرطِ الحرارةِ.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٢) القارص: اللبن الذي يَحْذِي اللسان؛ أي: يقرصه، والحازر ـ بتقديم الزاي ـ: اللبن الحامض. انظر: «حاشية الجاربردي» (ج٢/ و٣٥٨ب).

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢٨٤)، و«البحر» (١٩/ ٢٥٠).

(١٦) ـ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ ﴾ يعني المنافقينَ كانوا يحضرونَ مجلسَ رسولِ اللهِ ويسمعونَ كلامَهُ فإذا خرجوا ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي لعُلَماءِ الصَّحابةِ: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ ما الذي قال السَّاعةَ استهزاءً أو استِعلامًا إذ لم يُلقوا له آذانُهم تهاوُنًا به.

و(آنِفًا) مِن قولِهم: أَنْفُ الشَّيءِ لِمَا تَقدَّمَ منهُ مستعارًا مِن الجارحةِ، ومنه: استأنفَ وائتنفَ، وهو ظرفٌ بمعنى: وقتًا مُؤتِنفًا، أو حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿قَالَ﴾.

وقرئ: ﴿أَنِفًا﴾(١).

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فلذلكَ استهزَؤُوا بها وتهاوَنُوا بكلامِه.

قوله: «وهو ظَرفٌ بمعنى: وقتًا»:

قال أبو حيَّان: لا نعلَمُ أحدًا من النحاةِ عدَّهُ في الظُّروفِ(٢).

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: زادَهُم اللهُ بالتَّوفيقِ والإلهامِ أو قولِ الرَّسُولِ.

---

(١) وهي قراءة البزي بخلف عنه، انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٢٥٢).

﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ بيَّنَ لهم ما يتقونَ، أو أعانَهُم على تَقْواهُم، أو أعطَاهُم جزاءَها.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ فهل يَنتظِرُون غيرَها ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ بدلُ اشتمالٍ مِن ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾.

وقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ كالعِلَّةِ له.

وقُرِئَ: (إِنْ تَأْتِهِم)[1] على أنَّه شرطٌ مُستأنفٌ جزاؤُه:

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ والمعنى: إنْ تأْتِهم السَّاعةُ بغتةً لأنَّه قد ظهرَ أماراتُها كمبعثِ النَّبيِّ وانشقاقِ القمرِ فكيفَ لَهُم ذِكراهُم؟ أي: تَذكُّرُهم إذا جاءَتْهُم السَّاعةُ بغتةً، وحينئذٍ لا يُفرغُ له ولا ينفعُ.

(١٩) ـ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ أي: إذا عَلِمْتَ سَعادةَ المؤمنينَ وشقاوةَ الكافرينَ فاثبُتْ على ما أنتَ عليه مِن العِلْمِ بالوحدانيَّةِ وتكميلِ النَّفسِ بإصلاحِ أَحوالِها وأَفعالِها وهَضمِها بالاستغفارِ لذَنبك.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ولذُنوبِهم بالدُّعاءِ لهم والتَّحريضِ على ما يَستدْعِي

---

(١) كما حكاه أبو جعفر الرؤاسي أنها كذلك في قراءة أهل مكة. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٧٠).

وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٦١): وحدثني أبو جعفرٍ الرُّؤاسيُّ قال: قلتُ لأبي عَمْرِو بنِ العلاء: ما هذه الفاء التي في قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾؟ قال: جوابٌ للجزاء. قال: قلتُ: إنها: ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ مفتوحة؟ قال: فقال: معاذَ الله إنَّما هي: (إِنْ تَأْتِهِم)، قال الفراء: فظننتُ أنه أخذها عن أهل مكَّة لأنَّه عليهم قَرأ، وهي أيضًا في بعض مصاحف الكوفيين: (تأتهم) بسينة واحدة، ولم يقرأ بها أحد منهم.

غُفرانَهُم، وفي إعادةِ الجارِّ وحذفِ المُضافِ إشعارٌ بفرطِ احتِياجِهِم وكثرةِ ذنوبهم وأنَّها جنسٌ آخرُ؛ فإنَّ الذَّنبَ ما له تَبِعةٌ ما كتركِ الأَولى.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ في الدُّنيا فإنَّها مراحِلُ لا بُدَّ مِن قَطعِها.

﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ في العُقبى فإنَّها دارُ إقامَتِكُم فاتَّقُوا اللهَ واستغفِرُوه وأعِدُّوا لِمَعادِكُم.

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ۝٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ۝٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞ﴾ أي هَلَّا أُنزِلَت سُورَةٌ في أمرِ الجهادِ.

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ مبينةٌ لا تشابُهَ فيها.

﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ أي: الأمرُ به.

﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ ضعفٌ في الدِّينِ، وقيل: نفاقٌ.

﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ جُبنًا ومخافةً.

﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ فويلٌ لَهُم، أفعَلُ مِن الوَلْيِ وهو القُرْبُ، أو فَعْلَى مِن آلَ، ومَعناهُ الدُّعاءُ عليهِم بأَنْ يَلِيَهُم المَكروهُ، أو يؤولَ إليهِ أَمرُهُم.

﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾ استئنافٌ، أي: أمرُهُم طاعةٌ، أو طاعةٌ وقولٌ مَعروفٌ خَيرٌ لهم، أو حكايةُ قولِهِم لِقراءةِ أُبَيٍّ: (يقولونَ طاعةٌ)[1].

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢٩٠)، و«البحر» (١٩/ ٢٥٨).

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي جَدَّ، وهو لأصحابِ الأمرِ، وإسنادهُ إليه مجازٌ، وعامِلُ الظَّرفِ مَحذوفٌ.

وقيل: ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما زَعَمُوا مِن الحرصِ على الجهادِ والإيمانِ.

﴿لَكَانَ﴾ الصِّدْقُ ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡ ۝٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ فهل يتوقَّعُ منكم، وقرأ نافع بكسر السين[1]، ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أمورَ النَّاسِ وتأمَّرْتُم عليهِمْ، أو أَعْرَضْتُم وتولَّيْتُم عن الإسلامِ.

﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ تَناحُرًا على الولايةِ وتَجاذُبًا لها، أو رُجوعًا إلى ما كنتُمْ عليه في الجاهليَّةِ مِن التَّغاوُرِ ومُقاتلةِ الأقاربِ، والمعنى أنَّهُم لضَعْفِهم في الدِّينِ وحرصِهم على الدُّنيا أَحِقَّاءُ بأن يَتوقَّعَ ذلك منهم مَن عرفَ حالَهم ويقولُ لهم: هل عَسَيْتُم، وهذا على لغةِ الحجازِ فإنَّ بني تميمٍ لا يُلحقونَ الضَّميرَ به، وخبرُهُ ﴿أَن تُفۡسِدُواْ﴾، و﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ اعتراضٌ[2].

وعن يعقوبَ: ﴿تُوُلِّيتُم﴾[3] أي: إنْ تولَّاكُم ظَلَمةٌ خرَجْتُم معَهُم وساعَدْتُموهُم في الإفسادِ وقطيعةِ الرَّحِمِ، ﴿وتَقْطَعُوا﴾ من القَطعِ[4].

وقُرِئَ: (وتَقَطَّعُوا) مِن التَّقطُّعِ[5].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكورينَ ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لإفسادِهِم وقَطعِهِم الأرحامَ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٦)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٢) في (ت) زيادة: «أي جملة معترضة».

(٣) قرأ بها أيضاً رويس عن يعقوب، انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٤).

(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٤).

(٥) قرأ بها الحسن كما في «البحر» (١٩/ ٢٦١).

﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماعِ الحقِّ ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ فلا يهتدونَ سبيلَه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يَتصفَّحونَه وما فيهِ من المواعظِ والزَّواجرِ حتى لا يَجسُرُوا[1] على المعاصي.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ لا يَصِلُ إليها ذكرٌ ولا يَنكَشِفُ لها أمرٌ.

وقيل: (أم) مُنقَطِعَةٌ، ومَعنى الهمزةِ فيها التَّقريرُ، وتَنكيرُ القلوبِ لأنَّ المرادَ قلوبُ بعضٍ مِنْهُم، أو للإشعارِ بأنَّها لإبهامِ أمرِها في القساوةِ أو لفَرطِ جَهالَتِها ونُكرِها كأنَّها مُبهَمَةٌ منكورةٌ، وإضافةُ الأقفالِ إليها للدَّلالةِ على أقفالٍ مُناسبَةٍ لها مُختَصَّةٍ بها لا تجانسُ الأقفالَ المَعهودةَ.

وقُرِئَ: (إقفالُها) على المصدرِ[2].

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم﴾ إلى ما كانوا عليهِ مِن الكفرِ.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ بالدَّلائلِ الواضِحَةِ والمعجزاتِ الظَّاهرةِ.

﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ سهَّلَ لهم اقترافَ الكبائرِ مِن السَّوَلِ، وهو الاسترخاءُ.

وقيل: حَمَلَهُم على الشَّهواتِ، مِن السُّولِ وهو المتمنَّى، وفيه أنَّ السُّؤْلَ مهموزٌ قُلِبَت همزَتُه لضمِّ ما قبلَها، ولا كذلكَ التَّسويلُ، ويُمكِنُ رَدُّه بقولِهم: هما يَتساوَلانِ.

---

(١) في (ت): «يجرؤوا».

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٢٩٣)، و«البحر» (١٩/ ٢٦٢).

وقُرِئَ: (سُوِّل)[١] على تقديرِ مُضافٍ، أي: كيدُ الشَّيطانِ سُوِّلَ لهم.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ ومَدَّ لهُم في الآمالِ والأماني، أو أمهَلَهُم اللهُ ولم يُعاجِلْهُم بالعُقوبَةِ، لقراءةِ يعقوبَ: ﴿وأُمْلِي لهم﴾ أي: وأنا أُمْلِي لهم، فتكونُ الواوُ للحالِ أو الاستئنافِ، وقرأَ أبو عمرٍو: ﴿وأُمْلِيَ لهم﴾[٢] على البناءِ للمَفعولِ وهو ضميرُ الشَّيطانِ أو ﴿لَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: قالَ اليهودُ الذين كفرُوا بالنبيِّ بعدَما تبيَّنَ لهم نعتُه للمُنافقينَ، أو المنافقونَ لهم، أو أحدُ الفَريقَيْنِ للمُشركينَ.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ في بَعضِ أُمورِكُم أو في بعضِ ما تَأمُرونَ به كالقُعودِ عَن الجهادِ والموافقةِ في الخروجِ مَعَهُم إن أُخرِجُوا والتَّظافرِ على الرَّسولِ.

﴿والله يَعلَمُ أسرارَهُم﴾ ومنها قَولُهم هذا الذي أفشاهُ اللهُ عليهِمْ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ على المصدرِ[٣].

(٢٧ ـ ٢٩) ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فكيفَ يعمَلُونَ ويَحتالونَ حينئذٍ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤١) عن بعض السلف، و«الكشاف» (٨/ ٢٩٣) دون نسبة، و«البحر» (١٩/ ٢٦٣) عن زيد بن علي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠١)، و«النشر» (٢/ ٣٧٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠١)، و«التيسير» (ص: ٢٠١)، و«النشر» (٢/ ٣٧٤).

وقُرِئَ: (توفَّاهم)[1] وهو يحتملُ الماضِيَ والمضارعَ المَحذُوفَ إحدى تاءيه.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ تَصويرٌ لتَوَفِّيهم بما يخافونَ منه ويجبُنونَ عن القتالِ له.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى التَّوفِّي الموصوفِ.

﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ مِن الكفرِ وكتمانِ نَعتِ الرَّسولِ وعصيانِ الأمرِ.

﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ ما يَرضاهُ مِن الإيمانِ والجهادِ وغيرِه من الطَّاعاتِ.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ لذلك.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ﴾ أَنْ لن يبرزَ اللهُ لرَسُولِه والمؤمنينَ ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾ أحقادَهُم.

(٣٠ - ٣١) - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ لعَرَّفناكَهُم بدلائلَ تُعرِّفُهم بأعيانِهم.

﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بعَلَاماتِهم التي نَسِمُهم بها، واللامُ لامُ الجوابِ كُرِّرَتْ في المعطوفِ.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ جوابُ قَسَمٍ مَحذوفٍ، ولحنُ القولِ أسلوبُه أو إمالَتُه إلى جِهَةِ تعريضٍ وتَورِيَةٍ، ومنه قيلَ للمُخطِئِ لاحِنٌ لأنَّه يعدِلُ الكلامَ عن الصَّوابِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤١) عن الأعمش.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيُجازيكم على حسبِ قَصدِكُم إذ الأعمالُ بالنِّياتِ.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالأمرِ بالجهادِ وسائرِ التَّكاليفِ الشَّاقَّةِ.

﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ على مَشاقِّها.

﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ ما يُخبَرُ به عن أعمالِكُم فنظهرُ حسنَها وقُبيحَها، أو أخبارَهُم عن إيمانِهم ومُوالاتِهم المؤمنينَ في صِدقِها وكَذِبِها.

وقرأ أبو بكرِ الأفعالَ الثَّلاثةَ بالياءِ[1] لتوافُقِ ما قبلَها، وعن يعقوبَ: ﴿ونَبْلُوْ﴾[2] بسُكونِ الواوِ على تقديرِ: ونحنُ نَبلُو.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ هم قُريظَةُ والنَّضيرُ، أو المطعمونَ يومَ بدرٍ.

﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بكُفرِهِم وصَدِّهِم، أو لَنْ يَضُرُّوا رسولَ اللهِ بمُشاقتهِ، وحُذِفَ المضافُ لتَعظيمِه وتَفظيعِ مُشاقتهِ.

﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ثوابَ حسناتِ أَعمالِهِم بذلك، أو مكائدَهُم التي نَصَبُوها في مُشاقتِه فلا يَصِلونَ بها إلى مَقاصدِهِم ولا تُثمِرُ لهم إلَّا القتلَ والجلاءَ عَن أوطانِهم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠١)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٥).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ بما أبطلَ[1] به هؤلاءِ كالكفرِ والنِّفاقِ والعُجبِ والرِّياءِ والمنِّ والأذى ونحوِها، وليسَ فيه دليلٌ على إحباطِ الطَّاعاتِ بالكَبائرِ.

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ عامٌّ في كلِّ مَن ماتَ على كفرِهِ وإن صَحَّ نزولُه في أصحابِ القَليبِ، ويدلُّ بمفهومِه على أنَّه قد يَغفِرُ لِمَن لم يَمُت على كفرِه سائرَ ذُنوبِه.

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ فلا تَضعُفُوا.

﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ ولا تَدْعُوا إلى الصُّلحِ خَوَرًا[2] وتذلُّلًا، ويجوزُ نَصبُه بإضمارِ (أن).

وقُرِئَ: (وَلَا تَدَّعُوا)[3] ....

---

(١) في (ض): «أبطلوا».

(٢) في (ت) زيادة: «أي ضعفًا».

(٣) نسبت لأبي عبد الرحمن السلمي. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٧٣)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٢)، و«البحر» (١٩/ ٢٦٨). ولفظها في هذه المصادر: (وتدَّعوا) دون كلمة (لا) فزيادتها من تصرفات المؤلف، وسبق له أمثال هذه التصرفات في القراءات، وقد نبه على ذلك أبو حيان بقوله: والتلاوة بغير (لا)، وكان يجب أن يأتي (أي: الزمخشري) بلفظ التلاوة فيقول: وقرئ: (وتدَّعوا).
قال ابن جني: معنى (تدَّعوا) هنا: تنسبوا إلى السلم، كقولك: فلان يدعي إلى بني فلان، أي: ينتسب إليهم، ويحمل نفسه عليهم.
وقد وردت القراءة في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤١) عن علي والسلمي، ووقع في مطبوعه: (ولا تهنوا أو تدَّعوا).

مِن ادَّعى بمعنى دَعا، وقرأ أبو بكرٍ وحَمزةُ بكسرِ السِّينِ[١].

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الأغلبونَ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ ناصِرُكم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ ولن يضيعَ أعمالَكُم، مِن وَتَرْتُ الرَّجُلَ: إذا قتلتَ مُتعلِّقًا له مِن قَريبٍ أو حَميم، فأفردته عنهُ مِن الوِترِ، شُبِّهَ به تعطيلُ ثوابِ العملِ وإفرادُهُ مِنه.

(٣٦ـ٣٧) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لا ثباتَ لها.

﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثوابَ إيمانِكُم وتَقْواكُم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ جميعَ أَموالِكُم، بل يَقتَصِرُ على جزءٍ يَسيرٍ كربعِ العُشرِ وعُشرِه.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ فيجهدْكم[٢] بطلبِ الكلِّ، والإحفاءُ والإلحافُ المبالغَةُ وبُلوغُ الغايةِ، يقال: أَحْفَى شارِبَهُ: إذا استأصلَهُ.

﴿تَبْخَلُوا۟﴾ فلا تُعطوا.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ ويُضغِنْكُم على رَسولِ اللهِ، والضَّميرُ في (يُخرِج) للهِ تَعالى، ويؤيِّدُه القراءةُ بالنُّونِ، أو للبخلِ لأنَّه سَببُ الإضغانِ.

وقُرِئَ: (وتَخْرُج) بالياءِ والتَّاءِ ورفعِ (أضغانُكم)[٣].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠١)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٢) في (ت) و(ض): «فيجهد».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٢)، و«البحر» (١٩/ ٢٧١)، وزاد أبو حيان في بعض الوجوه رفع الفعل على الاستئناف، ونصبه بإضمار (أن).

(٣٨) - ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أنتُمْ يا مخاطبونَ هؤلاءِ الموصوفونَ، وقوله: ﴿تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استئنافٌ مقررٌ[1] لذلك، أو صِلَةٌ لهؤلاءِ على أنَّه بمعنى الذين، وهو يعمُّ نفقةَ الغزوِ والزَّكاةِ وغيرِهما.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُ﴾ ناسٌ يبخلونَ، وهو كالدَّليلِ على الآيةِ المتقدِّمةِ.

﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ فإنَّ نفعَ الإنفاقِ وضرَّ[2] البخلِ عائدانِ إليه، والبخلُ يُعدَّى بـ(عن) و(على) لتَضمُّنِه مَعنى الإمساكِ والتَّعدِّي فإنَّه إمساكٌ عَن مستحقٍّ.

﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ فما يأمرُكُم به فهو لاحتياجِكُم، فإن امتثَلْتُم فلَكُم، وإنْ تولَّيْتُم فعلَيْكُم.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عطفٌ على ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ﴾.

﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ يُقِمْ مَقامَكُم قومًا آخرينَ.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ في التَّولِّي والزُّهدِ في الإيمانِ، وهم الفرسُ؛ لأنَّه سُئِلَ عليه السَّلامُ عنه وكان سلمانُ إلى جنبِه فضربَ فَخِذَه وقال: «هذا وقومُه»، أو الأنصارُ، أو اليمنُ، أو الملائكةُ.

---

(١) في (ت): «مطرد».

(٢) في (ض): «وضرر».

عن النَّبِيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأَ سورةَ مُحمَّدٍ كانَ حقًّا على اللهِ أَنْ يَسقيَهُ مِن أنهارِ الجنَّةِ».

قوله: «أو صلةٌ لهؤلاء على أنَّه بمَعنى الذينَ»:

قال أبو حيَّان: كونُ (هؤلاءِ) مَوصولًا مذهبٌ كوفيٌّ[1].

قوله: «سُئِلَ عليه السَّلامُ عنه وكان سلمانُ إلى جنبِهِ، فضربَ فَخِذَه وقال: «هذا وقومُه»»:

رواهُ التِّرمذيُّ والحاكمُ وصَحَّحاهُ وابنُ حِبَّانَ من حديثِ أبي هريرةَ[2].

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ مُحمَّدٍ...» إلى آخره:

مَوضوعٌ[3].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٢٧٢).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٢٣).
ورواه كذلك الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢١٣٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٣٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٢)، والجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٦٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب في إسناده مقال. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وقال الجوزقاني: حديث صحيح، ورجاله ثقات.
وروى نحوه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، لكن في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣].

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٦٤)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١١٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٩٣).

سُورَةُ الفَتْحِ

سُورَةُ الفَتْح

مَدنيَّةٌ، نزلَتْ في مَرجعِ رسولِ اللهِ ﷺ مِن الحديبيَةِ، وآيُها تِسعٌ وعِشرونَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وعدٌ بفتحِ مَكَّةَ عظَّمَها الله، والتَّعبيرُ عنه بالماضي لتَحقُّقِه، أو بما اتَّفقَ له في تلكَ السَّنةِ كفتحِ خيبرَ وفَدَكَ.

أو إخبارٌ عَن صُلحِ الحُديبيةِ، وإنَّما سمَّاهُ فتحًا لأنَّه كانَ بعدَ ظُهورِه على المشركينَ حتَّى سَألُوا الصُّلحَ وتَسبَّبَ لفتحِ مَكَّةَ وفرغَ بِهِ رسولُ اللهِ لسائرِ العربِ فغَزاهُم وفتَحَ مواضِعَ وأدخلَ في الإسلامِ خَلقًا عظيمًا، وظهرَ له في الحُدَيبيةِ آيةٌ عظيمةٌ وهي أنَّهُ نُزِحَ ماؤُها بالكُليَّةِ فتمضمضَ ثمَّ مَجَّهُ فيها فدَرَّتْ بالماءِ حتَّى شَرِبَ جميعُ مَن كانَ معه.

أو فتح الرُّومِ فإنَّهُم غلَبُوا على الفُرسِ في تلكَ السَّنةِ، وقد عُرِفَ كونُه فتحًا للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ في سورةِ الرُّومِ.

وقيل: الفَتحُ بمَعنى القضاءِ، أي: قَضَينا لكَ أن تدخُلَ مكَّةَ مِن قابلٍ.

(٢ ـ ٣) ـ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ عِلَّةٌ للفَتحِ مِن حيثُ إنَّه مسبَّبٌ عَن جهادِ الكُفَّارِ والسَّعيِ في إزاحةِ الشِّركِ وإعلاءِ الدِّينِ وتكميلِ النُّفوسِ النَّاقصَةِ قَهْرًا ليصيرَ ذلك بالتَّدريجِ اختيارًا، وتخليصِ الضَّعفةِ عَن أيدي الظَّلَمةِ.

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ جميعَ ما فرَطَ منكَ ممَّا يَصِحُّ أَنْ تُعاتَبَ عليه.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بإعلاءِ الدِّينِ وضمِّ الملكِ إلى النبوَّةِ.

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ في تَبليغِ الرِّسالةِ وإقامةِ مَراسمِ الرِّئاسةِ.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ نصرًا فيه عِزٌّ ومَنَعةٌ، أو يَعِزُّ به المنصورُ، فوصفَ بوَصفِهِ مُبالغةً.

(٤) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الثَّباتَ والطمأنينةَ ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى يَثْبُتُوا حيثُ تَقلَقُ النُّفوسُ وتَدحَضُ الأقدامُ.

﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ يقينًا مع يَقينِهِم برُسوخِ العَقيدَةِ واطمئنانِ النَّفسِ عليها، أو أنزل فيها السُّكونَ إلى ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ عليهِ السَّلامُ ليزدادُوا إيمانًا بالشَّرائعِ مع إيمانِهم باللهِ واليومِ الآخرِ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يُدبِّرُ أمرَها فيسلِّطُ بعضَها على بعضٍ تارةً، ويُوقِعُ فيما بينَهُم السِّلمَ أخرى كما تَقتَضيهِ حكمَتُه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بالمَصالحِ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يقدِّرُ ويدبِّرُ.

(٥ ـ ٧) ـ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ عِلَّةٌ بما بعدَهُ؛ لِمَا دلَّ عليهِ قولُه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِن مَعنى التَّدبيرِ أي: دبَّرَ ما دبَّرَ مِن تَسليطِ المؤمنينَ ليَعرِفُوا نعمةَ اللهِ فيه ويَشكُروها فيدخِلَهُم[1] الجنَّةَ ويُعذِّبَ الكُفَّارَ والمُنافقينَ لما غاظَهُم مِن ذلك، أو ﴿فَتَحْنَا﴾ أو ﴿أَنزَلَ﴾ أو جميع ما ذُكِرَ، أو ليزدادُوا.

وقيل إنَّه بدلٌ منهُ بدلَ الاشتمالِ.

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يُغطِّيها ولا يُظهرُها.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي الإدخالُ والتَّكفيرُ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لأنَّه مُنتَهى ما يُطلبُ مِن جَلبِ نَفعٍ أو دفعِ ضرٍّ. و﴿عندَ﴾ حالٌ مِن الفوزِ.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ عطفٌ على (يُدخل) إلَّا إذا جُعلَ بدلًا فيكونُ عطفًا على المبدلِ.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ ظنَّ الأمرِ السوءِ، وهو أنْ لا ينصرَ رسولَهُ والمؤمنينَ.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ دائرةُ ما يَظنُّونَهُ ويَتربَّصونَه بالمؤمنينَ لا تتخطَّاهُم، وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿دائرةُ السُّوءِ﴾ بالضَّمِّ[2] وهما لُغتانِ غيرَ أنَّ المفتوحَ غلبَ

---

(١) في (ت): «فيدخل»، وفي (ض): «فيدخلوا».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

في أن يضافَ إليه ما يرادُ ذَمُّهُ، والمضمومُ جرى مجرى الشرِّ، وكلاهما في الأصلِ مَصدَرٌ.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ عطفٌ لِمَا استَحقُّوهُ في الآخرةِ على ما استَوْجَبُوهُ في الدُّنيَا، والواوُ في الأخيرينِ والموضِعُ مَوضِعُ الفاءِ؛ إذ اللعنُ سببٌ للإعدادِ والغضبُ سببٌ له، لاستقلالِ الكلِّ في الوعيدِ بلا اعتبارِ السَّببيَّةِ.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنَّمُ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أُمَّتِك ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ على الطَّاعةِ والمعصيَةِ.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والأمَّةِ، أو لَهُم على أنَّ خِطابَه مُنَزَّلٌ منزلةَ خِطابِهم.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ وتُقَوُّوهُ بتَقويَةِ دينِه ورَسولِه.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وتُعَظِّموهُ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ وتُنَزِّهوهُ، أو تُصَلُّوا له.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غُدوةً وعَشِيًّا، أو دائمًا.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو الأفعالَ الأربعةَ بالياءِ[1].

وقُرِئَ: (تُعْزِرُوه) بسكونِ العينِ[2]، و: (تَعزُروه) بفتحِ التَّاءِ وضَمِّ الزَّايِ وكَسرِها[3]،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٣١٣).

(٣) كلاهما مروي عن الجحدي، ونسب كسر الزاي أيضاً لجعفر بن محمد، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٩)، و«البحر» (١٩/ ٢٨٢).

و(تُعزِّزُوه) بالزَّاءينِ(١)، (وتُوقِرُوهُ) مِن أوقرَهُ بمعنى وَقَرَه(٢).

(١٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ لأنَّه المقصودُ ببَيْعَتِه ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ حالٌ أو استئنافٌ مؤكِّدٌ له على سبيلِ التَّخييلِ.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقضَ العَهْدَ ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ فلا يعودُ ضررُ نكثِهِ إلَّا عليه.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ﴾ وفَّى في مُبايَعتِه.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنَّةُ.

وقُرِئَ: (عَهِدَ)(٣).

وقرأ حفصٌ ﴿عليهُ﴾ بضمِّ الهاءِ(٤)، وابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ ورَوْحٌ: ﴿فَسَنُؤْتِيهِ﴾ بالنُّونِ(٥)، والآيةُ نزلَتْ في بيعةِ الرِّضوانِ.

قوله: «﴿اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ حالٌ أو استئنافٌ مؤكِّدٌ له على سبيلِ التَّخييلِ»:

قال صاحبُ «الانتصاف»: لفظُ التَّخييلِ يجبُ تَبديلُه بالتَّمثيلِ أَدبًا(٦).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٥٠٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٩)، و«البحر» (١٩/ ٢٨٢)، عن محمد بن السميفع اليماني.

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٣١٣).

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٣١٤)، و«البحر» (١٩/ ٢٨٤).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٤).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٦) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٣٣٥).

(١١) - ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ هُم أسلَمُ وجُهينَةُ ومُزَينَةُ وغِفارٌ استَنْفَرهُم رسولُ اللهِ ﷺ عامَ الحُديبيةِ فتخلَّفُوا واعتلُّوا بالشُّغلِ بأموالهم وأهاليهم، وإنَّما خلَّفَهُم الخذلانُ وضعفُ العقيدةِ والخوفُ عَن مُقاتلَةِ قُريشٍ إن صَدُّوهُم[١].

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ إذ لَمْ يَكُن لنا مَن يَقومُ بأشغالِنا، وقُرِئَ بالتَّشديدِ للتَّكثيرِ[٢].

﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ مِن اللهِ على التَّخلُّفِ.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيبٌ لهم في الاعتذارِ والاستغفارِ.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فمَنْ يمنعُكُم مِن مَشيئَتِه وقَضائِه.

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ ما يَضرُّكُم كقتلٍ وهَزيمَةٍ[٣] وخللٍ في المالِ والأهلِ وعقوبةٍ على التَّخلُّفِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ بالضَّمِّ[٤].

---

(١) ذكره الثعلب في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، ورواه بنحوه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٦٤).

(٢) حكاها الكسائي، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٢)، وقال في «البحر» (١٩/ ٢٨٥): وهي قراءة إبراهيم بن نوح بن باذان عن قتيبة.

(٣) في (ض): «أو هزيمة».

(٤) وقراءة الباقين بالفتح، انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ ما يُضادُّ ذلك وهو تعريضٌ بالرَّدِّ.

﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيعلمُ تخلُّفَكُم وقصدَكُم فيه.

(١٢) - ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ لظَنِّهم[1] أنَّ المُشركينَ يَستأصِلُونَهُم، و(أهلون) جمعُ أَهْلٍ وقد يُجْمَعُ على أَهْلاتٍ كأَرْضات، على أنَّ أصلَهُ أَهلةٌ، وأمَّا أَهَالٍ فاسمُ جمعٍ كـ: لَيَالٍ.

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فتمكَّنَ فيها.

وقُرِئَ على البناءِ للفاعلِ[2] وهو اللهُ أو الشَّيطانُ.

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الظنُّ المذكورُ والمرادُ التَّسجيلُ عليه بالسُّوءِ، أو هو وسائرُ ما يظنُّونَ باللهِ ورسولِه مِن الأمورِ الزَّائغَةِ.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ هالكينَ عندَ اللهِ لفَسَادِ عَقيدَتِكُم وسُوءِ نيَّتِكُم.

(١٣ - ١٤) - ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ وضعَ الكافرينَ مَوضِعَ الضَّميرِ إيذانًا بأنَّ مَن لم يجمَعْ بينَ الإيمانِ باللهِ وبرَسُولِه، فهو كافرٌ وأنَّه مُستَوجِبٌ للسَّعيرِ بكُفرِه، وتَنكيرُ ﴿سَعِيرًا﴾ للتَّهويلِ أو لأنَّها نارٌ مَخصوصَةٌ.

---

(١) في (خ) و(ت): «لظنكم».

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٣١٦)، و«البحر» (١٩/ ٢٨٤).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يُدبِّره كيفَ يَشاءُ.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ إذ لا وُجوبَ عليهِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فإنَّ الغُفرانَ والرَّحمةَ مِن دَأبِهِ[1]، والتَّعذيبُ داخلٌ تحتَ قضائِه بالعَرَضِ، ولذلك جاءَ في الحديثِ الإلهيِّ: «سَبقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»[2].

(١٥) ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ يعني المذكورينَ ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ يَعني مَغانِمَ خيبرَ، فإنَّه عليهِ السَّلامُ رجَعَ مِن الحُدَيبيةِ في ذي الحِجَّةِ مِن سنةِ سِتٍّ وأقامَ بالمَدينةِ بقيَّتَها وأوائلَ المحرَّمِ ثمَّ غزَا خيبرَ بمَنْ شَهِدَ الحُديبيةَ ففتَحَها وغَنِمَ أموالًا كثيرةً فخصَّها بهم.

﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أن يُغَيِّروهُ وهو وعدُه لأهلِ الحديبيةِ أن يعوِّضَهم اللهُ مِن مَغانِمِ مَكَّةَ مَغانِمَ خيبرَ.

وقيل: قولُه: ﴿لَن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾، والظَّاهرُ أنَّه في تَبُوك، والكلامُ اسمٌ للتَّكليمِ غُلِبَ في الجملَةِ المفيدةِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿كَلِمَ اللهِ﴾ وهو جمعُ كلمةٍ[3].

---

(١) في (أ) و(ت) و(خ) ونسخة على هامش (ض): «ذاته»، والمثبت من (ض).

(٢) رواه البخاري في (٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ نفيٌ في مَعنى النَّهيِ.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ تَهيُّئِهم للخُروجِ إلى خيبرَ.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نُشارِكَكُم في الغنائمِ.

وقُرِئَ بالكسرِ[1].

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمونَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلَّا فَهْمًا قليلًا وهو فِطنَتُهُم لأُمورِ الدُّنيا، والإضرابُ[2] الأوَّلُ رَدٌّ مِنهم أن يكونَ حكمُ اللهِ أَنْ لا يتبعوهُم وإثباتُ الحسدِ، والثَّاني ردٌّ مِن اللهِ لذلك وإثباتٌ لجَهْلِهم بأمورِ الدِّينِ.

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ كرَّرَ ذكرَهُم بهذا الاسمِ مُبالغةً في الذمِّ وإشعارًا[3] بشناعةِ التَّخلُّفِ.

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بني حنيفةَ أو غيرِهم ممَّنِ ارتَدُّوا بعدَ رَسولِ اللهِ ﷺ، أو المشركينَ فإنَّه قال:

﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: يكونُ أحدُ الأمرينِ إمَّا المقاتلةُ أو الإسلامُ لا غير،

---

(١) وهي قراءة أبي حيوة وابن عون كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٣).

(٢) في جميع النسخ عدا (ض): «ومعنى الإضراب».

(٣) في (خ): «وإظهاراً».

كما دلَّ عليه قِراءةُ (أو يُسْلِمُوا)[١] ومَن عَداهُم يُقاتَلُ حتَّى يُسلِمَ أو يُعطيَ الجزيةَ.

وهو يدلُّ على إمامةِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنه إذ لم تَتَّفِقْ هذهِ الدَّعوةُ لغيرِهِ إلَّا إذا صَحَّ أَنَّهُم ثقيفٌ وهوازنُ فإنَّ ذلك كانَ في عَهدِ النبوَّةِ.

وقيل: فارسٌ والرُّومُ، ومَعنى ﴿يُسْلِمُونَ﴾ ينقادونَ ليَتناولَ تَقبُّلَهُم الجِزيةَ.

﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغَنيمةُ في الدُّنيا والجنَّةُ في الآخرةِ.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عَن الحديبيةِ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لتَضاعُفِ جُرمِكُم.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لَمَّا أوعدَ على التَّخلُّفِ نَفَى الحرجَ عَن هؤلاءِ المَعذورينَ[٢] استثناءً لهم عَن الوَعيدِ.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فصَّلَ الوعدَ وأجملَ الوعيدَ مبالغةً في الوعدِ لسبقِ رحمَتِه ثمَّ جبرَ ذلك بالتَّكريرِ على سبيلِ التَّعميمِ فقالَ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ إذ التَّرهيبُ هاهنا أنفعُ مِن التَّرغيبِ.

وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿نُدْخِلْهُ﴾ و﴿نُعَذِّبْه﴾[٣] بالنُّونِ[٤].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٣٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٣)، ووردت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٦)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٢٦٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٣٣).

(٢) في (خ): «المذكورين».

(٣) في (ت): «يدخله ويعذبه».

(٤) وقراءة الباقين بالياء، انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا نزلَ الحديبيةَ بعثَ جَوَّاسَ بنَ أُميَّةَ الخُزاعيَّ إلى أهلِ مَكَّةَ فهَمُّوا به فمنعَهُ الأَحابيشُ، فرجَعَ فبعثَ عُثمانَ بنَ عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه، فحَبسُوهُ فأُرجِفَ بقَتلِهِ، فدَعا رسولُ اللهِ أصحابَهُ وكانُوا أَلْفًا وثلاثَمئةٍ أو أربعمئةٍ أو خمسمئةٍ وبايَعُهم على أن يُقاتِلُوا قريشًا ولا يَفِرُّوا عَنْهُم وكان جالسًا تحتَ سَمُرةٍ أو سِدرَةٍ.

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ مِن الإخلاصِ.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ الطُّمأنينةَ وسكونَ النَّفسِ بالتَّشجيعِ أو الصُّلحِ.

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فتحَ خيبرَ غِبَّ انصرافِهِم، وقيل: مَكَّةَ أو هَجَرَ.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ يعني مَغانِمَ خيبرَ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ غالبًا مراعيًا مقتضى الحِكمَةِ.

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا نزلَ الحُدَيبيةَ بعثَ جواسَ بنَ أُميَّةَ الخُزاعيَّ..»

الحديث:

أخرجَه أحمدُ في «مسنده» من حديثِ المُسوَّرِ بنِ مَخرمةَ ومروانَ بنِ الحكمِ[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٩١٠) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، وروى هذه القطعة منه أيضاً الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٧٧١)، وفيهما: خراش بن أمية.

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهـي ما يُفِـيءُ على المؤمنيـنَ إلى يومِ القيامةِ.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني مَغانِمَ خيبرَ.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: أيدِيَ أهلِ خيبرَ وحُلفائِهم مِن بَنِي أَسَدٍ وغَطَفانَ، أو أيديَ قريشٍ بالصُّلحِ.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفَّةُ أو الغنيمةُ.

﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَمارةً يعرفونَ بها أَنَّهم مِن اللهِ بمكانٍ، أو صدقَ الرَّسولِ في وَعدِهم فتحَ خيبرَ في حينِ رُجوعِه عَن الحُدَيبيةِ، أو وعدَ المغانم، أو عنوانًا لفتحِ مكَّةَ، والعَطفُ على مَحذوفٍ هو عِلَّةٌ لـ(كفَّ) أو (عجَّلَ) مثل: لتَسلِمُوا أو لِتَأخُذوا، أو العِلَّةُ لِمَحذوفٍ مثل: فعلَ ذلك.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ هو الثِّقةُ بفضلِ اللهِ والتَّوكُّلِ عليه.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ ومَغانِمَ أُخرى، معطوفةٌ على ﴿هَٰذِهِۦ﴾ أو مَنصوبةٌ بفعلٍ يُفسِّرُه (قد أحاطَ اللهُ بها) مثل: (قضى)[1]، ويُحتَملُ رَفعُها بالابتداءِ لأَنَّها مَوصوفةٌ، وجرُّها بإضمارِ (رُبَّ).

﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ بعدُ لِمَا كان فيها مِن الجَوْلَةِ.

(١) في (ت) زيادة: «أي قدر».

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ استوْلَى فأظفركُم بها، وهي مَغانِمُ هوازنَ أو فارسَ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لأنَّ قُدرتَهُ ذاتِيَّةٌ لا تختصُّ بشيءٍ دونَ شيءٍ.

(٢٢ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِن أهلِ مَكَّةَ ولم يُصالِحُوا.

﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لانهزَمُوا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرُسُهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَنصرُهُم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ أي سَنَّ غلبَةَ أنبيائِه سنَّةً قديمةً فيمَنْ مَضى مِن الأُمَمِ كما قال: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادل: ٢١].

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ تغييرًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي: أيديَ كفَّارِ مكَّة ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ في داخلِ مكَّةَ.

﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أظهرَكُم عليهم، وذلك أنَّ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرجَ في خمسمئةٍ إلى الحُديبيةِ فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوَليدِ على جُندٍ فهَزمهُم حتَّى أدخلَهُم حيطانَ مَكَّةَ ثمَّ عادَ.

وقيل: كان ذلك يومَ الفَتحِ، واستُشهِدَ به على أنَّ مَكَّةَ فُتِحَتْ عَنوةً، وهو ضَعيفٌ إذ السُّورَةُ نزلَتْ قبلَهُ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِن مُقاتَلَتِهم أوَّلًا طاعةً لِرَسُولِه، وكفِّهم ثانيًا لتَعظيمِ بيتِه.

وقرأ أبو عَمرٍو[(١)] بالياءِ[(٢)].

﴿بَصِيرًا﴾ فيُجازيهم عليهِ.

قوله: «أن عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرجَ في خمسمائةٍ إلى الحديبيةِ..» إلى آخره:

رواهُ ابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيرهما» عن ابنِ أَبْزَى[(٣)].

(٢٥) ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ يدلُّ على أنَّ ذلك كان عامَ الحُديبيةِ، والهَدْيُ ما يُهدَى إلى مكَّةَ.

وقُرِئَ: (الهَدِيَّ)[(٤)] وهو فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، ومَحِلُّهُ مكانُه الذي يَحِلُّ فيه نَحرُه، والمرادُ مكانُه المعهودُ وهو مِنى، لا مَكانُه الذي لا يجوزُ أن يُنحَرَ في غيرِه، وإلَّا لَمَا نحرَهُ الرَّسولُ ﷺ حيثُ أُحصِرَ، فلا ينتهضُ حُجَّةً للحنفيَّةِ على أنَّ مَذبحَ هَديِ المحصَرِ هو الحرمُ.

---

(١) في (خ) زيادة: «وأبو بكر» وهو خطأ.

(٢) وقراءة الباقين بالتاء، انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٣) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩١) عن ابن أبزى، وفيه أن الذي أرسله النبي ﷺ إلى عكرمة فهزمه هو خالد بن الوليد رضي الله عنه، لكن تعقب الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٥٤) الخبر بقوله: وفي صحته نظر، لأن خالداً لم يكن أسلم في الحديبية، وظاهر السياق أن هذه القصة كانت في الحديبية، فلو كانت في عمرة القضية لأمكن، مع أن المشهور أنهم فيها لم يمانعوه ولم يقاتلوه.

(٤) وهي رواية عصمة عن عاصم كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٣)، ورواية خارجة عن أبي عمرو كما في «البحر» (١٩/ ٢٩٩).

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تَعرِفُوهُم بأعيانِهم لاختِلاطِهِم بالمُشركينَ.

﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أن تُوقِعُوا بهم وتُبيدُوهُم، قال:

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وَطْءَ المُقَيَّدِ نَابِتَ الهَرْمِ

وقال عليهِ السَّلامُ: «إنَّ آخرَ وَطأةٍ وَطِئَها اللهُ بوجٍّ»، وهو وادٍ بالطائفِ كان آخرَ وقعةٍ للنبيِّ عليهِ السَّلامُ بها، وأصلهُ الدَّوْسُ، وهو بدلُ اشتِمالٍ مِن رجالٍ ونساءٍ، أو مِن ضَميرِهِم في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾ مِن جِهَتِهم ﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾ مكروهٌ كوُجوبِ الدِّيةِ والكفَّارةِ بقَتْلِهم والتَّأسُّفِ عليهم وتعييرِ الكفَّارِ بذلك والإثمِ بالتَّقصيرِ في البحثِ عَنْهم، مَفْعَلَةٌ مِن عَرَّهُ: إذا عَرَاهُ ما يَكرَهُه.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مُتَعلِّقٌ بـ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي تَطَؤوهُم غيرَ عالِمينَ بهم، وجوابُ (لولا) مَحذوفٌ لدلالةِ الكلامِ عليه، والمَعنى: لولا كراهةُ أَنْ تُهلكوا ناسًا مُؤمنينَ بين أَظهُرِ الكافرينَ جاهِلينَ بهم فيُصيبَكُم بإهلاكِهِم مَكروهٌ لَما كفَّ أَيدِيَكُم عنهم.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ عِلَّةٌ لما دلَّ عليه كفُّ الأيدي مِن أهلِ مَكَّةَ صَوْنًا لِمَن فيها مِن المؤمنينَ أي: كانَ ذلك ليُدخِلَ اللهُ في رَحمَتِه؛ أي: في تَوفيقِه لزيادةِ الخيرِ أو للإسلامِ.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِن مُؤمنيهِم أو مُشركيهِم.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لو تفرَّقُوا وتميَّزَ بَعضُهُم مِن بعضٍ.

وقُرِئَ: (تَزايلُوا)(١).

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٧) عن أبي حيوة وقتادة.

﴿لِعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتلِ والسَّبي.

قوله:

«ووَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ   وَطْءَ المُقَيَّدِ نابِتَ الهَرْمِ»(١)

قال الطِّيبيُّ: الحَنَقُ: الحقدُ الشَّديدُ، والمقيَّدُ: البعيرُ الذي عليه القَيدُ، وخصَّه لأن وطأَتَهُ أثقَلُ كما خصَّ الحنَقَ لأنَّ إبقاءه أقلُّ، وخصَّ (نابتَ الهرمِ) لأنَّ هَشمَهُ أسهَلُ، والهرمُ جمعُ هَرْمةٍ، وهو يَبِيسُ الشِّبْرقِ أَذَلُّ الحَمْضِ، تقولُ أثَّرتَ فينا تأثير الحَنِقِ الغضبانِ كما يؤثرُ البَعيدُ المقيَّدُ إذا وَطِئَ هذا النَّبت(٢).

قوله: «إنَّ آخرَ وَطْأَةٍ وَطِئَها اللهُ بِوَجٍّ»:

أخرجَهُ أحمَدُ مِن حديثِ يَعلَى العامِريِّ(٣).

قال في «النهاية»: المعن: إنَّ آخرَ أَخْذَةٍ أو وقعَةٍ أوقعَهَا اللهُ بالكُفَّارِ كانَتْ بِوَجٍّ، وكانَتْ غزوَةُ الطَّائفِ آخرَ غزواتِ رسولِ اللهِ ﷺ فإنَّه لم يَغزُ بَعدَها إلَّا غزوَةَ تبوك ولم يَكُن فيها قِتالٌ(٤).

---

(١) البيت للحارث بن وعلة كما في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٥٤٩)، و«أمالي القالي» (١/ ٢٦٣)، و«الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ١٤٩ ـ ١٥١). وبشرح التبريزي (١/ ٦٥).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٤٠٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٥٦٢) من حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد أيضاً (٢٧٣١٤) من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها. وفي كل من إسناديهما مقال.
قال ابن قتيبة: أُراه ـ والله أعلم ـ أن آخر ما أوقع الله بالمشركين بالطَّائِف، ووَجٌّ هي الطَّائف، وكذلك قال سفيان بن عُيَيْنة: آخر غزاة غزاها رسول الله ﷺ الطَّائف، وحنين وَادٍ قبل الطَّائِف. وذهب أيضاً في تفسير هذا الحرف هذا المذهب. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٠٠).

(٢٦) - ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مُقدَّرٌ بـ: اذكُرْ أو ظرفٌ لـ(عَذَّبْنا) أو (صَدُّوكم).

﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾ الأَنَفَةَ ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ التي تمنَعُ إذعانَ الحقِّ.

﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فأنزلَ عليهم الثَّباتَ والوقارَ وذلك ما رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا همَّ بقِتالِهم بعثُوا سهيلَ بنَ عمرٍو وحُوَيطِبَ بنَ عبدِ العُزَّى ومِكْرَزَ بنَ حَفْصٍ ليسألوهُ أن يرجِعَ مِن عامِه على أن تخليَ له قريشٌ مكَّةَ مِن القابلِ ثلاثةَ أيَّامٍ فأجابَهُم، وكتبوا بينَهُم كِتابًا فقالَ عليهِ السَّلامُ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنه: «اكتُب: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ» فقالوا: ما نعرِفُ هذا، اكتُبْ: باسمِك اللهمَّ، ثمَّ قالَ عليهِ السَّلامُ: «اكتُبْ: هذا ما صالحَ رَسولُ اللهِ أهلَ مكَّة» فقالوا: لو كنَّا نعلَمُ أنَّكَ رَسولُ اللهِ ما صَدَدْناكَ عن البيتِ وما قاتلناكَ، اكتُبْ: هذا ما صالحَ عليه مُحمَّدُ بن عبدِ اللهِ أهلَ مَكَّةَ، فقالَ عليه السَّلامُ: «اكتُبْ ما يُريدونَ»[1]، فهمَّ المؤمنونَ أَنْ يأبَوْا ذلك ويبطِشوا عليهِمْ، فأنزلَ اللهُ السَّكينةَ[2] عليهم فتوقَّرُوا وتَحمَّلُوا.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ كلمةَ الشَّهادةِ، أو (بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ) و(محمَّدٌ رسولُ اللهِ) اختارهما لهم، أو الثبات والوفاء بالعهد، وإضافة (الكلمة) إلى (التقوى) لأنَّها سببُها أو كلمةُ أهلِها.

(١) قطعة من حديث الحديبية الطويل رواه البخاري (٢٧٣١) عن المسور ومروان، وفيه بدل «اكتُبْ ما يُريدُون»: «واللهِ إني لرسولُ الله وإنْ كذَّبتُموني، اكتب محمدُ بنُ عبد الله».

(٢) في (خ): «سكينته».

﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ مِن غيرِهم ﴿وَأَهْلَهَا﴾ والمُستأهِلَ لها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلمُ أهلَ كلِّ شيءٍ ويُيَسِّرُه له.

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا هَمَّ بقِتالِهِم بعثوا سُهيلَ بنَ عَمرٍو..» إلى آخره:

رواه البيهقيُّ في «دلائل النبوة» مِن حَديثِ عُروةَ بن الزُّبَيرِ مُرسلًا[1].

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ رَأى عليهِ السَّلامُ أنَّه وأصحابَه دخَلُوا مكَّةَ آمنينَ وقد حلَّقُوا وقصَّرُوا فقصَّ الرُّؤيَا على أصحابِه ففرِحُوا وحَسِبُوا أنَّ ذلك يكونُ في عامِهِم، فلَمَّا تأخَّرَ قال بعضُهُم: واللهِ ما حَلَّقْنا ولا قَصَّرْنا ولا رأينا البيتَ، فنزَلَتْ، والمعنى: صدقَهُ في رُؤياه.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُلتبِسًا به، فإنَّ ما أراهُ كائِنٌ لا محالةَ في وقتِهِ المقدَّرِ له وهو العامُ القابِلُ.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ صِفَةَ مصدرٍ مَحذوفٍ أي: صِدْقًا مُلتبِسًا بالحقِّ وهو القصدُ إلى المَيزِ بينَ الثَّابتِ على الإيمانِ والمتزلزلِ فيه، وأن يكونَ قَسمًا إمَّا باسمِ اللهِ تَعالى أو بنَقيضِ الباطلِ.

وقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ جوابُه، وعلى الأوَّلَيْنِ جوابُ قسمٍ مَحذوفٍ.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٦٠)، وانظر التعليق السابق.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعليقٌ للعِدَةِ بالمَشيئةِ تَعليمًا للعِبادِ، أو إشعارًا بأنَّ بعضَهم لا يدخلُ لِمَوْتٍ أو غَيبةٍ، أو حكايةٌ لِمَا قالَهُ مَلَكُ الرُّؤيا أو النبيُّ لأَصحابِه.

﴿ءَامِنِينَ﴾ حالٌ مِن الواوِ، والشَّرطُ مُعترِضٌ.

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي مُحَلِّقًا بعضُكُم ومُقَصِّرًا آخرون.

﴿لَا تَخَافُونَ﴾ حالٌ مُؤكِّدةٌ أو استئنافٌ، أي: لا تخافونَ بعد ذلك.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ مِن الحكمةِ في تأخيرِ ذلك.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ مِن دونِ دُخولِكُم المسجدَ، أو فتحِ مَكَّة.

﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتحُ خيبرَ لتَسْتَرْوِحَ إليه قلوبُ المُؤمنينَ إلى أن يتيسَّرَ الموعودُ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ مُلتَبِسًا به، أو بسببِهِ ولأَجلِهِ[1].

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ وبدينِ الإسلامِ.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليُغلِّبَهُ على جنسِ الدِّينِ كلِّه بنسخِ ما كانَ حقًّا وإظهارِ فسادِ ما كان باطلًا، أو بتَسليطِ المُسلِمينَ على أَهلِه إذ ما مِن أَهلِ دينٍ إلَّا وقد قَهرَهُم المُسلِمُونَ، وفيه تأكيدٌ لِمَا وعدَهُ مِن الفَتحِ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أنَّ ما وعدَهُ كائِنٌ، أو على نُبوَّتِه بإظهارِ المُعجِزَاتِ.

قوله: «رَأى عليهِ السَّلامُ أنَّه وأَصحابُه دَخلوا مكَّةَ آمنينَ...» إلى آخره:

أخرجَه البَيهَقِيُّ مِن حَديثِ مُجاهِدٍ مُرسَلًا[2].

---

(١) في (خ): «أو لأجله».

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٦٤). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٧) عن ابن زيد.

(٢٩) ـ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ جملةٌ مبيِّنةٌ للمَشهودِ به، ويجوزُ أن يكونَ ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صِفةَ و﴿مُّحَمَّدٌ﴾ خبرَ مَحذوفٍ، أو مبتدأً.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ معطوفٌ عليه، وخبرُهما: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ وأَشِدَّاءُ جَمعُ شديدٍ ورُحَماءُ جمعُ رَحيمٍ، والمعنى أنَّهم يَغلُظونَ على مَن خالفَ دينَهُم ويَتراحمُونَ فيمَا بينَهُم كقولِه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ لأنَّهُم مُشتَغِلونَ[1] بالصَّلاةِ في أكثرِ أوقاتِهم.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ الثَّوابَ والرِّضَا.

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ يريدُ السِّمَةَ التي تحدُثُ في جِباهِهِم مِن كثرةِ السُّجودِ، فِعْلى مِن سامَه: إذا أَعْلَمه، وقد قُرِئَت ممدودةً[2]، و﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ بيانُها، أو حالٌ مِن المستكنِّ في الجارِّ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الوَصفِ المَذكورِ، أو إشارةٌ مبهمةٌ يُفسِّرُها ﴿كَزَرْعٍ﴾.

﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ صِفتُهم العَجيبةُ الشَّأنِ المَذكورةُ فيها.

---

(١) في (خ): «مشغولون».

(٢) قرئت: (سِيمِيَاؤُهم) وفيها ثلاث لغات: هاتان والسيماء، وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٣) ونسب القراءة لبعضهم.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ عطفٌ عليه، أي: ذلك مَثلُهم في الكتابَينِ، وقوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ تمثيلٌ مُستأنَفٌ، أو تَفسيرٌ، أو مُبتدأً و﴿كَزَرْعٍ﴾ خبرُه.

﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ فِراخه، يقال: أَشْطَأَ الزَّرعُ: إذا أفرَخَ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ بروايةِ ابنِ ذكوانَ: ﴿شَطَأَهُ﴾ بفتحاتٍ[1]، وهو لُغَةٌ فيه.

وقُرِئَ: (شَطَاهُ) بتَخفيفِ الهمزةِ، و: (شَطَاءَهُ) بالمدِّ، و: (شَطَهُ) بنقلِ حركةِ الهمزةِ وحَذفِها، و(شَطْوَهُ) بقلبِها واوًا[2].

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فقوَّاهُ، مِن المُؤازرَةِ وهي[3] المُعاونَةُ، أو مِن الإيزارِ وهو الإعانَةُ.

وقرأ ابنُ عامرٍ بروايةِ ابنِ ذَكوانَ: ﴿فَأَزَرَهُ﴾ كأَجَرَ في آجَرَ[4].

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ فصارَ مِن الدقَّةِ إلى الغِلَظِ[5].

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقامَ على قَصبِهِ، جمعُ ساقٍ.

وعن ابنِ كَثيرٍ (سُؤقِهِ) بالهمزةِ[6].

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ بكَثافَتِه وقُوَّتِه وغلظِه[7] وحُسنِ منظرِهِ، وهو مَثلٌ ضربَهُ اللهُ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر هذه القراءات مع قارئيها في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)، و«البحر» (١٩/ ٣١٣).

(٣) في (ض): «بمعنى».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٨).

(٥) في (خ): «الغلظة».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«النشر» (٢/ ٣٣٨).

(٧) في (خ): «وغلظته».

للصَّحابةِ قَلُّوا في بَدءِ الإسلامِ ثمَّ كَثُروا واستَحْكَمُوا فترقَّى أَمرُهُم بحيث أعجبَ النَّاسَ.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ عِلَّةٌ لتَشبيهِهِم بالزَّرعِ في زَكائِه واستِحكامِه، أو لقولِه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فإنَّ الكُفَّارَ لَمَّا سَمِعُوهُ غاظَهُم ذلك، و(منهم) للبيانِ.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ الفَتحِ فكأنَّمَا كانَ ممَّنْ شَهِدَ مَع مُحمَّدٍ فتحَ مكَّةَ».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ الفَتحِ...» إلى آخره:

موضوعٌ[1].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٤٠٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٩)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٥)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع المروي في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٩٩).

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

مَدنيَّةٌ، وآيُها ثماني عشرةَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ أي: لا تُقدِّمُوا أمرًا، فحُذِفَ المفعولُ ليذهبَ الوَهمُ إلى كلِّ ما يُمكِنُ، أو تُرِكَ لأنَّ المقصودَ نَفْيُ التَّقديمِ رأسًا، أو لا تَتقدَّمُوا، ومنهُ مُقدِّمَةُ الجيشِ لِمُتقدِّميهِم، ويؤيِّدُه قراءةُ يعقوبَ: ﴿لا تقَدَّمُوا﴾[1].

وقُرِئَ: (لَا تَقْدَمُوا) مِن القُدومِ[2].

﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مُستَعارٌ ممَّا بين الجِهَتينِ المُسامِتَتَيْنِ لِيَدَي الإنسانِ تَهجينًا لِمَا نُهوا عنه، والمعنى: لا تَقْطَعُوا أمرًا قبلَ أن يَحكُمَا به.

وقيل: المرادُ بينَ يدي رسولِ اللهِ، وذكرُ اللهِ تعظيمٌ له وإشعارٌ بأنَّه مِن اللهِ بمكانٍ يوجِبُ إجلالَه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في التَّقديمِ، أو مُخالفةِ الحكمِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالِكُم.

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٣٤٤)، و«البحر» (١٩/ ٣١٩).

(٢ ـ ٣) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ أي: إذا كَلَّمْتوه فلا تُجاوِزُوا أصواتكُم عَن صَوتِه.

﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ ولا تَبْلغُوا بِهِ الجهرَ الدَّائرَ بينكُم، بل اجعَلُوا صوتَكُم[1] أخفضَ مِن صوتِه مُحاماةً على التَّرحيبِ ومُراعاةً للأَدبِ.

وقيل: مَعناه: ولا تُخاطِبُوهُ باسمِهِ وكنيتِه كما يخاطبُ بَعضُكُم بَعضًا وخاطِبُوهُ بالنَّبيِّ والرَّسولِ، وتكريرُ النِّداءِ لاستدعاءِ مَزيدِ الاستبصارِ والمبالغةِ في الإيقاظِ والدَّلالةِ على استِقلالِ المُنادَى لهُ وزيادةِ الاهتمامِ به.

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ كراهةَ أن تحبطَ فيكونُ عِلَّةً للنَّهيِ، أو لأَنْ تحبطَ؛ على أَنَّ النَّهيَ عَن الفعلِ المعلَّلِ باعتبارِ التَّأدِيَةِ لأنَّ في الرَّفعِ والجَهرِ استِخفافًا قد يُؤَدِّي إلى الكُفرِ المُحبطِ وذلك إذ انضمَّ إليه قصدُ الإهانةِ وعدمُ المبالاةِ.

وقَدْ رُوِيَ أَنَّ ثابتَ بنَ قيسٍ كانَ في أذنِه وَقرٌ وكانَ جَهْوَرِيًّا، فلَمَّا نزلَتْ تخلَّفَ عَن رَسولِ اللهِ فتفقَّدَه ودَعاهُ فقال: يا رسولَ اللهِ! لقَدْ أُنزِلَت إليكَ هذه الآيةُ وإني رجلٌ جَهِيرُ الصَّوتِ فأخافُ أن يكونَ عَمَلي قد حَبِطَ، فقال عليهِ السَّلامُ «لستَ هُناكَ، إنَّكَ تعيشُ بخيرٍ وتموتُ بخيرٍ وإنَّكَ مِن أهلِ الجنَّةِ».

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أنها محبطَةٌ.

---

(١) في (خ) و(ت): «أصواتكم».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ يخفضونَها ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مُراعاةً للأدبِ، أو مخافةً عَن مُخالفَةِ النَّهيِ.

قيل: كان أبو بكرٍ وعُمَرُ بعدَ ذلك يُسرانِه حتى يَستَفْهِمَهُما.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ جَرَّبَها للتَّقوى ومَرَّنها عليها، أو عَرَفها كائنةً للتَّقوى خالصةً لها؛ فإنَّ الامتحانَ سببُ المعرفةِ، واللامُ صِلَةُ مَحذوفٍ أو للفعلِ باعتبارِ الأصلِ، أو ضربَ اللهُ قلوبَهُم بأنواعِ المِحَنِ والتَّكاليفِ الشاقَّةِ لأجلِ التَّقوى فإنَّها لا تظهرُ إلا بالاصطبارِ عليها، أو أخلصَها للتَّقوى مِن: امتحَنَ الذَّهبَ: إذا أذابَهُ وميَّزَ إبريزَهُ مِن خبثِهِ.

﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذُنوبِهم ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ لغَضِّهِم وسائرِ طاعاتِهِم، والتَّنكيرُ للتَّعظيمُ، والجُملَةُ خبرٌ ثانٍ لـ(إنَّ)، أو استئنافٌ لبيانِ ما هو جزاءُ الغاضِّينَ إحمادًا لِحالهم كما أخبرَ عَنْهُم بجُملَةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِن مَعرفَتينِ، والمبتدأُ اسمُ الإشارةِ المُتضمِّنُ لِمَا جُعلَ عنوانًا لهم، والخبرُ الموصولُ بصِلَةٍ دَلَّتْ على بُلوغِهِم أقصى الكمالِ مُبالغَةً في الاعتدادِ بغَضِّهِ والارتضاءِ له وتَعريضًا بشَناعةِ الرَّفعِ والجهرِ، وأنَّ حالَ المرتكبِ لَهُما على خلافِ ذلك.

قوله: «رُوِيَ أنَّ ثابتَ بنَ قيسٍ...» إلى آخره.:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ أنسٍ بمَعناه(١).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ مِن خارجِها، خلفَها أو قدَّامَها، و(مِن)

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩).

ابتدائيَّةٌ فإنَّ المُناداةَ نشأَتْ مِن جهةِ الوراءِ وفائِدَتُها الدلالةُ على أنَّ المنادَى داخلَ الحُجرةِ، إذ لا بُدَّ وأن يختَلِفَ المبتدأُ[1] والمُنتهى بالجهةِ.

وقُرِئَ (الحُجرات) بفتحِ الجيمِ وسُكونِها[2]، وثلاثتُها جمعُ حُجْرةٍ وهي القطعَةُ من الأرضِ المَحجورةُ بحائطٍ، ولذلكَ يُقال لحظيرةِ الإبلِ حُجْرَةٌ وهي فُعْلَةٌ بمعنى مفعولٍ كالغُرْفَةِ والقُبْضَةِ، والمرادُ حجراتُ نساءِ النبيِّ عليه السَّلامُ، وفيها كنايَةٌ عَن خَلوَتِه بالنِّساءِ، ومُناداتُهم مِن وَرائِها إمَّا بأنَّهم أتَوْها حُجرةً حُجرةً فنادَوهُ مِن وَرائِها، أو بأنَّهُم تفرَّقُوا على الحجراتِ مُتطلِّبينَ له، فأُسنِدَ فعلُ الأبعاضِ إلى الكُلِّ.

وقيلَ إنَّ الذي ناداهُ عُيَينةُ بنُ حِصنٍ والأقرَعُ بنُ حابسٍ، وَفَدا على رسولِ اللهِ في سَبعينَ رَجُلًا مِن بني تميمٍ وقتَ الظَّهيرةِ وهو راقدٌ فقالا: يا مُحمَّدُ! اخرُجْ إلَيْنا. وإنَّما أُسنِدَ إلى جميعِهِم لأنَّهُم رَضُوا بذلك، أو أَمرُوا به، أو لأنَّه وُجِدَ فيما بينَهُم.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ العقلُ يَقتَضِي حُسنَ الأَدَبِ ومُراعاةَ الحِشمَةِ سِيَّما لِمَن كانَ بهذا المنصبِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: ولو ثبتَ صبرُهُم وانتِظارُهُم حتَّى تخرُجَ، فإنَّ (أنَّ) ـ وإنْ دلَّتْ بما في حَيِّزِها على المصدرِ ـ دَلَّتْ بنَفسِها على الثُّبوتِ، ولذلك وجبَ إِضمارُ الفعلِ، و(حتَّى) تفيدُ أنَّ الصَّبرَ ينبغي أن يكونَ مُغيًّا بخروجِه، فإنَّ (حتى) مُختَصَّةٌ بغايةِ الشَّيءِ في نفسِه، ولذلك تقولُ: (أكلتُ السَّمكةَ حتى رأسِها) ولا تقولُ: (حتَّى نصفِها)، بخلافِ (إلى) فإنَّها عامَّةٌ، وفي ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إشعارٌ بأنَّه لو خرجَ لا لأَجْلِهِم يَنبَغي أَنْ يَصبِرُوا حتَّى يُفاتِحَهُم بالكلامِ أو يتوجَّهَ إليهِم.

---

(١) في (ض): «المبدأ».

(٢) قراءة فتح الجيم لأبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٦)، وقراءة السكون لابن أبي عبلة كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤).

﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾ لكانَ الصَّبرُ خَيرًا لهم مِن الاستعجالِ لِمَا فيهِ مِن حفظِ الأدبِ وتَعظيمِ الرَّسولِ المُوجِبَيْنِ للثَّناءِ والثَّوابِ والإِسعافِ بالمسؤولِ[١] إذ رُوِيَ أَنَّهُم وَفَدُوا شَافِعِينَ في أُسارى بني العَنبَرِ فأطلقَ النِّصفَ وفادى النِّصفَ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ حيثُ اقتصرَ على النُّصحِ والتَّقريعِ لهؤلاءِ المُسيئينَ الأدبَ التَّاركينَ تَعظيمَ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

قوله: «أي: ولو ثبتَ صَبرهُمْ»:

قال أبو حيَّان: هذا مَذهبُ المبردِ، وأمَّا سيبويهِ فمَذهَبُه أنَّ (أن) وما بعدَهَا بعدَ (لو) في مَوضعِ مُبتدأٍ لا في مَوضعِ فاعلٍ[٢].

قوله: «ناداه عُيَينةُ بنُ حصنٍ والأقرعُ بنُ حابسٍ...» إلى آخره:

رواهُ الثَّعلبيُّ والواحديُّ مِن حَديثِ جابرٍ[٣].

---

(١) في (خ): «بالسؤال».

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٣٢٧).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٨)، ورواه ابن منده وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٢)، من طريق يعلى بن الأشدق، قال: حدثني سعد بن عبد الله أنَّ النبي ﷺ سئل عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ الآية، قال: «هم الجفاة من بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالًا للأعور...». وسعد بن عبد الله مجهول كما قال ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٤٢٤) وذكر له هذا الحديث. ويعلى بن الأشدق قال عنه البخاري: لا يكتب حديثه، وقال أبو حاتم: ليس بشيء ضعيف الحديث. انظر: «التاريخ الأوسط» (٢/ ١٧٩)، و«الجرح والتعديل» (٩/ ٣٠٣).

وللبخاري (٤٣٦٦) ومسلم (٢٥٢٥) عن أبي هريرة قال: لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاثٍ سَمِعتُه من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: «هم أشد أمتي على الدجال»... الحديث.

(٦) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ فتعرَّفُوا وتفحَّصُوا.

رُوِيَ أَنَّه عليهِ السَّلامُ بعثَ وليدَ بنَ عُقبةَ مُصدِّقًا إلى بني المُصطلقِ وكانَ بينَهُ وبينَهُم إِحْنَةٌ فلَمَّا سَمِعوا به استقبَلُوه فحسِبَهُم مُقاتليهِ[١] فرجَعَ وقالَ لرَسُولِ اللهِ: قد ارتَدُّوا ومنعوا الزَّكاةَ فهَمَّ بقتالِهِم، فنزَلَتْ.

وقيل: بعثَ إليهِم خالدَ بنَ الوليدِ فوجدَهُم مُنادينَ بالصَّلاةِ مُتهجِّدينَ فسَلَّمُوا إليه الصَّدقاتِ فرَجَعَ[٢].

وتنكيرُ الفاسقِ والنَّبأِ للتَّعميمِ، وفي تعليقِ الأمرِ بالتَّبيُّنِ على فسقِ المخبِرِ يَقتضِي جوازَ قبولِ خبرِ العَدْلِ مِن حيثُ إنَّ المعلَّقَ على شيءٍ بكلمةِ (إن) عدمٌ عندَ عَدمِه، وأنَّ خبرَ الواحدِ لو وجبَ تبيُّنُه مِن حيثُ هو كذلك، لَمَا رُتِّبَ[٣] على الفسقِ إذ[٤] التَّرتيبُ يفيدُ التَّعليلَ، وما بالذَّاتِ لا يُعلَّلُ بالغيرِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿فتَثَبَّتُوا﴾[٥]، أي: فتوَقَّفُوا إلى أَنْ يَتبيَّنَ لَكُم الحالُ.

﴿أَن تُصِيبُوا﴾ كراهةَ إصابَتِكُم ﴿قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ جاهلينَ بحالِهِم ﴿فَتُصْبِحُوا﴾

---

(١) في (ض): «مقاتلة» وفي الهامش: في نسخة: «مقاتليه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥١) عن قتادة دون قوله: فسلموا إليه الصدقات.

(٣) في (خ): «لما رتبه».

(٤) في (ت): «من حيث إن».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ مُغتمِّينَ غمًّا لازمًا مُتمنِّينَ أنَّه لم يَقَعْ، وتركيبُ هذه الأحرفِ الثَّلاثةِ دائرٌ مَع الدَّوام[1].

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ بعثَ الوليدَ بنَ عُقبةَ مُصدقًا إلى بني المُصطلِقِ...» إلى آخره:

أخرجَهُ الطَّبرانيُّ مِن حَديثِ أمِّ سَلَمةَ[2].

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) في (ض): «اللزوم» وفي الهامش: في نسخة: «الدوام».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤٠١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١١): رواه الطبراني، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف.

وروى القصة الإمام أحمد في «المسند» (١٨٤٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٩٥)، من حديث الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه.

ورواها أيضاً الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٩ ـ ٣٥٣) عن أم سلمة وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك.

وذكر القصة أيضاً ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٩٦).

وجاء في أكثر الأخبار: فأنزل الله عذرهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾.

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٥٥٣) إجماع العلماء على أنها نزلت في الوليد بن عقبة.

وليس في شيء من هذه الأخبار: «فاتَّهمَهم فقال: «لَتَنتَهُنَّ أو لأَبْعَثَنَّ...»»، وإنما ورد هذا في حديث جابر رضي الله عنه الذي رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٧٩٧) في هذه القصة، وسمى القوم: بني وليعة. وفي إسناده عبد الله بن عبد القدوس التميمي، قال يحيى: ليس بشيء رافضي خبيث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الدَّارقطني: ضعيف. انظر: «الضعفاء والمتروكون» لابن الجوزي (٢/ ١٠٣).

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ (أنْ) بما في حيِّزه سادٌّ مَسدَّ مَفعُولَي اعلَمُوا باعتبارِ ما قُيِّدَ به مِن الحالِ، وهو قولُه: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ فإنَّه حالٌ مِن أحدِ ضَميرَيْ فيكُم، ولو جُعِلَ استِئنافًا لم يظهَرْ للأَمرِ فائدَةٌ.

والمعنى: أنَّ فيكُم رَسولَ اللهِ على حالٍ يَجِبُ تَغييرُها وهي أنَّكم تُريدونَ أنْ يتبعَ رأيكُم في الحوادثِ، ولو فعلَ ذلك لعَنِتُّم، أي: لوقَعْتُم في العَنتِ وهو الجهدُ والهلاكُ، وفيه إشعارٌ بأنَّ بعضَهُم أشارَ إليه بالإيقاعِ ببني المصطلقِ.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ استدراكٌ ببيانِ عُذرِهِم وهو أنَّهُم مِـن فَرْطِ حُبِّهِم الإيمانَ[1] وكراهَتِهِم الكفرَ حملَهُم على ذلك لَمَّا سَمِعُوا قولَ الوَليدِ، أو بصِفَةِ مَـن لم يفعَلْ ذلك مِنْهُم إحمادًا لفِعْلِهم وتعريضًا بذمِّ مَن فعلَ، ويؤيِّدُه قولُه:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي أولئكَ المُستثنَون[2] هـم الذين أصابُوا الطَّريقَ السَّوِيَّ، و(كَرِهَ) مُعَدًّى بنفسهِ إلى مَفعولٍ واحدٍ فإذا شُدِّدَ زادَ له آخرُ، لكنَّه لَمَّا تَضمَّنَ مَعنى التَّبغيضِ عدي بـ(إلى) . والكفرُ تَغطِيَةُ نِعَمِ اللهِ بالجُحودِ، والفُسوقُ الخروجُ عَن القصدِ، والعصيانُ الامتناعُ عَن الانقيادِ.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ تعليلٌ لـ(كرَّه) أو (حبَّبَ) وما بينَهُما اعتراضٌ لا للرَّاشدينَ فإنَّ الفضلَ فِعلُ اللهِ، والرُّشدُ وإن كانَ مُسبَّبًا مِن فعلِه مسندٌ إلى ضَميرِهِم أو مصدرٌ لغيرِ فعلِهِ فإنَّ التَّحبيبَ والرُّشدَ فضلٌ مِن اللهِ وإنعامِه.

---

(١) في (ت) و(ض): «للإيمان».

(٢) في (ت): «المتبينون».

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالِ المؤمنينَ وما بينَهُم مِن التَّفاضُلِ.

﴿حَكِيمٌ﴾ حينَ يُفضِلُ ويُنعِمُ بالتَّوفيقِ عَلَيهِم.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ تقاتلُوا، والجمعُ باعتبارِ المعنى فإنَّ كلَّ طائفَةٍ جمعٌ.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ بالنُّصحِ والدُّعاءِ إلى حكمِ اللهِ[1].

﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ تعدَّتْ عليها.

﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ ترجعُ إلى حكمِهِ، أو ما أمرَ به، وإنَّما أُطلقَ الفيءُ على الظلِّ لرُجوعِه بعدَ نسخِ الشَّمسِ، والغنيمةُ لرُجوعِها مِن الكُفَّارِ إلى المسلمينَ.

﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بفصلِ ما بينَهُما على ما حكمَ اللهُ، وتقييدُ الإصلاحِ بالعَدلِ هاهنا لأنَّه مَظنَّةُ الحَيفِ مِن حيثُ إنَّه بعدَ المُقاتلَةِ.

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ واعدِلُوا في كلِّ الأُمورِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ يَحمَدُ فعلَهُم بحسنِ الجزاءِ، والآيَةُ نزلَتْ في قتالٍ حدثَ بينَ الأوسِ والخَزرجِ في عَهدِه عليه السَّلامُ بالسَّعَفِ والنِّعالِ، وهي تدلُّ على أنَّ الباغِيَ مؤمِنٌ وأنَّه إذا قُبِضَ عن الحربِ تُرِكَ كمَا جاءَ في الحديثِ؛ لأنَّهُ فَيْءٌ إلى

---

(١) في (ت) زيادة: «وإزالة الشبه بالحجج».

أمرِ اللهِ، وأنَّه يجبُ مُعاونةُ مَن بُغِيَ عليهِ بعدَ تقديمِ النُّصحِ والسَّعيِ في المُصالَحةِ(١).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مِن حيثُ إنَّهم منتسبونَ إلى أصلٍ واحدٍ هو الإيمانُ الموجِبُ للحَياةِ الأبديَّةِ، وهو تعليلٌ وتقريرٌ للأمرِ بالإصلاحِ(٢)، ولذلك كرَّره مُرَتَّبًا عليه بالفاءِ فقال: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ووَضَعَ الظَّاهرَ مَوضِعَ الضَّميرِ مُضافًا إلى المأمورينَ للمُبالغَةِ في التَّقريرِ والتَّحضيض، وخَصَّ الاثنينِ بالذِّكرِ لأنَّهُما أقلُّ مَن يَقَعُ بينَهُم الشِّقاقُ.

وقيل: المرادُ بالأَخوينِ الأَوْسُ والخَزْرَجُ.

وقُرِئَ: ﴿بينَ إِخْوَتِكُم﴾(٣) و(إِخْوانِكُم)(٤).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مُخالفَةِ حُكمِهِ والإهمالِ فيه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ على تَقْواكُم.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن الضحاك.

(٢) في (خ) و(ت): «بالصلاح».

(٣) هي قراءة يعقوب من العشرة، انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٦).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٨)، عن زيد بن ثابت وابن مسعود وابن سيرين والحسن وعاصم الجحدري.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ أي: لا يسخَرْ بعضُ المؤمنينَ والمُؤمِناتِ مِن بعضٍ، إذ قَدْ يكونُ المسخورُ منهُ خيرًا عندَ اللهِ مِن السَّاخرِ.

والقومُ مُختَصٌّ بالرِّجالِ لأنَّه إمَّا مَصدَرٌ نُعِتَ به فشاعَ في الجَمْعِ، أو جمعٌ لقائِمٍ كزَائِرٍ وزَوْرٍ، والقِيامُ بالأُمورِ وظيفَةُ الرِّجالِ كمَا قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ وحيثُ فُسِّرَ بالقَبِيلَيْنِ كقَوْمِ عادٍ وفِرْعَوْنَ فإمَّا على التَّغليبِ أو الاكتفاءِ بذكرِ الرِّجالِ عَن ذكرِهِنَّ لأنهنَّ توابعُ، واختيارُ الجمعِ لأنَّ السخريةَ تغلبُ في المجامعِ، و(عسى) باسمِها استئنافٌ بالعلَّةِ الموجِبةِ للنَّهيِ، ولا خبرَ لها لإغناءِ الاسمِ عنه.

وقُرِئَ: (عَسَوْا أَنْ يَكونُوا) و(عَسَيْنَ أَنْ يَكُنَّ)(١) فهيَ على هذا ذاتُ خبرٍ.

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: ولا يَعِبْ بَعْضُكُم بَعْضًا، فإنَّ المؤمنينَ كنَفْسٍ واحِدَةٍ، أو لا تفعَلُوا ما تُلْمَزُونَ به، فإنَّ من فعلَ ما استحقَّ به اللَّمزَ فقَدْ لمزَ نفسَهُ، واللَّمزُ الطَّعنُ باللِّسانِ.

وقرأَ يعقوبُ بالضَّمِّ(٢).

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ ولا يدعو بعضُكُم بعضًا بلقبِ السُّوءِ، فإنَّ النَّبزَ مُختَصٌّ بلقبِ السُّوءِ عُرفًا.

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: بِئسَ الذِّكرُ المُرتَفِعُ للمُؤمنينَ أن يُذكرُوا بالفسقِ بعدَ دُخولِهم الإيمانَ واشْتهارِهِم به، والمرادُ به إمَّا تَهجينُ نِسبَةِ الكُفرِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٠)، وزاد نسبتها لأبي رضي الله عنه.

(٢) أي: (لا تَلْمُزُوا). انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٠).

والفسقِ إلى المُؤمنينَ خُصوصًا؛ إذ رُوِيَ أنَّ الآيةَ نَزَلَتْ في صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ، أَتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَتْ: إنَّ النِّساءَ يَقُلْنَ لي: يا يهوديَّةُ بنتَ يَهودِيَّيْنِ، فقال لها: «هَلَّا قُلتِ: إنَّ أبي هارونُ وعَمِّي موسَى وزَوْجِي مُحَمَّد»(١)، أو الدلالةُ على أنَّ التَّنابُزَ فسقٌ، والجمعُ بينَهُ وبين الإيمانِ مُستقبَحٌ.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ عمَّا نُهِيَ عنه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بوضعِ العِصيانِ مَوضِعَ الطَّاعةِ وتعريضِ النَّفسِ للعَذابِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ كونوا مِنهُ على جانبٍ، وإبهامُ الكثيرِ ليُحتاطَ في كلِّ ظنٍّ ويُتأمَّلَ حتَّى يَعلمَ أنَّه مِن أيِّ القَبيلِ؛ فإنَّ مِن الظنِّ ما يجبُ اتباعُه كالظنِّ حيثُ لا قاطعَ فيه مِن العمليَّاتِ وحسنِ الظنِّ باللهِ.

وما يحرُمُ كالظنِّ في الإلهيَّاتِ والنبوَّاتِ وحيثُ يخالِفُه قاطِعٌ، وظنِّ السوءِ بالمؤمنينَ.

وما يباحُ كالظنِّ في الأمورِ المَعاشيَّةِ.

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ تعليلٌ مُستأنَفٌ للأمرِ، والإثمُ الذَّنبُ الذي يَستحقُّ العقوبةَ عليه، والهمزةُ فيه مِن الواوِ كأنَّه يَثِمُ الأعمالَ؛ أي يَكسِرُها.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ولا تَبحثُوا عَن عَوراتِ المسلمينَ، (تَفَعُّلٌ) من الجسِّ باعتبارِ ما فيه مِن مَعنى الطَّلَبِ كالتَّلَمُّسِ.

---

(١) ذكره عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٩).

ورواه الترمذي (٣٨٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٩٠) من حديث صفية رضي الله عنها. وقال الترمذي: حديث غريب، وليس إسناده بذاك.

وقُرِئَ بالحاءِ مِن الحسِّ[1] الذي هو أثرُ الجسِّ وغايَتُه، ولذلك قيلَ للحَواسِّ جوَاسٌّ.

وفي الحديثِ «لا تَتبَعُوا عَوراتِ المسلمينَ فإنَّ مَن تَتبَّعَ عَوراتِهم تَتبَّعَ اللهُ عورتَهُ حتى يَفضحَهُ ولو في جوفِ بَيتِه».

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ولا يَذكُرْ بَعضُكُم بَعْضًا بالسُّوءِ في غَيبتِه.

وسُئِلَ عليهِ السَّلامُ عن الغِيبةِ فقال: «أَنْ تَذكُرَ أخاكَ بما يكرَهُهُ، فإنْ كانَ فيه فقَد اغتَبْتَه، وإن لم يَكُنْ فيهِ فقَدْ بَهتَّهُ».

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ تمثيلٌ لِمَا ينالُه المغتابُ مِن عِرضِ المغتابِ على أفحشِ وَجهٍ مَع مُبالغاتِ الاستفهامِ المُقرِّرِ، وإسنادِ الفعلِ إلى (أحدٍ) للتَّعميمِ وتَعليقِ المحبَّةِ بما هوَ في غايةِ الكراهةِ، وتمثيلِ الاغتيابِ بأكلِ لَحمِ الإنسانِ، وجعلِ المأكولِ أخًا ومَيْتًا وتعقيبِ ذلك بقولِه: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تقريرًا وتحقيقًا لذلك.

والمَعنى: إنْ صحَّ ذلك أو عُرِضَ عليكم هذا فقد كَرِهْتُموهُ ولا يمكنُكُم إنكارُ كَراهَتِه، وانتصابُ (ميتًا) على الحالِ مِن اللَّحمِ أو الأخِ. وشدَّدَهُ نافعٌ[2].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ لِمَن اتَّقى ما نَهى عنه وتابَ ممَّا فَرطَ منه، والمبالغةُ في (التَّوَّابِ) لأنَّه بليغٌ في قبولِ التَّوبةِ إذ يجعلُ صاحِبَها كمَنْ لَمْ يُذنِبْ، أو لِكَثْرةِ المَتوبِ عليهم، أو لكثرةِ ذُنوبِهم.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤) عن النبي ﷺ والحسن وابن سيرين، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٣٨١) عن ابن عباس وأبي رجاء العطاردي.

(٢) وبالتشديد أي: (ميّتاً) قرأ أيضاً أبو جعفر ورويس، انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

رُوِيَ أنَّ رَجُلَيـنِ مِـن الصَّحابَـةِ بَعَثـا سـلمانَ إلـى رسـولِ اللهِ ﷺ يَبغـي لهمـا إدامًـا، وكان أسـامَةُ علـى طعامِـه فقال: ما عنـدِي شـيءٌ، فأخبرَهُما سـلمانُ فقالا: لـو بعثنـاهُ إلى بئرِ سُـمَيْحَةَ لغارَ ماؤُهـا، فلَمَّا راحـا[1] إلى رسـولِ الله ﷺ قال لهما: «مـا لـي أَرَى خُضرَةَ اللحـمِ فـي أفواهِكُما» فقالا: مـا تَناوَلْنـا لحمًا، فقـال: «إنَّكُما قَـد اغتبتُمـا» فنزلَتْ.

قوله: «لا تتَّبِعُوا عوراتِ المُسلمينَ...» الحديث:

أخرجَه التِّرمذيُّ وحسَّنَه وابنُ حِبَّان مِن حَديثِ ابنِ عُمرَ[2].

قوله: «وسُئِلَ ﷺ عَن الغيبَةِ فقال: «أن تَذكُرَ أخاكَ...» الحديث:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ أبي هُريرةَ[3].

قوله: «وانتصابُ ﴿مَيْتًا﴾ على الحالِ مِن اللحمِ أو الأَخِ»:

قال أبو حيَّان: الثَّاني ضَعيفٌ لأنَّ المَجرورَ بالإضافةِ لا يَجيءُ منه الحالُ إلَّا إذا كانَ له مَوضِعٌ مِن الإعرابِ نحو: أعجبَنِي رُكوبُ الفَرَسِ مُسرَجًا وقيامُ زيدٍ مُسرِعًا، فالفرسُ في مَوضعِ نصبٍ، وزيدٌ في موضِعِ رَفعٍ.

وقد أجازَ ابنُ مالكٍ أنَّه إذا كانَ الأوَّلُ جزءًا أو كالجزءِ جازَ انتصابُ الحالِ مِن الثَّاني، وقَدْ رَدَدْنَاه عليه، والصَّوابُ انتصابُهُ على الحالِ مِن ﴿لَحْمَ﴾[4].

---

(١) في (خ): «رجعا».

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٢)، وقال: حديث حسن غريب. وورواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٧٦٣).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وعزاه المزي في «تحفة الأشراف» (١٠/ ٢٢٣) على مسلم والنسائي ولم يعزه إلى البخاري.

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٣٤٢).

قوله: «رُوِيَ أنَّ رَجُلينِ مِن الصَّحابةِ بَعثَا سلمانَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ..» الحديث.:

ذكرَه الثَّعلبيُّ بغيرِ إسنادٍ[1]، ورَوى مَعناه الأصبهانيُّ في «الترغيب» عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي لَيْلَى[2].

(١٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ مِن آدمَ وحـوَّاءَ، أو خَلَقْنا كُلَّ واحدٍ مِنْكُم مِن أبٍ وأُمٍّ فالكلُّ سَواءٌ في ذلك، فلا وجهَ للتَّفاخُرِ بالنَّسبِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ تقريرًا للأخوةِ المانعَةِ عَن الاغتيابِ.

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ الشَّعْبُ: الجمعُ العَظيمُ المُنتَسِبُونَ إلى أصلٍ واحدٍ وهو يَجمَعُ القبائلَ، والقبيلةُ تجمَعُ العَمائِرَ، والعَمارةُ تجمَعُ البُطونَ، والبطنُ يجمعُ الأفخاذَ، والفَخِذُ يجمَعُ الفَصائِلَ، فخزيمةُ شَعْبٌ، وكِنانةُ قَبيلَةٌ، وقريشٌ عمارةٌ، وقُصَيٌّ بطنٌ، وهاشِمٌ فَخِذٌ، وعبَّاسٌ فصيلَةٌ.

وقيل: الشُّعوبُ بُطونُ العَجَمِ، والقَبائِلُ بطونُ العربِ.

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ليعرِفَ بَعضُكُم بَعضًا لا للتَّفاخُرِ بالآباءِ والقَبائلِ.

وقُرِئَ: ﴿لتَّعَارَفُوا﴾ بالإدغامِ[3]، و: (لتَتعارَفُوا)[4]، و: (لِتَعْرِفُوا)[5].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨١). وذكره كذلك البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٤)، والنسفي في «تفسيره» عند هذه الآية.

(٢) رواه أبو القاسم الأصفهاني في «الترغيب والترغيب» (٢٢٣١).

(٣) هي قراءة البزي، انظر: «التيسير» (ص: ٨٣).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ض: ١٤٤) عن بعض المصاحف.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٠)، عن ابن عباس =

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فإنَّ التَّقوى بها تكمُلُ النُّفوسُ وتَتفاضَلُ الأشخاصُ، فمَنْ أرادَ شَرَفًا فليلتَمِسْ مِنْها، كما قالَ عليهِ السَّلامُ: «مَن سَرَّهُ أن يكونَ أكرمَ النَّاسِ فليتَّقِ اللهَ».

وقال عليه السلام: «يا أيُّها النَّاسُ إنَّما النَّاسُ رَجُلانِ مُؤمِنٌ تَقِيٌّ كريمٌ على اللهِ، وفاجِرٌ شَقِيٌّ هينٌ على اللهِ».

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِكُم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطِنِكُم.

قوله: «مَن سرَّهُ أَنْ يكونَ أكرَمَ النَّاسِ فليتَّقِ اللهَ»:

أخرجَه الحاكِمُ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ[1].

قوله: «يا أيُّها النَّاسُ إنَّما النَّاسُ رَجُلان..» الحديث:

أخرجَه التِّرمذيُّ مِن حَديثِ ابنِ عُمرَ[2].

= وأبان عن عاصم.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٧٠٧) وعبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١٠٧٠ ـ زوائد الهيثمي)، من طريق هشام بن زياد أبي المقدام عن محمد بن كعب عن ابن عباس أتم منه، قال البيهقي في «الزهد» كما في «نصب الراية» (٣/ ٦٢) و«الكافي الشاف» (ص: ١٥٨): تكلموا في هشام بسبب هذا الحديث، وأنه كان يقول: حدثني يحيى عن محمد بن كعب، ثم ادعى أنه سمعه من محمد بن كعب، ثم أخرجه البيهقي من طريق عبد الجبار بن محمد العطاردي ـ والد أحمد ـ عن عبد الرحمن الضبي عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب عن ابن عباس يرفع الحديث نحوه.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٧٠)، وقال: عبد الله بن جعفر يُضعَّف، ضعَّفه يحيى بن معين وغيره. وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٢٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٦٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٨٧٣٦)، والترمذي =

(١٤) ـ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ نزلَتْ في نفرٍ مِن بني أسدٍ قَدِمُوا المدينةَ في سَنةٍ جَدبةٍ وأظهَرُوا الشَّهادتَينِ وكانوا يَقُولونَ لرَسُولِ اللهِ ﷺ: أتيناكَ بالأثقالِ والعِيالِ ولَمْ نُقاتِلْكَ كمَا قاتلكَ بنو فُلانٍ، يريدونَ الصَّدقَةَ ويَمُنُّونَ[1].

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ إذ الإيمانُ تَصديقٌ مع ثقةٍ وطُمأنينةِ قلبٍ ولم يَحصُلْ لَكُم، وإلَّا لَمَا مَنَنْتُم على الرَّسولِ بالإسلامِ وتركِ المقاتلةِ كما دلَّ عليه آخرُ السُّورةِ.

﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ فإنَّ الإسلامَ انقيادٌ ودُخولٌ في السِّلمِ، وإظهارُ الشَّهادةِ وتركُ المحاربةِ يُشعِرُ به.

وكان نظمُ الكلامِ أنْ يقولَ: لا تقولُوا آمنَّا ولكن قولُوا أسلَمْنَا أو لم تُؤمِنُوا ولكن أسلَمْتُم فعدَلَ منه[2] إلى هذا النَّظمِ احترازًا مِن النَّهيِ عن القولِ بالإيمانِ والجزمِ بإسلامِهِم وقد فُقِدَ شرطُ اعتبارِه شرعًا.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ توقيتٌ لـ﴿قُولُوٓا۟﴾ فإنَّه حالٌ مِن ضميرِهِ أي: ولكِن قولوا أسلَمْنَا ولم تُواطِئْ قلوبُكُم أَلسِنَتَكُم بَعدُ.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإخلاصِ وتَركِ النِّفاقِ ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ لا ينقصْكُم مِن أُجورِها ﴿شَيْـًٔا﴾ مِن لاتَ لَيْتًا: إذا نقصَ.

= (٥٣٩٥٥) وحسنه، وأبو داود (٥١١٦)، والبيهقي في «الآداب» (٣٣٨).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٩).

(٢) في (خ): «عنه».

وقرأ البَصرِيَّانِ: ﴿لا يَأْلِتْكُم﴾[1] مِن الألْتِ، وهو لغةُ غطفانَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَا فرطَ مِنَ المُطِيعِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتَّفضُّلِ عَليهِم.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يَشُكُّوا، مِن ارتابَ مطاوعُ رابَه: إذا أوقعَهُ في الشَّكِّ معَ التُّهمةِ، وفيه إشارةٌ إلى ما أوجبَ نفيَ الإيمانِ عَنْهُم، و(ثم) للإشعارِ بأنَّ اشتراطَ عدمِ الارتِيَابِ في اعتِبارِ الإيمانِ ليس حالَ الإيمانِ فقط بل وفيما يُستقبلُ فهيَ كمَا في قولِه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعَتِه، والمُجاهدةُ بالأَموالِ والأَنفُسِ تَصلُحُ للعباداتِ الماليَّةِ والبَدَنيَّةِ بأسرِهَا.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الذين صَدقُوا في ادِّعاءِ الإيمانِ.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أتخبرونَه به بقولِكُم: آمنَّا.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا تَخفى عليهِ خافِيَةٌ، وهو تَجهيلٌ لَهُم وتَوبيخٌ.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا نَزَلَتْ الآيةُ المُتقدِّمَةُ جاؤُوا وحَلفُوا أنَّهم مُؤمِنُونَ مُعتَقِدُونَ، فنزلَتْ هذه[2].

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢)، قال الداني: قرأ أبو عمرو: ﴿يَأْلِتْكُم﴾ بهمزة ساكنة بعد الياء، وإذا خفف أبدلها ألفاً، والباقون بغير همز ولا ألف.

(٢) انظر: «الوجيز» للواحدي (ص: ١٠٢٠).

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ﴾ يَعدُّونَ إسلامَهُم عليكَ مِنَّةً وهي النِّعمَةُ التي لا يَستثيبُ مُولِيهَا ممَّنْ يُزلُّها إليهِ، مِن المَنِّ بمَعنى القَطعِ؛ لأنَّ المَقصودَ بها قطعُ حاجَتِه.

وقيل: النِّعمَةُ الثَّقيلَةُ مِن المنِّ.

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ أي: بإسلامِكُم، فنُصِبَ بنزعِ الخافضِ، أو تَضمُّنِ الفعلِ مَعنى الاعتدادِ.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ على ما زَعَمْتُم مع[1] أنَّ الهدايةَ لا تستلزِمُ الاهتداءَ.

وقُرِئَ: (إنْ هَداكُم) بالكسرِ[2]، و(إذ هَداكُم)[3].

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في ادِّعاءِ الإيمانِ، وجوابُهُ مَحذوفٌ يدلُّ عليه ما قبلَه؛ أي: فلله المنَّةُ عليكُم، وفي سياقِ الآيةِ لُطفٌ وهو أنَّهُم لَمَّا سَمَّوا ما صدرَ عنهم إيمانًا ومَنُّوا به فنَفى أنَّه إيمانٌ وسَمَّاهُ إسلامًا بأنْ قال[4]: يمنُّونَ عليكَ بما هوَ في الحقيقةِ

---

(١) في (ت): «من».

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٣٩٦)، وفي «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤): (يمنون عليك إن أسلموا).

(٣) وهي قراءة ابن مسعود، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٤)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤).

(٤) «بأن»: ليس في (ت) و(ض). وفي هامش (ض): في نسخة: «بأن قال».

إسلامٌ وليسَ بجَديرٍ أن يُمَنَّ عليكَ[١]، بـل لو صَحَّ ادِّعاؤُهم للإيمانِ[٢] فلله المنَّةُ عليهِم بالهدايةِ لهُ لا لَهُم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ما غابَ فيهِما.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ في سِرِّكُم وعَلانِيتِكُم فكيفَ يَخْفَى عليه ما في ضَمَائِرِكُم؟!

وقرأ ابنُ كثيرٍ بالياءِ لِمَا في الآيةِ مِن الغَيْبَةِ[٣].

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأ سورَةَ الحجراتِ أُعطِيَ مِن الأجرِ بعددِ مَن أطاعَ اللهَ وعصَاهُ».

قوله: «مَن قرأ سُورةَ الحُجُراتِ..» إلى آخره:

موضوعٌ[٤].

* * *

(١) «عليك»: ليس في (خ) و(ض).

(٢) في (خ) و(ت): «الإيمان».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٤)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٩)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٦).

سُورَةُ ق

سُورَةُ قٓ

مَكِّيَّةٌ، وهي خمسٌ وأربعونَ آيةً.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾.

﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الكلامُ فيه كما مَرَّ في: ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، والمَجيدُ: ذو المجدِ والشَّرفِ على سائرِ الكُتبِ، أو لأنَّه كلامُ المَجيدِ، أو لأنَّ مَن عَلِمَ مَعانيَهُ وامتثَلَ أحكامَهُ مَجُدَ.

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ إنكارٌ لتعَجُّبِهم ممَّا ليسَ بعَجَبٍ، وهو أَنْ يُنذِرَهُم أحدٌ مِن جِنسِهِم أو مِن أَبناءِ جِلدَتِهم.

﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ حكايةٌ لتعَجُّبِهم، و(هذا) إشارةٌ إلى اختيارِ اللهِ مُحمَّدًا للرِّسالةِ، وإضمارُ ذكرِهم ثمَّ إظهارُهُ للإشعارِ بتَعنُّتِهم لهذا[1] المقالِ ثمَّ التَّسجيلِ على كُفرِهم بذلك.

أو عطفٌ لتَعجُّبِهم مِن البَعثِ على تَعجُّبِهم مِن البعثَةِ، والمُبالغَةُ فيه بوَضعِ الظَّاهرِ مَوضِعَ ضَميرِهم وحكايةِ تعجُّبِهم مبهمًا إن كانَت الإشارةُ إلى مُبهَمٍ يُفسِّرُه ما بعدَهُ.

---

(١) في (ض): «بتعيُّنهم لهذا».

أو مجملًا إن كانَت الإشارةُ إلى مَخُوفٍ دلَّ عليه ﴿مُّنذِرٌ﴾ ثمَّ تفسيرُهُ.

أو تفصيلُهُ لأنَّه أدخَلُ في الإنكارِ، إذ الأوَّلُ استبعادٌ لأَنْ يفضُلَ عليهِم مثلُهُم[١]، والثَّاني استِقصَارٌ لقُدرَةِ اللهِ عمَّا هو أهوَنُ ممَّا يُشاهِدُونَ[٢] من صُنعِه.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي: أَنرجعُ إذا متنَا وصِرنَا تُرابًا، ويدلُّ على المحذوفِ قولُه: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيدٌ عَن الوهمِ أو العادةِ أو الإمكانِ.

وقيل: الرَّجْعُ بمعنى المَرجوعِ.

(٤ ـ ٥) ـ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكلُ مِن أجسادِ مَوتاهُم، وهو رَدٌّ لاستبعادِهِم بإزاحَةِ ما هو الأَصلُ فيه.

وقيل: إنَّه جوابُ القسمِ، واللامُ مَحذوفٌ لطُولِ الكَلامِ.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ حافظٌ لتَفاصيلِ الأشياءِ كُلِّها، أو مَحفوظٌ عَن التَّغييرِ، والمرادُ إمَّا تمثيلُ علمِه بتَفاصيلِ الأَشياءِ بعلمِ مَن عندَهُ كتابٌ مَحفوظٌ يُطالِعُه، أو تأكيدٌ لعلمِهِ بها بثُبوتِها[٣] في اللوحِ المحفوظِ عِندَهُ.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني النبوَّةَ الثَّابتةَ بالمُعجزاتِ، أو النبيَّ، أو القرآنَ.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وقُرِئَ: (لِمَا) بالكسرِ[٤].

---

(١) في (خ): «مثله».

(٢) في (خ): «يشاهدونه».

(٣) في (خ): «بها على ثبوتها» وفي (ض): «العلمه بها بما يثبتونها»

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٢)، عن الجحدري.

﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ مُضطربٍ مِن مَرِجَ الخاتمُ في إصبعِه: إذا جَرِجَ، وذلك قولُهُم تارةً إنَّه شاعرٌ وتارةً إنَّه ساحِرٌ وتارةً إنَّه كاهنٌ.

(٦ ـ ٨) ـ ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾.

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ حينَ كفرُوا بالبعثِ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ إلى آثـارِ قدرةِ اللهِ في خلقِ العالمِ.

﴿كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ رَفَعناها بلا عمدٍ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكبِ، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ فُتوقٍ بأنْ خلقَها مَلساءَ مُتلاصقةَ الطِّباقِ.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ بَسطناها ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابتَ ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ مِن كلِّ صنفٍ ﴿بَهِيجٖ﴾ حسنٍ.

﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ راجعٍ إلى ربِّه مُتفكِّرٍ في بدائعِ صُنعِهِ، وهما عِلَّتانِ للأفعالِ المذكورةِ معنًى وإن انتصَبَتا عن الفعلِ الأخيرِ.

(٩ ـ ١١) ـ ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾.

﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ كثيرَ المنافعِ ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ أشجارًا وثمارًا.

﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ وحبَّ الزَّرعِ الذي مِن شأنِه أن يُحصَدَ كالبُرِّ والشَّعيرِ.

﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ طِوالًا أو حَواملَ مِن أَبْسقَتِ الشَّاةُ: إذا حملَتْ، فيكونُ مِن أَفْعَلَ فهو فاعلٌ، وإفرادُها بالذِّكرِ لفَرطِ ارتفاعِها وكثرةِ مَنافِعِها.

وقُرِئَ: (باصِقاتٍ)[1] لأجلِ القافِ.

﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ مَنضودٌ بعضُهُ فوقَ بعضٍ، والمرادُ تَراكمُ الطَّلعِ أو كثرةُ ما فيهِ مِن الثَّمرِ.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ عِلَّةٌ لـ(أَنبتنا)، أو مصدرٌ فإنَّ الإنباتَ رِزقٌ.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ بذلك الماءِ ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أرضًا جَدبةً لا نماءَ[2] فيها، ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ كما حَيِيَتْ هذه البلدةُ يكونُ خروجُكُم أحياءً بعدَ مَوتِكُم.

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ أرادَ إيَّاه وقومَه ليلائِمَ ما قبلَهُ وما بعدَه.

﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾[3] إخوانُه لأنَّهم كانوا أصهارَه.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ سبقَ في (الحجرِ) و(الدُّخانِ).

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أي: كلُّ واحدٍ، أو قومٌ مِنهم، أو جميعُهُم، وإفرادُ الضَّميرِ لإفرادِ لَفظِه.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجبَ وحلَّ عليه وعيدي، وفيه تسليَةٌ للرَّسولِ وتهديدٌ لهم.

---

(١) رويت عن رسول الله ﷺ، انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٨٢).

(٢) في (ت) و(ض): «ماء».

(٣) في (ض) زيادة: «وإنما قال».

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أفعجَزْنا عن الإبداءِ حتَّى نعجَزَ عـن الإعادةِ مِن عَيِيَ بالأمرِ: إذا لم يهتدِ لوجهِ عَمَلِه، والهمزةُ فيه للإنكارِ.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هُم لا ينكرونَ قُدرتَنا على الخلقِ الأوَّلِ بل هُم في خِلْطٍ وشُبهةٍ في خَلقٍ مُستأنَفٍ لِمَا فيهِ مِن مخالفةِ العادةِ، وتنكيرُ الخلقِ الجديدِ لتَعظيمِ شَأنِه والإشعارِ بأنَّه على وجهٍ غيرِ مُتعارَفٍ ولا مُعتادٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ مـا تحدثُـه[1] به نَفسُـهُ وهو ما يخطُرُ بالبـالِ، والوَسْوَسَـةُ الصَّـوتُ الخَفِـيُّ، ومنها وسـواسُ الحُلِـيِّ، والضَّميـرُ لِـ(ما) إن جُعِلـت مَوصولـةً والباءُ مثلُهـا في (صوَّتَ بكـذا)، أو للإنسـانِ إن جُعِلَـت مَصدريَّةً والبـاءُ للتَّعدِيَةِ.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ أي: ونحـنُ أعلَـمُ بحالهِ ممَّـنْ كانَ أقربَ إليه مِن حبـلِ الوَريـدِ، تجـوَّزَ بقربِ الـذَّاتِ لقُـربِ العلمِ لأنَّـه مُوجِبُـهُ، وحبلُ الوريـدِ مَثَلٌ في القُـربِ قال:

والمـوتُ أَدْنَـى لِـي مِـن الوَرِيـدِ[2]

والحَبْـلُ: العِـرقُ، وإضافتُـه للبيـانِ، والوَرِيـدانِ عِرقـانِ مُكتَنَفـانِ بصَفحَتَـي

---

(١) في (خ): «ما تحدث».

(٢) انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ٣٥٦)، والرواية فيه:

موعـود ربٌّ صـادقِ الموعـودِ   واللهُ أدنــى لــي مــن الوريـدِ

والمـوتُ يلقـى أنفـسَ الشـهودِ

العنقِ في مقدَّمِها مُتَّصِلانِ بالوَتينِ يَرِدانِ مِن الرَّأسِ إليه، وقيل: سُمِّيَ وَرِيدًا لأنَّ الرُّوحَ تَرِدُهُ.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ مُقدَّرٌ بـ(اذكر)، أو مُتعلِّقٌ بـ﴿أَقْرَبُ﴾ أي: هو أعلَمُ بحالِه مِن كلِّ قريبٍ حينَ يَتلقَّى أي: يتلقَّنُ الحفيظانِ ما يتلفَّظُ به، وفيه إيذانٌ بأنَّه غنيٌّ عَن استحفاظِ المَلَكينِ فإنَّه أعلَمُ مِنْهُما ومُطلعٌ على ما يخفى عليهما لكنَّه لِحكمَةٍ اقتَضَتْه، وهي ما فيهِ مِن تشديدٍ يُثبِّطُ العبدَ عَن المعصيَةِ، وتأكيدٌ في اعتبارِ الأعمالِ وضبطِها للجزاءِ، وإلزامٌ للحُجَّةِ يومَ يقومُ الأَشهادُ.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: عَن اليَمينِ قَعيدٌ وعَن الشمالِ قَعيدٌ؛ أي: مُقاعِدٌ كالجليسِ فحُذِفَ الأوَّلُ لدلالةِ الثَّاني عليهِ كقولِه:

فَإِنِّـي وَقَيَّـارٌ بِهَـا لَغَرِيـبُ(١)

وقيل: يطلَقُ الفعيلُ للواحدِ والمُتعدِّدِ كقولِه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ ما يَرمِي به مِن فِيهِ ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ مَلَكٌ يرقُبُ عملَهُ ﴿عَتِيدٌ﴾ مُعَدٌّ حاضِرٌ، ولعلَّهُ يكتبُ عليه ما فيه ثوابٌ أو عقابٌ.

---

(١) عجز بيت لضابئ بن الحارث البرجمي، وصدره:

ومَـن يـكُ أمسـى بالمدينـة رحلـه

انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٣٣٩)، و«النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري (ص: ١٨٢)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٢٥٧)، و«اللباب في علل البناء» لأبي البقاء العكبري (١/ ٢١٣).

وفي الحديث: «كاتبُ الحَسَناتِ أمينٌ على كاتبِ السَّيِّئاتِ فإذا عَمِلَ حسنةً كتبَهَا ملكُ اليمينِ عشرًا، وإذا عملَ سيِّئَةً قال صاحبُ اليَمينِ لصاحبِ الشمالِ دعهُ سبعَ ساعاتٍ لعلَّهُ يسبِّحُ أو يستغفِرُ».

قوله: «كاتِبُ الحسناتِ أمينٌ على كاتبِ السَّيِّئاتِ..» الحديث:

أخرجَه ابنُ راهويه في «مسنده» والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» مِن حَديثِ أبي أُمامةَ[1].

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾.

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ لَمَّا ذكرَ استبعادَهُم البعثَ للجزاءِ وأزاحَ ذلك بتَحقيقِ قُدرَتِه وعلمِه أعلَمَهُم بأنَّهُم يلاقونَ ذلك عَن قريبٍ عندَ الموتِ وقيامِ السَّاعةِ، ونبَّهَ على اقترابِهِ بأَنْ عبَّرَ عنه بلفظِ الماضي، وسَكرةُ الموتِ: شِدَّتُه الذَّاهبةُ بالعقلِ، والباءُ للتَّعدِيَةِ كما في قولِك: جاءَ زيدٌ بعمرٍو.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٤٩)، والروياني في «مسنده» (١٢١٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٩٧١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٧)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٨): وفيه جعفر بن الزبير وهو كذاب.
ورواه البيهقي في «الشعب» (٧٠٥٠) من طريق آخر فيه بشر بن نمير قال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك متهم.
ورواه الطبراني في «الكبير» (٧٧٦٥) من طريق آخر مختصراً بلفظ: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطىء أو المسيء، فإن ندم واستغفر منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٨): رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها وثقوا.

والمعنى: وأَحْضَرَتْ سكرةُ الموتِ حقيقةَ الأمرِ، أو الموعودَ الحقَّ، أو الحقَّ الذي يَنبَغِي أن يكونَ مِن الموتِ أو الجزاء، فإنَّ الإنسانَ خُلِقَ له، أو مِثْلُ الباءِ في ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقُرِئَ: (سَكْرَةُ الحَقِّ بالمَوْتِ)(١) على أنَّها لشِدَّتِها اقتضَتْ الزُّهوقَ، أو لاستِعقَابِها له كأنَّها جاءَتْ به، أو على أنَّ الباءِ بمعنى (مع).

وقيل: سكرَةُ الحقِّ سَكرةُ اللهِ، وإضافَتُها إليه للتَّهويلِ وقُرِئَ: (سَكراتُ الموتِ)(٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الموتُ ﴿مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ تميلُ وتَفِرُّ عنه، والخطابُ للإنسانِ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ يعني نفخةَ البعثِ.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ أي: وقتُ ذلكَ يومُ تحقُّقِ الوعيدِ ونَجَازِه، والإشارةُ إلى مصدرِ ﴿نُفِخَ﴾.

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾.

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ مَلكانِ أَحدُهُما يسوقُه والآخرُ يشهَدُ بعملِه، أو ملكٌ جامِعٌ للوَصفَيْنِ، وقيل: السَّائِقُ كاتِبُ السَّيِّئاتِ والشَّهيدُ كاتِبُ الحسناتِ، وقيل: السَّائِقُ نَفسُه أو قرينُهُ والشَّهيدُ جَوارِحُه أو أعمالُه، ومحلُّ ﴿مَعَهَا﴾ النَّصبُ على الحالِ مِن ﴿كُلُّ﴾ لإضافَتِه إلى ما هوَ في حكمِ المعرِفَةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٨)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣١٢)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٤)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٤٢٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٤٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٥٠)، «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٥).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٥) عن ابن مسعود.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ على إضمارِ القولِ، والخطابُ لكلِّ نفسٍ إذ ما مِن أحدٍ إلا وله اشتِغالٌ ما عن الآخرةِ، أو للكافرِ.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الغطاءَ الحاجِبَ لأُمورِ المَعادِ وهو الغفلَةُ والانهماكُ في المَحسوساتِ والإلفُ بها وقصورُ النَّظرِ عَليها.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ نافِذٌ لزَوالِ المانعِ للإبصارِ.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ والمَعنى: كنتَ في غَفلَةٍ مِن أمرِ الديانَةِ فكشَفْنَا عنكَ غطاءَ الغفلةِ بالوَحيِ[1] وتعليمِ القرآنِ فبَصرُكَ اليومَ حديدٌ تَرى ما لا يَرونَ وتعلَمُ ما لا يعلمونَ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ قِراءةُ مَن كسرَ التَّاءَ والكافاتِ على خطابِ النَّفسِ[2].

قوله: «ومحلُّ ﴿مَعَهَا﴾ النَّصبُ على الحالِ مِن ﴿كُلُّ﴾ لإضافتِه إلى ما هوَ في حكمِ المعرفَةِ»:

قال أبو حيَّان: لا ضرورةَ تَدعو إلى الحالِ بل الجملَةُ في موضعِ الصِّفَةِ إن أَعربتَ ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ مُبتدأً وخبرًا، وإلا فـ﴿سَآئِقٌ﴾ فاعلٌ بالظَّرفِ قبلَه لأنَّه قد اعتُمدَ، والظرفُ في موضِعِ الصِّفَةِ، وأمَّا قولُه: (لإضافَتِه إلى ما هو في حكمِ المعرفةِ) فكلامٌ ساقِطٌ لأنَّه نكرةٌ على كلِّ حالٍ[3].

(٢٣ ـ ٢٥) ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾.

---

(١) في (ت): «بالموحى».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٥) عن الجحدري.

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٣٦٦).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال الملكُ الموكَّلُ عليه: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ هذا ما هو مَكتوبٌ عندي حاضرٌ لديَّ، أو الشَّيطانُ الذي قُيِّضَ له: هذا ما عندي وفي مَلَكَتِي عتيدٌ لجهنَّمَ هيأتُه لها بإغوائِي وإضلالي، و(ما) إن جُعِلَت موصوفةً فـ﴿عَتِيدٌ﴾ صِفتُها، وإنْ جُعِلَت موصولةً فبدَلُها، أو خبرٌ بعدَ خبرٍ، أو خبرُ مَحذوفٍ.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ خطابٌ مِن الله للسَّائقِ والشَّهيدِ أو للمَلَكينِ مِن خزنةِ النَّارِ أو لواحدٍ، وتثنيةُ الفاعلِ مُنزَّلةٌ مَنزلَةَ تثنيةِ الفعلِ وتكريرِه، كقولِه:

فَـإِنْ تَزْجرَانِـي يَـا ابْـنَ عَفَّـانَ أَنْزَجِـرْ ... وَإِنْ تَـدَعَـانِي أَحْـمِ عِرْضًـا مُمَنَّعَـا

أو الألفُ بدلٌ مِن نونِ التَّأكيدِ على إجراءِ الوصلِ مجرى الوقفِ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (أَلْقِيَنْ) بالنُّونِ الخفيفةِ(١).

﴿عَنِيدٍ﴾ معاندٍ للحقِّ.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كثيرِ المنعِ للمالِ عن حقوقِه المفروضَةِ، وقيل: المرادُ بالخيرِ الإسلامُ، فإنَّ الآيةَ نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرَةِ لما منعَ بني أخيهِ عنه.

﴿مُعْتَدٍ﴾ مُتعَدٍّ ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٍّ في اللهِ وفي دينِه.

قوله:

«فَـإِنْ تَزْجُـرَانِي يَـا ابْـنَ عَفَّـانَ أَنْزَجِـرْ ... وَإِنْ تَدَعَـانِي أَحْـمِ عِرْضًـا مُمَنَّعَـا»(٢):

---

(١) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٤).

(٢) البيت لسويد بن كُراع العُكْلي، كما في «سمط اللآلي» لأبي عبيد البكري (١/ ٩٤٣)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٦٣)، وهو في «شرح القصائد السبع» (١/ ١٦)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٣/ ١٠٥) دون نسبة.

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ مُبتدأٌ مُضمَّنٌ معنى الشَّرطِ، وخبرُه: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ أو بدلٌ من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ فيكونُ: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريرًا للتَّوكيدِ، أو مفعولٌ لِمُضمَرٍ يُفسِّرُه ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: الشَّيطانُ المقيَّضُ له، وإنَّما استُؤنِفَت كما تُستأنَفُ الجُمَلُ الواقعةُ في حكايةِ التَّقاوُلِ فإنَّه جوابٌ لِمَحذوفٍ دلَّ عليه.

﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ كأنَّ الكافرَ قال: هو أطغاني فقالَ قرينُه: ربَّنا ما أطغَيْتُه، بخلافِ الأُولى فإنَّها واجبةُ العَطفِ على ما قبلَها للدَّلالةِ على الجمعِ بينَ مَفهومَيهِمَا في الحصولِ، أعني: مجيءَ كُلِّ نفسٍ مع المَلَكينِ وقولَ قرينِه.

﴿وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فأعَنْتُه عليه؛ فإنَّ إغواءَ الشَّيطانِ إنَّما يُؤثِّرُ فيمَنْ كانَ مُختَلَّ الرَّأيِ مائِلًا إلى الفُجورِ كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿قَالَ﴾ أي: اللهُ: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي: في مَوقفِ الحسابِ فإنَّه لا فائدةَ فيه، وهو استئنافٌ مثلُ الأوَّلِ.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ على الطُّغيانِ في كُتُبي وعَلى ألسِنَةِ رُسُلي فلم يبقَ لَكُم حُجَّةٌ، وهو حالٌ فيه تَعليلٌ للنَّهيِ؛ أي: لا تختَصِمُوا عالمينَ بأنِّي أوعَدْتُكم، والباءُ

مزيدةٌ أو مُعديةٌ على أنَّ (قدَّمَ) بمعنى (تقدَّم)، ويجوزُ أَنْ يكونَ بالوَعيدِ حالًا والفعلُ واقعًا على قوله:

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي: بوُقوعِ الخُلْفِ فيه، فلا تطمَعُوا أن أبدلَ وَعيدِي، وعفوُ بعضِ المذنبينَ لبَعضِ الأسبابِ ليسَ مِن التَّبديلِ، فإنَّ دلائلَ العفوِ تدلُّ على تخصيصِ الوَعيدِ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذِّبَ مَن ليسَ لي تَعذيبُه.

(٣٠) ـ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ سؤالٌ وجَوابٌ جيءَ بهما للتَّخييلِ والتَّصويرِ والمعنى: أَنَّها مع اتِّساعِها يُطرَحُ فيها الجِنَّةُ والنَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا حتى تَمْتلئَ، لقولِه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾، أو أَنَّها مِن السَّعةِ بحيثُ يَدخلُها مَن يَدخُلُها وفيها بعدُ فراغٌ، أو أَنَّها مِن شدَّةِ زَفيرِها وحِدَّتِها وتَشبُّبِها[1] بالعُصاةِ كالمستكثرِ لهم والطَّالبِ لزِيادتِهم.

وقرأَ نافعٌ وأبو بكرٍ: ﴿يقول﴾ بالياءِ[2]، والمزيدُ إمَّا مصدرٌ كـ(المحيدِ)، أو مفعولٌ كـ(المبيعِ)، و﴿يَوْمَ﴾ مقدرٌ بـ: اذكر، أو ظرفٌ لـ(نُفِخَ) فيكونُ ذلك إشارةً إليه فلا يفتقِرُ إلى تقديرِ مُضافٍ.

قوله: «سُؤالٌ وجوابٌ جيءَ بهمَا للتَّخييلِ..» إلى آخره:

قال صاحبُ «الانتصاف»: قد تقدَّم إنكارُ لفظِ التَّخييلِ، وجَعلُهُ هذا من بابِ المَجازِ مردودٌ بل سؤالُ جَهنَّمَ وجوابُها حقيقةٌ كما وردَ: «تحاجَّت الجنَّةُ والنَّارُ»،

(١) في جميع النسخ عدا (ض): «وتشبُّثها».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٦).

ولا مانعَ من ذلك، فقد سَبَّحَ الحصَى في كفِّ النَّبيِّ ﷺ، وسلَّمَ عليه الحجرُ، ولو فُتِحَ بابُ المجازِ في هذا لاتَّسعَ الخرقُ بخلافِ الآياتِ الواردةِ في الصِّفاتِ[1]، انتهى.

قوله: «أو ظرفٌ لـ: نُفخ»:

قال أبو حيَّان: هذا بعيدٌ لكثرةِ الفواصلِ بينَ العاملِ والمَعمولِ[2].

(٣١ ـ ٣٥) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قُرِّبَتْ لهم ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مكانًا غيرَ بعيدٍ، ويجوزُ أَنْ يكونَ حالًا، وتذكيرُه لأنَّه صِفَةُ مَحذوفٍ؛ أي: شيئًا غيرَ بعيدٍ، أو على زِنَةِ المَصدرِ، أو لأنَّ الجنَّةَ بمعنى البُستانِ.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ على إضمارِ القولِ والإشارةُ إلى الثَّوابِ، أو مصدرِ (أُزلِفَتْ).

وقرأَ ابنُ كثيرٍ بالياءِ[3].

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رَجَّاعٍ إلى اللهِ، بدلٌ مِن ﴿المتقين﴾ بإعادةِ الجارِّ.

﴿حَفِيظٍ﴾ حافظٍ لحُدودِه.

﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ بدلٌ بعدَ بدلٍ، أو بدلٌ مِن مَوصوفِ ﴿أَوَّابٍ﴾، ولا يجوزُ أن يكونَ في حُكمِه؛ لأنَّ (مَن) لا يُوصَفُ به، أو مُبتدأٌ خبرُه:

---

(١) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٣٨٨)، و«فتوح الغيب» للطيبي (١٤/ ٥٤٩).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٣٧٢).

(٣) وقراءة الباقين بالتاء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ على تأويلِ: يُقالُ لهم ادخُلوها، فإنَّ (مَن) بمَعنى الجمعِ و﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حالٌ مِن الفاعلِ أو المفعول، أو صِفَةٌ لِمَصدرٍ أي: خشيةً مُلتبسَةً بالغيبِ حيثُ خَشِيَ عقابَهُ وهو غائبٌ، أو العقابُ بعدُ غيبٍ، أو هو غائبٌ عن الأعيُنِ لا يراهُ أحدٌ، وتخصيصُ (الرَّحمنِ) للإشعارِ بأنَّهم رَجَوْا رحمتَهُ وخافُوا عقابَهُ، أو بأنَّهم يخشونَ خشيةً[1] مع علمِهم بسَعةِ رَحمَتِه، ووصفُ القلبِ بالإنابةِ؛ إذ الاعتبارُ برُجوعِه إلى اللهِ.

﴿بِسَلَٰمٍ﴾ سالمينَ مِن العَذابِ وزوالِ النِّعَمِ، أو مُسلِّمًا عليكُمْ مِن اللهِ ومَلائِكَتِه.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾: يومُ تَقديرِ الخُلودِ كقولِه: ادخلُوهَا خالدينَ.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ وهو ما لا يَخطُرُ ببالِهم ممَّا لا عينٌ رأَتْ ولا أذنٌ سَمِعَت ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ.

قوله: «ولا يَجوزُ أن يكونَ في حكمِه»:

قال أبو حيَّان: يعني أن يجعلَ (مَن) صفةً[2].

(٣٦) ـ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ قبلَ قومِكَ ﴿مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾ قوةً كعادٍ[3] وفِرعونَ.

---

(١) في (ض): «أو بأنهم ذوو خشية».

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٣٧٣).

(٣) في (خ) زيادة: «وثمود».

﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ فخرَقُوا في البلادِ وتصرَّفُوا فيها، أو جالوا في الأرضِ كلَّ مَجالِ حذرَ الموتِ، فالفاءُ على الأوَّلِ للتَّسبيبِ، وعلى الثَّاني لِمُجرَّدِ التَّعقيبِ، وأصلُ التَّنقيبِ: التَّنقيرُ عَن الشَّيءِ والبحثُ عنه.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: لهم مِن اللهِ، أو مِن الموتِ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿نقبوا﴾ لأهلِ مكَّةَ؛ أي: ساروا في أسفارِهِم في بلادِ القرونِ، فهَلْ رَأَوْا لهم محيصًا حتَّى يَتوقَّعُوا مثلَه لأنفسهم، ويؤيِّده أنه قُرِئَ: (فنقِّبوا)[1] على الأمرِ.

وقُرِئَ: (فنَقِبُوا) بالكسرِ[2] مِن النَّقَبِ وهو أن يَنتَقِبَ[3] خُفُّ البَعيرِ؛ أي: أكثَرُوا السَّيرَ حتَّى نَقِبَت أَقدامُهُم أو أخفافُ مَراكِبِهِم.

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما[4] ذكرَ في هذهِ السُّورَةِ ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكرةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي قلبٌ واعٍ يَتفكَّرُ في حَقائِقِه ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أو أصغى لاستماعِه.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضرٌ بذهنِه ليفهمَ مَعانِيَه، أو شاهدٌ بصدقِهِ فيتَّعِظَ بظواهرِهِ ويَنزَجِرَ بزواجرِه، وفي تنكيرِ القلبِ وإبهامِه تفخيمٌ وإشعارٌ بأنَّ كلَّ قلبٍ لا يَتفكَّرُ ولا يَتدبَّرُ كَلَا قلبٍ.

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٨٥) عن ابن عباس وأبي العالية ويحيى بن يعمر ونصر بن سيار.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص:١٤٥) عن أبي العالية ويحيى بن يعمر.

(٣) في (ض): «ينتقب».

(٤) في (خ): «مما».

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ مرَّ تفسيرُه مِرارًا.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ مِن تَعبٍ وإعياءٍ، وهو ردٌّ لِمَا زَعَمت اليَهودُ مِن أنَّه تَعالى بدأَ خلقَ العالمِ يومَ الأحدِ وفَرَغَ منه يومَ الجمعةِ واستراحَ يوم السَّبتِ واستَلْقى على العرشِ.

(٣٩ - ٤٠) - ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾.

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ما يقولُ المُشرِكونَ مِن إنكارِهم البَعثَ، فإنَّ مِن قَدَرَ على خلقِ العالمِ بلا إعياءٍ قدَرَ على بَعثِهم والانتقامِ منهم، أو ما يقولُ اليَهودُ مِن الكُفرِ والتَّشبيهِ.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ونَزِّههُ عن العجزِ عمَّا يُمكِنُ والوصفِ بما يوجِبُ التَّشبيهَ، حامِدًا له على ما أنعمَ عليك مِن إصابةِ الحقِّ وغيرِها.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ يعني الفجرَ والعصرَ، وقد عرفتَ فَضيلَةَ الوَقتينِ.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ وسَبِّحه[1] بعضَ الليلِ.

﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ وأعقابَ الصَّلاةِ، جمعُ دُبُرٍ، مِن أدبرَتِ الصَّلاةُ: إذا انقضَتْ.

وقرأ الحِجازِيَّانِ وحمزةُ بالكسرِ[2].

وقيل: المرادُ بالتَّسبيحِ الصَّلاةُ، فالصَّلاةُ قبلَ الطُّلوعِ الصُّبحُ، وقبلَ الغُروبِ الظُّهرُ

---

(١) في (خ) و(ت): «فسبح».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

والعَصرُ، ومن الليلِ العِشاءانِ والتَّهجُّدُ، وأدبارُ السُّجودِ النَّوافلُ بعدَ المكتوباتِ، وقيل الوِترُ بعد العشاء.

(٤١ ـ ٤٣) ـ ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ لِمَا أخبرك بهِ مِن أحوالِ القيامةِ، وفيه تهويلٌ وتَعظيمٌ للمُخبَرِ به.

﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ إسرافيلُ أو جبريلُ فيقول: أيَّتُها العِظامُ الباليةُ واللُّحومُ المُتمزِّقةُ والشُّعورُ المُتفرِّقةُ إنَّ اللهَ يَأمُركنَّ أنْ تَجتَمِعْنَ لفَصلِ القَضاءِ[1].

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ بحيثُ يَصِلُ نِداؤُه إلى الكلِّ على السَّواء، ولعلَّه في الإعادةِ نظيرُ (كن) في الإبداءِ، و﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ بما دلَّ عليه ﴿يومُ الخُروجِ﴾.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ بدلٌ منه، والصَّيحةُ النَّفخةُ الثَّانيةُ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(الصَّيحة)، والمرادُ به البَعثُ للجزاءِ.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ مِن القبورِ، وهو مِن أسماءِ يومِ القيامَةِ، وقد يقالُ للعيدِ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ في الدُّنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ للجزاءِ في الآخرةِ.

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

﴿يوم تَشَقَّقُ﴾ تَتشقَّقُ.

وقرأ نافعٌ وابنُ كثير وابنُ عامر بإدغام التَّاء في الشِّين[2]، وقرئ: (تَنشقُّ)[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسير» (٢١/ ٤٧٥) عن كعب.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٣)، و«النشر» (٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٤٣٠)، و«البحر» (١٩/ ٣٨٢).

﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ مُسرعينَ.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ بعثٌ وجمعٌ ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ هيِّنٌ، وتَقديمُ الظَّرفِ للاختصاصِ؛ فإنَّ ذلك لا يتيسَّرُ إلَّا على العالِمِ القادرِ لذاتِه[1] الذي لا يَشغَلُه شَأنٌ عَن شأنٍ كما قالَ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسليةٌ لرَسولِ اللهِ وتَهديدٌ لهم.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ بمُسلَّطٍ تَقسُرُهُم على الإيمانِ، أو تفعَلُ بهم ما تريدُ، وإنَّما أنتَ داعٍ.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ فإنَّه لا ينتفِعُ بهِ غَيرُه.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ «ق» هوَّنَ اللهُ عليه تاراتِ الموتِ وسَكَراتِه».

قوله: «مَن قرأَ سورةَ ق...» إلى آخره:

مَوضوعٌ[2].

---

(١) «لذاته» ليس في (ض).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٨)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٢)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع في فضائل السور سورة سورة المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٨).
لكن قد ورد في فضل هذه السورة كثير من الأحاديث الصحيحة، فقد كان ﷺ كثيراً ما يقرؤها في صلاة الفجر كما روى مسلم (٤٥٨) عن جابر بن سمرة، وفي حديث قطبة بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرؤها في الركعة الأولى من صلاة الفجر، رواه مسلم أيضاً (٤٥٧). وروى مسلم أيضاً (٨٩١) عن أبي واقد الليثي: أنه ﷺ كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت. وروى مسلم أيضاً (٨٧٣) عن أم هشام ابنة حارثة قالت: ما أخذت ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إلا من في رسول الله ﷺ، كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

سورة ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾

مَكِّيَّةٌ، وآيُها سِتُّون.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ يعني: الرِّياحَ تَذرُو التُّرابَ أو غيرَه، أو النِّساءَ الوَلُودَ فإنَّهنَّ يُذْرِينَ الأولادَ، أو الأسبابَ التي تُذْرِي الخلائقَ من الملائكةِ وغيرِهم.

وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ بإدغامِ التَّاءِ في الذَّالِ[1].

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ فالسُّحُبِ الحاملةِ للأمطارِ، أو الرِّياحِ الحاملَةِ للسَّحابِ، أو النِّساءِ الحواملِ، أو أسبابِ ذلك.

وقُرِئَ: (وَقْرًا)[2] على تسميةِ المَحمولِ بالمَصدَرِ.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ فالسُّفُنِ الجاريَةِ في البحرِ سهلًا، أو الرِّياحِ الجاريَةِ في مَهابِّها، أو الكَواكبِ التي تجري في مَنازِلِها، و﴿يُسْرًا﴾ صِفَةُ مَصدَرٍ مَحذوفٍ؛ أي: جَرْيًا ذا يُسْرٍ.

(٤ ـ ٦) ـ ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٥)، و«النشر» (١/ ٣٠٠).

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٤٣٥)، و«البحر» (١٩/ ٣٨٨).

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ الملائكةُ التي تُقسِّمُ الأمورَ مِن الأمطارِ والأَرزاقِ وغيرِها، أو ما يَعمُّهُم وغيرَها مِن أسبابِ القسمَةِ، أو الرِّياحُ يُقسِّمنَ[1] الأمطارَ بتَصريفِ السَّحابِ[2].

فإن حُمِلَتْ على ذواتٍ مُختلِفَةٍ فالفاءُ لتَرتُّبِ الإقسامِ بها باعتبارِ ما بينَها مِن التَّفاوُتِ في الدلالةِ على كمالِ القُدرَةِ، وإلَّا فالفاءُ لتَرتُّبِ الأفعالِ؛ إذ الرِّيحُ مثلًا تذرو الأبخرةَ إلى الجوِّ حتى تَنعَقِدَ سحابًا فتحملَه فتجريَ به باسطةً له إلى حيثُ أُمِرَتْ به فتقسِّمُ المطرَ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ جوابٌ للقَسَمِ، كأنَّه استدلَّ باقتِدارِه على هذه الأشياءِ العَجيبَةِ المخالِفَةِ لِمُقتَضى الطَّبيعَةِ على اقتدارِه على البعثِ الموعودِ، و(ما) مَوصولةٌ أو مَصدريَّةٌ، و(الدِّينُ): الجزاءُ، و(الواقِعُ): الحاصِلُ.

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ ذاتِ الطَّرائقِ، والمرادُ إمَّا الطُّرُقُ[3] المحسوسةُ التي هي مَسيرُ الكواكبِ، أو المَعقولَةُ التي يسلُكُها النُّظَّارُ ويُتوصَّلُ بها إلى المعارفِ، أو النجومُ فإنَّ لها طرائقَ، أو أنها تُزَيِّنُها كما تُزَيِّنُ المُوشي طرائِقُ الوَشْيِ، جمعُ حَبِيكَةٍ؛ كطَرِيقَةٍ وطُرُقٍ، أو حِباكٍ؛ كمِثَالٍ ومُثُلٍ.

وقُرِئَ: (الحُبْك) بالسُّكونِ، و(الحِبِكِ) كالإِبِلِ، و(الحِبْكِ) كالسِّلْكِ، و(الحَبَكِ) كالجَبَلِ، و(الحِبَكِ) كالنِّعَمِ، و(الحُبَكِ) كالبُرَقِ[4].

---

(١) في (خ) و(ض): «تقسِّم».

(٢) في (خ): «الرياح».

(٣) في (خ) و(ض): «الطرائق».

(٤) انظر هذه القراءات مع قارئيها في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٥ ـ ١٤٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٦)، و«زاد المسير» (٤/ ١٦٧)، و«الكشاف» (٨/ ٤٣٩)، و«البحر» (١٩/ ٣٩١).

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في الرَّسولِ، وهو قولُهم تارةً: إنه شاعرٌ، وتارة: إنه ساحِرٌ، وتارةً: إنَّه مجنونٌ، أو في القرآنِ، أو القيامةِ، أو أمرِ الدِّيانةِ، ولعلَّ النُّكتةَ في هذا القسَمِ تَشبيهُ أقوالِهم في اختلافِها وتنافي أغراضِها بالطَّرائقِ للسَّماواتِ في تَباعُدِها واختلافِ غاياتِها.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يُصرَفُ عنه ـ والضَّمير للرَّسولِ أو القُرآنِ أو الإيمانِ ـ مَن صُرفَ؛ إذ لا صرفَ أشدَّ منه، فكأنَّه لا صرفَ بالنِّسبَةِ إليه، أو يُصرفُ مَن صُرِفَ في علمِ اللهِ وقَضائِه.

ويجوزُ أَنْ يكونَ الضَّميرُ للقَوْلِ على معنى: يصدرُ إِفْكُ مَن أُفِكَ عَن القولِ المختلفِ وبسبَبِه كقولِه:

يَنْهَــوْنَ عَــنْ أَكْلٍ وَعَــنْ شُــرْبِ

أي: يَصدرُ تَناهيهِم عنهما وبسبَبِهما.

وقُرِئَ: (أَفَك) بالفتح[1]؛ أي: مَن أَفَكَ النَّاسَ، وهُم قريشٌ، كانوا يَصدُّون النَّاسَ عن الإيمانِ.

سُورةُ الذَّارياتِ

قوله:

«يَنْهَــوْنَ عَــنْ أَكْلٍ وَعَــنْ شُــرْبِ»

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٦)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٤٠٢)، كلاهما عن قتادة، و«الكشاف» (٨/ ٤٤٠) عن سعيد بن جبير، و«البحر» (١٩/ ٣٩٣) عن قتادة وسعيد بن جبير.

تمامه:

مِثْلَ المَهَا يَرْتَعْنَ فِي خَصْبِ[(١)]

قال الطِّيبيُّ: جملٌ ناهٍ: إذا كان غريقًا في السِّمَنِ، والضَّميرُ في (يَنْهَوْنَ) يعودُ إلى الجماعةِ، ومَن ظنَّ أنَّه يعودُ إلى النُّوقِ أخطأ؛ فإنَّه لو كانَ كذلك لقالَ: يَنْهَيْن[(٢)].

(١٠ ـ ١٤) ـ ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الكذَّابونَ مِن أَصحابِ القَولِ المُختَلِفِ، وأصلهُ الدُّعاءُ بالقَتلِ أُجرِيَ مجرى اللَّعنِ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهلٍ يَغمُرهُم ﴿سَاهُونَ﴾ غافِلُونَ عمَّا أُمِرُوا به.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: فيقولونَ متى يومُ الجَزاءِ؟ أي: وقوعُه.

وقُرِئَ: (إِيَّانَ) بالكسرِ[(٣)].

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يُحرَقُونَ، جوابٌ للسُّؤالِ؛ أي: يقَعُ يومَ هُم على النَّارِ يُفتَنُون، أو هو يومٌ هم على النَّارِ يُفتَنُون، وفُتِحَ ﴿يَوْمَ﴾ لإضافَتِه إلى غيرِ مُتمَكِّنٍ، ويدلُّ عليه أنَّه قُرِئَ بالرَّفعِ[(٤)].

---

(١) ورد العجز في «المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ٣٨٢)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٧)، بلا نسبة، وصدرُه فيها:

يمشُونَ دُسْماً حولَ قبَّتِه

(٢) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ١١)، وضبطت في مطبوعه: ((السَّمْن)) بدل ((السِّمَن)) وهو خطأ.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٨)، عن السلمي والأعمش.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٦) عن ابن أبي عبلة.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: مقولًا لهم هذا القولُ.

﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ هذا العذابُ هو الذي كُنْتُم به تَستَعجِلُونَ، ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿هَذَا﴾ بدلًا مِن ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾، و﴿الَّذِي﴾ صِفَتُه.

(١٥ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قابلينَ لِمَا أعطاهُم راضينَ به، ومَعناه: أنَّ كُلَّ ما آتاهُم حَسَنٌ مَرضِيٌّ مُتلَقًّى بالقَبولِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قد أَحسَنُوا أعمالَهُم، وهو تعليلٌ لاستِحقاقِهم ذلك.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ تفسيرٌ لإِحسانِهم و(ما) مَزيدةٌ؛ أي: يهجَعُونَ في طائفةٍ مِن الليلِ، أو يَهجعونَ هُجوعًا قليلًا، أو مَصدريَّةٌ، أو مَوصولَةٌ؛ أي: في قليلٍ مِن الليلِ هُجوعُهُم أو ما يَهجعونَ فيه، ولا يجوزُ أَنْ تكونَ نافيةً لأَنَّ ما بعدَها لا يعمَلُ فيما قبلَها، وفيه مُبالغاتٌ لتَقليلِ نَومِهم واستراحَتِهم: ذكرُ القَليلِ، والليلِ الذي هو وقتُ السُّباتِ، والهُجوعِ الذي هو الغِرَارُ[1] مِن النَّومِ، وزيادةُ (ما).

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: إنَّهُم مع قلَّةِ هُجوعِهِم وكثرةِ تَهجُّدِهم إذا أسحروا أَخذوا في الاستغفارِ كأنَّهُم أسلفُوا في ليلِهِم الجرائمَ، وفي بناءِ الفعلِ على الضَّميرِ إشعارٌ بأنَّهُم أَحِقَّاءُ بذلك لوُفورِ علمِهم باللهِ وخشيتِهِمْ منه.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ نصيبٌ يَستَوْجِبُونَه على أَنفُسِهِم تقرُّبًا إلى اللهِ وإشفاقًا على النَّاسِ.

---

(١) قوله: «الغِرَارُ»؛ أي: القليلُ، انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ١٨).

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ للمُستَجْدِي والمُتعفِّفِ الذي يُظَنُّ غنيًّا فيُحرَمُ الصَّدقَةَ.

قوله: «وزيادةُ (ما)»:

قال ابنُ المُنيِّر: فيه نَظرٌ؛ فإنَّها تُؤكِّدُ الهُجوعَ وتُحقِّقُه لا أنَّها تجعلُهُ في مَعنى القِلَّةِ[1].

وقال العَلَمُ العِراقِيُّ: بَلْ تؤكِّدُ ما سبقَها، وهو قولُه: ﴿قَلِيلٗا﴾، وتُحقِّقُ أنَّ الهُجوعَ قَليلٌ[2].

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ أي: فيها دلائلُ مِن أنواعِ المعادنِ والحَيوانِ، أو وجوهُ دلالاتٍ مِن الدَّحوِ والسُّكونِ وارتفاعِ بَعضِها عن الماءِ واختِلَافِ أَجزائِها في الكيفيَّاتِ والخَواصِّ والمنافِعِ = تدلُّ على وُجودِ الصَّانعِ وعِلمِهِ وقُدرَتِه وإرادَتِه ووحدَتِه وفَرْطِ رَحمَتِه.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ أي: وفي أنفُسِكُم آياتٌ؛ إذ ما في العالَمِ شيءٌ إلَّا وفي الإنسانِ له نظيرٌ يدلُّ دلالتَهُ مع ما انفردَ به مِن الهيئاتِ النَّافعَةِ والمناظِرِ البَهِيَّةِ والتَّركيباتِ العَجيبَةِ والتَّمكُّنِ مِن الأفعالِ الغريبَةِ واستنباطِ الصَّنائعِ المُختَلِفَةِ واستجماعِ الكَمالاتِ المُتنوِّعَةِ.

﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ تنظرونَ نظرَ مَن يَعتبِرُ.

---

(١) كذا في «الإنصاف»: «لا أنها تجعله»، والعبارة في «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٣٩٨): وفي عدها من المبالغةِ نظرٌ، فإنها تؤكد الهجوع وتحققه، إلا أن يجعلها بمعنى القلة فيحتمل.

(٢) انظر: «الإنصاف» (٢/ ٢٧٤).

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أسبابُ رِزقِكُم، أو تَقديرُه.

وقيل: المرادُ بالسَّماءِ السَّحابُ، وبالرِّزقِ المطرُ فإنَّه سببُ الأَقواتِ.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ مِن الثَّوابِ؛ لأنَّ الجنَّةَ فوقَ السَّماءِ السَّابعَةِ، أو لأنَّ الأعمالَ وثَوابَها مَكتوبةٌ مُقدَّرةٌ في السَّماءِ.

وقيل: إنَّه مُستأنَفٌ خبرُه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وعلى هذا فالضَّميرُ لـ(ما)، وعلى الأوَّلِ يحتملُ له ولِمَا ذُكِرَ مِن أمرِ الآياتِ والرِّزقِ والوَعيدِ.

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي: مثلَ نُطقِكُم كمَا أنَّه لا شَكَّ لكم في أنَّكُم تَنطِقُونَ، يَنبَغِي أن لا تَشُكُّوا في تَحقُّقِ ذلك، ونصبُه على الحالِ مِن المُستكنِّ في ﴿لَحَقٌّ﴾، أو الوصفِ لِمَصدرٍ مَحذوفٍ؛ أي: إنَّه لحقٌّ حقًّا مِثلَ نُطقِكُم.

وقيل: إنَّه مَبنيٌّ على الفتحِ لإضافتِه إلى غيرِ مُتمَكِّنٍ، وهو (ما) إنْ كانَتْ بمَعنى شيءٍ، و(أنَّ) بما في حيِّزه إنْ جُعِلَتْ زائدةً، ومحلُّه الرَّفعُ على أنَّه صِفَةٌ لـ(حق)، ويؤيِّدُه قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ وأبي بكرٍ بالرَّفعِ[1].

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فيه تفخيمٌ لشأنِ الحديثِ، وتنبيهٌ على أنَّه أوحيَ إليه، والضَّيفُ في الأصلِ مَصدَرٌ، ولذلك يُطلَقُ للواحدِ والمتعدِّدِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣)، و«النشر» (٢/ ٣٧٧).

قيل: كانوا اثنَيْ عشرَ مَلَكًا.

وقيل: ثلاثةٌ: جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، وسمَّاهُم ضيفًا لأنَّهم كانوا في صورةِ الضَّيفِ.

﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ أي: مُكرمينَ عندَ اللهِ، أو عندَ إبراهيمَ إِذْ خَدَمهُم بنفسِهِ وزَوجَتِه.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ ظرفٌ للحديثِ أو الضَّيفِ أو المكرمينَ.

﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: نُسلِّمُ عليك[1] سلامًا ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: عليكُمْ سَلامٌ، عُدِلَ به إلى الرَّفعِ بالابتداءِ لقصدِ الثَّباتِ حتَّى تكونَ تَحِيَّتُه[2] أحسنَ مِن تَحيَّتِهِم.

وقُرِئَا مَرفوعَيْنِ[3].

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿قَالَ سِلْمٌ﴾، وقُرِئَ منصوبًا[4]، والمعنى واحِدٌ.

﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ أي: أنتُمْ قَومٌ، وإنَّما أنكرَهُم لأنَّه ظنَّ أنَّهُم بنو آدمَ ولم يَعرِفْهُم، أو لأنَّ السَّلامَ لم يَكُن تحيَّتَهُم، فإنَّه عَلَمُ الإسلامِ وهو كالتَّعرُّفِ عنهُم.

(٢٦ ـ ٢٨) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ فذهبَ إليهِمْ في خُفيةٍ مِن ضيفِه، فإنَّ مِن أدبِ المضيفِ أنْ يُبادِرَ[5] بالقِرَى حذرًا مِن أنْ يكفَّهُ الضَّيفُ أو يصيرَ منتظرًا.

---

(١) في (ض): «عليكم».

(٢) في (ض): «يكون تحية».

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٤٤٨)، و«البحر» (١٩/ ٤٠٣) من غير نسبة.

(٤) انظر القراءة الأولى في «السبعة» (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٥)، والقراءة الثانية ذكرها في «الكشاف» (٨/ ٤٤٨)، و«البحر» (١٩/ ٤٠٣) من غير نسبة.

(٥) في (خ) و(ض): «يُبادِه»، وهي نسخة ذكرها الشهاب في «حاشيته» (٨/ ٩٧).

﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٍ﴾ لأنَّه كان عامَّةُ مالِه البقرَ.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ بأَنْ وضعَهُ بين أيديهِم.

﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: منه، وهو مُشعِرٌ بكونِه حَنيذًا، والهمزةُ فيه للعرضِ والحثِّ على الأكلِ على طريقَةِ الأدَبِ إن قالَهُ أوَّلَ ما وضعَهُ، وللإنكارِ إن قالَهُ حيثُمَا رأى إعراضَهُم.

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ فأضمرَ مِنهم خوفًا لَمَّا رأى إعراضَهُم عن طعامِه لظَنِّه أنَّهُم جاؤوهُ لشَرٍّ[1].

وقيل: وقعَ في نَفسِه أنَّهُم مَلائِكَةٌ أُرسِلُوا للعذاب.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾ إنَّا رسلُ اللهِ.

قيل: مسحَ جبريلُ العجلَ بجَناحِهِ فقامَ يدرُجُ حتَّى لحقَ بأمِّهِ فعرفَهُم[2] وأَمِنَ مِنْهُم[3].

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ هو إسحاقُ ﴿عَلِيمٖ﴾ يكمُلُ علمُهُ إذا بلغَ.

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ سارَةُ إلى بيتِها، وكانَتْ في زاويةٍ تنظرُ إليهم.

---

(١) في (ت): «بشر».

(٢) في (ت) زيادة: «ففرح».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٠) عن عون بن أبي شداد.

﴿فِي صَرَّةٍ﴾ في صيحةٍ، مِن الصَّريرِ، ومحلُّه النَّصبُ على الحالِ، أو المفعولِ إن أُوِّلَ ﴿فَأَقْبَلَتِ﴾ بـ: أخذَتْ.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فلطَمتْ بأطرافِ الأصابعِ جَبْهتَها فِعلَ المُتعجِّبِ.

وقيل: وجدَتْ حرارةَ دمِ الحيضِ فلطَمَتْ وَجهَها مِن الحياءِ.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا عَجوزٌ عاقِرٌ فكيفَ ألِدُ؟

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾ مثلَ ذلك الذي بشَّرْنا بهِ ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ وإنَّما نُخبرُك به عنه.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ فيكونُ قولُه حقًّا وفعلُه مُحكمًا.

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لمَّا عَلِمَ أنَّهم مَلائكةٌ وأنَّهم لا ينزلونَ مُجتمعينَ إلَّا لأمرٍ عظيمٍ سألَ عَنْهُ.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قومَ لوطٍ.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ يريدُ السِّجِّيلَ؛ فإنَّه طينٌ مُتحجِّرٌ.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مُرسلَةً، مِن أَسمْتُ[1] الماشيةَ، أو مُعلَمةً مِن (السُّومةِ) وهي العَلَامةُ.

﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المُجاوزينَ الحدَّ في الفُجورِ.

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

---

(١) في (ض): «أسيمت».

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في قُرَى قومِ لُوطٍ، وإضمارُها ـ ولم يَجرِ ذِكرُها ـ لكونِها[(١)] معلومةً ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممَّنْ آمنَ بلوطٍ.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ غيرَ أهلِ بَيتٍ مِن المُسلمينَ، واستُدلَّ بهِ على اتِّحادِ الإيمانِ والإسلامِ، وهو ضَعيفٌ لأنَّ ذلك لا يقتَضِي إلَّا صِدقَ المُؤمنِ والمُسلمِ على مَن اتَّبعَه، وذلك لا يَقتَضِي اتِّحادَ مَفْهُومِهما لجَوازِ صدقِ المَفهوماتِ المُختَلِفَةِ على ذاتٍ واحِدَةٍ[(٢)].

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً﴾ علامةً ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فإنَّهُم المعتبِرونَ بها، وهي تلكَ الأحجَارُ، أو صخرٌ منضودٌ فيها، أو ماءٌ أسوَدُ مُنتِنٌ.

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ عطفٌ على ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾، أو ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ على مَعنى: وجَعَلنا في موسَى، كقوله:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدَا

﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هو مُعجِزاتُه كاليدِ والعَصا.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ فأعرضَ عن الإيمانِ به، كقولِه: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت: ٥١]، أو فتولَّى بما كانَ يَتقوَّى به من جنودِه، وهو اسمٌ لِمَا يُركَنُ إليه الشَّيءُ ويُتقوَّى به.

وقُرِئَ بضمِّ الكافِ[(٣)].

---

(١) في (ت): «لأنها».

(٢) في (ت) و(ض): «واحد».

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٤٥٣) بدون نسبة.

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ أي: هو ساحرٌ ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾ كأنَّه جعلَ ما ظهرَ عليهِ مِن الخَوارقِ مَنسوبًا إلى الجنِّ، وتَرددَ في أنَّه حصَّلَ ذلك باختيارِهِ وسَعيِه أو بغَيْرِهما.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ فأغرقناهُمْ في البحرِ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ آتٍ بما يُلَامُ عليه مِن الكُفرِ والعنادِ، والجملةُ حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾.

قوله: «﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ عَطفٌ على ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾»:

قال أبو حيَّان: هذا بَعيدٌ ممَّا يُنزَّهُ القُرآنُ عَن مثلِه(١).

قال الحَلَبيُّ: وذلك لبُعدِ ما بينَهُما(٢).

قوله: «أو ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ على معنى: وجَعَلْنَا في مُوسى، كقولِه:

عَلَفْتُهَـا تِبْنًـا وَمَـاءً بَـارِدًا»(٣)

قال أبو حيَّان: لا حاجةَ إلى إضمارِ (وجَعلْنا) لأنَّه قد أمكنَ أَنْ يكونَ العاملُ في المجرورِ ﴿وَتَرَكْنَا﴾(٤).

وقال الحَلَبيُّ: إنَّما أرادَ الزَّمخشريُّ(٥) أنَّه عطفٌ على قولِه: ﴿فِيهَآ﴾ بإعادةِ الجارِّ؛ لأنَّ المَعطوفَ عليه ضميرٌ مجرورٌ فيتعلَّقُ بـ(تَـركنا) مِن حيث المعنى، ويكونُ التَّقدير: وتَرَكْنا في قصَّةِ مُوسى آيةً بدليلِ قولِه: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ مَعطوفٌ على ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾، أو على قولِه: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٤٠٧).

(٢) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ٥٣).

(٣) صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دبير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه، وقد تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٩/ ٤٠٨).

(٥) انظر: «الكشاف» (٨/ ٤٥٣).

وإنَّما قالَ (عَلى مَعنى) مِن جهةِ تفسيرِ المعنى لا الإعرابِ، وإنَّما أظهرَ الفعلَ تنبيهًا على مغايرةِ الفِعلينِ، يعني أن هذا التَّركَ غيرُ ذاكَ التَّركِ، ولذلك أبرزَهُ بمادَّةِ الجَعْلِ دونَ مادَّةِ التَّركِ لتظهرَ المُخالفَةُ(١).

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ سمَّاها عَقيمًا لأنَّها أَهلكَتْهُم وقطعَتْ دابِرَهُم، أو لأنَّها لم تَتضمَّنْ مَنفعَةً، وهي الدَّبُورُ أو الجَنُوبُ أو النَّكباءُ.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ مرَّتْ عليهِ ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ كالرَّمادِ، مِن الرَّمِّ، وهو البِلَى والتَّفتُّتُ.

(٤٣ ـ ٤٥) ـ ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾.

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيرُه(٢) قولُه: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبَرُوا عن امتِثالِه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي: العذابُ بعدَ الثَّلاثِ.

وقرأَ الكِسائيُّ ﴿الصَّعْقَةُ﴾(٣)، وهي المرَّةُ مِن الصَّعْقِ.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليها فإنَّها جاءَتْهُم مُعاينةً بالنَّهارِ.

---

(١) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ٥٣ - ٥٤).

(٢) في (خ): «يفسره».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ كقولِه: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

وقيل: هو مِن قولهم: ما يقومُ بِهِ: إذا عَجزَ عَن دفعِه.

﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعين منه.

(٤٦) ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: وأهلَكْنَا قومَ نُوحٍ لأنَّ ما قبلَهُ يدلُّ عليهِ، أو اذكُرْ، ويجوزُ أن يكونَ عطفًا على محلِّ ﴿وَفِي عَادٍ﴾، ويؤيِّدُه قراءةُ أبي عمرٍو وحمزةَ والكِسائيِّ بالجرِّ(١).

﴿مِّن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ هَؤلاءِ المَذكورينَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خارجينَ عن الاستقامَةِ بالكُفرِ والعِصيَانِ.

(٤٧ ـ ٤٩) ـ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوَّةٍ ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرونَ، من الوُسْعِ بمعنى الطَّاقةِ، والمُوسِعُ القادِرُ على الإنفاقِ، أو لَموسعونَ السَّماءَ، أو ما بينَها وبينَ الأرضِ، أو الرِّزقَ.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مَهَدْناها ليَستقرُّوا عليها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي: نحن.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأجناسِ ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ نوعينِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتَعلَموا أنَّ التَّعدُّدَ مِن خواصِّ المُمكِنَاتِ، وأنَّ الواجِبَ بالذَّاتِ لا يقبَلُ التَّعدُّدَ والانقسامَ.

---

(١) وقرأ الباقون بالنصب، انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾.

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1] مِن عقابهِ بالإيمانِ والتَّوحيدِ ومُلازمَةِ الطَّاعةِ.

﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ﴾ أي: مِن عذابهِ المعدِّ لِمَن أشركَ أو عَصَى.

﴿نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ بيِّنٌ كونُه مُنذِرًا مِن اللهِ بالمُعجِزَاتِ، أو مُبيِّنٌ ما يجِبُ أن يُحذرَ عنه.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إفرادٌ لأعظَمِ ما يَجِبُ أن يُفرَّ منه[2].

﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ تكريرٌ للتَّأكيدِ، أو الأوَّلُ مُرتَّبٌ على تركِ الإيمانِ والطَّاعةِ، والثَّاني على الإشراكِ.

(٥٢ ـ ٥٥) ـ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمرُ مثلُ ذلك، والإشارةُ إلى تكذيبِهم الرَّسولَ وتسمِيَتِهم إيَّاه ساحرًا ومجنونًا.

وقوله: ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ كالتَّفسيرِ له، ولا يجوزُ نصبُه بـ﴿أَتَى ﴾ أو ما يفسِّرُه؛ لأنَّ ما بعدَ (ما) النَّافيةِ لا يعمَلُ فيما قبلَها.

﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ﴾ أي: كأنَّ الأولينَ والآخرينَ منهم أوصى بعضُهم بعضًا بهذا القولِ حتَّى قالوه جميعًا.

---

(١) في (خ) زيادة: «إلى ثوابه».

(٢) في (ت) و(ض): «به».

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ إضرابٌ عَن أنَّ التَّواصِيَ جامِعُهم لتباعُدِ أيَّامِهِم إلى أنَّ الجامِعَ لهم على هذا القولِ مُشارَكَتُهم في الطُّغيانِ الحاملِ عليه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرِضْ عن مُجادلَتِهِم بعدما كرَّرْتَ عليهم الدَّعوةَ فأَبَوْا إلَّا الإصرارَ والعِنادَ.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ على الإعراضِ بعدَما بذلتَ جُهدكَ في البَلاغِ.

﴿وَذَكِّرْ﴾ ولا تَدعِ التَّذكيرَ والموعِظَةَ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مَن قدَّرَ اللهُ إيمانَهُ، أو مَن آمنَ؛ فإنَّه يزدادُ بها(١) بصيرةً.

(٥٦ ـ ٥٨) ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لَمَّا خلقَهُم على صُورةٍ مُتوجِّهةٍ إلى العبادةِ مُغلِّبةٍ لها جعلَ خلقَهُم مُغيًّا بها مبالغةً في ذلك، ولو حُمِلَ على ظاهرِهِ مع أنَّ الدَّليلَ يمنعُه= لَنافى ظاهرَ قولِه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقيل: معناه: إلَّا لِنَأمُرَهُم بالعبادةِ، أو ليَكُونوا عبادًا لي.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: ما أريدُ أَنْ أصرِفَكُم(٢) في تحصيلِ

---

(١) في (ت) و(ض): «فإنها تزداده» وفي هامش (ض) نسخة: «تزيده».

(٢) في (ض): «أصرفهم»، قال الخفاجي في «حاشيته» (٨/ ١٠١): كان مقتضى الظاهر: (أن أصرفهم) و(فليشتغلوا بما هم...) فكأنه نظر إلى أنهم وإن ذكروا بطريق الغيبة إعراضاً عنهم وتبعيداً عن ساحة الخطاب إلا أنّ إسماعهم مقصود هنا، فكأنهم مخاطبون، فلذا جوّز تقدير (قل) قبله، فتدبر.

رِزقي فاشتَغِلُوا بما أنتُمْ كالمَخلوقينَ له والمأمورينَ به، والمرادُ أن يبيِّنَ أنَّ شأنَهُ مَع عبادِه ليسَ شأنَ السَّادةِ مع عبيدِهِم، فإنَّهُم إنَّما يَملِكُونَهُم ليَستَعِينُوا بهم في تحصيلِ مَعايِشِهِم، ويحتملُ أن يُقدَّرَ بـ(قل) فيكونَ بمعنى قولِه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ الذي يرزقُ كلَّ ما يفتقِرُ إلى الرِّزقِ، وفيه إيماءٌ باستغنائِه عنه.

وقُرِئَ: (إنِّي أنا الرَّزَّاقُ)(١).

﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ شديدُ القُوَّةِ.

وقُرِئَ: (المتينِ)(٢) بالجرِّ صِفةً لـ﴿ٱلۡقُوَّةِ﴾.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا﴾ أي: للَّذينَ ظلَموا رسولَ اللهِ بالتَّكذيبِ نَصِيبًا مِن العَذابِ.

﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ مثلَ نَصيبِ نُظَرائِهِم مِن الأُمَمِ السَّالِفَةِ، وهو مأخوذٌ مِن مُقاسمَةِ السُّقاةِ الماءَ بالدِّلاءِ، فإنَّ الذَّنُوبَ هو الدَّلْوُ العظيمُ المملوءُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٦)، وكذا رواه أبو داود (٣٩٩٣)، والترمذي (٢٩٤٠) وصححه، والإمام أحمد في «المسند» (٣٧٤١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ: «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين»، قلت: فإن صح فهو مما نسخ من القرآن.

(٢) وهي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٩).

﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ جوابٌ لقولِهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ مِن يَومِ القيامَةِ أو يومِ بَدرٍ.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ أعطاهُ اللهُ عشرَ حَسَناتٍ بعدَدِ كلِّ ريحٍ هَبَّتْ وجَرَتْ في الدُّنيَا».

قوله: «مَن قرأَ سُورَةَ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾..» الحديث:

موضوعٌ[1].

* * *

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٣)، من حديث أبيٍّ رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٩).

سُورَةُ الطُّورِ

سُورَةُ الطُّورِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها تِسعٌ أو ثَمانٍ وأربعونَ[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾.

﴿وَٱلطُّورِ﴾ يريدُ طورَ سينينَ، وهو جبلٌ بمَدْيَن سَمِعَ فيها مُوسى عليه السَّلامُ كلامَ اللهِ، والطُّورُ: الجبلُ بالسِّريانيَّةِ، أو ما طارَ مِن أَوجِ الإيجادِ إلى حضيضِ الموادِّ، أو مِن عالمِ الغيبِ إلى عالمِ الشَّهادةِ.

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ﴾ مكتوبٍ، والسَّطرُ: ترتيبُ الحروفِ المَكتوبَةِ، والمرادُ به القرآنُ، أو ما كتبَهُ اللهُ في اللوحِ المَحفوظِ، أو ألواحُ موسى، أو ما[2] في قلوبِ أوليائِه مِن المعارفِ والحِكَمِ، أو ما يكتبُهُ الحفظَةُ.

﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ الرَّقُّ: الجلدُ الذي يُكتَبُ فيه، استُعِيرَ لِمَا كُتِبَ فيه الكتابُ، وتَنكيرُهما للتَّعظيمِ والإشعارِ بأنَّهما ليسا مِن المُتعارفِ فيما بينَ النَّاسِ.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٣) وفيه: وهي أربعون وسبع آيات في المدنيين والمكي، وثمان في البَصْري، وتسع في الكوفي والشامي. اختلافها آيتان: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ لم يعدها المدنيان والمكي وعدها الباقون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ عدها الكوفي والشامي ولم يعدها الباقون.

(٢) «ما» من (خ).

(٤ ـ ٦) ـ ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ يعني: الكعبةَ وعمارتُها بالحجَّاجِ والمُجاورينَ، أو الضُّراحَ وهو في السَّماءِ الرَّابعةِ، وعمرانُه كثرةُ غاشِيَتِه مِن الملائكةِ، أو قلبَ المؤمنِ وعمارتُه بالمعرفةِ والإخلاصِ.

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ يعني: السَّماءَ.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ أي: المملوءِ، وهو المُحيطُ أو الموقَدُ مِن قولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

رُوِيَ أنَّ اللهَ يجعَلُ يومَ القيامةِ البحارَ نارًا يُسجَرُ بها جهنَّمُ، أو المختلطُ مِن السَّجِيرِ، وهو الخَليطُ[١].

(٧ ـ ١٠) ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ لنازِلٌ ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ يدفَعُه، ووجهُ دلالةِ هذه الأمورِ المُقسَمِ بها على ذلك أنَّها أُمورٌ تدلُّ على كمالِ قُدرَةِ اللهِ وحِكمَتِه وصدقِ أخبارِه وضبطِ أعمالِ العِبادِ للمُجازاةِ.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ تَضطَرِبُ اضطرابًا[٢]، والمَوْرُ: تَردُّدٌ في المجيءِ والذَّهابِ، وقيل: تحرُّكٌ في تَموُّجٍ، و﴿يَوْمَ﴾ ظرفٌ.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تسيرُ عن وجهِ الأرضِ فتَصِيرُ هباءً.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٦) دون راوٍ ولا سند.

(٢) «اضطراباً» من (خ).

(١١ ـ ١٤) ـ ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: إذا وقعَ ذلك فويلٌ لهم ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: في الخوضِ في الباطلِ.

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ يدفعونَ إليها بعُنفٍ، وذلك بأن تغلَّ[1] أيديهم إلى أعناقِهم وتجمع[2] نَواصيهِم إلى أقدامِهم فيُدفعونَ إلى النَّارِ.

وقُرِئَ: (يُدْعَوْنَ) من الدُّعاءِ[3]، فيكونُ ﴿دَعًّا﴾ حالًا بمعنى مَدْعُوعِينَ، و﴿ يَوْمَ ﴾ بدلٌ من ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ﴾، أو ظرفٌ لقولٍ مُقدَّرٍ محكيُّهُ:

﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: فيقالُ[4] لهم ذلك.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ ﴾ أي: كنتُم تقولونَ للوَحيِ: هذا سِحرٌ، أفهذا المصداقُ أيضًا سحرٌ؟، وتقديمُ الخبرِ لأنَّه المقصودُ بالإنكارِ والتَّوبيخِ.

﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ هذا أيضًا كما كُنتُم لا تبصرونَ في الدُّنيا ما يدلُّ عليه، وهو تَقريعٌ وتَهكُّمٌ، أم سُدَّت أبصارُكُم كما سُدَّتْ في الدُّنيا على زَعمِكُم حينَ قُلتُم: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾.

---

(١) في (ت) و(ض): «يغل».

(٢) في (ض): «ويجمع».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٢٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٧)، و«البحر» (٢٠/ ١٣) ونسبوها لزيد بن علي، وأبي رجاء، وعلي، والسلمي.

(٤) في (أ) و(ت): «يقال».

﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ أي: ادخُلوهَا على أيِّ وَجهٍ شِئتُم مِن الصَّبرِ وعَدمِه فإنَّه لا محيصَ لَكُم عنها.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: الأمرانِ الصَّبرُ وعَدمُه.

﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ تعليلٌ للاستواءِ، فإنَّه لَمَّا كان الجزاءُ واجِبَ الوقوعِ كان الصَّبرُ وعدمُه سِيَّانِ[1] في عدمِ النَّفعِ.

(١٧ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾ أي: في أيِّ جنَّاتٍ وأيِّ نعيمٍ، أو في جنَّاتٍ ونَعيمٍ مخصوصٍ[2] بهم.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ ناعمينَ مُتلذِّذينَ ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾.

وقُرِئَ: ﴿فكِهينَ﴾[3] و(فاكِهُونَ)[4] على أنَّه الخبرُ، والظَّرفُ لغوٌ.

﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ عطفٌ على ﴿ءَاتَىٰهُمۡ﴾ إن جُعِل (ما) مصدريَّةً، أو ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾، أو حالٌ بإضمارِ (قد) مِن المُستكنِّ في الظَّرفِ أو الحالِ، أو مِن فاعلِ (آتى) أو مَفعولِه أو مِنهما.

---

(١) في (ض): «سيين».

(٢) في (ت) و(ض): «مخصوصة».

(٣) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٤) ذكرها الزمخشري في «الكشاف» (٨/ ٤٦٨)، وأبو حيان في «البحر» (٢٠/ ١٤) ونسبها لخالد، ولم أعرفه.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا﴾ أي: أكلًا وشُـربًا هنيئًـا أو طعامًـا وشـرابًا هنيئًـا، وهـو الـذي لا تنغيـصَ فيـه.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسببِه أو بدلَه.

وقيل: الباءُ زائدةٌ و(ما) فاعلُ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾، والمعنى: هنَّأكُم ما كُنتُمْ تعمَلُون؛ أي: جزاؤُه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ مُصطفَّةٍ[1].

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ الباءُ لِمَا فـي التَّزويجِ مِن مَعنى الوَصلِ والإلصاقِ، أو للسَّببيَّةِ إذ المعنى: صيَّرْناهُم أزواجًا بسببهنَّ، أو لِمَا في التَّزويجِ مِن مَعنى الإلصاقِ والقِرانِ[2]، ولذلك عطفَ:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على ﴿حورٍ﴾؛ أي: قرنَّاهُم بأزواجٍ حورٍ ورُفقاءٍ مُؤمنينَ.

وقيل: إنَّه مُبتدأٌ خبرُه: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ اعتراضٌ للتَّعليلِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ ويَعقوبُ: ﴿ذُرِّيَّاتُهم﴾ بالجمعِ وضَمِّ التَّاءِ[3] للمُبالغةِ في كَثرتِهم والتَّصريحِ[4]، فإنَّ الذُّرِّيَّةَ تقع على الواحدِ والكثيرِ، وقرأ أبو عَمرو: ﴿وأَتْبعْنَاهُم ذُرِّيَّاتِهم﴾[5] أي: جَعلنَاهُم تابعينَ لَهُم في الإيمانِ.

---

(١) في (خ): «مصففة».

(٢) في (خ) و(ض): «والقرن».

(٣) «بالجمع وضم التاء» ليس في (خ) و(ض).

(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٧).

(٥) المصدر السابق.

وقيل: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حالٌ مِن الضَّميرِ أو الذُّرِّيَّةِ أو منهما، وتنكيرُه للتَّعظيمِ أو الإشعارِ[1] بأنَّه يكفي للإلحاقِ المتابعَةُ في أصلِ الإيمانِ.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في دُخولِ الجنَّةِ أو في الدَّرَجَةِ، لِمَا رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ قال[2]: «إنَّ اللهَ يرفَعُ ذريَّةَ المُؤمنِ في دَرجتِهِ وإن كانوا دونَهُ لِتقرَّ بهم عَينُه»، ثمَّ تلا هذه الآيةَ.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ والبَصريَّانِ ﴿ذُرِّيَّاتِهم﴾[3].

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ وما نَقَصْناهُم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ بهذا الإلحاقِ؛ فإنَّه كما يحتملُ أن يكونَ بنَقصِ مَرتبةِ الآباءِ بإعطاءِ الأبناءِ بعضَ مَثُوباتِهم، يحتملُ أن يكونَ بالتَّفضُّلِ عليهِمْ، وهو اللَّائقُ بكَمالِ لُطفِه.

وقرأ ابنُ كثيرٍ بكَسرِ اللامِ[4] مِن أَلِتَ يَألَتُ، وعنهُ: (لِتْنَاهُم) مِن لاتَ يَلِيتُ، و: (آلَتْنَاهُم) مَن آلَتَ يُؤْلِتُ، و: (وَلَتْنَاهُم) مِن وَلَتَ يَلِتُ[5]، ومَعنى الكُلِّ واحدٌ.

﴿كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ بعملِه مَرهونٌ عندَ اللهِ، فإنْ عَمِلَ صالحًا فَكَّها، وإلَّا أهلكَها.

سُورَةُ والطُّور

قوله: «وقيل: الباء زائدةٌ و(ما) فاعلُ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾»:

(١) في (خ): «أو للإشعار».

(٢) في (خ) و(ت) زيادة: «مرفوعًا».

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٧).

(٥) انظر هذه القراءات مع من قرأ بها في «المختصر في شواذ القراءات» (ص:١٤٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٠).

قال أبو حيَّان: ليسَتْ زيادَةُ البَاءِ مَقيسَةً في الفاعلِ إلا في فاعلِ (كفى)[(١)].

قوله: «ولذلك عطفَ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على ﴿حورٍ﴾..» إلى آخره:

قال أبو حيَّان: لا يتخيَّلُ أحدٌ أنَّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معطوفٌ على ﴿حور عين﴾ غيرُ هذا الرَّجُلِ، وهو تخيُّلٌ أعجميٌّ مخالِفٌ لفهمِ العَرَبيِّ القُحِّ ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه[(٢)].

وقال الحَلَبِيُّ: ما ذكرَهُ الزَّمخشريُّ مِن المعنى لا شَكَّ في حُسنِه ونَضارَتِه وليسَ في كلامِ العَربيِّ القُحِّ ما يدفَعُه، بل لو عُرِضَ على ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه لَأعجَبَهُم، وأيُّ مانعٍ مَعنويٍّ أو صناعِيٍّ [يمنعهُ]؟[(٣)].

قوله: «إنَّ اللهَ يرفَعُ ذُرِّيَّةَ المُؤمنِ في دَرجتِه...» الحديث:

أخرجَه البزَّارُ وأبو نُعيمٍ في «الحِليةِ» مِن حَديثِ ابنِ عبَّاس[(٤)].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ١٥).

(٢) المصدر السابق (٢٠/ ١٧).

(٣) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ٧٢)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) روي مرفوعاً وموقوفاً، فقد رواه البزار (٢٢٦٠-كشف)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٢) والثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٠-٣١)، من طريق قيس بن الربيع، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً. قال البزار: تفرد قيس برفعه، ورواه الثوري موقوفاً. وقال أبو نعيم: غريب من حديث عمرو وسعيد، تفرد به عنه قيس بن الربيع.

وقيس قال عنه يحيى كما ذكر ابن عدي: ليس بشيء. وقال مَرةً: ضعيف.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٦٦)، وفي «السنن» (١٠/ ٢٦٨)، من طريق الثوري عن عمرو بن مرة به موقوفاً.

ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠٧٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٩٠)، من طريق محمد بن بِشرٍ العَبْدِيِّ، عن سفيان الثوري، عن سَمَاعةَ، عن عمرو بن مُرة، عن سعيد بن =

(٢٢ ـ ٢٤) ـ ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: وزِدْناهُم وقتًا بعدَ وقتٍ ما يشتهونَ مِن أنواعِ التَّنعُّمِ[1].

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا﴾ يَتعاطَوْنَ هم وجُلَساؤهُم بتَجاذُبٍ.

﴿كَأْسًا﴾ خمرًا، سمَّاها باسمِ محلِّها، ولذلك أُنِّثَ الضَّميرُ في قولِه: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمونَ بلَغوِ الحديثِ في أثناءِ شُربِها ولا يفعلونَ ما يُؤثَّمُ به فاعلُه كما هو عادةُ الشَّاربينَ في الدُّنيا، وذلك مثلُ قولِه: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾.

وقرأَهُما ابنُ كثيرٍ والبَصريَّانِ بالفَتحِ[2].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بالكأسِ ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: مماليكُ مَخصوصونَ بهم.

وقيل: هم أولادُهم الذين سَبقوهُم.

﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ مصونٌ في الصَّدفِ مِن بياضِهم وصَفائِهم.

= جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

قال النحاس: فصار الحديثُ مرفوعًا عن رسول الله ﷺ، وكذا يجب أن يكون؛ لأن ابن عباس لا يقولُ هذا إلا عن رسول الله ﷺ؛ لأنه إخبارٌ عن الله تعالى بما فعله وبمعنى آيةٍ أنزلها تعالى.

وقال الطحاوي: فنحن نحيطُ علمًا -لو لم نجد أحدًا من رواته رَفَعه إلى النبي ﷺ- أن ابن عباس لم يأخذه إلَّا عن النبي ﷺ إذ كان الذي فيه إخبارٌ عن الله عزَّ وجلَّ بمُراده في الآية المذكورة فيه، وذلك مما لا يؤخذ من غير النبي ﷺ.

(١) في (ت) و(ض): «النعم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٢)، و«التيسير» (ص: ٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢١١).

وعنه عليه السَّلامُ: «والذي نفسي بيدِه إنَّ فضلَ المَخدومِ على الخادمِ كفَضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ».

قولـه: «والذي نفسـي بيدِه إنَّ فضـلَ المَخدومِ علـى الخادمِ كفَضـلِ القَمَرِ ليلةَ البَدرِ على سـائرِ الكَواكبِ»:

رواهُ عبدِ الرزَّاقِ وابنُ جريرٍ في «تفسيريهما» من مُرسَلِ قتادةَ[1].

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسألُ بَعضُهم بعضًا عَن أحوالِه وأعمالِه.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ خائفينَ مِن عصيانِ اللهِ مُعتَنينَ بطاعتهِ، أو وجلينَ مِن العاقبَةِ.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالرَّحمةِ أو التَّوفيقِ ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ عذابَ النَّارِ النَّافذَةِ في المسَامِّ نُفوذَ السَّمومِ.

وقُرِئَ: (ووَقَّانا) بالتَّشديدِ[2].

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ ذلك في الدُّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نَعبدُه، أو نَسألُه الوِقايةَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المُحسِنُ.

وقرأَ نافعٌ والكِسائيُّ بفَتحِ همزةِ ﴿أَنَّهُۥ﴾[3].

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الكثيرُ الرَّحمةِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٤٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨٩).

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٤٧٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٠)، و«البحر» (٢٠/ ٢٠) عن أبي حيوة.

(٣) وقراءة الباقين بالكسر، انظر: «السبعة» (ص: ٦١٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٢٩ ـ ٣٢) ـ ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾.

﴿ فَذَكِّرْ ﴾ فاثبُتْ على التَّذكيرِ ولا تكترِثْ بقولِهم.

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ﴾ بحمدِ اللهِ وإنعامِه ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ كما يقولونَ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ ما يُقلِقُ النُّفوسَ مِن حوادثِ الدَّهرِ.

وقيل: المَنُونُ المَوتُ، فَعُولٌ مِن مَنَّه: إذا قَطعَهُ.

﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ أتربَّصُ هَلاكَكُم كما تَتربَّصونَ هلاكي.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم ﴾ عُقولُهم ﴿بِهَٰذَآ ﴾ بهذا التَّناقُضِ في القَوْلِ، فإنَّ الكاهِنَ يكونُ ذا فطنةٍ ودقَّةِ نظرٍ، والمجنونُ مُغطًّى عقلُه، والشَّاعرُ يكونُ ذا كلامٍ مَوْزُونٍ مُتَّسِقٍ مُخيِّلٍ، ولا يَتأتَّى ذلك من المَجنونِ، وأمرُ الأحلامِ به مَجازٌ عَن أدائِها إليه.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ مجاوِزونَ الحدَّ في العنادِ.

وقُرِئَ: (بل هُم)(١).

(٣٣ ـ ٣٦) ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ﴾ اختلَقَهُ مِن تلقاءِ نَفسِه.

﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ فيرمونَ بهذه المطاعنِ لكُفرِهم وعِنادِهم.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٢)، و«البحر» (٢٠/ ٢٢٣) عن مجاهد.

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ مثلِ القرآنِ ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ في زعمِهم إذ فيهم كثيرٌ ممَّنْ عدُّوا[1]، فهو ردٌّ للأقوالِ المذكورةِ بالتَّحدِّي، ويجوزُ أن يكونَ ردًّا للتَّقوُّلِ، فإنَّ سائرَ الأقسامِ ظاهرُ الفَسادِ.

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ أم أُحدِثُوا وقُدِّروا مِن غيرِ مُحدِثٍ ومُقَدِّرٍ فلذلك لا يعبدونَه، أو مِن أجلِ لا شيءَ مِن عبادةٍ ومُجازاةٍ؟!

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ يؤيِّدُ الأوَّلَ، فإنَّ مَعناه: أم خَلَقوا أنفُسَهم، ولذلك عقَّبه بقولِه:

﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، و(أم) في هذه الآياتِ مُنقَطِعَةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ.

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ إذا سُئِلُوا: مَن خلقَكُم ومَن خلقَ السَّماواتِ والأرضَ قالوا: الله؛ إذ لو أيقَنُوا ذلك لَما أعرَضُوا عَن عِبادَتِه.

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾ خزائنُ رزقِه حتى يَرْزُقوا النبوَّةَ مَن شاؤُوا، أو خزائنُ علمِه حتَّى يختاروا لها مَن اختارته حِكمتُه.

﴿أَمْ هُمُ المسَيطِرون﴾ الغالبونَ على الأشياءِ يُدبِّرُونَه كيفَ شَاؤوا[2].

---

(١) أي ممن عدُّوا من الشعراء وغيرهم.

(٢) في (ت): زيادة: «وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة»، انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٨).

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مُرتقًى إلى السَّماءِ ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ صاعدينَ فيه إلى كلامِ الملائكةِ وما يُوحى إليهِمْ مِن علمِ الغَيبِ حتَّى يَعلَمُوا ما هو كائِنٌ.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحُجَّةٍ واضِحَةٍ تُصدِّقُ استماعَه.

(٣٩ ـ ٤٣) ـ ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ فيه تَسفيهٌ لهم وإشعارٌ بأنَّ مَن هذا رأيُه لا يُعَدُّ مِن العُقَلاءِ فضلًا أن يترقَّى برُوحِه إلى عالمِ الملكوتِ فيتطلَّعُ على الغيوبِ.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ مِن التزامِ غُرمٍ ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ محمَّلونَ الثِّقَلَ فلذلك زَهِدُوا في اتِّباعِكَ.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اللوحُ المَحفوظُ المُثبتُ فيه المُغيَّباتُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مِنه.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو كيدُهُم في دارِ النَّدوةِ برَسُولِ الله.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحتملُ العُمومَ والخُصوصَ، فيكونُ وَضعُه مَوضِعَ الضَّميرِ للتَّسجيلِ على كُفرِهِم والدَّلالةِ على أنَّه الموجِبُ للحُكمِ المَذكورِ.

﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هم الذين يَحيقُ بهم الكيدُ أو يعودُ عليهم وَبالُ كَيدِهِم، وهو قَتلُهُم يومَ بدرٍ، أو المغلوبونَ في الكيدِ، مِن كايَدْتُه فكِدْتُه.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يُعينُهُم ويَحرُسُهم مِن عَذابِه.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عَن إشراكِهِم أو شِركةِ ما يُشركونه به.

(٤٤ ـ ٤٧) ـ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ قطعةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟﴾ مِن فرطِ طُغيانِهم وعِنادِهم: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ هذا سحابٌ تراكَمَ بعضُها على بعضٍ، وهو جوابُ قولِهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ وهو عندَ النَّفخةِ الأولى.

وقُرِئَ: ﴿يَلْقَوْا﴾[1]، وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ: ﴿يُصْعَقُونَ﴾[2] على المبنيِّ للمفعولِ مِن صَعَقَهُ أو أَصْعَقَه.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: شيئًا من الإغناءِ في ردِّ العذابِ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمنعونَ مِن عذابِ اللهِ.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يحتَمِلُ العُمومَ والخُصوصَ ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دونَ عَذابِ الآخرةِ، وهو عذابُ القبرِ أو المؤاخذةُ في الدُّنيا، كقتلٍ ببدرٍ والقَحطِ سبعَ سنينَ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بإمْهالِهم وإبقائِكَ في عَنائِهم.

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٤٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ في حفظِنا بحيثُ نراكَ ونكلؤُكَ، وجمعُ العينِ لجَمعِ الضَّميرِ والمبالغةِ بكثرةِ أسبابِ الحفظِ.

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ مِن أيِّ مكانٍ قمتَ، أو مِن مَنامِكَ، أو إلى الصَّلاةِ.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ فإنَّ العبادةَ فيه أشَقُّ على النَّفسِ وأبعَدُ عن الرِّياءِ، ولذلك أفردَهُ بالذِّكرِ وقدَّمَه على الفعلِ.

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وإذا أدبَرَت النُّجومُ مِن آخرِ الليلِ.

وقُرِئَ بالفتحِ(١)؛ أي: في أَعقابِها إذا غربَتْ أو خَفِيَتْ.

وعنه عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ الطُّورِ كانَ حَقًّا على اللهِ أَنْ يؤمِّنَهُ مِن عذابِه وأن يُنَعِّمَهُ في جنَّتِه».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ الطُّورِ...» إلى آخره:

مَوضوعٌ(٢).

***

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٧) عن الأعمش.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٨)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠١٢).

سُورَةُ النَّجْمِ

سُورَةُ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾

مَكيَّةٌ، وآيُها إحدى أو ثِنتانِ وسِتُّون.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾.

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسَمَ بجنسِ النُّجومِ أو الثُّريَّا فإنَّه غَلَبَ فيه، إذا غرَبَ أو انتثَرَ يومَ القيامةِ أو انقضَّ أو طلعَ، فإنَّه يُقالُ: هَوَى هَوِيًّا بالفتحِ: إذا سقطَ وغربَ، وهُوِيًّا بالضمِّ: إذا عَلَا وصَعِدَ، أو بالنَّجمِ[1] مِن نُجومِ القُرآنِ إذا نزلَ، أو النَّباتِ إذا سقَطَ على الأرضِ، أو إذا نَما وارتفَعَ= على قوله:

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ ما عدلَ مُحمَّدٌ عليهِ السَّلامُ عَن الطَّريقِ المُستقيمِ.

﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ وما اعتقَدَ باطِلًا والخطابُ لقريش، والمرادُ نَفيُ ما ينسبونَ إليه.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ وما يصدرُ نطقُه بالقرآنِ عن الهوى.

﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما القرآنُ أو الذي يَنطِقُ به ﴿إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ أي: إلا وحيٌ يُوحيهِ اللهُ إليه، واحتجَّ بهِ مَن لم يرَ الاجتهادَ له.

---

(١) في (ت) زيادة: «هكذا قال ابن عباس رضي الله عنه».

وأُجيبَ عنه بأنَّه إذا أُوحِيَ إليهِ بأَنْ يَجتَهِدَ كانَ اجتهادُه وما يَستَنِدُ إليه وَحْيًا، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ذلك حينئذٍ يكونُ بالوَحيِ لا الوحيَ.

(٥ ـ ٧) ـ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ مَلَكٌ شديدٌ قُواه، وهو جبرئيلُ فإنَّه الواسِطَةُ في إبداءِ الخوارقِ، رُوِيَ أنَّه قلعَ قُرَى قومِ لوطٍ ورفعَها إلى السَّماءِ ثمَّ قلبَها، وصاحَ صيحةً بثمودَ فأصبَحُوا جاثمينَ[1].

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ حصافةٍ في عَقلِه ورَأيِه.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقامَ على صُورَتِه الحقيقيَّةِ التي خلقَهُ اللهُ عليها.

قيل: ما رآهُ أحدٌ مِن الأنبياءِ في صورَتِه غيرُ مُحمَّدٍ عليه السَّلامُ مرَّتينِ، مرَّةً في السَّماءِ ومرَّةً في الأرضِ[2].

وقيل: استَوْلى بقُوَّتِه على ما جُعِلَ له مِن الأمرِ.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أُفقِ السَّماءِ، والضَّميرُ لجبرئيلَ.

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ مِن النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتعلَّقَ به، وهو تمثيلٌ لعُروجِهِ بالرَّسُولِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٠).

(٢) قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٠): لم أجده هكذا، وفي الصحيحين [البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧) واللفظ له] من رواية مسروق عن عائشة: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطاً من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقه ما بين السماء والأرض». وللترمذي [(٣٢٧٨)]: ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد له ست مئة جناح وقد سد الأفق.

وقيل: ثمَّ تَدلَّى مِن الأُفُقِ الأعلى فدَنا مِن الرَّسولِ، فيكونُ إشعارًا بأنه عَرَجَ به غيرَ مُنفَصِلٍ عن محلِّه تقريرًا لشدَّةِ قوَّتِه، فإنَّ التَّدلِّيَ استرسالٌ مَع تعلُّقٍ كتَدلِّي الثَّمرةِ، ويقال: دلَّى رِجلَهُ مِن السَّريرِ، وأَدْلى دلوَهُ، والدَّوالي: الثَّمرُ المعلَّقُ.

﴿فَكَانَ﴾ جبرئيلُ، كقولِك: هو مِنِّي مَعقِدَ الإزارِ، أو المسافةُ بينَهُما.

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدارَهُما ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ على تقديرِكُم كقولِه: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾، والمقصودُ تَمثيلُ مَلَكةِ الاتِّصالِ وتحقيقُ استِماعِهِ لِمَا يُوحى[1] إليه بنَفْيِ البُعدِ المُلَبِّسِ.

﴿فَأَوْحَىٰ﴾ جبرئيلُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ عبدِ اللهِ، وإضمارُه قبلَ الذِّكرِ لكَونِه معلومًا كقولِه: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: ٤٥][2].

﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبرئيلُ، وفيه تفخيمٌ للمُوحَى به، أو اللهُ إليه.

وقيل: الضَّمائرُ كلُّها للهِ تعالى، وهو المعنيُّ بـ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ كما في قولِه: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ودنوُّهُ منهُ برفعِ مَكانَتِه، وتدلِّيهِ جذبُه بشراشرِهِ إلى جَنابِ القدسِ.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ما رَأى ببَصرِه مِن صُورةِ جبرئيلَ أو اللهِ؛ أي: ما كذبَ بصرُه بما حكاهُ له، فإنَّ الأمورَ القدسيَّةَ تُدرَكُ أوَّلًا بالقلبِ ثمَّ تَنتقِلُ منه إلى البصرِ، أو ما قال فؤادُه لَمَّا رآه: لم أعرفكَ، ولو قالَ ذلك كان كاذبًا لأنَّه عَرفَهُ بقَلبِه كما رآهُ ببَصرِه، أو ما رآه بقلبِه، والمعنى: لم يَكُن تَخيُّلًا كاذبًا، ويدلُّ عليه أنَّه عليه السَّلامُ سئل: هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: «رأيتُه بفُؤادِي».

---

(١) في (ت) و(ض): «أوحي».

(٢) في هامش (أ): ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ آية».

وقُرِئَ: ﴿ما كَذَّبَ﴾[١] أي: صدَّقَه ولم يشكَّ فيه.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي أفتجادلونَه عليه، مِن المراءِ وهو المجادلَةُ، واشتقاقُه مِن مَرَى النَّاقةَ؛ فإنَّ كُلًّا مِن المُتجادِلَين يَمْرِي ما عندَ صاحبِه.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ وخلفٌ ويعقوبُ: ﴿أَفتَمْرُونَهُ﴾[٢]؛ أي: أفتغلبونَه في المراءِ؟ مِن مارَيْتُه فمَرَيْتُه، أو أفتَجْحَدونَه، مِن مَراهُ حقَّهُ: إذا جَحَدَه، و(على) لتَضمُّنِ الفعلِ مَعنى الغلبَةِ، فإنَّ المُماريَ والجاحِدَ يقصدانِ بفعلِهِما غلبةَ الخصمِ.

سُورَةُ والنَّجْمِ

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ سُئِلَ: هَل رأيتَ رَبَّكَ؟ فقال: رأيتُه بفُؤادِي»:

أخرجَه ابنُ جَريرٍ مِن حَديثِ ابنِ عَبَّاسٍ[٣].

(١٣ ـ ١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرَّةً أُخرى، فَعْلَةٌ مِن النُّزولِ أُقيمَتْ مقامَ المرَّةِ ونُصِبَتْ نصبَها إشعارًا بأنَّ الرُّؤيةَ في هذه المرَّةِ كانَتْ أيضًا بنزولٍ ودُنوٍّ. والكلامُ في المرئيِّ والدُّنوِّ ما سبقَ.

وقيل: تقديرُه: ولقد رآهُ نازلًا نزلةً أخرى، ونصبُها على المصدرِ، والمرادُ به نَفيُ الرِّيبةِ عَن المرَّةِ الأخيرةِ.

---

(١) رواية هشام بن عمار عن ابن عامر، انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤)، و«النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩) من حديث محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ التي يَنتَهِي إليها عِلمُ الخلائقِ وأَعمالُهُم، أو ما ينزلُ مِن فَوقِها ويصعَدُ مِن تَحتِها، ولعلَّها شُبِّهَت بالسِّدرةِ وهي شجرةُ النَّبقِ لأَنَّهُم يجتمعونَ في ظِلِّها، ورُوِيَ مَرفوعًا: «أنَّها في السَّماءِ السَّابعَةِ»[1].

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ الجنَّةُ التي يَأوِي إليها المتَّقونَ، أو أرواحُ الشُّهَداءِ.

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ تعظيمٌ وتكثيرٌ لِمَا يَغشاها بحيثُ لا يَكتَنِهُها نعتٌ ولا يُحصِيها عَدٌّ.

وقيل: يَغشاها الجمُّ الغَفيرُ مِن الملائكةِ يعبدونَ اللهَ عندها.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾.

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ ما مالَ بصرُ رسولِ اللهِ عمَّا رآهُ.

﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ وما تجاوزَهُ، بل أثبتَهُ إثباتًا صحيحًا مُستيقَنًا، أو ما عدلَ عَن رُؤيةِ العجائبِ التي أُمِرَ برُؤيَتِها وما جاوزَها.

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ أي: واللهِ لقد رأى الكُبرى من آياتِه وعَجائبِه المُلْكِيَّةِ والمَلَكوتيَّةِ ليلةَ المعراجِ، وقد قيل: إنَّها المعنيَّةُ بـ﴿ مَا رَأَىٰٓ ﴾.

ويجوزُ أَنْ تكونَ ﴿ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ صفَةً للآياتِ على أنَّ المفعولَ مَحذوفٌ؛ أي: شيئًا مِن آياتِ رَبِّه، أو (مِن) مزيدةً.

(١٩ ـ ٢٢) ـ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠) عن ابن عباس قوله: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ قال: هي يمين العرش، وهي منزل الشهداء. وإسناده ضعيف جدًّا.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي أصنامٌ كانَتْ لَهُم، فاللاتُ كانت لثقيفٍ بالطَّائفِ أو لقُريشٍ بِنَخْلَةَ، وهي فَعْلة مِن لَوَى؛ لأَنَّهُم كانوا يلوونَ عليها؛ أي: يطوفونَ.

وقُرِئَ[1] ﴿اللاتَّ﴾ بالتَّشديدِ[2] على أنَّه سُمِّيَ به لأنَّه صورةُ رجلٍ كان يَلُتُّ السَّوِيقَ بالسَّمنِ ويُطعِمُ الحاجَّ.

والعُزَّى سَمُرَةٌ لغَطَفانَ كانوا يَعبُدونَها فبعثَ إليها رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ فقطَعَها، وأصلُها تأنيثُ الأعَزِّ.

ومَناةُ صَخْرَةٌ كانت لهُذَيلٍ وخُزاعَةَ، أو لثقيفٍ، وهي فَعَلَةٌ مِن مَناه: إذا قطعَهُ، فإنَّهم كانوا يذبحونَ عندها القرابينَ، ومنه: مِنَى.

وقُرِئَ: ﴿مَنَاءَةَ﴾[3]، وهي مَفْعَلَةٌ مِن النَّوْءِ، كأنَّهم يَستمطِرُونَ الأنواءَ عندَها تَبرُّكًا بها، وقولُه: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صِفتانِ للتَّأكيدِ كقولِه: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، أو ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ مِن التَّأخُّرِ في الرُّتبةِ.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ إنكارٌ لقَولِهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وهذه الأصنامُ استوطَنَها جِنِّيَّاتٌ هنَّ بَناتُه أو هياكِلُ الملائكةِ، وهو المفعولُ الثَّاني لقولِه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرةٌ حيثُ جَعَلتُم له ما تَستنكِفُونَ منه، وهي فُعْلَى مِن الضَّيْزِ، وهو الجَورُ، لكنَّه كُسِرَ فاؤُه ليَسلمَ الياءُ كما فعلَ في (بِيض)، فإنَّ (فِعْلَى) بالكسرِ لم يأتِ وصفًا.

---

(١) ي (أ) و(ت): «وقرأ هِبةُ اللهِ عن البَزِّيِّ ورُوَيسٌ عن يعقوبَ» بدل: «وقُرِئَ اللات».

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٣) هي قراءة ابن كثير، انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

وقرأَ ابنُ كثيرٍ بالهمزِ(١) مِن ضَأَزَهُ: إذا ظَلَمَهُ، على أنَّه مَصدرٌ نُعِتَ به.

قوله: «والعُزَّى سَمُرَةٌ لغَطَفانَ كانوا يَعبُدونَها فبعثَ إليها رَسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوَليدِ فقطعَها»:

أخرجَه ابنُ مَردويه مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ(٢).

(٢٣)ـ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ الضَّميرُ للأصنامِ؛ أي: ما هي باعتبارِ الأُلُوهيَّةِ إلَّا أَسماءٌ تُطلِقُونَها عليها لأنَّكُم تَقولون: إنَّها آلهةٌ وليسَ فيها شيءٌ مِن معنى الألوهيَّةِ، أو للصِّفَةِ التي تَصِفُونَها بها مِن كَونِها آلهةً وبناتًا وشُفعاءَ، أو للأسماءِ المذكورةِ، فإنَّهُم كانوا يُطلِقُونَ اللاتَ عليها باعتبارِ استحقاقِها للعُكوفِ على عِبادَتِها، والعُزَّى لعِزَّتِها، ومَناةُ لاعتقادِهِم أنَّها تَستَحِقُّ أن يُتقرَّبَ إليها بالقرابينِ.

﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سَمَّيْتُم بها ﴿أَنتُمْ﴾ بهواكُم ﴿وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ برهانٍ تتعلَّقُون به، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وقُرِئَ بالتَّاءِ(٣) ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا تَوهُّمَ أنَّ ما هم عليه حقٌّ تقليدًا وتوهُّمًا باطلًا.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٢) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣٨٣)، وعزاه لابن مردويه، وفي سنده محمد بن السائب الكلبي، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٤٧٩): متهم بالكذب.
ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٣) من طريق آخر عن أبي الطفيل رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ١٢٨ ـ ١٢٩) عن عيسى بن عمر وأيوب وابن السميفع، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤١) عن طلحة، وابن صبيح، والزعفراني، والشيزري عن علي.

﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وما تَشتَهيهِ أنفُسُهم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الرَّسولُ والكتابُ فتركوهُ.

(٢٤ ـ ٢٦) ـ ﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾.

﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ (أم) مُنقَطِعةٌ، ومَعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ، والمعنى: ليسَ له كلُّ ما يتمنَّاه، والمرادُ نَفيُ طَمَعِهِم في شفاعةِ الآلهةِ، وقولِهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وقولِهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] ونحوِها.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطي منهما ما يشاءُ لِمَن يريدُ، وليسَ لأَحدٍ أن يَتحكَّمَ عليهِ في شيءٍ مِنهُما.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وكثيرٌ مِن الملائكةِ لا تُغني شَفاعَتُهُم شَيئًا ولا تنفَعُ.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشَّفاعةِ[1] ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ مِن الملائكةِ أن يَشفَعَ، أو مِن النَّاسِ أن يُشفَعَ له.

﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ ويَراه أهلًا لذلك، فكيفَ تشفَعُ الأصنامُ لعَبدَتِهم؟!

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

---

(١) في (خ): «في شفاعتهم».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: كلَّ واحدٍ مِنْهُم ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ بأَنْ سَمَّوْه[1] بِنْتًا.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بما يقولونَ.

وقُرِئَ: (بها)[2] أي: بالملائكةِ أو التَّسمِيَةِ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ فإنَّ الحقَّ الذي هو حقيقةُ الشَّيءِ لا يُدرَكُ إلَّا بالعلم، والظَّنُّ لا اعتبارَ له في المعارفِ الحقيقيَّةِ، وإنَّما العِبرةُ به في العملياتِ وما يكونُ وُصلةً إليها.

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فأعرِضْ عَن دعوَتِه والاهتمامِ بشَأنِه، فإنَّ مَن غَفَل عَن اللهِ وأعرضَ عن ذكرِه وانهمكَ في الدُّنيا بحيثُ كانَتْ مُنتهى هِمَّتِه ومبلغَ عِلمِه لا تزيدُهُ الدَّعوةُ إلَّا عِنادًا وإِصرارًا على الباطلِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أمرُ الدُّنيا أو كونُها[3] شهيَّةً ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لا يتجاوَزُه عِلمُهُم، والجملةُ اعتراضٌ مقرِّرٌ لقُصورِ هَمِّهم بالدُّنيا.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ تعليلٌ للأمرِ بالإعراضِ؛ أي: إنَّما يعلَمُ اللهُ مَن يُجيبُ ممَّنْ لا يجيبُ فلا تُتْعِبْ نفسكَ في دَعوَتِهم؛ إذ ما عليك إلَّا البلاغُ وقَدْ بلَّغتَ.

---

(١) في (خ): «سموهم».

(٢) وهي قراءة أبي، انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٠٠).

(٣) في (خ) و(ت): «وكونها».

قولُه: «والجُملَةُ اعتِراضٌ مُقرِّرٌ لقُصورِ همِّهم»:

قال أبو حيَّان: لا يظهَرُ هذا الاعتراضُ[1].

وقال الحَلَبيُّ: هو اعتراضٌ بينَ العِلَّةِ والمَعلولِ[2].

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقًا ومُلْكًا.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ بعقابِ ما عَمِلُوا مِن السُّوءِ أو بمثلِه، أو بسببِ ما عَمِلُوا مِن السُّوءِ، وهو عِلَّةٌ لما دلَّ عليه ما قبلَه؛ أي: خَلَقَ العالمَ وسوَّاهُ للجزاءِ، أو مَيَّزَ الضَّالَّ عَن المُهتَدِي وحَفِظَ أحوالَهُم لذلك.

﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ بالمَثوبَةِ الحُسنى وهو الجنَّةُ، أو بأحسنَ مِن أَعمالِهم، أو بسببِ الأَعمالِ الحُسْنَى.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ما يكبُرُ عِقابُه مِن الذُّنوبِ، وهو ما رُتِّبَ الوعيدُ عليه بخُصوصِه.

وقيل: ما أوجبَ الحَدَّ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ: ﴿كبيرَ الإثمِ﴾[3] على إرادةِ الجنسِ أو الشِّركِ.

---

(١) في النسخ: «الإعراب» بدل «الاعتراض»، والتصويب من «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٥٧).

(٢) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ٩٩).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٥)، و«النشر» (٢/ ٣٦٧).

﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وما فحُشَ مِن الكبائرِ خُصوصًا.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ إلا ما قلَّ وصَغُرَ فإنَّه مَغفورٌ مِن مُجتنبي الكبائرِ، والاستثناءُ مُنقَطِعٌ، ومحلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ النَّصبُ على الصِّفةِ أو المدحِ، أو الرَّفعُ على أنَّه خبرُ مَحذوفٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حيثُ يغفرُ الصَّغائرَ باجتنابِ الكبائرِ، أو له أن يغفرَ ما يشاءُ[1] مِن الذُّنوبِ صَغيرِها وكَبيرِها، ولعلَّه عقَّبَ به وعيدَ المُسيئينَ ووعدَ المُحسنينَ[2] لئلَّا ييأسَ صاحبُ الكَبيرةِ مِن رَحمَتِه، ولا يتوهَّمَ وجوبَ العِقابِ على اللهِ.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أعلَمُ بأحوالِكُم مِنكُم.

﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ عَلِمَ أحوالَكُم ومَصارِفَ أُمورِكُم حين ابتدأَ خلقَكُم مِن التُّرابِ بخلقِ آدمَ، وحينما صوَّركُم في الأرحامِ.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تُثْنُوا عليها بزكاءِ العملِ وزِيادةِ الخيرِ، أو بالطَّهارةِ عَن المعاصي والرَّذائلِ.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فإنَّه يَعلَمُ التَّقِيَّ وغيرَهُ مِنكُم قبلَ أن يُخرِجَكُم مِن صُلبِ آدمَ عليهِ السَّلامُ.

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ عن اتِّباعِ الحَقِّ والثَّباتِ عليه.

---

(١) في (خ) و(ض): «شاء».

(٢) في (ض): «المجتنبين».

﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾ وقطعَ العَطاءَ، من قولهم: أَكْدَى الحافِرُ: إذا بلغَ الكُدْيَةَ، وهي الصَّخرةُ الصُّلبةُ، فتركَ الحفرَ.

والأكثرُ على أنَّها نزلَتْ في الوليدِ بن المغيرةِ كانَ يتبَعُ رسولَ اللهِ ﷺ، فعيَّره بعضُ المشركينَ وقال: تركتَ دينَ الأشياخِ وضَلَّلْتَهُم فقال: أخشى عذابَ اللهِ، فضَمِنَ أن يَتحمَّلَ عنه العذابَ إن أعطاهُ بعضَ مالِه، فارتَدَّ وأعطى بعضَ المشروطِ ثمَّ بَخِلَ بالباقي[1].

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ يعلَمُ أنَّ صاحِبَه يتحمَّلُ عنه.

(٣٦ ـ ٣٨) ـ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ وَفَّرَ وأتمَّ ما التزمَهُ أو أُمِرَ به أو بالغَ في الوفاءِ بما عاهدَ الله، وتخصيصُه بذلك لاحتمالِه ما لم يحتَمِلْهُ غيرُه كالصَّبرِ على نارِ نُمروذَ حتَّى أتاهُ جبرئيلُ حينَ يُلقى في النَّارِ فقال: ألكَ حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليكَ فلا، وذبحِ الوَلدِ، وأنَّه كان يمشي كلَّ يومٍ فرسَخًا يرتادُ ضيفًا، فإن وافقَهُ أكرمَهُ وإلَّا نوى الصَّومَ، وتقديمُ مُوسى لأنَّ صُحُفَهُ وهي التَّوراةُ كانَتْ أشهرَ وأكثرَ عِندَهُم.

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (أَنْ) هي المخفَّفَةُ من الثَّقيلةِ، وهي بما بعدَها في محلِّ الجرِّ بدلًا مِن (ما في صُحُفِ موسى)، أو الرَّفعِ على (هو أن لا تزرَ)، كأنه قيل: ما في صُحُفِهما؟ فأجاب به، والمعنى أنَّه لا يُؤاخَذُ[2] أحدٌ بذنبِ غيرِه، ولا يخالِفُ ذلك

---

(١) ذكرها الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٦٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥).

(٢) في (خ) و(ض): «لا يؤخذ».

قولـه تعالـى: ﴿ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ﴾ [المائدة: ٣٢]، وقولـه عليـه السَّـلامُ: «مَـن سـنَّ سـنَّةً سَـيِّئةً فلـه وِزرُهـا ووِزرُ مَـن عمـلَ بهـا إلى يـومِ القيامـةِ»، فـإنَّ ذلـك للدَّلالةِ والتَّسـبُّبِ الـذي هـو وزرُه.

قوله: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فله وَزِرَها ووَزِرَ مَن عملَ بها إلى يومِ القِيامَةِ»:

أخرجَه أحمَدُ ومُسلِمٌ مِن حَديثِ جريرٍ[1].

(٣٩ ـ ٤١) ـ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ إلا سـعيُه؛ أي: كمـا لا يؤاخَـذُ[2] أحـدٌ بذنـبِ الغيـرِ لا يُثـابُ بفعلِـه، ومـا جاءَ فـي الأخبـارِ مِـن أنَّ الصَّدقةَ والحـجَّ ينفعـانِ الميـتَ فلكـونِ النَّاوي لـه كالنَّائـبِ عنه.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أي: يُجزَى العبدُ سَعْيَه بالجَزاءِ الأوفَرِ، فنُصِبَ بنزعِ الخافضِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ مَصدَرًا، وأن يكونَ الهاءُ للجزاءِ المدلولِ عليه بـ(يجزى)، والجزاءُ بدلَه.

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ انتهاءُ الخلائقِ ورُجوعُهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٢٠٠)، ومسلم (١٠١٧).

(٢) في (خ): «لا يؤخذ».

وقُرِئَ بالكسرِ[1] على أنَّه مُنقَطِعٌ عمَّا في الصُّحفِ، وكذلك ما بعدَه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ لا يقدرُ على الإماتةِ والإحياءِ غَيرُه، فإنَّ القاتلَ ينقُضُ البِنيةَ، والموتُ يحصُلُ عندَهُ بفعلِ اللهِ على سبيلِ العادةِ.

(٤٥ ـ ٤٧) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ تُدفَقُ في الرَّحِمِ، أو تُخلَقُ أو تُقدَّرُ منها الولدُ، مِن مَنَى: إذا قَدَّرَ.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الإحياءَ بعدَ المَوتِ وفاءً بوَعدِه.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿النَّشاءَةَ﴾[2] بالمدِّ، وهو أيضًا مصدرُ نشأَهُ.

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ وأعطَى القِنيةَ، وهي ما يُتأثَّلُ من الأموالِ، وإفرادُها لأنَّها أَشفُّ الأموالِ أو أَرْضَى، وتحقيقُه جَعَلَ الرِّضا له قِنيةً[3].

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ يعني: العَبُورَ، وهي أشدُّ ضياءً مِن الغُمَيصاءِ، عبدَهَا أبو كَبشةَ أحدُ أَجدادِ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ وخالفَ قريشًا في عبادةِ الأوثانِ، ولذلك كانوا يُسَمُّونَ الرَّسولَ ابنَ أبي كبشةَ، ولعلَّ تخصيصَها للإشعارِ بأنَّه عليه السَّلامُ وإن وافقَ أبا كبشةَ في مُخالفَتِهم خالفَهُ أيضًا في عبادَتِها.

---

(١) وهي قراءة أبي السمال كما في «البحر» (٢٠/ ٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٣) في هامش (أ): «أي: جعله قنوعًا بما أعطاه راضيًا به».

قوله: «أبو كبشَةَ أحدُ أَجْدادِ رَسولِ اللهِ ﷺ»:

قال الحافظُ شَرفُ الدِّينِ الدِّمياطيُّ: هو جدُّ أُمِّهِ آمنةَ بنتِ وهبٍ وأمُّ وهبٍ قيلَةُ بنتُ أبي كبشةَ، وقيل: هو جَدُّ عبدِ المُطَّلبِ لأُمِّه.

(٥٠ ـ ٥٤) ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ القُدماءَ لأنَّهم أُولى الأُمَمِ هلاكًا بعد نوحٍ.

وقيل: عادٌ الأُولى قومُ هودٍ، وعادٌ الأخرى إِرَمُ.

وقُرِئَ: (عادًا لُولى) بحذفِ الهمزةِ(١)، ونقلِ ضمَّتِها إلى لامِ التَّعريفِ(٢)، وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو: ﴿وعادَ لُّولَى﴾ بإدغامِ التَّنوينِ في اللامِ(٣)، وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو(٤).

﴿وَثَمُودَا۟﴾ عطفٌ على ﴿عَادًا﴾ لأنَّ ما بعدَهُ لا يعملُ فيه.

وقرأ عاصمٌ وحمزَةُ بغيرِ تنوينٍ، ويَقِفَانِ بغيرِ ألفٍ، والباقونَ بالتَّنوينِ ويَقِفُونَ بالألفِ(٥).

﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ الفريقينِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥١٠)، و«البحر» (٢٠/ ٧١).

(٢) وهي قراءة الحسن كما في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٩)، و«البحر» (٢٠/ ٧٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٤) قوله: «وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو» من (ت) و(خ)، انظر: «النشر» (١/ ٤١٣).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أيضًا معطوفٌ عليه، ﴿مِّن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ عادٍ وثمودَ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ مِن الفريقينِ لأنَّهم كانوا يؤذونَهُ وينفِّرونَ عنه ويضربونَه حتَّى لا يكونَ به حَراكٌ.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ والقُرى التي ائتُفِكَت بأهلِها؛ أي: انقلَبَتْ، وهي قُرى قومِ لوطٍ.

﴿أَهْوَىٰ﴾ بعدَ أنْ رفعَهَا فقلَبَها.

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويلٌ وتَعميمٌ لِمَا أصابَهُم.

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ تَتشكَّكُ، والخطابُ للرَّسولِ أو لكلِّ أحدٍ، والمعدوداتُ وإن كانَتْ نِعمًا ونقمًا، سمَّاها آلاءً مِن قِبَلِ ما في نِقمِه مِن العبرِ والمواعظِ للمُعتبرينَ والانتقامِ للأنبياءِ والمؤمنينَ.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ أي: هذا القرآنُ نذيرٌ[1] مِن جنسِ الإنذاراتِ المُتقدِّمةِ، أو هذا الرَّسولُ نذيرٌ[2] مِن جنسِ المنذِرينَ الأوَّلينَ.

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ دنَت السَّاعةُ الموصوفةُ بالدُّنوِّ في نحوِ قولِه: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ليس لها نفسٌ قادرَةٌ على كشفِها إذا وقعَتْ إلَّا اللهُ، لكنَّه لا يكشِفُها، أو الآن بتأخيرِها إلَّا اللهُ، أو ليسَ لها كاشفةٌ لوَقتِها إلَّا اللهُ؛ إذ لا يَطَّلِعُ عليه سواهُ، أو ليس لها مِن غيرِ اللهِ كشفٌ على أنَّها مَصدرٌ كالعافيةِ.

---

(١) في (ض): «إنذار».

(٢) في (خ): «منذر».

(٥٩ ـ ٦٢) ـ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكارًا.

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ تحزنًا على ما فرَّطْتُم.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهونَ أو مستكبرونَ، مِن سَمَدَ البعيرُ في مسيرِه: إذا رفعَ رأسَه، أو مُغَنُّونَ لتشغلُوا النَّاسَ عَن استماعِه، مِن السُّمودِ وهو الغِناءُ.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ أي: واعبدوهُ دونَ الآلهةِ.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ أعطاهُ اللهُ عشرَ حَسناتٍ بعددِ مَن صدَّقَ بمُحمَّدٍ وجحدَ به بمكَّةَ».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾..» إلى آخره:

مَوضوعٌ[1].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٦٦)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩٢)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي في فضائل السور عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وانظر: «الفتح السماوي» (٣/ ١٠١٦).

سُورَةُ القَمَرِ

سُورَةُ القَمَرِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها خمسٌ وخمسونَ.

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾.

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ رُوِيَ أنَّ الكُفَّارَ سأَلُوا رسولَ اللهِ آيةً فانشقَّ القمرُ.

وقيل: معناهُ سينشقُّ يومَ القيامةِ.

ويؤيِّدُ الأوَّلَ أنَّه قُرِئَ: (وقد انشقَّ القمرُ)[1] أي: اقتربَت السَّاعةُ وقد حصلَ مِن آياتِ اقترابِها انشقاقُ القمرِ.

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ﴾ عن تأمُّلِها والإيمانِ بها.

﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ مُطَّرِدٌ، وهو يدلُّ على أنَّهم رَأَوْا قبلَهُ آياتٍ أُخرى مُترادفةً ومُعجزاتٍ مُتتابعةً حتَّى قالوا ذلك، أو محكمٌ مِن المرَّةِ[2]، يقال: أَمْرَرْتُه فاستمرّ: إذا أحكَمْتَه فاستحكَمَ، أو مُستبشعٌ مِن استمرَّ الشيءُ: إذا اشتَدَّتْ مَرارتُه، أو مارٌّ ذاهبٌ لا يبقى.

---

(١) وهي قراءة حذيفة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٧).

(٢) (المرة) بالفتح والكسر؛ بمعنى القوة.

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وهو ما زيَّنَ لهم الشَّيطانُ مِن ردِّ الحقِّ بعدَ ظُهورِه، وذكرَهُما بلفظِ المُضِي للإشعارِ بأنَّهُما مِن عادَتِهم القَديمَةِ.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ مُنتهٍ إلى غايةٍ مِن خذلانٍ أو نَصرٍ في الدُّنيا وشقاوةٍ أو سَعادةٍ في الآخرةِ، فإنَّ الشَّيءَ إذا انتهى إلى غايتِه ثبتَ واستقرَّ.

وقُرِئَ بالفتحِ[١]؛ أي: ذو مُستقَرٍّ بمعنى استقرارٍ[٢]، وبالكسرِ والجرِّ[٣] على أنَّه صفةُ ﴿أَمْرٍ﴾، ﴿وَكُلُّ﴾ معطوفٌ على ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾.

سُورَةُ القَمَرِ

قوله: «رُوِيَ أنَّ الكُفَّارَ سَألُوا رَسولَ اللهِ ﷺ آيَةً فانْشَقَّ القَمرُ»:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ أَنسٍ[٤].

قولـه: «وبالكسرِ والجرِّ على أنَّـه صِفَـةُ ﴿أَمْرٍ﴾، و﴿وَكُلُّ﴾ معطوفٌ على ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾»:

قال أبو حيَّان: هذا بعيدٌ لطولِ الفصلِ بجُمَلٍ ثلاثٍ، وبعيدٌ أن يوجدَ مثلُ هذا التَّركيبِ في كلامِ العربِ نحو: (أكلتُ خُبزًا وضربتُ خَالدًا، وإنْ يَجِئ زيدٌ أُكرِمْه، ورحلَ إلى بني فلانٍ، ولحمًا)، فيكونُ (ولحمًا) عطفًا على (خبزًا)، بل لا يوجدُ مثلُه في كلامِ العربِ.

---

(١) حكاها أبو حاتم عن شيبة، ورويت عن نافع، انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٢٠٦)، و«الكشاف» (٨/ ٥١٩)، و«البحر» (٢٠/ ٨٣).

(٢) في (خ) و(ت): «الاستقرار».

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٠).

(٤) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

وخرَّجَه صاحبُ «اللوامحِ» على أنه خبرٌ لـ(كل) فهو مرفوعٌ في الأصلِ، لكنَّه جُرَّ للمُجاورةِ، وليس هذا بجيِّدٍ لأنَّ الخفضَ على الجوازِ في غايةِ الشُّذوذِ، ولأنَّه لم يُعهَد في خبرِ المُبتدَأِ، إنَّما عُهِدَ في الصِّفَةِ على اختلافٍ بينَ النُّحاةِ في وجودِه.

والأَسْهَلُ أن يكونَ الخَبرُ مُضمَرًا لدلالةِ المعنى عليه، والتَّقديرُ: كلُّ أمرٍ مُستقرٌّ بالغوهُ لأنَّ قبله: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: وكلُّ أمرٍ مُستقرٌّ لهم في القدرِ مِن شر أو خير بالِغهُ هم.

وقيل: الخبرُ ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ ويكونُ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ اعتراضًا بين المبتدأِ والخبرِ[1].

وقال الحَلَبِيُّ معترضًا على أبي حيَّان: إذا دلَّ دَليلٌ على المعنى فلا نُبالي بالفواصِلِ، وأينَ فصاحَةُ القرآنِ مِن هذا التَّركيبِ الذي ركَّبَه هو حتى يقيسَه عليه في المنعِ؟[2].

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ في القرآنِ ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أنباءِ القرونِ الخاليةِ، أو أنباءِ الآخرةِ.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجارٌ مِن تعذيبٍ أو وعيدٍ، وتاءُ الافتعالِ تُقلَبُ دالًا مع الدَّالِ والذَّالِ والزَّايِ للتَّناسُبِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٨٤).

(٢) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ١٢١).

وقُرِئَ: (مُزَّجَر) بقلبِها زاءً وإدغامِها[١].

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ غايتَها لا خَللَ فيها، وهي بدلٌ مِن (ما)، أو خبرٌ لِمَحذوفٍ.

وقُرِئَ بالنَّصبِ حالًا مِن (ما)[٢] فإنَّها موصولةٌ أو مخصوصةٌ بالصِّفةِ، فيجوزُ نَصبُ الحالِ عنها.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفيٌ أو استفهامُ إنكارٍ؛ أي: فأيَّ غَناءٍ تُغني النُّذُرُ، وهو جمعُ نَذيرٍ بمعنى المنذِرِ أو المُنذَرِ منه، أو مصدرٌ بمعنى الإنذارِ.

(٦ ـ ٨) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمِكَ أنَّ الإنذارَ لا يُغنِي فيهِم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ إسرافيلُ، ويجوزُ أَنْ يكونَ الدُّعاءُ فيه كالأمرِ في قولِه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وإسقاطُ الياءِ اكتفاءً بالكسرةِ للتَّخفيفِ، وانتصابُ ﴿يَوْمَ﴾ بـ﴿يَخْرُجُونَ﴾، أو بإضمارِ (اذكر).

﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ فظيعٍ تُنكرُهُ النُّفوسُ؛ لأنَّها لم تَعهَدْ مِثلَه، وهو هولُ القيامةِ.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ: ﴿نُكْرٍ﴾ بالتَّخفيفِ[٣]، وقُرِئَ: (نُكِرَ)[٤] بمعنى أُنكِرَ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٢٠)، و«البحر» (٢٠/ ٨١).

(٢) انظر: «البحر» (٢٠/ ٨١) عن اليماني، وهو محمد بن السميفع، وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٤) لكن لم يصرح بكونها قراءة، وعبارته: ولو نصب على القطع لأنه نكرة و﴿مَا﴾ معرفة كان صواباً.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٨)، عن مجاهد والجحدري وأبي قلابة.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: يخرجونَ مِن قُبورِهِم خاشعًا ذليلًا أبصارُهم مِن الهولِ، وإفرادُه وتذكيرُه لأنَّ فاعِلَه ظاهرٌ غيرُ حقيقيِّ التَّأنيثِ.

وقُرِئَ: (خاشعةً)[١] على الأصلِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ: ﴿خُشَّعًا﴾[٢]، وإنَّما حَسُنَ ذلك ولم يحسنْ: مررتُ برجالٍ قائمينَ غِلمانُهم؛ لأنَّه ليسَ على صيغةٍ تشبهُ الفعلَ.

وقُرِئَ: (خُشَّعٌ أَبصارُهُم)[٣] على الابتداءِ والخبرِ، فتكونُ الجملةُ حالًا.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في الكثرةِ والتَّموُّجِ والانتشارِ في الأمكِنَةِ.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مُسرعينَ مادِّي أعناقِهِم إليه أو ناظرينَ إليه.

﴿يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعبٌ.

قوله: «وإنَّما حَسُنَ ذلك ولا يحسنُ: مررتُ برجالٍ قائِمين غِلمانُهُم؛ لأنَّه ليسَ على صيغَةٍ تُشبِهُ الفعلَ»:

أي: لأنَّ جمعَ التَّكسيرِ يجري مجرى المفردِ.

قاله أبو البَقاءِ[٤]، والمصنِّفُ أخذَ منه ردًّا لقولِ صاحبِ «الكشاف» أنَّها على لُغَةِ: أَكَلُوني البَراغِيثُ[٥].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن أبي وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٢١)، و«البحر» (٢٠/ ٨٩) دون نسبة.

(٤) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» لأبي البقاء (٢/ ١١٩٣).

(٥) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٨/ ٥٢١).

وقد تَعقَّبَ عليه أيضًا صاحبُ «التقريب» وأبو حيَّان(١).

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قبلَ قومِك ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا، وهو تفصيلٌ بعدَ إجمالٍ.

وقيل: معناهُ كذَّبُوه تكذيبًا على عقبِ تكذيبٍ، كلَّما خَلا مِنهم قرنٌ مُكَذِّبٌ تَبِعَه قرنٌ مُكذِّبٌ، أو كذَّبوهُ بعدما كذَّبُوا الرُّسُلَ.

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ هو مجنونٌ ﴿وَازْدُجِرَ﴾ وزُجرَ عن التَّبليغِ بأنواعِ الأَذيَّةِ.

وقيل: إنَّه مِن جملةِ قيلِهِم؛ أي: هو مجنونٌ وقد ازدجَرَتْه الجِنُّ وتَخبَّطَتْهُ.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي: بأنِّي.

وقُرِئَ بالكسرِ على إرادةِ القولِ(٢).

﴿مَغْلُوبٌ﴾ غَلَبني قَومِي ﴿فَانْتَصِرْ﴾ فانتَقِمْ لي مِنهُم، وذلك بعدَ يأسِه مِنْهُم، فقَدْ رُوِيَ أنَّ الواحدَ مِنْهُم كان يلقاهُ فيخنُقُهُ حتى يَخرَّ مغشيًّا عليه فيفيقُ ويقول: «اللهمَّ اغفِرْ لقَوْمِي فإنَّهُم لا يعلمونَ».

قوله: «وهو تَفصيلٌ بعدَ إجمالٍ».

قال في «الكشاف»: أي: كَذَّبوا الرُّسلَ فكذبُوا عبدَنا؛ لأنَّه مِن جُملةِ الرُّسُلِ(٣).

قوله: «وقيل معناه: كذَّبُوه تكذيبًا عقبَ تكذيبٍ»:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٨٩).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن عيسى وابن أبي إسحاق.

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٨/ ٥٢٣).

قال الطِّيبيُّ: الفاءُ على هذا للتَّعقيبِ، وعلى الأوَّلِ للتَّسبيبِ[١].

قوله: «فقَدْ رُوِيَ أن الواحدَ مِنْهُم كانَ يَلقَاهُ فيخنُقُه حتى يخرَّ مَغشِيًّا عليه فيفيقُ ويقول: «اللهمَّ اغفِرْ لقومِي فإنَّهُم لا يَعلَمُون» »:

أخرجَه عبدُ بن حميدٍ عن مجاهدٍ[٢]، وأخرجَه أحمدُ في «الزهد» مِن طريقِ مُجاهدٍ عن عبيدِ بنِ عُميرٍ[٣].

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾.

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ منصَبٍّ، وهو مبالغةٌ وتمثيلٌ لكثرةِ الأمطارِ وشدَّةِ انصبابِها.

وقرأ ابنُ عامرٍ ويعقوبُ ﴿فَفَتَّحْنَا﴾ بالتَّشديدِ[٤]؛ لكثرةِ الأبوابِ.

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ وجعَلْنا الأرض كُلَّها كأنَّها عيونٌ مُنفجِرَةٌ، وأصلُه: وفجَّرْنا عيونَ الأرضِ، فغُيِّرَ للمُبالغةِ.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماءُ السَّماءِ وماءُ الأرضِ.

وقُرِئَ: (الماءانِ)[٥] لاختلافِ النَّوعينِ، (والماوانِ) بقلبِ الهمزةِ واوًا[٦].

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ١٢٥).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٥٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٨٠). وكذا الثعلبي في «تفسير» (٢٥/ ٢١٤).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨).

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن الجحدري ومحمد بن كعب.

(٦) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨).

﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ على حالٍ قَدَّرها اللهُ في الأزلِ مِن غيرِ تَفاوُتٍ، أو على حالٍ قُدِّرَتْ وسُوِّيَت، وهو أنَّ قدْرَ ما أُنزِلَ[١] على قدْرِ ما أُخرِجَ[٢]، أو على أمرٍ قدَّرهُ اللهُ وهو هلاكُ قومِ نوحٍ بالطُّوفانِ.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ﴾ ذاتِ أَخشابٍ عَريضَةٍ.

﴿وَدُسُرٖ﴾ ومساميرَ، جمع دِسَارٍ مِن الدَّسْرُ وهو: الدَّفعُ الشَّديدُ، وهي صفةٌ للسَّفينةِ أقيمَتْ مقامَها مِن حيثُ إنَّها شرحٌ لها تؤدِّي مُؤدَّاها[٣].

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمَرأى منَّا؛ أي: محفوظةً بحفظِنا.

﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: فَعَلنا ذلك جزاءً لنوحٍ لأنَّه نعمةٌ كَفروها، فإنَّ كلَّ نبيٍّ نعمةٌ مِن اللهِ ورحمةٌ على أمَّتِه، ويجوزُ أن يكونَ على حذفِ الجارِّ وإيصالِ الفعلِ إلى الضَّميرِ.

وقُرِئَ (لمن كان كَفَرَ)[٤] أي: للكافرينَ.

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

---

(١) في (خ) و(ت) زيادة: «من السماء».

(٢) في (خ) زيادة: «من الأرض».

(٣) في (خ): «مرادها».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن يزيد بن رومان وعيسى، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٨) عن يزيد بن رومان وقتادة.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أي: السَّفينةَ، أو الفَعلةَ ﴿ءَايَةً﴾ يُعتبرُ بها إذ شاعَ خبرُها واشتَهرَ(١).

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مُعتبرٍ.

وقُرِئَ: (مُذْتكِر) على الأصلِ(٢)، و: (مُذَّكِر) بقلبِ التَّاءِ ذالًا والإدغامِ فيها(٣).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ استفهامُ تعظيمٍ ووعيدٍ، والنُّذُرُ يحتمِلُ المصدرَ والجمعَ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ سهَّلناهُ أو هيَّأناهُ، مِن يسَّرَ ناقتَهُ للسَّفرِ: إذا رَحلَها.

﴿لِلذِّكْرِ﴾ للادِّكارِ والاتِّعاظِ بأَنْ صرَّفنا فيهِ أنواعَ المواعظِ والعِبرِ، أو للحفظِ بالاختصارِ وعذوبةِ اللَّفظِ.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مُتَّعظٍ.

(١٨ ـ ٢١) ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ وإنذاراتي لهم بالعذابِ قبلَ نُزولِه، أو لِمَن بعدَهُم في تَعذيبِهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردًا أو شديدَ(٤) الصَّوتِ.

---

(١) في (ض): «واستمر».

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٢٧)، و«البحر» (٢٠/ ٩٧).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٢٩) عن ابن مسعود رفعها للنبي ﷺ، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٦٩٧) عن قتادة، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨ ـ ١٤٩) عن ابن مسعود وعيسى وقتادة.

(٤) في (ض): «باردة أو شديدة».

﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ شؤمٍ ﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾ استمرَّ شؤمُه، أو استمرَّ عليهم حتى أهلَكَهُم، أو على جميعِهِم كبيرِهم وصَغيرِهم فلم يُبْقِ مِنهم أحدًا، أو اشتدَّ مرارَتُه، وكانَ يومَ الأربعاءِ آخرَ الشَّهرِ.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلَعُهُم، رُوِيَ أنَّهُم دخلُوا في الشِّعابِ والحُفَرِ، وتمسَّكَ بَعضُهم ببعضٍ فنزعَتْهُم الرِّيحُ منها وصرَعَتْهُم مَوْتى.

﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ أصولُ نخلٍ مُنقَلعٍ عَن مَغارسِه ساقطٍ على الأرضِ.

وقيل: شُبِّهُوا بالأعجازِ لأنَّ الرِّيحَ طيَّرَتْ رُؤوسَهُم وطَرَحتْ أَجسادَهُم، وتذكيرُ ﴿مُّنقَعِرٖ﴾ للحملِ على اللفظِ، والتَّأنيثُ في قولِه: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧] للمَعنى.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كرَّرَهُ للتَّهويلِ.

وقيل: الأوَّلُ لِمَا حاقَ بهم في الدُّنيا، والثَّاني لِمَا يحيقُ بهم في الآخرةِ، كما قالَ أيضًا في قِصَّتِهم: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ﴾ [فصلت: ١٦].

(٢٢ ـ ٢٥) ـ ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ بالإنذاراتِ[1] أو المواعظِ أو الرُّسُلِ.

﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا﴾ مِن جنسِنا أو مِن جُملَتِنا لا فضلَ له علينا، وانتصابُه بفعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَه.

(١) في (ت) و(ض): «بالإنذار».

وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتداءِ[1]، والأوَّلُ أوجَهُ للاستفهامِ.

﴿وَٰحِدًا﴾ مُنفردًا لا تَبعَ له أو مِن آحادِهم دونَ أشرافِهم.

﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ جمعُ سعيرٍ، كأنَّهم عكسُوا عليه فرتَّبُوا على اتِّباعِهم إيَّاه ما رتَّبَه على تركِ اتِّباعِهم له، وقيل: السُّعُرُ: الجنونُ، ومنه: ناقةٌ مَسعورةٌ.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ الكتابُ والوحيُ ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وفينا مَن هو أحقُّ منه بذلك.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ حملَهُ بطَرُه على التَّرفُّعِ علينا بادِّعائِه.

(٢٦ ـ ٢٨) ـ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عندَ نزولِ العَذابِ بهم، أو يومَ القيامةِ.

﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ الذي حملَهُ أَشَرُهُ على الاستكبارِ عن الحقِّ وطلبِ الباطلِ، أصالحٌ أم مَن كذَّبَه.

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ ورُوَيسٌ ﴿ستَعْلَمُونَ﴾[2] على الالتفاتِ، أو حكايةِ ما أجابَهُم به صالحٌ.

---

(١) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٢) عن أبي السمال، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٩٨) عن أبي السمال لكن بلفظ: (أبشر منا واحداً) برفع (بشر) ونصب (واحداً)، وقال في توجيهها: فأما انتصاب (واحداً) فإن شئت جعلته حالاً من الضمير في (منا)؛ أي: أينبأ بشرٌ كائن منا؟ والناصب لهذه الحال الظرف، كقولك: زيد في الدار جالساً. وإن شئت جعلته حالاً من الضمير في قوله: (نتبعه)؛ أي: نتبعه واحداً منفرداً ولا ناصر له.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

وقُرِئَ: (الأَشُر) كقولِهم: حَذُر في حَذِرٍ[1]، و: (الأَشَرُّ)[2] أي: الأبلغُ في الشَّرارةِ، وهو أصلٌ مرفوضٌ كالأخيرِ.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مُخرِجُوها وباعِثُوها ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا لهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ فانتَظِرهُم وتبَصَّرْ ما يصنعونَ ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على أذاهُم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ مقسومٌ لها يومٌ ولهم يومٌ، و﴿بَيْنَهُمْ﴾ لتغليبِ العقلاءِ.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضُرهُ صاحبُه في نَوبَتِه، أو يحضرُ عنه غيرُه.

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قُدارَ بنَ سالفٍ أُحَيْمِرَ ثمودَ.

﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ فاجترأَ على تعاطي قَتلِها فقتلَها، أو فتَعاطى السَّيفَ فقتلَها، والتَّعاطي: تناولُ الشَّيءِ بتكلُّفٍ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صيحةَ جبرئيلَ ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ كالشَّجرِ اليابسِ المنكسرِ[3] الذي يتَّخِذُه من يعملُ الحظيرةَ لأجلِها، أو كالحشيشِ اليابسِ الذي يجمَعُه صاحبُ الحظيرةِ لماشِيَتِه في الشِّتاءِ.

وقُرِئَ بفتحِ الظَّاءِ[4]؛ أي: كهَشيمِ الحَظيرةِ أو الشَّجرِ المتَّخذِ لها.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩) عن مجاهد والأزدي.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩) عن أبي قلابة.

(٣) في (ض): «المتكسر».

(٤) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩).

(٣٢ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا تحصبُهُم بالحجارةِ؛ أي: تَرميهم.

﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ في سحرٍ، وهو آخرُ الليلِ، أو مُسْحِرِينَ.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ إنعامًا منا، وهو عِلَّةٌ لـ﴿نجينا﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمتَنا بالإيمانِ والطَّاعةِ.

(٣٦ ـ ٣٩) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذَتنا بالعذابِ ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ فكذَّبُوا[1] بالنُّذرِ مُتشاكِّين.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ قَصدُوا الفجورَ بهم ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فمَسحناها وسَوَّيناهَا بسائرِ الوجهِ.

رُوِيَ أنَّهم لَمَّا دخلُوا داره عَنْوةً صَفَقهم جبرئيلُ صفقةً فأَعْماهُم[2].

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فقلنا لهم: ذوقوا على أَلسِنةِ الملائكةِ، أو ظاهرِ الحالِ.

---

(١) في (ت) و(ض): «فكذبوه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٩) عن حجاج عن ابن جريج، وعن أبي بكر بن عبد الله، وعن قتادة عن حذيفة، دخل حديث بعضهم في بعض، وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٨) عن ابن عباس، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٩) عن السدي.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقُرِئَ: (بكرةَ) غيرَ مَصروفةٍ[1]، على أنَّ المرادَ بها أوَّلُ نهارٍ معينٍ.

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يستقرُّ بهم حتى[2] يُسلِّمُهم إلى النَّارِ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ كرَّر ذلك في كلِّ قصَّةٍ إشعارًا بأن تكذيبَ كُلِّ رسولٍ مقتضٍ لنُزولِ العذابِ، واستماعَ كلِّ قصةٍ مُستدعٍ للادِّكارِ والاتِّعاظِ، واستئنافًا للتَّنبيهِ والإيقاظِ لئلَّا يَغلِبَهُم السَّهوُ والغفلةُ، وهكذا تكريرُ قولِه: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ونحوِهما.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ اكتفى بذكرِهِم عن ذكرِه للعلمِ بأنَّه أولى بذلك.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ يعني: الآياتِ التِّسعَ ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يُغالَبُ، ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزُه شيءٌ.

(٤٣ ـ ٤٥) ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝٤٤ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا معشرَ العربِ ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الكفَّارِ المَعدُودينَ قوَّةً وعُدَّةً أو مكانةً ودينًا عندَ اللهِ.

﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أم نُزِّلَ لكُم في الكتبِ السَّماويَّةِ أنَّ مَن كفرَ مِنْكُم فهو في أمانٍ مِن العذابِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٣٤)، و«البحر» (٢٠/ ١٠٨).

(٢) في (ض): «إلى أن».

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ ﴾ جماعةٌ أمرُنا مُجتمِعٌ.

﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ممتنعٌ لا نُرامُ، أو ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ مِن الأعداءِ لا نُغلبُ، أو مُتناصرٌ ينصرُ بعضُنا بعضًا، والتَّوحيدُ على لفظِ الجَميعِ.

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ أي: الأدبارَ، وإفرادُه لإرادةِ الجنسِ، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ يُولي دبرَهُ، وقد وقعَ ذلك يومَ بدرٍ، وهو مِن دلائلِ النبوَّةِ.

وعن عُمرَ رضيَ اللهُ عنه أنّه لَمَّا نَزلَتْ قال: لم أعلَمْ ما هيَ، فلمَّا كانَ يومُ بدرٍ رأيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يلبسُ الدِّرعَ ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴾ فعلِمتُه.

قولـه: «وعَـن عُمـرَ أنَّه لَمَّـا نَزلت قال: لَـمْ أعلم ما هـي، فلمَّا كانَ يـومُ بدرٍ..» إلى آخره:

رواهُ عبدُ الرَّزاقِ وابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ وابنُ مردويه في «تفاسيرهم» مِن مُرسَلِ عِكرمَةَ[(١)]، ورواه الطَّبرانيُّ في «معجمه الأوسط» من حديثِ أنسٍ[(٢)].

(٤٦ ـ ٤٨) ـ ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾.

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ مَوعدُ عذابِهم الأصليُّ، وما يحيقُ بهم في الدُّنيا فمن طلائعِه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٧)، من حديث عكرمة عن عمر رضي الله عنه، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٨١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه: أن عمر رضي الله عنه قال: لما نزلت... فذكره، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٨): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري، ولم أعرفه.

﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ﴾ أشَدُّ، والدَّاهيةُ: أمرٌ فظيعٌ لا يهتدى لدَوائِه ﴿وَأَمَرُّ﴾ مَذاقًا من عذابِ الدُّنيا.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ﴾ عن الحقِّ في الدُّنيا ﴿وَسُعُرٖ﴾ ونيرانٍ في الآخرةِ.

﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ يُجرُّونَ عليها، ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: يقالُ لهم: ذوقوا حرَّ النَّارِ وألمَها، فإنَّ مَسَّها سببٌ للتَّألُّم بها، وسَقَر علَمٌ لجهنَّم، ولذلك لم تُصرَف، مِن سَقَرَتْه النَّارُ وصَقَرَتْه: إذا لَوَّحَتْه.

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ أي: إنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ مُقدَّرًا مُرتَّبًا على مُقتَضى الحكمةِ، أو مُقدَّرًا مَكتوبًا في اللوحِ قبل وُقوعِه، و﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ منصوبٌ بفعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَه، وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتداءِ(١)، وعلى هذا فالأولى أن يجعلَ ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ خبرًا لا نعتًا ليُطابِقَ المشهورةَ في الدَّلالةِ، على أنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٌ بقدرٍ، ولعلَّ اختيارَ النَّصبِ هاهنا مع الإضمارِ لِمَا فيه مِن النُّصوصيَّةِ على المقصودِ.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾ إلا فعلةً واحدةً، وهو الإيجادُ بلا معالجةٍ ومُعاناةٍ، أو إلَّا كلمةً واحدةً، وهو قوله: كُن ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ في اليُسْرِ والسُّرعةِ.

وقيل: معناهُ مَعنى قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أشباهَكُم في الكفرِ ممَّنْ قبلَكُم ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ مُتَعظٍ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٠)، عن أبي السمال.

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ مكتوبٌ في كتبِ الحفظةِ.

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الأعمالِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطورٌ في اللوحِ.

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أنهارٍ، واكتُفِيَ باسمِ الجنسِ، أو سَعَةٍ، أو ضياءٍ من النَّهارِ، وقُرِئَ بسكونِ الهاءِ[١]، (ونُهُر) جمع نَهَر[٢]، كأَسَدٍ وأُسُدٍ.

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ في مكانٍ مَرضِيٍّ.

وقُرِئَ: (مَقاعِدِ صدقٍ)[٣].

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ مُقربينَ عندَ مَن تعالى أمرُه في الملكِ والاقتدارِ بحيثُ أبهمَهُ ذوُو الأفهامِ.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سورةَ القمرِ في كلِّ غِبٍّ بعثَهُ اللهُ يومَ القيامةِ ووجهُهُ كالقمرِ ليلةَ البدرِ».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ القمرِ..» إلى آخره:

موضوعٌ[٤].

قال الطِّيبيُّ: قوله: (في كلِّ غبٍّ): أي يقرأُ يومًا ويتركُ يومًا[٥].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩) عن أبي نهيك واليماني وأبي مجلز.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٠٠) عن زهير الفرقبي.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩) عن عثمان التيمي.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٩٢)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٦)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠١٩).

(٥) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ١٤٥).

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

مَكِّيَّةٌ، أو مَدنيَّةٌ، أو متبعِّضَةٌ[1]، وآيها ستٌّ وسبعونَ[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٤) ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ لَمَّا كانت السُّورةُ مقصورةً على تَعدادِ النِّعَمِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ صدَّرَها بالرَّحمنِ فقَدَّم[3] ما هو أصلُ النِّعَمِ الدِّينيَّةِ وأجلُّها، وهو إنعامُه بالقرآنِ وتنزيلُه وتعليمُه فإنَّه أساسُ الدِّينِ ومَنشأُ الشَّرعِ وأعظَمُ الوحيِ وأعزُّ الكتبِ؛ إذ هو بإعجازِهِ واشتمالِه على خُلاصَتِها مُصدِّقٌ لنفسِه ومِصداقٌ لها، ثم أتبعَه قولَه:

---

(١) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٢) عن ابن عباس والحسن وعكرمة وجابر أنها مكية كلها، إلا أن ابن عباس استثنى قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وأن ابن مسعود ومقاتل قالا: هي مدنية كلها.

وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٣) أنها مكية في قول الجمهور من الصحابة والتابعين، سوى نافع بن أبي نعيم، وعطاء، وقتادة، وكريب، وعطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٧) وفيه: وهي سبعون وستٌّ بَصْري، وسبعٌ مدنيان ومكي، وثمانٍ كُوفي وشامي.

(٣) في (ت) و(ض): «وقدم».

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ إيماءَ بأنَّ خلقَ البشرِ وما تميَّزَ بهِ عن سائرِ الحيوانِ مِن البيانِ، وهو التَّعبيرُ عمَّا في الضَّميرِ وإفهامُ الغيرِ لِمَا أدركَهُ لتلقِّي الوحيِ وتعرُّفِ الحقِّ وتَعلُّمِ الشَّرعِ، وإخلاءُ الجملِ الثَّلاثِ التي هي أخبارٌ مُترادِفَةٌ للرَّحمنِ عَنِ العاطفِ لِمَجيئِها على نهجِ التَّعديدِ.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾.

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ يجريانِ بحسابِ مَعلومٍ مُقدَّرٍ في بروجِهِما ومَنازِلِهما، وتتَّسقُ بذلك أمورُ الكائناتِ السُّفليَّةِ، وتختلفُ الفصولُ والأوقاتُ، ويُعلَمُ السُّنونُ والحسابُ.

﴿ وَٱلنَّجْمُ ﴾ والنَّباتُ الذي يَنجُمُ ـ أي: يطلعُ ـ مِن الأرضِ ولا ساقَ له.

﴿ وَٱلشَّجَرُ ﴾ والذي له ساقٌ.

﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ ينقادانِ للهِ فيما يريدُ بهما طبعًا انقيادَ السَّاجدِ مِن المكلَّفينَ طوعًا، وكان حقُّ النَّظمِ في الجُملَتينِ أن يقال: وأجرى الشَّمسَ والقمرَ وأسجَدَ النَّجمَ والشَّجرَ، أو الشَّمسَ والقمرَ بحسبانِه، والنَّجمُ والشَّجرُ يسجدانِ له ليطابِقَا ما قبلَهُما وما بعدَهُما في اتِّصالِهما بالرَّحمنِ، لكنَّهُما جُرِّدَتا عمَّا يدلُّ على الاتِّصالِ إشعارًا بأنَّ وُضوحَهُ يُغنيهِ عَن البيانِ، وإدخالُ العاطفِ بينَهُما لاشتراكِهِما في الدَّلالةِ على أنَّ ما يحسُّ به مِن تغيُّراتِ أحوالِ الأجرامِ العُلويَّةِ والسُّفليَّةِ بتَقديرِه وتَدبيرِه.

(٧ ـ ٩) ـ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ خلقَهـا مَرفوعـةً محـلًّا ومرتبةً، فإنَّها مَنشـأُ أقضِيَتِـه، ومُتنزَّلُ أحكامِه ومحـلُّ مَلائِكَتِه.

وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتداءِ[١].

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ العَدلَ بأَنْ وفَّر على كلِّ مُستعدٍّ مُستحقَّهُ، ووفَّى كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ حتى انتظمَ أمرُ العالمِ واستقامَ كما قالَ عليه السَّلامُ: «بالعدلِ قامَت السَّماواتُ والأرضُ»[٢]، أو ما تُعرَفُ به مقاديرُ الأشياءِ مِن ميزانٍ ومِكيالٍ ونحوهما، كأنَّه لما وصفَ السَّماءَ بالرِّفعةِ التي هي مِن حيثُ إنَّها مَصدرُ القَضايا والأقدارِ، أرادَ وصفَ الأرضِ بما فيها ممَّا يظهرُ به التَّفاوتُ ويُعرَفُ المقدارُ ويُسوَّى به الحقوقُ والمواجبُ.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ لأن لا تَطْغَوا فيه؛ أي: لا تعتَدُوا ولا تُجاوِزُوا الإنصافَ.

وقُرِئَ: (لا تَطْغَوا)[٣] على إرادةِ القولِ.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ ولا تَنقُصُوهُ، فإنَّ مِن حقِّه أن يُسوَّى؛ لأنَّه المقصودُ مِن وَضعِه، وتكريرُه مبالغةٌ في التَّوصيَةِ به وزيادةُ حثٍّ على استعمالِه.

وقُرِئَ: (ولا تَخْسروا) بفتحِ التَّاءِ وضمِّ السِّينِ وكسرِها وفَتحِها[٤]، على أنَّ الأصلَ: ولا تخسروا في الميزانِ، فحُذِفَ الجارُّ وأُوصِلَ الفعلُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٢)، عن أبي السمال.

(٢) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٠): لم أقف عليه، اهـ. وذكره الراغب الأصفهاني بدون إسناد في «تفسيره» (١/ ١٣٧) بلفظ: «بالعدل قامت السماوات».

وأصله ما رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٠٣) رقم (٢) عن سليمان بن يسار، وأحمد في «مسنده» (٤٧٦٨) واللفظ له عن ابن عمر: أن النبي ﷺ بعث ابن رواحة إلى خيبر يخرص عليهم ثم خيرهم أن يأخذوا أو يردوا، فقالوا: هذا الحق، بهذا قامت السموات والأرض، اهـ.

(٣) وهي قراءة عبد الله بن مسعود، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٣)، و«الكشاف» (٨/ ٥٤٦).

(٤) بضم السين ذكرها أبو حيان في «البحر» (٢٠/ ١٢٦) دون نسبة، وبكسر السين وبفتحها قرأ بلال بن أبي بردة كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٣).

سُورَةُ الرَّحمنِ

قوله: «قال عليه السَّلامُ: بالعدلِ قامَت السَّمواتُ والأرضُ»: [.....][١].

قوله: «على أنَّ الأصلَ: ولا تخسروا في الميزان، فحذفَ الجارُّ وأوصلَ الفعلُ»:

قال أبو حيَّان: لا يحتاجُ إلى هذا التَّخريجِ، ألا ترى أَنَّ خسرَ جاءَ مُتعدِّيًا كقوله: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢]، و﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ [الحج: ١١][٢].

وقال الحَلَبِيُّ: هذا ليسَ مِن ذلك، ألَا ترى أنَّ ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ و﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ معناه أنَّ الخسرانَ واقعٌ بهما وأنَّهما معدومانِ، وهذا المَعنى ليسَ مُرَادًا في الآيةِ قَطْعًا، وإنَّما المرادُ: ولا تُخسروا الموزونَ في الميزانِ[٣].

(١٠ ـ ١٣) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خَفضَها مَدحوَّةً ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلقِ، وقيل: الأنامُ كلُّ ذي روحٍ.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ضروبٌ ممَّا يتفكَّه به ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أوعيةِ التَّمرِ، جمعُ كِمٍّ، أو كلُّ ما يَكُمُّ؛ أي: يُغَطِّي مِن ليفٍ وسَعْفٍ وكُفَرَّى فإنَّه يُنتفعُ به كالمكمومِ؛ كالجذعِ والجُمَّارِ والثَّمرِ.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ كالحنطةِ والشَّعيرِ وسائرِ ما يُتغذَّى به، والعَصفُ: ورقُ النَّباتِ اليابسِ كالتِّبنِ.

---

(١) بياض في النسخ هنا، وقد تقدم تخريج الحديث قريباً.

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ١٢٦).

(٣) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ١٥٧).

﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ يعني: المشموم، أو الرِّزقَ مِن قولهم: خَرَجْتُ أطلبُ ريحانَ اللهِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ ﴿والحبَّ ذا العَصفِ والرَّيحانَ﴾ أي: وخلقَ الحبَّ والرَّيحانَ، أو أَخُصُّ.

ويجوزُ أن يرادَ: وذا الرَّيحانِ فحُذِفَ المضافُ.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ ﴿والرَّيحانِ﴾ بالخفضِ، وما عدا ذلك بالرَّفعِ[1]، وهو فَيْعَلان مِن الرَّوحِ، فقلب الواوُ وأُدغِمَ ثمَّ خُفِّفَ، وقيل: (رَوْحان) قلبَ واوُه ياءً للتَّخفيفِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطابُ للثَّقلينِ المَدلولِ عليهما بقولِه: ﴿لِلۡأَنَامِ﴾ وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ الصلصالُ: الطِّينُ اليابسُ الذي له صلصلةٌ، والفخَّارُ: الخزفُ، وقد خلقَ اللهُ آدمَ مِن ترابٍ، جعلَهُ طينًا ثم حمأً مَسنونًا ثمَّ صَلصالًا، فلا يخالِفُ ذلك قولَه: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ [آل عمران: ٥٩] ونحوَه.

﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ﴾ الجنَّ أو أبا الجنِّ ﴿مِن مَّارِجٖ﴾ من صافٍ مِن الدُّخانِ ﴿مِّن نَّارٖ﴾ بيانٌ لـ﴿مَّارِجٖ﴾ فإنَّه في الأصلِ للمضطربِ، مِن مَرِجَ: إذا اضطربَ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ممَّا أفاضَ عليكما في أطوارِ خلقتِكُما حتى صيَّرَكُما أفضلَ المركَّباتِ وخلاصةَ الكائناتِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(١٧ ـ ٢١) ـ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ مَشرِقَي الشِّتاءِ والصَّيفِ ومَغرِبَيْهِما.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ممَّا في ذلك مِن الفَوائدِ التي لا تُحصى كاعتدالِ الهواءِ واختلافِ الفُصولِ وحُدوثِ ما يُناسِبَ كلَّ فَصلٍ فيه إلى غيرِ ذلك.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلَهُما، مِن مَرَجْتُ الدَّابَّةَ: إذا أرْسَلْتَها، والمعنى: أرسلَ البحرَ الملحَ والبحرَ العذبَ.

﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ يتجاوَرانِ ويتماسُّ سُطوحُهُما، أو بحرَيْ فارسَ والرُّومِ يَلتقيانِ في المُحيطِ لأنَّهما خَليجانِ يَنشَعِبانِ منه.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجزٌ مِن قُدرةِ اللهِ أو من الأرضِ.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يَبغي أحدُهُما على الآخرِ بالمُمازجَةِ وإبطالِ الخاصيَّةِ، أو لا يَتجاوزانِ حدَّيْهِما، أو بإغراقِ ما بينَهُما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٢٢ ـ ٢٤) ـ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ كبارُ الدُّرِّ وصِغارُه، وقيل: المرجانُ: الخَرَزُ الأَحمَرُ، وإن صحَّ أنَّ الدُّرَّ يخرجُ مِن الملحِ فعلى الأوَّلِ إنَّما قال: ﴿مِنْهُمَا﴾ لأنَّه يخرجُ مِن مُجتمَعِ الملحِ والعذبِ، أو لأنَّهما لَمَّا اجتمعَا صارا كالشَّيءِ الواحِدِ، وكأنَّ المُخرجَ مِن أَحدِهِما كالمُخرجِ مِنْهُما.

وقـرأَ نافِعٌ وأبو عَمـرٍو ويعقوبُ: ﴿يُخـرَجُ﴾[1]، وقُرِئَ: (نخـرج) و: (يُخرِجُ) بنصبِ (اللؤلـؤَ والمرجانَ)[2].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ السُّفنُ، جمعُ جاريَةٍ، وقُرِئَ بحذفِ الياءِ ورفعِ الرَّاءِ[3] كقولِه:

لَهَـــا ثَنَايَـــا أَرْبَــعٌ حِسَانُ وَأَرْبَـــعٌ فَكُـــلُّهَا ثَمَـــانُ

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعاتُ الشُّرُعِ، أو المَصنوعاتُ.

وقرأَ حمزةُ وأبو بكرٍ بكسرِ الشِّينِ[4]؛ أي: الرَّافعاتُ الشُّرُعِ، أو اللاتي يُنشِئْنَ الأمواجَ أو السَّير.

﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ كالجبالِ، جمعُ عَلَمٍ، وهو الجبلُ الطَّويلُ.

قوله:

«لهـــا ثَنايَـــا أَرْبَــعٌ حِـسَانُ وَأَرْبَـــعٌ فكُلُّهَـــا ثَمَـــانُ»[5]:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦)، و«النشر» (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(٢) القراءتان في «الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٣)، الأولى عن قتادة، والثانية رواية عن أبي عمرو.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) وقراءة الباقين بفتح الشين، انظر: «السبعة» (ص: ٦١٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٥) الرجز في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٧٨)، و«المحكم» (٥/ ٤٨٣)، و«شرح الفصيح» لابن هشام اللخمي (ص: ١٨٩)، و«الخزانة» للبغدادي (٧/ ٣٦٥)، والرواية في هذه المصادر:

وأربـــعٌ فثغرُهـــا ثَمَـــانُ

قال البغدادي: ولا أعرف صاحب هذا الرجز. وقال: «ثنايا»: جمع ثنية، وهي أربعٌ من مقدم الأسنان: ثِنْتانِ من فوق وثنتان من تحت. وحذف التاء من «أربع» لأن المعدود وهي الثَّنية مؤنث. وأراد بالأربع الثاني الرَّبَاعِيَات بفتح الراء وتخفيف الياء جمع ربَاعِية على وزن ثَمَانِيَة. والرباعيات: =

قال الطِّيبيُّ: يعني: أجرى النُّونَ في (ثمان) مجرَى حرفِ الإعرابِ نحو: الجوار[1].

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مِن خلقِ موادِّ السُّفنِ والإرشادِ إلى أَخذِها وكيفيَّةِ تَركيبِها وإجرائِها في البَحرِ بأَسبابٍ لا يقدرُ على خلقِها وجمعِها غيرُه.

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ مَن على الأَرضِ مِن الحَيواناتِ أو المُركَّباتِ، و(مَن) للتَّغليبِ، أو مِن الثَّقلينِ.

﴿ فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ذاتُه، ولو استَقْرَيتَ جهات الموجوداتِ وتَفحَّصْتَ وُجوهَها وَجَدْتَها بأسرِها فانيَةً في حدِّ ذاتِها إلا وجهَ اللهِ؛ أي: الوجهَ الذي يَلِي جِهَته.

﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ذو الاستغناءِ المُطلَقِ والفضلِ العام.

(٢٨ ـ ٣٠) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أي: ممَّا ذكَرْنا قبلُ مِن بقاءِ الرَّبِّ وإبقاءِ ما لا يُحصَى ممَّا هو على صددِ الفناءِ رحمةً وفضلًا، أو ممَّا ترتَّبَ على إفناءِ الكُلِّ مِن الإعادةِ والحياةِ الدَّائمةِ والنَّعيمِ المُقيمِ.

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فإنَّهم مُفتَقِرُونَ إليه في ذَواتِهم وصِفَاتِهم وسائرِ ما يُهِمُّهُم ويَعُنُّ لهم، والمرادُ بالسُّؤالِ ما يدلُّ على الحاجةِ إلى تحصيلِ الشَّيءِ نطقًا كانَ أو غيرَه.

= أربع أسنان: ثِنْتانِ من يمين الثَّنية واحدة من فوق وواحدة من تحت، وثنتان من شمالها كذلك.

(١) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ١٥٨).

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ كلَّ وقتٍ يُحدِثُ أشخاصًا ويُجدِّدُ أحوالًا على ما سبقَ به قَضاؤُه.

وفي الحديث: «مِن شأنِه أن يغفرَ ذنبًا ويُفرِّجَ كربًا ويرفعَ قومًا ويضعَ آخرينَ».

وهو ردٌّ لقولِ اليَهودِ: إنَّ اللهَ لا يَقضي يومَ السَّبتِ شيئًا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: ممَّا يُسعِفُ به سُؤالَكُما وما يُخرج لَكُما مِن مَكمنِ العدمِ حينًا فحينًا.

قوله: «وفي الحديثِ: مِن شأنِه أَنْ يغفرَ ذنبًا ويفرجَ كربًا ويرفعَ قومًا ويضعَ آخرينَ»:

رواه ابنُ ماجَه وابنُ حِبَّان في «صحيحه» مِن حَديثِ أبي الدَّرداءِ[1].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، والبزار في «مسنده» (٤١٠٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٢٩)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٧٨) بصيغة الجزم موقوفاً عليه. وقال الدارقطني في «العلل» (٦/ ٢٢٩): والموقوف هو الصواب.

وللمرفوع شاهد آخر، رواه البزار (٢٢٦٨ ـ كشف) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: «يغفرُ ذنبًا ويكشف كربًا»، وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، قال في «التقريب»: ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان.

وله شاهد رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣١٦)، والبزار (٢٢٦٦-كشف)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٤)، والطبراني في «الأوسط» (٦٦١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٨١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٢٧)، من حديث عبد الله الأزدي رضي الله عنه. وفي سنده عمرو بن بكر السكسكي وهو متروك كما في «التقريب».

(٣١ ـ ٣٣) ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ أي: سَنتجرَّدُ لحسابِكُم وجَزائِكُم، وذلك يومَ القيامةِ، فإنَّه تعالى لا يفعَلُ فيه غيرَه.

وفيه تهديدٌ، مستعارٌ مِن قولِكَ لِمَن تُهدِّدُه: سأفرغُ لك، فإنَّ المُتجرِّدَ للشَّيءِ كانَ أقوى عليهِ وأجَدَّ فيه.

وقرأَ حَمزَةُ والكِسائيُّ بالياءِ(١).

وقُرِئَ: (سَنَفْرُغُ إليكُم)(٢)؛ أي: سنقصدُ إليكم، والثَّقلانِ: الإنسُ والجنُّ، سُمِّيَا بذلك لثقلِهما على الأرضِ أو لرزانةِ رَأيِهم وقَدرِهم، أو لأنَّهما مُثقلانِ بالتَّكليفِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إن قدرتُم أن تخرُجوا مِن جوانبِ السَّماواتِ والأرضِ هاربينَ مِن اللهِ فارِّينَ مِن قضائِه ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ فاخرُجوا.

﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تقدرونَ على النُّفوذِ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ إلا بقوَّةٍ وقَهرٍ، وأنَّى لَكُم ذلك، أو إن قدرْتُم أن تنفُذُوا لتَعلَمُوا ما في السَّماواتِ والأَرضِ فانفُذُوا لتَعلَمُوا، لكِنْ لا تَنفُذونَ ولا تَعلَمُونَ إلا ببيِّنَةٍ نَصبَها اللهُ فتَعرُجونَ عليها بأفكارِكُم.

(٣٤ ـ ٣٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

(١) وقراءة الباقين بالنون، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٢) ذكرها أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ٢٤٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٣١).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: مِن التَّنبيهِ والتَّحذيرِ والمساهلةِ والعَفوِ مع كمالِ القدرةِ، أو مما نُصِبَ مِن المصاعدِ العقليَّةِ والمعارجِ النَّقليَّةِ فتنفذونَ بها إلى ما فوقَ السَّماواتِ العلى.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ لهبٌ ﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ ودخانٌ، قال:

يضـيءُ كضـوءِ سـراجِ السَّـليـ ... ـطِ لـم يجعَـلِ اللهُ فيه نُحاسًـا

أو صُفرٌ مُذابٌ يُصَبُّ على رُؤوسِهِم.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ﴿شِواظٌ﴾ بالكسرِ(١)، وهو لغةٌ ﴿ونحاسٍ﴾ بالجرِّ عطفًا على ﴿نَّارٍ﴾، ووافقَهُ فيه أبو عمرٍو ويعقوبُ في روايةٍ(٢).

وقُرِئَ (ونُحُسٍ) وهو جمعٌ كَلُحُفٍ(٣).

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تَمتَنِعانِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنَّ التَّهديدَ لطفٌ، والتَّمييزَ بين المطيعِ والعاصي بالجَزاءِ والانتقامِ مِن الكُفَّارِ(٤) مِن عِدادِ الآلاءِ.

قوله:

«يُـضِيءُ كضَـوءِ سَراجِ السَّـليـ ... ـطِ لم يجعَـلِ اللهُ فيهِ نُحاسَـا»(٥)

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨١).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٠)، و«البحر» (٢٠/ ١٤٣)، عن الحسن وإسماعيل.

(٤) في (ض) زيادة: «فيكون».

(٥) كذا في النسخ الخطية بلا تعليق، والبيت للنابغة الجعدي في «ديوانه» (ص: ٨١)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٨)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٤٥)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٨٦)، =

(٣٧ ـ ٤٠) ـ ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أي: حمراءَ كوردةٍ، وقُرِئَت بالرَّفعِ[1] على (كان) التَّامَّةِ، فيكونُ مِن بابِ التَّجريدِ، كقولِه:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لَأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ ... نَحْوَ الغَنَائِمِ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ

﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ مذابةً كالدُّهنِ، وهو اسمٌ لِمَا يُدْهَنُ به، كالخزامِ، أو جمعُ دُهنٍ، وقيل: هو الأديمُ الأحمرُ.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أي: ممَّا يكونَ بعدَ ذلك.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: فيومَ تنشقُّ السَّماءُ ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ لأنَّهم يُعرَفُونَ بسِيماهُم، وذلك حينَما يخرجونَ مِن قُبورِهم ويُحشَرُونَ إلى الموقفِ ذَوْدًا ذَوْدًا على اختلافِ مَراتِبِهم.

وأمَّا قولُه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ ﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوُه فحينَ يُحاسَبونَ في المَجمعِ، والهاءُ للإنسِ باعتبارِ اللفظِ، فإنَّه وإنْ تأخَّرَ لَفْظًا تقدَّمَ رُتبةً.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أي: ممَّا أنعمَ اللهُ على عِبادِه المؤمنينَ في هذا اليومِ.

= و«غريب القرآن» له (ص: ٤٣٨)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٩١)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٥٣٦)، و«الصحاح» (مادة: نحس). ونسب للأعشى في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣١) وليس في ديوانه.

(١) وهي قراءة عبيد بن عمير، انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٥٦)، و«البحر» (٢٠/ ١٤٥).

قوله:

«فلَئِن بقيتُ لأَرْحَلَنَّ بغَزْوَةٍ نحوَ الغنائِمَ أو يَمُوتَ كَرِيمُ»[1]

(٤١ ـ ٤٦) ـ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ وهو ما يَعلوهُم مِن الكآبةِ والحُزنِ.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ مَجمُوعًا بينهما، وقيل: يؤخذونَ بالنَّواصي تارةً وبالأقدامِ أخرى.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ بينَ النَّارِ يُحرقونَ بها ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ حارٍّ ﴿ءَانٍ﴾ بلغَ النِّهايةَ في الحرارةِ يُصَبُّ عليهم أو يُسقَونَ منه.

وقيل: إذا استغاثُوا مِن النَّارِ أُغيثُوا بالحَميمِ.

---

(١) كذا في النسخ بلا تعليق، والبيت لقتادة بن مسلمة الحنفي كما في «الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ٥٤٣)، و«الفائق» (٢/ ٤١).

قال المرزوقي: اللام من «لئن» موطئةٌ للقسم، و«لأرحلن» جوابه، وقوله: «نحو الغنائم» ظرفٌ لـ«أرحلن»، ورواه بعضهم: «تحوي الغنائم»، ويكون صفةً لـ«غزوة»؛ أي: حاويةٍ للغنائم، وقوله: «أو يموت كريم»، «أو» بدلٌ من «إلا»، و«يموت» ينتصب بـ«أنْ» مضمرة، كأنه قال: إلا أن يموت كريم، ويعني بالكريم نفسَه.

وقال الطيبي: قوله: «وهو من الكلام الذي يسمى التجريد» وهو: أن يُنتزع من أمرٍ ذي صفةٍ آخَرَ مِثْلَه فيها لكمالها فيه، جرَّد هاهنا من السماء شيئًا يسمَّى وردة، وهي هي، كما جرد الشاعر من نفسه صفة الكرم وجعلها بمنزلة شخص لكمالها فيه، وعلى المشهور تشبيه محض، أي: كانت السماء كالوردة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ موقفَه الذي يقفُ فيه العبادُ للحِسابِ، أو قيامَه على أحوالِه، مِن قامَ عليه: إذا راقبَهُ، أو مقامَ الخائفِ عندَ ربِّه للحسابِ بأحدِ المَعنيينِ، فأضافَ إلى الربِّ تفخيمًا وتهويلًا، أو ربِّه، و﴿مَقَامَ﴾ مُقحَمٌ للمبالغةِ كقولِه:

ذَعَـرْتُ بِـهِ القَطَـا وَنَفَيْـتُ عَنْهُ مَقَـامَ الذِّئْـبِ كَالرَّجُـلِ اللَّعِيـنِ

﴿جَنَّتَانِ﴾ جنَّةٌ للخائفِ الإنسيِّ، والأخرى للخائفِ الجنيِّ، فإنَّ الخطابَ للفَريقينِ، والمعنى: لكلِّ خائِفَينِ مِنكُما، أو لكلِّ واحدٍ جَنَّةٌ لعقيدَتِه وأخرى لعَملِه، أو جنةٌ لفعلِ الطَّاعاتِ وأخرى لتركِ المعاصي، أو جنَّةٌ يثابُ بها وأخرى يتفضَّلُ بها عليه، أو روحانيَّةٌ وجسمانيَّةٌ، وكذا ما جاءَ مُثنًّى بعدُ.

قوله:

«ذعـرت بـه القطـا ونفيـتُ عنـهُ مَـقامَ الذِّئْـبِ كالرَّجُـلِ اللَّعـينِ»

تمامُه:

وَمَـاءٍ قَـدْ وَرَدْتُ لـوصـلِ أَروى عليـه الطيـرُ كالـورَقِ اللّجَيـنِ(١)

---

(١) البيتان للشماخ بن ضرار يذكر ماء ورده، انظر: «ديوانه» (ص: ٣٢٠ ـ ٣٢١)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٨)، و«مجاز القرآن» (١/ ٤٦)، و«المعاني الكبير» (١/ ١٩٤)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٧)، و«الفاخر» للمفضل (ص: ٨)، و«معاني القرآن للزجاج» (١/ ١٧٠).
وقال الشهاب في «الحاشية على البيضاوي» (٨/ ١٣٦): يعني به أنه ورده وهو خال من الناس قبل كل أحد، واللجين بفتح اللام الذي خبط حتى تَلَجَّنَ؛ أي: تلزج، وقوله: «ذعرت به القطا...». خصهما لأن القطا أنكى الطيور، والذئب أنكى السباع، وقوله: كالرجل اللعين؛ أي: المطرود الذي خَلْفَه مَن يطلبُه فإنه لا ينام ويَرِدُ المياه قليلاً، وتفسيره بما يُتخذ في المزارع على هيئة رجل لتخويف الوحوش والطيور وطردها وإن ذهب إليه كثير ممن شرحه لكن الأوّل أظهر وأبلغ.

قال الطِّيبيُّ: [مضى] في سورة السَّجدةِ(١).

(٤٧ ـ ٥٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أنواعٍ مِن الأشجارِ والثِّمارِ، جمعُ فَنٍّ، أو أغصانٍ جمعُ فَنَنٍ، وهي الغِصَنَةُ التي تَتشعَّبُ مِن فرعِ الشَّجرةِ، وتخصيصُها بالذِّكرِ لأنَّها التي تُورِقُ وتُثمِرُ وتمدُّ الظِّلَّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيثُ شاؤوا في الأعالي والأسافلِ، قيل: إحداهُما التَّسنيمُ والأخرى السَّلسبيلُ.

(٥١ ـ ٥٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفانِ غريبٌ ومَعروفٌ، أو رطبٌ ويابسٌ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ من ديباجٍ ثخينٍ، وإذا كانت البطائنُ كذلك فما ظنُّكَ بالظَّهائرِ، و﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ مدحٌ للخائفينَ، أو حالٌ مِنهُم؛ لأنَّ مَن خافَ في معنى الجمعِ.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قريبٌ يَنالُه القاعدُ والمضطجعُ، و﴿جنى﴾ اسمٌ بمعنى مَجْنِيٍّ. وقُرِئَ بكسر الجيمِ(٢).

---

(١) أي: سورة فصلت والتي تسمى أيضاً السجدة. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ١٧١)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) حكاه محبوب كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٠).

(٥٥ ـ ٥٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ﴾ في الجنانِ، فإن ﴿جَنَّتَانِ﴾ تدلُّ على جنانٍ هي للخائفينَ، أو فيما فيهما من الأماكنِ والقُصورِ، أو في هذه الآلاءِ المعدودةِ مِن الجنَّتينِ والعينينِ والفاكهةِ والفُرشِ.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساءٌ قَصَرْنَ أبصارَهنَّ على أزواجهنَّ.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ لن يمسَّ الإنسيَّاتِ إنسٌ والجنيَّاتِ جنٌّ، وفيه دليلٌ على أن الجنَّ يَطمَثونَ.

وقرأ الكِسائيُّ بضمِّ الميمِ[1].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي: في حُمرةِ الوجنةِ وبياضِ البشرةِ وصَفائِهما.

(٥٩ ـ ٦١) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العملِ ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب وهو الجنَّة[2] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

(١) وهي بخلف عنه، والباقون بكسر الميم، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٢) «وهو الجنة» من (ض).

(٦٢ ـ ٦٥) ـ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ومن دونِ تَينِكَ الجنَّتينِ المَوعودتينِ للخائفينَ المقرَّبينَ جنتانِ لِمَن دونَهُم مِن أصحابِ اليمينِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ خضراوانِ تَضرِبانِ إلى السَّوادِ مِن شدَّةِ الخُضرَةِ، وفيه إشعارٌ بأنَّ الغالبَ على هاتينِ الجنَّتينِ النَّباتُ والرَّياحينُ المنبسطَةُ على وجهِ الأَرضِ، وعلى الأُوليَينِ الأَشجارُ والفواكِهُ دلالةً على ما بينَهُما مِن التَّفاوُتِ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٦٦ ـ ٦٩) ـ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوَّارتان بالماءِ، وهو أيضًا أقلُّ مما وصفَ به الأُوليَيْنِ، وكذا ما بعدَه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ عطفَهُما على الفاكِهَةِ بيانًا لفَضلِهِما، فإنَّ ثمرةَ النَّخلِ فاكهةٌ وغِذاءٌ، وثمرةَ الرُّمانِ فاكهةٌ ودواءٌ.

واحتجَّ به أبو حنيفةَ على أنَّ مَن حلفَ لا يأكلُ فاكهةً فأكلَ رُطبًا أو رُمَّانًا؛ لم يحنَثْ[1]، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٧٠ ـ ٧٤) ـ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

---

(١) انظر: «الأصل» للشيباني (٢/ ٣١٧).

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ أي: خَيِّراتٌ، فخُفِّفَت لأنَّ (خَيراً) الذي بمعنى (أَخْيَر) لا يُجمَعُ، وقد قُرِئَ على الأصلِ[1].

﴿حِسَانٌ﴾ حِسانُ الخُلُقِ والخَلْقِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ قُصِرْن في خُدورهنَّ، يقال: امرأة قصيرةٌ وقَصُورةٌ ومَقصورةٌ؛ أي: مُخدَّرةٌ، أو مقصوراتُ الطَّرفِ على أزواجهنَّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ كحورِ الأُولَيَيْنِ، وهم لأصحابِ الجنَّتينِ، فإنَّهما يَدُلَّانِ عليهم.

(٧٥ ـ ٧٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ وَسائدُ أو نَمارِقُ، جمعُ رَفْرفةٍ.

وقيل: الرَّفْرَفُ ضربٌ مِن البُسُطِ، أو ذيلُ الخيمةِ، وقد يقالُ لكلِّ ثوبٍ عَريضٍ.

﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ العبقريُّ: مَنْسُوبٌ إلى عَبْقَر، تزعمُ العربُ أنَّه اسمُ بلدِ الجنِّ، فينسبونَ إليهِ كلَّ شيءٍ عَجيبٍ، والمرادُ به الجنسُ، ولذلك جُمِعَ ﴿حِسَانٍ﴾ حملًا على المعنى.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمُه مِن حيثُ إنَّه مطلقٌ على ذاتِه، فما ظنُّك بذاتِه؟!

---

(١) وهي قراءة أبي عثمان النهدي، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥١).

وقيل: الاسمُ بمعنى الصِّفةِ، أو مقحمٌ كما في قولِه:

إِلَـى الحَوْلِ ثُمَّ اسْـمُ السَّـلَامِ عَلَيْكُمَا[(١)]

﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ بالرَّفعِ صفةً للاسمِ[(٢)].

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأ سورةَ الرَّحمنِ أدَّى شُكرَ ما أنعمَ اللهُ عليه».

قوله: «مَن قرأ سُورةَ الرَّحمنِ...» إلى آخره:

مَوضوعٌ[(٣)].

* * *

(١) صدر بيت للبيد بن ربيعة العامري وهو في «ديوانه» (ص: ٥١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٦)، و«الوحشيات» لأبي تمام (ص: ١٥٤)، وعجزه:

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٨٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: مصنوع بلا شكٍّ.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

سُورَةُ الوَاقِعَة

مَكيَّةٌ، وآيُها سبعٌ وتسعونَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ إذا حَدثت القِيامةُ، سمَّاها واقعةً لتَحقُّقِ وُقوعِها[1]، وانتصابُ (إذا) بمحذوفٍ مثل: اذكُرْ، أو كانَ كيتَ وكيتَ.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: لا يكونُ حين تقَعُ نفسٌ تكذبُ على اللهِ أو تكذبُ في نفيِها كما تكذبُ الآن، واللامُ مثلُها في قوله: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، أو ليس لأجلِ وقعَتِها كاذبةٌ، فإنَّ مَن أخبرَ عنها صدقَ، أو ليس لها حينئذٍ نفسٌ تحدثُ صاحبَها بإطاقةِ شِدَّتِها واحتمالِها وتُغريه[2] عليها، من قولهم: كَذبَتْ فلانًا نفسُه في الخطْبِ العظيمِ: إذا شجعَتْه عليه وسوَّلَت له أنه يُطيقُه.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تخفِضُ قومًا وترفعُ آخرينَ، وهو تقريرٌ لعظمَتِها، فإنَّ الوقائعَ العظامَ كذلك، أو بيانٌ لما يكونُ حينئذٍ مِن خفضِ أعداءِ الله ورفعِ أَوليائِه، أو إزالةِ الأجرامِ عن محازِّها بنثرِ الكواكبِ وتَسييرِ الجبالِ في الجوِّ.

---

(١) في (خ) زيادة: «كأنه قيل إذا وقعت التي لا من وقوعها».

(٢) في (ض): «وتعزيه»، قال الخفاجي في «حاشيته» (٨/ ١٤٠): قوله: «وتغريه» بالغين المعجمة والراء المهملة؛ أي تحثه عليها، وقيل إنه بالعين المهملة والزاي المعجمة أي تصبِّره، وليس ببعيد أيضًا.

وقُرِئتا بالنَّصبِ على الحالِ(١).

(٤ ـ ٧) ـ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾.

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ حُرِّكَت تحريكًا شديدًا بحيثُ ينهدِمُ ما فوقَها مِن بناءٍ وجبلٍ، والظَّرفُ مُتعلِّقٌ بـ﴿ خَافِضَةٌ ﴾ أو بدلٌ مِن ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ﴾.

﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي: فُتِّت حتَّى صارت كالسَّويقِ المَلْتوتِ، مِن بَسَّ السَّويقَ: إذا لتَّه، أو سِيقَتْ وسُيِّرت، مِن بَسَّ الغنمَ: إذا ساقَها.

﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً ﴾ غبارًا ﴿ مُّنۢبَثًّا ﴾ منتشرًا.

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافًا ﴿ ثَلَٰثَةً ﴾ وكلُّ صنفٍ يكونُ أو يُذكَرُ مع صنفٍ آخرَ فهو زوجٌ.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾.

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ فأصحابُ المنزلةِ السَّنِيَّةِ وأصحابُ المنزلةِ الدَّنِيَّةِ مَن تيمُّنُهم بالمَيامنِ وتَشاؤُمُهم بالشَّمائلِ، أو أصحابُ الميمنةِ وأصحابُ المشأمَةِ الذين يؤتونَ صحائِفَهُم بأيمانِهم والذين يُؤتَوْنَها بشَمائِلِهم(٢)، أو أصحابُ اليُمنِ والشُّؤمِ فإنَّ السُّعداءَ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥١)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٥)، عن اليزيدي والحسن والثقفي وأبي حيوة.

(٢) في (ض): «أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم، والذين يؤتونها بشمائلهم، أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل».

مَيامينُ على أنفُسِهم بطاعَتِهم، والأشقياءُ مَشائيمُ عليها بمَعصِيَتِهم.

والجُملتانِ الاستفهاميَّتانِ خبرانِ لِمَا قبلَهما بإقامةِ الظَّاهرِ مقامَ الضَّميرِ، ومعناهُما التَّعجيبُ مِن حالِ الفَريقينِ.

(١٠ ـ ١٢) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ والذينَ سَبقوا إلى الإيمانِ والطَّاعةِ بعد ظهورِ الحقِّ مِن غيرِ تَلعثُمٍ وتوانٍ[1].

أو سَبقوا في حيازةِ الفَضائلِ والكمالاتِ، أو الأنبياءُ فإنَّهُم مُقَدَّمو أهلِ الأديانِ هم الذين عرفتَ حالَهم وعرفتَ مآلَهُم كقولِ أبي النَّجمِ:

وَشِعْرِي شِعْرِي

أو الذينَ سبقُوا إلى الجنَّةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الذين قُرِّبَت درجاتُهُم في الجنَّةِ وأُعْلِيَت مراتبُهم.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

قوله:

«أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي»

تمامُه:

لله دَرِّي مَا أَحْسَنَ صَدْرِي

تَنَامُ عَيْنِي وَفُؤَادِي يَسْرِي مَعَ العَفَارِيتِ بِأَرْضٍ قَفْرِ[2]

---

(١) في (ت) زيادة: «وشرود قلب».

(٢) انظر: «ديوان أبي النجم» (ص: ١٩٨ - ١٩٩)، وقد تقدم الاستشهاد به غير مرة.

قال الطِّيبِيُّ: إنما أَوقَعَ (أبو النَّجمِ) خبرًا لتضمُّنِه نوعَ وصفيَّةِ الكَمالِ واشتهارِه به، كلما أُطلِقَ اسمُه بادَرَت الصِّفَةُ في الذِّهنِ(١).

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: هم كثيرٌ من الأوَّلين؛ يعني: الأممَ السَّالفةَ مِن لَدُن آدمَ عليه السَّلامُ إلى محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني: أمَّةَ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، ولا يخالِفُ ذلك قولَه عليه السَّلامُ: «إنَّ أمَّتي يَكثُرونَ سائرَ الأُمَمِ» لجوازِ أن يكونَ سابقو سائرِ الأممِ أكثرَ مِن سابقي هذه الأمَّةِ، وتابعو هذه أكثرَ مِن تابعيهِم، ولا يردُّه قولُه في أصحابِ اليمينِ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ لأنَّ كثرةَ الفريقينِ لا تُنافي أكثريَّةَ أحدِهما، ورُوِيَ مرفوعًا أنَّهما مِن هذه الأمَّةِ، واشتقاقُها مِن الثَّلِّ، وهو القَطْعُ.

قوله: «ولا يخالفُ ذلك قولَه عليهِ السَّلام: «إنَّ أُمَّتي يكثرونَ سائرَ الأُمَمِ»(٢).

قوله: «ورُوِيَ مَرْفُوعًا أَنَّهما مِن هذهِ الأُمَّة»:

رواه مُسدَّدٌ في «مسنده» والطَّبرانيُّ وابنُ مردويه مِن حَديثِ أبي بكرةَ عَن النَّبيِّ ﷺ في قولِه تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: «هما جميعًا من أُمَّتي».

قال الدَّارقُطنيُّ في «علله»: هذا حديثٌ لم يَثبُت(٣).

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ١٨٦).

(٢) كذا في النسخ بلا تعليق، وقال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): لم أقف عليه.

(٣) روي عن النبي ﷺ بلفظ: «الثلتان جميعاً من أمتي»، من حديث أبي بكرة ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهم: =

(١٥ ـ ١٩) ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ خبرٌ آخرُ للضَّميرِ المحذوفِ، والمَوْضُونةُ: المنسوجةُ بالذَّهبِ مشبَّكةً بالدُّرِّ والياقوتِ، أو المتواصلةُ مِن الوَضْنِ، وهو نسجُ الدِّرعِ.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ حالانِ مِن الضَّميرِ في (على).

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمةِ ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ مُبقَونَ أبدًا على هيئةِ الوِلدانِ وطَراوتِهم.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ حالَ الشُّربِ وغيرِه، والكوبُ: إناءٌ لا عُروةَ له ولا خُرطومَ، والإبريقُ: إناءٌ له ذلك ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ مِن خمرٍ.

= أما حَدِيث أبي بكرة فروي مرفوعاً وموقوفاً:

أما المرفوع فرواه مُسَدَّد في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٧٤٥) عن خاقان بن عبد الله بن الأهتم، عن علي بن زيد، عن عقبة بن صَهْبان، عن أبي بكرة عن النَّبي ﷺ.

ورواه الطبراني كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٠٣) من طريق حجاج بن المنهال عن حَمَّاد بن سَلَمَة عن علي بن زيد به.

قال الدارقطني في «العلل» (٧/ ١٦٤): وخاقانُ ليس بالقوي، وكان يحيى القَطَّانُ حَدَّث به عن حَمَّادِ بن سلمةَ عن عليٍّ بن زيد عن عقبةَ بن صهبانَ عن أبي بكرةَ عن النبي ﷺ ثم تركه.

وأما الموقوف فرواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٩٢٧): ثنا حَمَّاد بن زيد عن علي بن زيد عن عقبة بن صهْبَان عن أبي بكرة في قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: كلتاهما جميعًا من هذه الأمة. قال الطَّيالسي: وقد رواه الحجَّاج عن حمَّاد بن سلمة فرفعه إلى النبي ﷺ. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٢): والموقوف أولى بالصواب، وعلي ضعيف.

أما حديث ابن عباس فرواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٨٦)، من طريق أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «هما جميعا من أمتي»، وأبان متروك.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لخُمارٍ ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا تَنزفُ[1] عقولُهم، أو لا يَنفدُ شرابُهم.

وقُرِئَ: (لا يَصَّدَّعونَ)[2] بمعنى: لا يتصدَّعونَ؛ أي: لا يتفرَّقونَ.

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يختارونَ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يتمنَّوْنَ.

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ عطفٌ على ﴿وِلْدَٰنٌ﴾، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ؛ أي: وفيها، أو ولهم حورٌ.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ بالجرِّ عطفًا على ﴿جَنَّٰتِ﴾[3] بتقديرِ مُضافٍ؛ أي: هم في جنَّاتٍ ومُصاحبةِ حورٍ، أو على ﴿أكواب﴾ لأنَّ معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ﴾ يُنعَّمونَ بأكوابٍ.

وقُرِئَتا بالنَّصبِ[4] على: ويُؤتَوْنَ حورًا.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ المَصونِ عمَّا يُضِرُّ به في الصَّفاءِ والنَّقاءِ[5].

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: يفعلُ ذلك كلَّه بهم جزاءً لأعمالِهم.

قوله: «بالجرِّ عَطْفًا على ﴿جَنَّٰتِ﴾ بتقديرِ مُضافٍ أي: هُم في جنَّاتٍ ومُصاحبةِ حُورٍ»:

---

(١) في (ض): «ولا ينزف».

(٢) وهي قراءة مجاهد، انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٨٠)، و«البحر»: (٢٠/ ١٧٢).

(٣) وقراءة الباقين بالرفع، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥١)، و«المحتسب» (٢: ٣٠٩)، عن أبي وابن مسعود.

(٥) في (ت) نسخة: «والبقاء».

قال أبو حيَّان: هذا فيه بُعْدٌ وتفكيكُ كَلامٍ مُرتبطٍ بعضُه ببعضٍ، وهو فهمٌ أَعجَمِيٌّ[١].

وقال الحَلَبِيُّ: الذي ذهبَ إليه مَعنًى حَسَنٌ جدًّا[٢].

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾.

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ باطلًا ﴿ وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ ولا نسبةً إلى الإثمِ؛ أي: لا يقالُ لهم: أَثِمْتم.

﴿ إِلَّا قِيلًا ﴾ إلا قولًا، ﴿ سَلَامًا سَلَامًا ﴾ بدلٌ مِن ﴿ قِيلًا ﴾ كقوله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾، أو صفتُه، أو مفعولُه بمعنى: إلَّا أن يقولوا سلامًا، أو مصدرٌ، والتَّكريرُ للدَّلالةِ على فشوِّ السَّلامِ بينهم.

وقُرِئَ: (سلامٌ سلامٌ) على الحكايةِ[٣].

(٢٧ ـ ٣٠) ـ ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾.

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ لا شوكَ له، مِن خَضَدَ الشَّوكَ: إذا قطعَه، أو مَثْنِيٍّ أغصانُه مِن كثرةِ حملِه، مِن خَضَد الغُصنَ: إذا ثناهُ وهو رطبٌ.

﴿ وَطَلْحٍ ﴾ وشجرِ موزٍ، أو أمِّ غيلانَ، وله أنوارٌ كثيرةٌ طيِّبةُ الرائحةِ.

وقُرِئَ بالعينِ[٤].

﴿ مَنْضُودٍ ﴾ نُضِد حِملُه مِن أسفلِه إلى أعلاه.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ١٧٣).

(٢) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ٢٠٢).

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٨٢)، وأجازها الفراء ولم يصرح بكونها قراءة، انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١٢٤).

(٤) ذكره الزمخشري عن علي بن أبي طالب، انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٨٣).

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ مُنبسطٍ لا يتقلَّصُ ولا يتفاوتُ.

(٣١ - ٣٣) - ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يُسكَبُ لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب، أو مَصبوبٍ سائل، كأنَّه لما شبَّه حالَ السَّابقين في التنعُّم بأعلى[١] ما يُتصوَّر لأهلِ المدنِ شبَّه حالَ أصحابِ اليمينِ بأكملِ ما يتمنَّاه أهلُ البوادي إشعارًا بالتَّفاوتِ بينَ الحالَين.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ كثيرةِ الأجناسِ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطِعُ في وقتٍ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تُمنَعُ عَن مُتناوِلِها بوجهٍ.

(٣٤ - ٣٧) - ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ رفيعةِ القَدرِ، أو مُنضدةٍ مُرتفعةٍ، وقيل: الفُرُشُ النِّساءُ، وارتفاعُها أنَّها على الأرائكِ، ويدلُّ عليه قولُه:

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: ابتدأناهُنَّ ابتداءً جديدًا مِن غيرِ ولادةٍ، ابتداءً أو إعادةً، وفي الحديثِ: «هنَّ اللواتي قُبِضنَ في دارِ الدُّنيا عجائزَ شُمْطًا رُمْصًا، جعلهنَّ اللهُ بعدَ الكِبَرِ أترابًا على ميلادٍ واحدٍ، كلَّما أتاهنَّ أزواجُهُنَّ وَجدوهُنَّ أبكارًا».

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا﴾ مُتحبِّباتٍ إلى أزواجهنَّ، جمعُ عَروبٍ.

وسكَّنَ راءَهُ حمزَةُ، ورُوِيَ عن نافعٍ وعاصمٍ مثلُه[٢].

﴿أَتْرَابًا﴾ فإنَّ كُلَّهُنَّ بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ، وكذا أزواجهنَّ.

قوله: «وفي الحديثِ: هنَّ اللَّواتي قبضنَ في دارَ الدُّنيا..» إلى آخره:

---

(١) في (خ) و(ت): «بأكمل».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧)، و«النشر» (٢/ ٢١٦).

رواهُ الثَّعلبيُّ في «تفسيره» من حديثِ أمِّ سلمَةَ[1].

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾.

﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(أنشأنا) أو (جعلنا)، أو صِفةٌ لـ﴿أَبْكَارًا﴾ أو خبرٌ لِمَحذوفٍ مثلُ: هنَّ، أو لقولِه: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ وهي على الوُجوهِ الأُوَلِ خبرُ مَحذوفٍ.

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾.

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ ﴾ في حرِّ نارٍ يَنفُذُ في المسامِّ.

﴿وَحَمِيمٍ ﴾ وماءٍ مُتناهٍ في الحَرارةِ.

﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ مِن دُخانٍ أسودَ، يَفْعُول مِن الحُمَمَةِ.

﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائـرِ الظلِّ ﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ولا نافعٍ، نفى بذلك ما أوهمَهُ الظِّلُّ من الاسترواحِ.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ مُنهمكينَ في الشَّهواتِ.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥) من من طريق إسماعيل بن أبي زياد، عن الحسن، عن أم سلمة به إلى قوله: «على مِيلادٍ واحد في الاستواء». وإسماعيل بن أبي زياد قال في «التقريب»: متروك كذبوه. لكن رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٦٥) من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة، بنحوه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ الذَّنبِ العظيمِ؛ يعني: الشِّركَ، ومنه: بلغَ الغُلامُ الحنثَ؛ أي: الحُلمَ ووقتَ المؤاخذةِ بالذَّنبِ، وحَنِثَ في يمينِه خلافُ: بَرَّ فيها، وتحنَّثَ: إذا تأثَّم.

(٤٧ ـ ٥٠) ـ ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ كُرِّرت الهمزةُ للدَّلالةِ على إنكارِ البعثِ مُطلقًا وخصوصًا في هذا الوقتِ كما دخلَتِ العاطفةُ في قولِه:

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ ذلك أشدُّ إنكارًا في حقِّهم لتقادُمِ زمانِهم، وللفصلِ بها حَسُنَ العطفُ على المستكنِّ في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿أوْ﴾ بالسُّكونِ[1]، وقد سبقَ مِثلُه، والعامِلُ في الظَّرفِ ما دلَّ عليه (مبعوثون) لا هو؛ للفصلِ بـ(أن) والهمزةِ.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ﴾ وقُرِئ: (لَمُجَمَّعُونَ)[2].

﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما وقِّتَ به الدُّنيا وحُدَّ مِن يومٍ مُعيَّنٍ عندَ اللهِ مَعلومٍ له.

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ أي: بالبعثِ، والخِطابُ لأهلِ مكَّةَ وأَضرابِهم.

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ (مِن) الأُولى للابتداءِ، والثَّانيةُ للبيانِ.

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) حكاها أبو معاذ عن بعض المصاحف، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢) وضبطت: (لمُجْمَعون)، والمثبت موافق لما ضبط في «الكشاف» (٥/ ٥٨٨).

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ مِن شدَّةِ الجوعِ.

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ لغلبةِ العَطشِ، وتأنيثُ الضَّميرِ في (منها) وتذكيرُه في (عليه) حملًا على معنى الشَّجرِ ولَفظِه.

وقُرِئَ: (مِن شجرةٍ)[1] فيكونُ التَّذكيرُ للزَّقُّومِ؛ فإنَّه تفسيرُها.

﴿فشاربونَ شَرْبَ الهيمِ﴾ الإبلِ التي بها الهُيامُ، وهو داءٌ يُشبهُ الاستسقاءَ، جمعُ أَهْيَمَ وهَيْمَاءَ، قال ذو الرُّمة:

فَأَصْبَحْتُ كَالهَيْمَاءِ لَا المَاءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا وَلَا يَقْضِي عَلَيْهَا هُيَامُهَا

وقيل: الرِّمالُ على أنه جمعُ هَيَامٍ بالفتحِ، وهو الرَّملُ الذي لا يتماسَكُ، جُمِعَ على هُيُمٍ كسُحُبٍ، ثم خُفِّفَ وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجمعِ أَبيَض، وكلٌّ مِن المعطوفِ والمَعطوفِ عليه أخصُّ مِن الآخرِ مِن وَجهٍ فلا اتِّحادَ.

وقرأَ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ ﴿شُرْبَ﴾ بضمِّ الشِّينِ[2].

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يومَ الجزاءِ، فما ظَنُّكَ بما يكونُ لهم بعدَما استقرُّوا في الجَحيمِ؟! وفيه تهكُّمٌ كمَا في قولِه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأنَّ النُّزُلَ ما يُعَدُّ للنَّازلِ تكرِمَةً له.

وقُرِئَ (نُزْلُهُم) بالتَّخفيفِ[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢) من رواية هارون عن أبي عمرو.

قوله: «وتأنيثُ الضَّميرِ في ﴿مِنْهَا﴾ وتذكيرُه في (عليه) حملاً على معنى الشَّجرِ ولفظِه»:

قال ابنُ المُنيِّرِ: لو أعادَه على الشَّجَرِ باعتبارِ كونِه مأكولًا لقولِه ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ﴾، ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: على أكلِهم= لكانَ أحسنَ(١).

قوله: «قال ذو الرُّمَّةِ:

فَأَصْبَحْتُ كَالهَيْمَاءِ لَا المـاءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا وَلَا يَقْضِي عَلَيْهَا هُيَامُهَا»(٢)

قال الطِّيبِيُّ: صَدَاهَا: عَطَشُها، وَلا يَقْضِي علَيْها: لا يَقتُلُها العطشُ(٣).

(٥٧ ـ ٥٩) ـ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالخلقِ مُتيقِّنينَ مُحققينَ للتَّصديقِ بالأعمالِ الدَّالَّةِ عليه، أو بالبعثِ، فإنَّ مَن قدرَ على الإبداءِ قَدَرَ على الإعادةِ.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تقذفونَه في الأرحامِ مِن النُّطفِ.

وقُرِئَ بفتحِ التَّاءِ(٤) مِن مَنَى النُّطفةَ بمَعنى أمناهَا.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تجعلونَه بشرًا سويًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

---

(١) نقله الطيبي في «فتوح الغيب» (١٥/ ٢٠٣)، ولم نقف عليه في «الانتصاف» عند تفسير هذه الآية.

(٢) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١٠٠٠)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٥٥٩)، يعني الإبل، والهيماء: التي بها داء الهيام، فهي تشرب فلا تروى، وقوله: «لا يقضي عليها هيامها»؛ أي: ولا تموت، قاله شارح الديوان.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ٢٠٤).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥).

(٦٠ ـ ٦٢) ـ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ قسمناهُ عليكُم وأقَّتْنا موتَ كُلٍّ بوَقتٍ مُعيَّنٍ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ بتَخفيفِ الدَّالِ[1].

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ لا يسبِقُنا أحدٌ فيهربَ من الموتِ أو يُغيرَ وقتَه، أو لا يَغلِبُنا أحدٌ، مِن سَبَقْتُه على كذا: إذا غَلَبْتَه عليه.

﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ على الأوَّلِ حالٌ، أو عِلَّةٌ لـ﴿قَدَّرْنَا﴾، و(على) بمعنى اللامِ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ اعتراضٌ، وعلى الثَّاني صِلَةٌ، والمعنى: على أَنْ نُبدِّلَ منكم أشباهَكُم فنخلقَ بدلَكُم، أو نبدلَ صِفاتِكُم على أنَّ ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ جمعُ مِثْلٍ ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في خلقٍ أو صفاتٍ لا تعلمونَها.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ مَن قدَرَ عليها قدَرَ على النَّشأةِ الأخرى فإنَّها أقلُّ صنعًا لحصولِ الموادِّ وتخصيصِ الأَجزاءِ وسبقِ المثالِ، وفيه دليلٌ على صِحَّةِ القياسِ.

(٦٣ ـ ٦٧) ـ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تبذُرونَ حَبَّه ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تُنبتونَه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المنبتون.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ هشيمًا ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبونَ أو تندمونَ على

---

(١) وقراءة الباقين بالتشديد، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

اجتهادِكُم فيه، أو على ما أُصِبْتُم لأجلِه مِن المعاصي فتتحدثونَ فيه، والتَّفكُّهُ التَّنقُّلُ بصنوفِ الفاكهةِ، وقد استُعيرَ للتَّنقُّلِ بالحديثِ.

وقُرِئَ (فَظِلْتُم) بالكسرِ[١]، و(ظَلِلْتُم) على الأصلِ[٢].

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ لَمُلزَمُونَ غرامةَ ما أنفقْنا، أو مُهلكونَ لهلاكِ رزقِنا من الغَرامِ، وهو الهلاكُ.

وقرأ أبو بكر: ﴿أإنا﴾ على الاستفهامِ[٣].

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قومٌ ﴿مَحْرُومُونَ﴾ حُرِمنا رِزقَنا، أو محدودونَ لا مَجدودونَ.

(٦٨ ـ ٧٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ أي: العذبَ الصَّالحَ للشُّربِ.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ من السَّحابِ، واحدُه مُزْنَةٌ.

وقيل: المزنُ السَّحابُ الأبيضُ وماؤُه أعذَبُ.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقُدرَتِنا، والرُّؤيةُ إن كانت بمَعنى العلمِ فمعلَّقةٌ بالاستفهامِ.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مِلحًا، أو مِن الأَجِيجِ فإنَّه يحرقُ الفمَ، وحُذِفَت اللامُ الفاصلةُ بين جوابِ ما يتمحَّضُ[٤] للشَّرطِ وما يتضمَّنُ معناه لعلمِ السَّامعِ بمَكانِه، أو

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٢٧) عن ابن مسعود، و«الكامل» للهذلي (ص: ٥٩٩) عن ابن أبي عبلة وأبي حيوة وقتادة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢) عن الجحدري.

(٣) والباقون بهمزة واحدة، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٤) في (ت): «يتحقق».

الاكتفاءِ بسبقِ ذكرِها، أو يختصُّ ما يُقصدُ لذاتِه ويكونُ أهمَّ، وفقدُه أصعبَ بمزيدِ[1] التَّأكيدِ.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أمثالَ هذه النِّعَمِ الضَّروريَّةِ.

(٧١ ـ ٧٤) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ تقدحونَ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ يعني: الشَّجرةَ التي منها الزِّنادُ.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ جعلنا نارَ الزنادِ ﴿تَذْكِرَةً﴾ تبصِرةً في أمرِ البَعثِ كما مرَّ في سورةِ (يس)، أو في الظَّلامِ، أو تذكيرًا وأُنموذجًا لنارِ جهنَّم.

﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومنفعةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للذين يَنزلونَ القَواء، وهي القَفْرُ، أو للذين خلَتْ بُطونُهم أو مَزاودُهم مِن الطَّعامِ، مِن أَقْوَتِ الدَّارُ: إذا خلَتْ مِن سَاكنيهَا.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فأَحْدِث التَّسبيحَ بذكرِ اسمِه أو بذكرِه، فإنَّ إطلاقَ اسمِ الشَّيء ذكرُه، و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفةٌ للاسمِ أو الرَّبِّ، وتعقيبُ الأمرِ بالتَّسبيحِ لما عدَّدَ مِن بدائعِ صُنعِه وإنعامِه إمَّا لتنزيهِه تعالى عمَّا يقولُ الجاحدونَ لوحدانيَّتِه الكافرونَ لنِعمَتِه، أو للتَّعجُّبِ مِن أمرِهم في غَمْطِ نعمِه، أو للشُّكرِ على ما عدَّها مِن النِّعَمِ.

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ إذ الأمرُ أوضحُ مِن أن يحتاجَ إلى قَسَمٍ، أو فأُقْسِمُ، و(لا) مزيدةٌ للتَّأكيدِ كما في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩]، أو فلأَنا أقسمُ، فحذفَ المبتدأَ، وأَشبعَ فتحةَ

---

(١) في (خ): «المزيد».

لامِ الابتداءِ، ويدلُّ عليه أنَّه قرئ: (فَلَأُقْسِمُ)[١]، أو فلا ردٌّ لكلامٍ يُخالِفُ المُقسَمَ عليه.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمَساقطِها، وتخصيصُ المغاربِ لِمَا في غُروبِها مِن زوالِ أثرِها والدَّلالةِ على وجودِ مُؤثِّرٍ لا يزولُ تأثيرُه، أو بمَنازِلِها ومَجاريها، وقيل: النُّجومُ نُجومُ القُرآنِ، ومَواقِعُها: أوقاتُ نُزولِها[٢].

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لِمَا في المُقسَمِ به مِن الدَّلالةِ على عظيمِ القُدرةِ وكمالِ الحكمةِ وفرطِ الرَّحمةِ، ومِن مُقتضياتِ رَحمَتِه أن لا يتركَ عبادَهُ سُدى، وهو اعتراضٌ في اعتراضٍ، فإنَّه اعتراضٌ بينَ القَسَمِ[٣] والمُقسَمِ عليه.

و﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراضٌ بينَ الموصوفِ والصِّفةِ.

(٧٧ ـ ٨٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ كثيرُ النَّفعِ لاشتمالِه على أُصولِ العُلومِ المُهمَّةِ في إصلاحِ المعاشِ والمعادِ، أو حسنٌ مَرضيٌّ في جنسِه.

﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مَصونٍ، وهو اللوحُ.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يطلعُ على اللوحِ إلا المطهَّرونَ مِن الكُدوراتِ الجِسمانيَّةِ، وهم الملائكةُ، أو لا يمسُّ القرآنَ إلَّا المُطهَّرُونَ مِن الأحداثِ، فيكونُ نَفْيًا بمعنى نَهيٍ، أو لا يطلبُه إلَّا المطهَّرُونَ مِن الكُفرِ.

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٠٩).

(٢) في (ت) زيادة: «وقرأ حمزة والكسائي: بموقع».

(٣) في (ت) و(ض): «المقسم».

وقُرِئَ: (المُتَطَهِّرُونَ)[1]، و: (المُطَّهِرُونَ)[2]، و: (المُطْهَرُونَ)[3]، مِن أطهَره بمَعنى طهَّرَه، و: (المطهِّرُونَ)[4] أي: أنفسَهُم أو غيرَهُم بالاستغفارِ لهم والإلهامِ.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صِفةٌ ثالثةٌ أو رابعةٌ للقرآنِ، وهو مَصدَرٌ نُعِتَ به.

وقُرِئَ بالنَّصبِ[5]؛ أي: نُزِّلَ تنزيلًا.

(٨١ ـ ٨٢) ـ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ مُتهاوِنونَ به، كمَنْ يُدهِنُ في الأمرِ أي: يَلينُ جانبُه ولا يتصلَّبُ فيه تهاونًا به.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شُكرَ رزقِكُم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: بمانِحه حيثُ تَنسُبونَه إلى الأنْواءِ.

وقُرِئَ (شُكرَكُم)[6] أي: وتجعلونَ شُكرَكُم لنعمةِ القرآنِ أَنَّكُم تُكذِّبونَ بِهِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٦).

(٢) نسبت لسلمان الفارسي رضي الله عنه وعبد الله بن عون والحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٥).

(٣) بسكون الطاء وفتح الهاء خفيفة، نسبت لنافع وأبي عمرو بخلاف عنهما، وهي قراءة عيسى الثقفي، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٥).

(٤) بفتح الطاء خفيفة وكسر الهاء وتشديدها، ونسبت لسلمان الفارسي رضي الله عنه أيضاً، انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٥).

(٥) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٩٩)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٦).

(٦) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٠).

و﴿تُكَذِّبُونَ﴾ أي: بقولِكُم في القرآنِ: إنَّه سحرٌ وشعرٌ، أو في المطرِ: إنَّه من الأنواءِ.

(٨٣ ـ ٨٥) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: النَّفسُ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ حالَكُم، والخطابُ لِمَن حولَ المُحتضَرِ، والواوُ للحالِ.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ ونحن أعلَمُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى المحتضَرِ ﴿مِنكُمْ﴾ عبَّرَ عن العلمِ بالقربِ الذي هو أقوى سببِ الاطلاعِ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ لا تدركونَ كُنْهَ ما يجري عليه.

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: مَجْزيِّينَ يومَ القيامةِ، أو مملوكينَ مَقهورينَ، مِن دانَهُ: إذا أذلَّهُ واستعبدَهُ، وأصلُ التَّركيبِ للذُّلِّ والانقيادِ.

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعونَ النَّفسَ إلى مقرِّها، وهو عاملُ الظَّرفِ والمُحضَّضُ عليه بـ(لولا) الأولى، والثَّانيةُ تكريرٌ للتَّوكيدِ، وهي بما في حَيِّزِها دليلُ جوابِ الشَّرطِ، والمعنى: إن كُنتُمْ غيرَ مملوكينَ مَجزيِّينَ كما دلَّ عليه جَحْدُكُم أفعالَ اللهِ وتكذيبُكُم بآياتِه.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في تعطيلِكُم، فلولا ترجعونَ الأرواحَ إلى الأبدانِ بعدَ بُلوغِها الحلقومَ.

(٨٨ ـ ٩١) ـ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: إن كانَ المُتوفَّى مِن السَّابقينَ.

﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحةٌ.

وقُـرِئَ: ﴿فرُوحٌ﴾ بالضم[1]، وفُسِّـرَ بالرَّحمةِ؛ لأنَّها كالسَّببِ لحيـاةِ المرحومِ وبالحياةِ الدَّائمَةِ.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزقٌ طيبٌ ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ ذاتُ تَنعُّمٍ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحبَ اليَمينِ ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: مِن إخوانِكَ يُسلِّمُونَ عليك.

(٩٢ ـ ٩٤) ـ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني: أصحابَ الشمالِ، وإنَّما وصفَهُم بأفعالِهم زَجْرًا عنها وإشعارًا بما أوجبَ لهم ما أوعدَهُم به.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ وذلـك مـا يَجِـدُ فـي القبـرِ مِـن سَـمُومِ النَّارِ ودُخانها.

---

(١) وهي قراءة رويس عن يعقوب، انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٣)، وقرأ بها ابن عباس، والحسن وقتادة والضحاك والأشهب ونوح القارئ وبديل وشعيب بن الحارث وسليمان التيمي والربيع بن خثيم، وأبي عمران الجوني، وأبي جعفر محمد بن علي والضحاك وفياض.
ورويـت عـن عائشـة رضـي الله عنهـا عـن رسـول الله ﷺ، كمـا رواه الإمـام أحمـد فـي «المسـند» (٢٤٣٥٢)، والطيالسـي فـي «مسـنده» (١٥٥٧) ـ ومـن طريقـه أبـو نعيـم فـي «الحليـة» (٣/ ٦٣) ـ وأبـو داود (٣٩٩١)، والترمـذي (٢٩٣٨) وحسـنه، والنسـائي فـي «الكبـرى» (١١٥٠٢).

(٩٥ ـ ٩٦) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الذي ذُكرَ في السُّورةِ، أو في شأنِ الفِرَقِ ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: حقُّ الخبرِ اليقينِ.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فنزِّهْهُ بذكرِ اسمِه عمَّا لا يليقُ بعظمةِ شأنِه.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأ سُورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلَةٍ لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبدًا».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلةٍ لم تُصِبْه فاقَةٌ أبدًا»:

رواه أبو يعلى في «مسنده» والبَيهقيُّ في «شعب الإيمان» مِن حَديثِ ابنِ مَسعودٍ[1].

***

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٠)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٧)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤١٣ - ٤١٤): قد تبين ضعف هذا الحديث من وجوه:

أحدها: الانقطاع، كما ذكره الدارقطني وابن أبي حاتم في «علله» نقلًا عن أبيه.

والثاني: نكارة متنه، كما قال أحمد.

والثالث: ضعف رواته، كما ذكره ابن الجوزي.

والرابع: الاضطراب، فذكر الاضطراب في اسم بعض رواته ثم قال: وقد اجتمع على ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا.

سُورَةُ الحَدِيدِ

سُورَةُ الحَدِيدِ

مدنيَّةٌ، وقيلَ: مَكيَّةٌ، وآيُها تسعٌ وعشرونَ[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ذُكرَ هاهُنا وفي الحشرِ والصَّفِّ بلفظِ الماضِي، وفي الجُمعةِ والتغابُنِ بلفظِ المُضارعِ إشعارًا بأنَّ من شأنِ ما أُسندَ إليهِ أنْ يسبحَهُ في

---

(١) الذي في «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٤١)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٧): عشرون وتسع آيات في الكوفي والبصري، وثمان في عدد الباقين. واتفقا على أنها مدنية، لكن ذكر غيرهما خلافاً في ذلك، فقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٣٢): فيها قولان:

أحدهما: أنها مدنيّة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل.

والثاني: أنها مكّيّة، قاله ابن السّائب.

واختصر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٨) فقال: مدنية في قول الجمهور، قال الكلبي: هي مكية.

وفي «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٦): وهي مدنية فيما قال النقاش وغيره بإجماع من المفسرين، وقال غيره: مكية.

قال ابن عطية: ولا خلاف أن فيها قرآنا مدنيًّا، لكن يشبه صدرها أن يكون مكيًّا، والله أعلم.

جميعِ أوقاتِهِ؛ لأنَّهُ دلالةٌ جِبلِّيَّةٌ[1] لا تختلفُ باختلافِ الحالاتِ، ومجيءُ المصدرِ مطلقًا في بني إسرائيلَ أبلغُ من حيثُ إنَّهُ يشعرُ بإطلاقِهِ على استحقاقِ التَّسبيحِ من كلِّ شيءٍ وفي كلِّ حالٍ، وإنَّما عديَ باللَّامِ وهو معدًّى بنفسِهِ مثل: نصحتُ لهُ ونصَحْتُهُ إشعارًا بأن إيقاعَ الفعلِ لأجلِ اللهِ وخالصًا لوجهِهِ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ حالٌ تُشعرُ بما هو المبدأُ للتَّسبيحِ.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنَّهُ الموجدُ لها والمتصرِّفُ فيها.

﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ استئنافٌ أو خبرٌ لمحذوفٍ، أو حالٌ من المجرورِ في ﴿لَهُۥ﴾.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإحياءِ والإماتةِ وغيرِهما ﴿قَدِيرٌ﴾ تامُّ القدرةِ.

(٣ ـ ٤) ـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ السَّابقُ على سائرِ الموجوداتِ من حيثُ إنَّهُ مُوجِدُها ومُحدِثُها.

﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ الباقي بعدَ فَنائِها ولو بالنَّظرِ إلى ذاتها مع قطعِ النَّظرِ عن غيرِها، أو هوَ الأوَّلُ الذي تبتدئُ منهُ الأسبابُ وتنتهي إليهِ المسبَّباتُ، أو الأوَّلُ خارجًا والآخرُ ذهنًا.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الظَّاهرُ وجودهُ لكثرةِ دلائلِه، والباطنُ حقيقةُ ذاتِهِ فلا يكتَنِهُها العقولُ، أو الغالبُ على كلِّ شيءٍ، والعالِمُ بباطنِهِ، والواوُ الأولى والأخيرةُ للجمعِ بينَ الوصفَينِ، والمتوسِّطةُ للجمعِ بينَ المجموعَينِ.

---

(١) في (خ): «جليّة».

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يستوي عندَهُ الظَّاهرُ والخفيُّ.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ كالبذورِ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزُّروعِ ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالأمطارِ ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالأبخرةِ.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ لا ينفكُّ علمُهُ وقدرتهُ عنكم بحالٍ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكُم عليهِ، ولعلَّ تقديمَ الخلقِ على العلمِ لأنَّهُ دليلٌ عليهِ.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكَرهُ معَ الإعادةِ كما ذكَره معَ الإبداءِ لأنَّهُ كالمقدِّمةِ لهُما، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بمكنوناتِها.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ منَ الأموالِ التي جعلَكُم اللهُ خلفاءَ في التصرُّفِ فيها، فهيَ في الحقيقةِ لهُ لا لكم، أو التي استخلَفَكُم عمَّن قبلَكُم في تملُّكها والتصرُّفِ فيها، وفيهِ حثٌّ على الإنفاقِ وتهوينٌ[1] لهُ على النَّفسِ.

---

(١) في (خ) و(ض): «وتوهين».

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعدٌ فيهِ مبالغاتٌ: جعلُ الجملةِ اسميَّةً، وإعادةُ ذكرِ الإيمانِ والإنفاقِ، وبناءُ الحكمِ على الضَّميرِ، وتنكيرُ الأجرِ ووصفُهُ بالكِبَرِ[١].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي: وما تصنعونَ غيرَ مؤمنينَ بهِ، كقولِكَ: ما لكَ قائمًا.

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ حالٌ مِن ضميرِ ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ والمعنى: أيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإيمانِ والرَّسولُ يدعوكم إليهِ بالحُجَجِ والآياتِ.

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ﴾ أي: وقَدْ أخذَ اللهُ ميثاقَكم بالإيمانِ قبلُ، وذلكَ بنصبِ الأدلَّةِ والتَّمكينِ من النَّظرِ، والواوُ للحالِ مِن مفعولِ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾.

وقرأَ أبو عمرٍو على البناءِ للمفعولِ[٢].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لموجِبٍ ما، فإنَّ هذا مُوجِبٌ لا مزيدَ عليهِ.

سُورَةُ الحَدِيدِ

قوله: «أي: وقَدْ أخذَ اللهُ مِيثاقَكُم بالإيمانِ قبلُ، وذلك بنصبِ الأدلَّةِ والتَّمكُّنِ مِن النَّظرِ».

تبعَ في ذلك صاحبَ «الكشاف»[٣].

وقد قالَ ابنُ المُنيِّرِ: وماذا عليه أنْ يَحملَ[٤] الأخذَ على حقيقتِه وهو المأخوذُ يومَ الذرِّ، فكُلُّ ما أجازَه العقلُ وورَدَ بِهِ السَّمعُ وجبَ الإيمانُ به[٥].

---

(١) في (خ): «بالكبير».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٨/ ٦١١).

(٤) في النسخ الخطية: «يحل»، والمثبت من «الانتصاف».

(٥) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٤٧٣).

(٩ - ١٠) - ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم ﴾ أي: اللهُ، أو العبدُ.

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ مِن ظلماتِ الكفرِ إلى نورِ الإيمانِ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ نبَّهكُم بالرُّسلِ والآياتِ ولم يقتَصِر على ما نصبَ لكُم من الحُجَجِ العقليَّةِ.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ وأيُّ شيءٍ لَكُم في ألَّا تُنفِقوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيما يكونُ قربةً إليهِ ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يَرِثُ كلَّ شيءٍ فيهما ولا يبقى لأحدٍ مالٌ، وإذا كانَ كذلكَ فإنفاقُهُ بحيثُ يَستخلفُ عوضًا يبقى وهوَ الثَّوابُ كانَ أولى.

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ بيانٌ لتفاوتِ المنفقينَ باختلافِ أحوالِهم من السَّبقِ وقوَّةِ اليقينِ وتحرِّي الحاجاتِ، حثًّا على تحرِّي الأفضلِ منها بعدَ الحثِّ على الإنفاقِ، وذِكرُ القتالِ للاستطرادِ، وقسيمُ ﴿مَّنْ أَنفَقَ﴾ محذوفٌ لوضوحِهِ ودلالةِ ما بعدَهُ عليهِ، والفتحُ فتحُ مكَّةَ إذ عزَّ الإسلامُ بهِ وكَثُرَ أهلُهُ وقلَّتِ الحاجةُ إلى المقاتلةِ والإنفاقِ.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾ أي: مِن بعدِ الفتحِ.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: وعدَ اللهُ كلًّا من المنفقينَ المثوبةَ الحُسنَى وهيَ الجنَّةُ.

وقرأ ابنُ عامرٍ ﴿وَكُلٌّ﴾ بالرَّفعِ[1] على الابتداءِ؛ أي: وكلٌّ وعدَهُ ليطابقَ ما عطفَ عليهِ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ عالمٌ بظاهرِهِ وباطنِهِ فمجازيكُم على حسبِهِ.

والآيةُ نزلَتْ في أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ فإنَّهُ أوَّلُ مَن آمنَ وأنفقَ في سبيلِ اللهِ وخاصمَ الكفَّارَ حتى ضُرِبَ ضربًا أشرَفَ بهِ على الهلاكِ[2].

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ مَن ذا الذي يُنفِقُ مالَهُ في سبيلِهِ رجاءَ أن يعوِّضهُ فإنَّهُ كمَن يقرضُهُ، وحسنُ الإنفاقِ بالإخلاصِ فيهِ وتحرِّي أكرمِ المالِ وأفضلِ الجهاتِ لهُ.

﴿فيضاعِفُه له﴾ أي: يُعطي أجرَهُ أضعافًا.

﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ أي: وذلكَ الأجرُ المضمومُ إليهِ الأضعافُ كريمٌ في نفسِهِ ينبغي أن يُتوخَّى وإن لم يضاعَف، فكيفَ وقد يضاعفُ أضعافًا؟!

وقرأ عاصمٌ ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالنَّصبِ على جوابِ الاستفهامِ باعتبارِ المعنى، فكأنَّه قال: أيقرِضُ اللهَ أحدٌ فيضاعفَهُ لهُ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿فيُضَعِّفُه﴾ مرفوعًا، وابنُ عامرٍ ويعقوبُ: ﴿فيُضَعِّفَه﴾ منصوبًا[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨)، و«النشر» (٢/ ٢٢٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٦)، عن الكلبي.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٨١).

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ظـرفٌ لقولـهِ: ﴿وَلَهُۥ﴾، أو فيضاعـفَ، أو مقـدَّرٌ بـ(اذكر).

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ ما يوجبُ نجاتَهُم وهدايتَهُم إلى الجنَّةِ ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ لأنَّ السُّعداءَ يُؤتَوْنَ صحائفَ أعمالِهم من هاتينِ الجهتينِ.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي: يقولُ لهم مَن يتلقَّاهُم من الملائكةِ: بشراكُم؛ أي: المبشَّرُ بهِ جنَّاتٌ، أو بشراكمُ دخولُ جناتٍ.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدَّمَ من النُّورِ والبُشرى بالجنَّاتِ المخلَّدةِ.

(١٣) - ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ انتظِرونا فإنَّهُم يُسرَعُ بهم إلى الجنَّةِ كالبرقِ الخَاطفِ، أو انظروا إلينا فإنَّهم إذا نظَرُوا إليهِم استقبلُوهم بوُجوهِهِم فيستضيئونَ بنورٍ بينَ أيديهم.

وقرأَ حمزةُ: ﴿أَنظِرونا﴾[1] على أنَّ اتِّئادَهُم ليلحقُوا بهم إمهالٌ لهم.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نُصِبْ منهُ.

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ إلى الدُّنيا ﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ بتَحصيلِ المعارفِ الإلهيَّةِ والأخلاقِ الفاضلةِ، فإنَّهُ يتولَّدُ منها، أو إلى الموقفِ فإنَّهُ مِن ثَمَّ يُقتبسُ، أو إلى حيثُ شئتم فاطلُبوا نورًا آخرَ فإنَّهُ لا سبيلَ لكم إلى هذا، وهو تهكُّمٌ بهم وتخييبٌ من المؤمنينَ أو الملائكةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بينَ المؤمنينَ والمنافقينَ ﴿بِسُورٍ﴾ بحائطٍ ﴿لَّهُۥ بَابٌ﴾ يدخلُ منهُ المؤمنونَ ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ باطنُ السُّورِ أو البابِ ﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ لأنَّهُ يلي الجنَّةَ ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ من جهتِهِ لأنَّهُ يلي النَّارَ.

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدونَ موافقتَهُم في الظَّاهِرِ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنِّفاقِ ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنينَ الدوائرَ ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ وشكَكْتُم في الدِّينِ ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ كامتدادِ العُمرِ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهوَ الموتُ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الشَّيطانُ أو الدُّنيا.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فِداءٌ.

وقرأ ابنُ عامرٍ ويعقوبُ بالتَّاءِ(١).

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ظاهرًا وباطنًا.

﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ هيَ أَوْلى بكُم كقولِ لَبيدٍ:

فَغَدَتْ كِلَا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا(٢)

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٢)، و«الجمل» للخليل (ص: ٢٥٧)، و«العين» له (٨/ ٤٢٩)، و«الكتاب» (١/ ٤٠٧)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٦٤)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٥٣)، و«المقتضب» (٣/ ١٠٢) و(٤/ ٣٤١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٥)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٤٦٣)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٦)، و«شرح القصائد السبع الطوال» له (ص: ٥٦٥)، =

وحقيقتُهُ محراكُم[1]؛ أي: مكانكُم الذي يقالُ فيهِ هوَ أولى بكُم، كقولكَ: هو مَئِنَّةُ الكرمِ؛ أي: مكانَ قولِ القائلِ: إنَّهُ لكريمٌ، أو مكانكُم عمَّا قريبٍ، من الوليِّ وهو القربُ، أو ناصرُكُم على طريقةِ قولهِ:

تَحِيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِيـعُ[2]

أو متولِّيكُم يَتولَّاكُم كما تولَّيتُم مُوجباتِها في الدُّنيا.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ النَّارُ.

= و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٦٩)، و«الصحاح» (مادة: ولى)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ١٨٩)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ١٥٥).

يصف بقرة وحشية نفرت من صوت الصائد ولم تقف لتنظر أن قاصدها خلفها أم أمامها، فغدت فزعة مذعورة لا تعرف منجاها من مهلكها، ويروى: «فعدت» بالعين المهملة من عدا يعدو: إذا أسرع في السير، والذي في شروح الكشاف بالمعجمة، وهما متقاربان معنى؛ أي: عدت البقرة الوحشية لما نفرت لفزعها من الصياد لا تدري أذلك الصائد خلفها أم قدامها، فتحسب كلا جانبيها ـ من الخلف والإمام ـ أحرى وأولى بأن يكون فيه الخوف، والفرج: موضع المخافة؛ أي: كلا الموضعين الذي يخاف منه في الجملة، أو: ما بين القوائم فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج، وهو بمعنى السعة والانفراج، وفسره بالقدام والخلف توسعاً، أو بمعنى الجانب والطريق فَعْلٌ بمعنى مفعول لأنه مفروج مكشوف، وضمير «أنه» راجع لـ«كلا» باعتبار لفظه، و«خلفُها وأمامُها» إمَّا بدل من «كلا» وتقديره: فغدت كلا الفرجين خلفُها وأمامُها تحسب أنها مولى المخافة، وإمَّا خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: هما خلفها وأمامها، وفيه وجوهٌ أُخَرُ لا تخلو من ضعف، والشاهد في قوله: «مولى المخافة» فإنه بمعنى: مكانٌ أولى وأحرى بالخوف. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي» (٨/ ١٥٧)، ونقلنا بعضه عن الزوزني والطيبي.

(١) في (ت): «مجراكم».

(٢) عجز بيت لعمرو بن معدي كرب. وتقدم تخريجه.

(١٦) - ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ألم يأتِ وقتُه، يقالُ: أَنَى الأَمْرُ يَأْنِي أَنْيًا وأَنَاءً، وإِنًى: إذا جاءَ إِناهُ.

وقُرِئَ: (أَلَمْ يَئِنْ) بكسرِ الهمزةِ وسكونِ النُّونِ[١]، من آنَ يئينُ بالهمزةِ بمَعنى أَنى، و: (أَلَمَّا يَأْنِ)[٢].

رُوِيَ أنَّ المؤمنينَ كانُوا مُجْدِبينَ بمكةَ، فلما هاجرُوا أصابُوا الرِّزقَ والنِّعمةَ ففترُوا عمَّا كانوا عليهِ، فنزلَتْ[٣].

﴿وما نَزَّلَ مِن الحقِّ﴾ أي: القُرْآنِ، وهو عطفٌ على الذِّكرِ عطفَ أحدِ الوَصْفَيْنِ على الآخرِ، ويجوزُ أن يُرَادَ بالذِّكرِ أن يُذكرَ اللهُ.

وقرأَ نافعٌ وحَفْصٌ ويعقوبُ: ﴿نَزَلَ﴾ بالتخفيفِ[٤]، وقُرِئَ: (أنزل)[٥].

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ عطفٌ على ﴿تَخْشَعَ﴾.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣)، و«البحر» (٢٠/ ٢١٧)، عن الحسن، وهذه القراءة وقراءة الجمهور: ﴿يَأْنِ﴾ كلاهما بمعنى: حان، كما قال أبو حيان.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٢)، عن الحسن.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٦٤)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٩٢)، عن محمد بن كعب، ورواه باختلاف يسير عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦٢) عن الشعبي.

(٤) وقراءة الباقين بالتشديد ﴿نزَّل﴾ انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (٢٠٨)، و«النشر» (٢/ ٣٨٤).

(٥) قراءة ابن مسعود، كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣).

وقرأ رُوَيسٌ بالتَّاءِ[1]، والمرادُ النَّهيُ عن مماثلةِ أهلِ الكتابِ فيما حُكِيَ عنهم بقولهِ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: فطالَ عليهمُ الزَّمانُ بطولِ أعمارِهم أو آمالِهم، أو ما بينَهُم وبينَ أنبيائِهم فقسَتْ قلوبُهم.

وقُرِئَ: (الأَمَدُّ)[2] وهوَ الوقتُ الأطولُ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجونَ عن دينِهم رافضونَ لِمَا في كتابِهم من فرطِ القسوَةِ.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تمثيلٌ لإحياءِ القلوبِ القاسيةِ بالذِّكرِ والتلاوةِ، أو لإحياءِ الأمواتِ ترغيبًا في الخشوعِ وزجرًا عن القساوةِ.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كي يكملَ عقلُكم.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ إنَّ المتصدِّقينَ والمتصدِّقاتِ وقد قُرِئَ بها[3].

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو بكرٍ بتخفيفِ الصَّادِ[4]؛ أي: الذينَ صدَّقُوا اللهَ ورسولَهُ.

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عطفٌ على معنى الفعلِ في المحلَّى باللَّامِ؛ لأنَّ معناهُ: الذينَ اصَّدَّقُوا أو صدَّقُوا، وهو على الأوَّلِ للدَّلالةِ على أنَّ المعتبرَ هوَ التصدُّقُ المقرونُ بالإخلاصِ.

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٤).

(٢) انظر: «البحر» (٢٠/ ٢١٨) عن ابن كثير في رواية، والمشهور عنه كالجمهور.

(٣) وهي قراءة أبي رضي الله عنه كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ معناهُ والقراءةُ في ﴿يُضَـٰعَفُ﴾ ما مرَّ[١]، غيرَ أَنَّهُ لم يُجزَم لأَنَّهُ خبرُ (إن)، وهو مُسندٌ إلى ﴿لَهُمْ﴾ أو إلى ضميرِ المَصدَرِ.

قوله: «﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ﴾ عطفٌ على الفعلِ في المُحَلَّى باللامِ؛ لأنَّ معناه: الذين اصَّدَّقوا»:

قال أبو حيَّان: تبعَ في ذلك أبا عليٍّ الفارسيَّ، فلا يَصِحُّ أن يكون معطوفًا على ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ لأنَّ المعطوفَ على الصِّلَةِ صِلَةٌ وقد فصلَ بينَهُما بمعطوفٍ وهو قولُه: ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾، ولا يَصِحُّ أيضًا أن يكونَ معطوفًا على صِلَةِ (أل) في ﴿المصدقات﴾ لاختلافِ الضَّمائرِ إذ ضميرُ ﴿المصدقات﴾ مُؤنَّثٌ وضميرُ ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ مُذكَّرٌ، فيُخرَّجُ هذا على حذفِ الموصولِ لدلالةِ ما قبلَه عليه كأنَّه قيل: والذينَ أقرَضُوا، فيكونُ مثلَ قولِ الشَّاعرِ:

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ[٢]

يريدُ: ومَن يَمْدَحُهُ[٣].

(١٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أولئكَ عندَ اللهِ بمنزلةِ الصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ، أو هم المبالغونَ في الصِّدقِ؛ فإنَّهُم آمنوا وصدَّقُوا جميعَ أخبارِ اللهِ ورسلِهِ، والقائمونَ بالشَّهادةِ[٤] للهِ ولهم، أو على الأُمَمِ يومَ القيامةِ،

---

(١) في الآية رقم (١١) من هذه السورة.

(٢) تقدم البيت في سورة العنكبوت، الآية (٢٢).

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٢١٩ - ٢٢٠).

(٤) في (ت): «بالشهادات» وفيها نسخة: «بالشهادة».

وقيل: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، والمرادُ بهِ الأنبياءُ مِن قولِهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]، أو الذينَ استُشهِدوا في سبيلِ اللهِ.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ مثلُ أجرِ الصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ ومثلُ نورِهم، ولكن مِن غيرِ تضعيفٍ ليحصلَ التفاوُتُ، أو الأجرُ والنُّورُ الموعودانِ لهُم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فيهِ دليلٌ على أنَّ الخلودَ في النَّارِ مخصوصٌ بالكفَّارِ من حيثُ إنَّ التركيبَ يُشعِرُ بالاختصاصِ، والصُّحبةُ تدلُّ على الملازمةِ عُرفًا.

(٢٠) ـ ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ لَمَّا ذكرَ حالَ الفريقينِ في الآخرةِ حقَّرَ أمورَ الدُّنيا ـ أعني[1]: ما لا يتوصَّلُ بهِ إلى الفوزِ الآجلِ ـ بأن بيَّنَ أنَّها أمورٌ خياليَّةٌ قليلةُ النَّفعِ سريعةُ الزَّوالِ؛ لأنَّها لعبٌ يُتعِبُ النَّاسُ فيهِ أنفسَهم حدَّ إتعابِ الصِّبيانِ في الملاعِبِ من غيرِ فائدةٍ، ولهوٌ يُلْهونَ بهِ أنفسَهم عما يُهِمُّهم، وزينةٌ[2] كالملابسِ الحسنةِ والمراكبِ البهيَّةِ والمنازلِ الرَّفيعةِ، وتفاخرٌ بالأنسابِ وتكاثرٌ بالعُددِ والعَددِ، ثمَّ قرَّرَ ذلكَ بقولهِ:

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ وهو تمثيلٌ لها في سرعةِ تقضِّيها وقلَّةِ جدواها بحالِ نباتٍ ـ أنبتَهُ الغيثُ فاستوى ـ أُعجِبَ بهِ

---

(١) في (خ) و(ت): «وهي».

(٢) في (ض): «ومنها زينة».

الحُرَّاثُ، أو الكافرونَ باللهِ لأنَّهم أشدُّ إعجابًا بزينةِ الدُّنيا، ولأنَّ المؤمنَ إذا رأى معجِبًا انتقلَ فكرهُ إلى قدرةِ صانعِهِ فأُعجبَ بها، والكافرُ لا يتخطَّى فكرُهُ عمَّا أحسَّ بهِ فيستغرقُ فيهِ إعجابًا، ثمَّ هاجَ؛ أي: يَبِسَ بعاهةٍ فاصفرَّ ثمَّ صارَ حُطامًا، ثمَّ عظَّمَ أمورَ الآخرةِ بقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ تنفيرًا عن الانهماكِ في الدُّنيا وحثًّا على ما يوجبُ كرامةَ العُقبى، ثمَّ أكَّدَ ذلكَ بقولِهِ:

﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ أي: لِمَن أقبلَ عليها ولم يطلبِ الآخرةَ بها.

(٢١) ـ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارِعُوا مُسارعةَ السَّابقينَ في المضمارِ ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ إلى مُوجباتِها ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: عرضُها كعرضِهما، وإذا كانَ العرضُ كذلكَ فما ظنُّكَ بالطُّولِ؟! وقيلَ: المرادُ بهِ البَسطةُ[1] كقولِهِ: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت: ٥١].

﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فيهِ دليلٌ على أنَّ الجنَّةَ مخلوقةٌ، وأنَّ الإيمانَ وحدهُ كافٍ في استحقاقِهِ.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ذلكَ الموعودُ يتفضَّلُ بهِ على مَن يشاءُ مِن غيرِ إيجابٍ.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ فلا يَبْعُدُ منهُ التفضُّلُ بذلكَ وإن عظُمَ قدرُهُ.

---

(١) في (ت) و(ض): «البسط».

(٢٢ـ٢٣) ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كجَدبٍ وعاهةٍ ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ كمَرَضٍ وآفةٍ ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ إلا مكتوبةٌ في اللَّوحِ مثبتةٌ في علمِ اللهِ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ نخلقَها، والضَّميرُ للمصيبةِ أو للأرضِ أو للأنفسِ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إنَّ ثبتَهُ في كتابٍ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ لاستغنائهِ فيهِ عن العُدَّةِ والمُدَّةِ.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ أي: أُثبتَ وكُتبَ لئلَّا تحزَنُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من نعمِ الدُّنيا.

﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ بما أعطاكُم اللهُ منها، فإنَّ مَن علِمَ أنَّ الكلَّ مقدَّرٌ هانَ عليهِ الأمرُ.

وقرأَ أبو عمرٍو ﴿بما أتاكُم﴾[1] مِن الإتيانِ ليعادلَ ﴿مَا فَاتَكُمۡ﴾، وعلى الأوَّلِ فيهِ إشعارٌ بأنَّ فواتَها يلحقُها إذا خُلِّيَتْ وطباعَها، وأمَّا حُصولُها وبقاؤُها فلا بدَّ لهُما مِن سَبَبٍ يُوجدُها ويُبقِيها، والمرادُ بِهِ نفيُ الأسى المانعِ عن التَّسليمِ لأمرِ اللهِ، والفرحِ الموجبِ للبَطَرِ والاختيالِ، ولذلكَ عقَّبهُ بقولهِ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ إذ قلَّ مَن يثبِّتُ نفسَهُ حالي الضَّراءِ والسَّراءِ.

(٢٤) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ بدلٌ مِن ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾، فإنَّ المختالَ بالمالِ يَضِنُّ بِهِ غالبًا، أو مبتدأٌ خبرهُ محذوفٌ مدلولٌ عليهِ بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ لأنَّ معناهُ: ومَن يُعرِضْ عن الإنفاقِ فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنهُ وعن إنفاقِهِ، محمودٌ في ذاتِهِ، لا يضرُّهُ الإعراضُ عن شُكرِهِ بالتقرُّبِ إليهِ بشيءٍ من نعمهِ، وفيهِ تهديدٌ وإشعارٌ بأنَّ الأمرَ بالإنفاقِ لمصلحةِ المنفِقِ.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿فإنَّ اللهَ الغَنِيُّ﴾[1].

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ أي: الملائكةَ إلى الأنبياءِ، أو الأنبياءَ إلى الأممِ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحُجَجِ والمُعجزاتِ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ليبيِّنَ الحقَّ ويميِّزَ صوابَ العملِ ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ لتُسوَّى بهِ الحقوقُ ويقامَ به العدلُ كما قال: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ وإنزالُهُ إنزالُ أسبابِهِ والأمرُ بإعدادِهِ.

وقيل: أنزلَ الميزانَ إلى نوحٍ، ويجوزُ أَنْ يرادَ بهِ العدلُ لتقامَ بهِ السِّياسةُ ويُدفعَ بهِ الأعداءُ، كما قال:

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنَّ آلاتِ الحروبِ مُتَّخذةٌ منهُ.

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما مِن صنعةٍ إلا والحديدُ آلتُها.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمالِ الأسلحةِ في مجاهدةِ الكفَّارِ، والعطفُ على محذوفٍ دلَّ عليهِ ما قبلهُ فإنَّهُ حالٌ يتضمَّنُ تعليلًا، أو اللامُ صلةٌ لمحذوفٍ؛ أي: أنزلَهُ ليعلمَ اللهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حالٌ مِن المستكنِّ في ﴿يَنصُرُهُۥ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على إهلاكِ من أرادَ إهلاكَهُ ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يفتقرُ إلى نُصرةٍ، وإنَّما أمرَهم بالجهادِ لينتفعوا بهِ ويستوجبوا ثوابَ الامتثالِ فيهِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بأن استَنْبأناهُم وأوحينا إلَيهِم الكتبَ، وقيل: المرادُ بالكتابِ الخطُّ.

﴿فَمِنْهُم﴾ فمنَ الذُّريَّةِ أو من المُرسَلِ إليهم، وقد دلَّ عليهم ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجونَ عن الطَّريقِ المستقيمِ، والعدولُ عن سَنَنِ المقابلةِ للمبالغةِ في الذَّمِّ والدلالةِ على أنَّ الغلبةَ للضُّلَّالِ.

(٢٧) - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أرسَلْنا رسولًا بعدَ رسولٍ حتَّى انتهى إلى عيسى، والضَّميرُ لنوحٍ وإبراهيمَ ومَن أُرسِلا إليهم أو مَن عاصَرَهُما مِن الرُّسلِ لا للذُّرِّيَّةِ، فإنَّ الرُّسُلَ المقفَّى بهم من الذُّرِّيَّةِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ وقُرِئَ بفتحِ الهمزةِ[1]، وأمرهُ أهونُ مِن أمرِ البِرْطِيلِ لأنَّهُ أعجميٌّ.

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ وقُرِئَ: (رآفةً) على فَعالةٍ[2].

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣١٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٩) دون نسبة.

﴿وَرَهۡبَانِيَّةً﴾ أي: وابتدَعُوا رَهبانيةً.

﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ أو رهبانيةً مُبتدَعةً على أنَّها مِن المَجعولاتِ، وهي المبالغةُ في العِبادةِ والرِّياضةِ والانقطاعِ عن النَّاسِ، منسوبةٌ إلى الرَّهْبانِ، وهو المبالِغُ في الخوفِ، مِن رَهِبَ، كالخَشْيانِ من خَشِيَ.

وقُرِئَت بالضَّمِّ[1] كأنَّها منسوبةٌ إلى الرُّهبانِ، وهو جمعُ راهِبٍ، كراكِبٍ ورُكبانٍ.

﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ ما فَرَضناها علَيهم ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: ولكنَّهم ابتدَعُوها ابتغاءَ رضوانِ اللهِ، وقيلَ: متَّصلٌ فإنَّ ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ بمعنى ما تعبَّدْناهُم بها، وهوَ كما يَنفي الإيجابَ المقصودَ منهُ دفعُ العقابِ[2] يَنفي النَّدبَ المقصودَ منهُ مجرَّدُ حصولِ[3] مرضاةِ اللهِ، وهو يخالفُ قولَهُ: ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ إلَّا أن يقالَ: ابتَدعُوها ثمَّ نُدِبوا إليها، أو ابتدعُوها بمعنى استحدثُوها وأَتَوا بها أولًا لا أنَّهم اخترعُوها من تلقاءِ أنفسِهم.

﴿فَمَا رَعَوۡهَا﴾ أي: فما رعَوا جميعًا ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ بضمِّ التَّثليثِ والقولِ بالاتِّحادِ وقصدِ السُّمعةِ والكُفرِ بمحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ونحوِها إليهِ.

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أتوا بالإيمانِ الصَّحيحِ وحافظُوا حقوقَها ومن ذلكَ الإيمانُ بمحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ.

﴿مِنۡهُمۡ﴾ مِن المتسمِّينَ باتباعِه.

﴿أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ خارجونَ عن حاقِّ[4] الاتباعِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٦٢٧)، و«البحر» (٢٠/ ٢٣١).

(٢) في (ض): «العذاب».

(٣) في (ض): «تحصيل».

(٤) في (أ) و(ت) و(خ): «حال».

قوله: «مَنسوبةٌ إلى الرُّهبانِ وهو جمعُ راهبٍ»:

قال صاحبُ «الانتصاف»: فيه إشكالٌ فإنَّ النسبةَ إلى الجمعِ على صيغَتِه غيرُ مَقبولٍ حتى يُردَّ إلى المفرد، إلَّا أَنْ يقالَ: لَمَّا صارَ الرُّهْبانُ طائفةً مَخصوصينَ صارَ هذا الاسمُ وإن كانَ جَمْعًا كالعَلَمِ فالتحقَ بأَنْصارِيٍّ ومَدائِنِيٍّ وأَعْرابِيٍّ(١).

وقال أبو حيَّان: الأَوْلَى أن يكونَ مَنسوبًا إلى الرُّهبانِ وغُيِّرَ بالضَّمِّ في الرَّاءِ لأنَّ النسبَ بابُ تغييرٍ، ولو كان منسوبًا إلى رُهبان الجمعِ لرُدَّ إلى مفردِهِ، فكانَ يُقال: راهِبِيَّة، إلا إن كانَ قَدْ صارَ كالعَلَمِ فإنه يُنسَبُ إليه على لفظِهِ كالأَنْصارِ(٢).

(٢٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالرُّسُلِ المتقدِّمةِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما نهاكُم عنهُ ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبينِ ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانِكُم بمحمَّدٍ وإيمانِكُم بمن قبلَهُ، ولا يبعُدُ أن يُثابوا على دينهم السَّابقِ وإن كانَ منسوخًا ببركةِ الإسلامِ.

وقيل: الخطابُ للنَّصارى الذين كانُوا في عصرِهِ.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يريدُ المذكورَ في قولِهِ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾، أو الهدى الذي يُسلَكُ بهِ إلى جَنابِ القدُسِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٢٩) - ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

---

(١) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٤٨١).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٣٣١).

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي ليعلمُوا، و(لا) مزيدةٌ، ويؤيِّدُهُ أنَّهُ قُرِئَ: (ليَعْلَمَ)(١)، و(لكَيْ يَعْلَمَ)(٢)، و(لأَن يَّعْلَمَ) بإدغامِ النُّونِ في الياءِ(٣).

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (أن) هيَ المخفَّفةُ، والمعنى أنَّهُ لا ينالونَ شيئًا ممَّا ذكرَ مِن فضلِهِ ولا يتمكَّنُونَ مِن نيلِهِ لأنَّهم لم يُؤمِنُوا برسولِهِ، وهو مَشروطٌ بالإيمانِ بِهِ، أو لا يقدرونَ على شَيْءٍ مِن فضلِهِ فضلًا أن يتصرَّفُوا في أعظمِهِ وهو النُّبوةُ فيخصُّونَها بمَنْ أرادوا، ويؤيِّدُهُ قولُه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقيل: (لا) غيرُ مَزيدَةٍ، والمعنى: لئلَّا يعتقدَ أهلُ الكتابِ أنَّهُ لا يقدرُ النبيُّ والمؤمنونَ بِهِ على شيءٍ من فضلِ اللهِ ولا ينالونَهُ، فيكونُ ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ عطفًا على (ألَّا يعلمَ).

وقُرِئَ ﴿لِيَلَّا﴾(٤)، ووجهُهُ أنَّ الهمزةَ حُذِفت وأُدغِمَ النُّونُ في اللَّام ثمَّ أُبدلت ياءً.

وقُرِئَ: (لَيْلا) على أنَّ الأصلَ في الحروفِ المفردةِ الفتحُ(٥).

عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ الحديدِ كُتبَ مِن الذينَ آمَنُوا باللهِ ورسُلِهِ».

قوله: «مَن قرَأَ سُورَةَ الحَدِيدِ..» إلى آخره:

مَوضوعٌ(٦).

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣) عن عبد الله بن مسعود.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣) عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣) عن حطان بن عبد الله.

(٤) وهي قراءة ورش عن نافع وأحد وجهي حمزة في الوقف.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٣).

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: مصنوع بلا شكٍّ. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور وقد تقدم التعليق عليه مراراً.

جُزْءُ قَدْ سَمِعَ

سُورَةُ المجَادلَة

مَدنيَّةٌ، وقيل: العشرُ الأوَّلُ مكيٌّ والباقي مدنيٌّ، وآيُها ثنتان وعشرون[1].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ رُوِيَ أنَّ خولةَ بنتَ ثعلبةَ ظاهَرَ عنها زَوجُها أَوسُ بنُ الصَّامتِ فاستفتَتْ رَسولَ اللهِ ﷺ فقال: «حَرُمْتِ عليه»، فقالت: ما طلَّقَني فقال: «حَرُمْتِ عليه»، فاغتمَّتْ لصغَرِ أولادِها وشكَتْ إلى اللهِ تَعالى، فنزلَتْ هذه الآياتُ الأربعُ.

وقد تشعرُ بأنَّ الرَّسولَ عليهِ السَّلامُ أو المجادِلَةَ يتوقَّعُ أنَّ اللهَ يسمَعُ مُجادَلَتها وشكواها ويفرِّجُ عنها كربَها.

وأدغمَ حمزةُ والكِسائيُّ وأبو عمرٍو وهِشامٌ عن ابن عامرٍ دالَها في السِّينِ[2].

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجُعَكُما الكلامَ، وهو على تغليبِ الخطابِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للأقوالِ والأحوالِ.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٢)، وفيه: إحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي واثنتان وعشرون في عدد الباقين.

(٢) انظر: «النشر» (٣/ ١٥٢٧).

سُورَةُ المُجادلَة

قوله: «رُوِيَ أنَّ خولَةَ بنتَ ثعلبَةَ..» إلى آخره:

رواهُ ابنُ جَريرٍ مِن طَريقِ أبي العَاليةِ[1]، ومِن طريقِ محمَّدِ بنِ كعبٍ القرظيِّ[2].

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ الظِّهارُ أن يقولَ الرَّجلُ لامرأتِه: أنتِ عليَّ كظهرِ أُمِّي، مُشتَقٌّ مِن الظَّهرِ، وألحقَ به الفُقهاءُ تشبيهَها بجزءٍ مَحْرَمٍ، وفي ﴿مِنكُم﴾ تهجينٌ لعادَتِهم فيه، فإنَّه كان مِن أَيْمانِ أهلِ الجاهليَّةِ، وأصلُ: (يظَّهَّرون): يتظهَّرُونَ.

وقرأَ ابنُ عامرٍ وحَمزةُ والكِسائيُّ: ﴿يظَّاهرون﴾ من اظَّاهر، وعاصمٌ: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾[3] مِن ظاهرَ.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡ﴾ أي: على الحقيقةِ.

﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡ﴾ فلا تُشَبَّه بهنَّ في الحرمةِ إلَّا مَن ألحقَها اللهُ بهنَّ، كالمرضعاتِ وأزواجِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

وعن عاصمٍ: (أمهاتُهم) بالرَّفعِ على لغةِ تَميمٍ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥١).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٨). وقرأ الباقون: ﴿يَظَّهَّرُونَ﴾ انظر: «النشر» (٤/ ٢٦٧٩).

(٤) رواية المفضل عن عاصم كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٤).

وقُرِئَ: (بأمَّهاتِهم)[1]، وهو أيضًا على لغةِ مَن يَنصِبُ.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ إذ الشَّرعُ أنكرَهُ.

﴿وَزُورًا﴾ مُحرَّفًا عن الحقِّ، فإنَّ المُزوَّجةَ لا تشبهُ الأمَّ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لِمَا سلفَ مِنه مطلقًا، أو إذا تيبَ عنه[2].

قوله: «وقُرِئَ: (بأمهاتهم) وهو أيضًا على لغةِ مَن يَنصِبُ»:

قال أبو حيَّان: يعني أنَّه لا تُزادُ الباءُ في لغَةِ تميمٍ، وليس هذا بجيِّدٍ، والزَّمخشريُّ تبعَ في ذلك أبا عليٍّ الفارسيَّ، وقد رُدَّ ذلك عليهِمَا وزيادةُ الباء في مثلِ: (ما زيدٌ بقائمٍ) كثيرٌ في لغةِ تميمٍ[3].

(٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: إلى قولِهم بالتَّدارُكِ، ومنه المثلُ: عادَ الغيثُ على ما أفسدَ[4]، وهو بنقضِ ما يقتضيهِ.

وذلك عندَ الشَّافعيِّ بإمساكِ المُظاهَرِ عنها في النِّكاحِ زمانًا يمكنُه مُفارَقَتُها فيه، إذ التَّشبيهُ يَتناولُ حُرمتَهُ لصحَّةِ استثنائِها عنه، وهو أقلُّ ما ينتقضُ به.

وعندَ أبي حنيفةَ باستباحةِ استِمتاعِها ولو بنظرةِ شَهوةٍ[5].

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٤).

(٢) في (خ): «عليه».

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٢٣٨).

(٤) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٢٠)، وفيه يضرب للرجل يحسن بعد الإساءة.

(٥) قال السمرقندي في «تحفة الفقهاء» (٢/ ٢١٤): والعود عندنا هو العزم على وطئها بعد الظهار، =

وعند مالكٍ بالعزمِ على الجماعِ[١].

وعند الحسنِ بالجماعِ أو بالظِّهارِ في الإسلامِ[٢].

على أنَّ قولَه: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ بمعنى: يعتادونَ الظِّهارَ، أو[٣] كانوا يُظاهِرُونَ في الجاهليَّةِ، وهو قولُ الثَّوريِّ[٤].

أو بتكرارِه لفظًا، وهو قولُ الظَّاهريَّةِ[٥].

أو معنًى؛ بأَنْ يحلفَ على ما قالَ، وهو قول أبي مسلمٍ[٦].

أو إلى المقولِ فيها؛ بإمساكِها أو استباحةِ استمتاعِها أو وطئِها.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فعليهِم أو فالواجبُ إعتاقُ رقبةٍ، والفاءُ للسَّببيَّةِ، ومِن

= وقال الكاساني في «بدائع الصنائع» (٣/ ٢٣٦): العود هو العزم على وطئها عزماً مؤكداً حتى لو عزم ثم بدا له في أن يطأها لا كفارة عليه لعدم العزم المؤكد، لا أنه وجبت الكفارة بنفس العزم ثم سقطت كما قال بعضهم؛ لأن الكفارة بعد سقوطها لا تعود إلا بسبب جديد، اهـ. ولم أقف على قول الإمام البيضاوي رحمه الله في التخصيص بالنظر بشهوة سوى ما ورد في عموم المذهب من أن النظر بشهوة يتعلق به التحريم، انظر: «التجريد» للقدوري (٩/ ٤٤٦١)، والله أعلم.

(١) هو أحد ثلاثة أقوال رويت عن الإمام مالك والثاني هو الوطء نفسه، ولكن يقدم عليه الكفارة، والثالث: العزم على الإمساك والوطء، وإلى هذا ذهب وأشار في الموطأ، وتابعه أحمد على أنه العزم على الوطء، انظر: «عيون المسائل» للقاضي عبد الوهاب (ص: ٣٦١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (خ): «إذ».

(٤) وكذا هو قول مجاهد، انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٥١).

(٥) انظر: «المحلى» لابن حزم (٩/ ٢٠٠).

(٦) لم أقف عليه.

فَوائدِها الدَّلالةُ على تكريرِ وُجوبِ التَّحريرِ بتكرُّرِ الظِّهارِ، والرقبةُ مُقيدةٌ بالإيمانِ عندَنا قياسًا على كفَّارةِ القتلِ.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ أن يستمتعَ كلٌّ مِن المُظاهِرِ والمظاهَرِ عنها بالآخرِ لعمومِ اللَّفظِ ومُقتضى التَّشبيهِ، أو أن يجامعَا، وفيه دليلٌ على حرمةِ ذلك قبلَ التَّكفيرِ.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: ذلكم الحكمُ بالكفَّارةِ.

﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ لأنه يدلُّ على ارتكابِ الجنايةِ الموجبةِ للغرامةِ ويَردَعُ عنه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ لا تخفى عليه خافيةٌ.

(٤) - ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ أي: الرقبةَ والذي غابَ مالُه واجِدٌ.

﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ فإنْ أفطرَ لغيرِ عُذرٍ لزمَه الاستئنافُ، وإن أفطرَ لعذرٍ ففيه خلافٌ، وإن جامعَ المظاهَرَ عنها ليلًا لم ينقطِع التَّتابعُ عندنا خلافًا لأبي حنيفةَ[١] ومالكٍ[٢].

﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ أي: الصَّومَ لهرمٍ أو مرضٍ مُزمنٍ أو شَبَقٍ مُفرطٍ فإنَّه عليه السَّلامُ رخصَ للأعرابيِّ المفطرِ أن يَعدِلَ[٣] لأجلِه[٤].

---

(١) وهو قول محمد أيضاً، ووافق أبو يوسف الإمام الشافعي في عدم انقطاع التتابع، انظر: «المبسوط» للسرخسي (٣/ ٨٤).

(٢) انظر: «جامع الأمهات» لابن الحاجب (ص: ٣١٣).

(٣) في (خ): «يفدي».

(٤) رواه أبو داود (٢٢١٣)، والترمذي (٣٢٩٩) من حديث سلمة بن صخر قال: كنت رجلًا قد أوتيت =

﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ستِّينَ مُدًّا بمُدِّ رَسولِ اللهِ ﷺ، وهو رِطلٌ وثلثٌ؛ لأنه أقلُّ ما قيل في الكفَّاراتِ وجِنسُه المخرجُ(١) في الفطرةِ.

وقال أبو حنيفة: يعطي كلَّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ مِن بُرٍّ أو صاعًا من غيرِه(٢).

وإنما لم يُذكَر التماسُّ مع الإطعامِ اكتفاءً بذكرِهِ مع الآخرِينَ، أو لجوازِهِ في خلالِ الإطعامِ كما قال أبو حنيفةَ.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك البيانُ أو التَّعليمُ للأحكامِ، ومحلُّه النَّصبُ بفعلٍ مُعلَّلٍ بقولِه: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فرَضَ ذلك لتصدِّقُوا باللهِ ورسولِه في قبولِ شَرائعِه ورفضِ ما كُنتُم عليه في جاهليَّتِكم.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ لا يجوزُ تعدِّيها.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أي: الذينَ لا يقبلونَها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو نظيرُ قولِه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٥ ـ ٦) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

= من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان تظاهرت من امراتي حتى ينسلخ رمضان... الحديث، قال الترمذي: هذا حديث حسن، والحديث أصله في البخاري (٦٧١١)، ومسلم (١١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله فقال: هلكت يا رسول الله قال: «وما أهلكك؟» قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: «هل تجد ما تعتق رقبة؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا... الحديث.

(١) في (ض): «ما قيل من المخرج».

(٢) انظر: «الأصل» للشيباني (٥/ ٢٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعادونَهُما، فإنَّ كلًّا مِن المتعادِيَيْن في حدٍّ غيرِ حدِّ الآخرِ، أو يضعونَ، أو يختارونَ حُدودًا غيرَ حُدودِهما.

﴿كُبِتُواْ﴾ أُخزُوا أو أهلِكُوا، وأصلُ الكبتِ الكَبُّ، ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعني: كفَّارَ الأممِ الماضيةِ.

﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ تدلُّ على صدقِ الرَّسولِ وما جاءَ به ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ يُذهبُ عِزَّهُم وتكبُّرَهُم.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ مَنصوبٌ بـ﴿مُّهِينٞ﴾ أو بإضمارِ اذكر ﴿جَمِيعٗا﴾ كلَّهم لا يدعُ أحدًا غيرَ مَبعوثٍ، أو مُجتمعينَ ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ أي: على رؤوسِ الأشهادِ تشهيرًا لحالِهم وتقريرًا لعذابِهم.

﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أحاطَ به عددًا لم يَغِب منه شيءٌ ﴿وَنَسُوهُۚ﴾ لكثرتِه أو تهاوُنِهم به.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ لا يغيبُ عنه شيءٌ.

(٧) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كليًّا وجزئيًا.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ ما يقعُ مِن تناجِي ثلاثةٍ، ويجوزُ أن يقدَّرَ مُضافٌ، أو يُؤوَّلَ ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ بـ: مُتناجين، ويُجعلَ ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ صفةً لها، واشتقاقُها مِن النَّجوةِ، وهي ما ارتفعَ مِن الأرضِ، فإنَّ السرَّ أمرٌ مَرفوعٌ إلى الذِّهنِ لا يَتيسَّرُ لكلِّ أحدٍ أنْ يطَّلِعَ عليه.

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلا اللهُ يجعَلُهم أربعةً مِن حيثُ إنَّه يشارِكُهم في الاطِّلاعِ عليها، والاستثناءُ مِن أعمِّ الأحوالِ.

﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ ولا نجوى خمسةٍ ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وتخصيصُ العددينِ إمَّا لخُصوصِ الواقعةِ، فإنَّ الآيةَ نزلَتْ في تناجي المُنافقينَ، أو لأنَّ اللهَ وِترٌ يحبُّ الوترَ، والثلاثةُ أوَّلُ الأوتارِ، أو لأنّ التَّشاوُرَ لا بُدَّ له مِن اثنينِ يكونانِ كالمتنازعينِ وثالثٍ يتوسَّطُ بينَهُما.

وقُرِئَ: (ثلاثةً) و(خمسةً) بالنَّصبِ[1] على الحالِ بإضمارِ يَتناجونَ، أو تأويلِ ﴿نَّجْوَىٰ﴾ بمُتناجينَ.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ ولا أقلَّ ممَّا ذكرَ كالواحدِ والاثنينِ ﴿وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلَمُ ما يجري بينَهُم.

وقرأَ يعقوبَ: ﴿وَلَآ أَكْثَرُ﴾ بالرَّفعِ[2] عطفًا على محلِّ ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾ أو محلِّ ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ﴾ إن جُعِلت (لا) لنفْيِ الجنسِ.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ فإنَّ عِلمَهُ بالأشياءِ ليسَ لقُربٍ مَكانيٍّ حتَّى يتفاوتَ باختلافِ الأمكِنَةِ.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ تَفْضيحًا لهم وتقريرًا لِمَا يَستحقُّونَه مِن الجَزاءِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأنَّ نسبةَ ذاتِه المُقتضيَةِ للعلمِ إلى الكلِّ على سَواءٍ.

---

(١) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٦).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٥).

(٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ نزلَتْ في اليهودِ والمُنافقينَ كانوا يتناجَونَ فيما بينَهُم ويَتغامَزون بأعيُنِهم إذا رَأَوا المؤمنينَ، فنَهاهُم رسولُ اللهِ ﷺ ثمَّ عادوا لمثلِ فِعلِهم.

﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: بما هو إثمٌ وعُدوانٌ للمُؤمنينَ وتواصٍ بمعصيةِ الرَّسولِ.

وقرأ حمزَةُ: ﴿وَيَنْتَجُونَ﴾، ورُوِيَ عن يعقوبَ مثلُه، وهو يَفتَعِلون مِن النَّجوَى[١].

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ فيقولون: السَّامُ عليكَ، أو أنعِمْ صباحًا، واللهُ سبحانَه يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما بينَهُم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ هلَّا يُعذِّبُنا بذلك لو كانَ محمَّدٌ نبيًّا.

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا[٢] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونَها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنَّمُ.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩)، و«النشر» (٢/ ٣٨٥).

(٢) في (ض): «عذابها».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ كما يفعلُه المنافقونَ.

وعَن يعقوبَ: ﴿فَلَا تَنْتَجُوا﴾[1].

﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ بما يتضمَّنُ خيرَ المؤمنينَ والاتِّقاءَ عَن معصيةِ الرَّسولِ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيما تأتونَ وتذرونَ فإنَّه مُجازيكُمْ عليه.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ أي: النَّجوى بالإثمِ والعُدوانِ ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ فإنَّه المزيِّنُ لها والحاملُ عليها.

﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بتوهُّمِهم لأنَّها في نكبةٍ أصابَتهم.

﴿وَلَيۡسَ﴾ الشَّيطانُ أو التَّناجي ﴿بِضَآرِّهِمۡ﴾ بضارِّ المُؤمنينَ ﴿شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ إلا بمشيئتِه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ولا يُبالوا[2] بنَجواهُم.

(١١) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ توسَّعُوا فيه وليفسَح بعضُكُم عَن بعضٍ، مِن قولهم: افسَحْ عنِّي؛ أي: تنحَّ.

وقُرِئَ: (تَفَاسَحُوا)[3].

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٥).

(٢) في (ت): «ولا تبالوا» وفي (ض): «ولا تبال».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٥)، عن الحسن وداود بن أبي هند.

والمرادُ بالمجلسِ الجنسُ، ويدلُّ عليه قراءةُ عاصمٍ بالجمعِ[1]، أو مجلسُ رَسولِ اللهِ عليهِ السَّلامُ فإنَّهم كانوا يَتضامُّون به تنافُسًا على القُربِ منه وحرصًا على استماعِ كلامِه.

﴿فَافْسَحُواْ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدونَ التَّفسُّحَ فيه مِن المكانِ والرِّزقِ والصَّدرِ وغيرِها.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشِزُوا﴾ انهَضُوا للتَّوسِعةِ أو لِما أُمِرْتُم به كصَلاةٍ أو جهادٍ، أو ارتفِعُوا في[2] المجلسِ.

﴿فانْشِزُوا﴾ وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ بضمِّ الشِّينِ فيهما[3].

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بالنَّصرِ وحُسنِ الذِّكرِ في الدُّنيا وإيوائِهم غرفَ الجنَّاتِ في الآخرةِ.

﴿وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ ويرفعُ العلماءَ مِنْهُم خاصَّةً درجاتٍ بما جمعَوا مِن العلمِ والعَملِ، فإنَّ العلمَ مع علوِّ دَرجتِه يَقتَضي للعملِ المَقرونِ بِهِ مَزيدَ رِفعَةٍ، ولذلك يُقتَدى بالعالمِ في أفعالِه ولا يُقتدَى بغيرِه.

وفي الحديثِ: «فضلُ العالمِ على العابدِ كفَضلِ القَمرِ ليلةَ البَدرِ على سائرِ الكَواكبِ».

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ تهديدٌ لِمَن لَمْ يَمتَثِلِ الأمرَ أو استكْرَهَهُ.

---

(١) وقراءة الباقين بالإفراد، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٢) في (خ): «عن».

(٣) انظر: «النشر» (٤/ ٢٦٨٠).

قوله: «وفي الحديث: «فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ»:

رواهُ أصحابُ السُّننِ الأربعةِ مِن حديثِ أبي الدَّرداءِ(١).

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ فتصدَّقُوا قدَّامَها، مُستعارٌ ممَّنْ له يدانِ، وفي هذا الأمرِ تَعظيمُ الرَّسولِ وإنفاعُ الفُقراءِ والنَّهيُ عن الإفراطِ في السُّؤالِ، والميزُ بينَ المُخلصِ والمنافقِ ومُحبِّ الآخرةِ ومُحبِّ الدُّنيا، واختُلِفَ في أنَّه للنَّدبِ أو للوُجوبِ، لكنَّه مَنسوخٌ بقولِه: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ وهو وإن اتَّصلَ بهِ تِلاوةً لم يتَّصِلْ به نزولًا.

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه: إنَّ في كتابِ اللهِ آيةً ما عَمِلَ بها أحدٌ غيري، كان لي دينارٌ فصَرفتُه فكنتُ إذا ناجَيْتُه تَصدَّقْتُ بدِرهَمٍ(٢).

وهو على القَولِ بالوُجوبِ لا يقدَحُ في غيرِه، فلعلَّهُ لم يتَّفِق للأغنياءِ

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في «المسند» (٢١٧١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨)، ولم أقف عليه عند النسائي.

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٤) وصححه، وزاد أبو عبيد والطبري: ثم نسخت. وعند الحاكم: ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ الآية».

مُناجاةٌ في مدَّةِ بقائِه، إذ رُوِيَ أنَّه لم يَبْقَ إلا عشرًا[١]، وقيل: إلا ساعةً[٢].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك التَّصدُّقُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي: لأنفسِكُم مِن الرِّيبَةِ وحُبِّ المالِ، وهو يُشعِرُ بالنَّدبيَّةِ، لكنَّ قولَه: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي لِمَن لم يَجِد، حيثُ رخَّصَ له في المناجاةِ بلا تَصدُّقٍ= أدَلُّ على الوجوبِ.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أخِفْتُم الفقرَ مِن تَقديمِ الصَّدقةِ، أو أخِفْتُم التَّقديمَ لِمَا يَعِدُكم الشَّيطانُ عليه مِن الفَقرِ، وجمعُ ﴿صَدَقَاتٍ﴾ لجمعِ المُخاطبينَ أو لكثرةِ التَّناجي.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأَنْ رخَّصَ لكم أن لا تَفعَلوهُ، وفيه إشعارٌ بأنَّ إشفاقَهُم ذنبٌ تَجاوزَ اللهُ عنه لِمَا رأى مِنْهم ممَّا قامَ مقامَ تَوبَتِهم، و(إذ) على بابِها، وقيل: بمعنى (إذا) أو (إن).

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فلا تُفرِّطوا في أدائِهما.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائرِ الأوامرِ فإنَّ القيامَ بها كالجابرِ للتَّفريطِ في ذلك.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ظاهرًا وباطنًا.

قوله: «وعَن عليٍّ: إنَّ في كتابِ اللهِ آيةً ما عملَ بها أحدٌ غيري»... إلى آخره:

رواهُ ابنُ أبي شيبةَ في «مصنفه» والحاكمُ في «مستدركه»[٣].

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٥٩) عن مقاتل بن حيان.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٧٨) عن الكلبي وقتادة.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ والَوْا ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ يعني: اليهودَ ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ لأنَّهم مُنافِقونَ مُذَبذبونَ بينَ ذلك.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ادِّعاءُ الإسلامِ.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ المحلوفَ عليه كذبٌ، كمَنْ يَحلِفُ بالغَموسِ، وفي هذا التَّقييدِ دليلٌ على أنَّ الكذبَ يعمُّ ما يعلمُ المخبرُ عدمَ مُطابقتِه وما لا يعلَمُ مطابقتَه للواقع(١).

ورُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ كان في حُجرةٍ مِن حجراتِه فقال: «يدخلُ عليكُم الآنَ رَجلٌ قلبُه قلبُ جبَّارٍ ويَنظرُ بعينِ شَيطانٍ»، فدخلَ عبدُ اللهِ بن نَبْتَلٍ المنافقُ وكانَ أزرقَ، فقالَ عليهِ السَّلامُ له: «علامَ تَشتِمُني أنتَ وأصحابُكَ»، فحلفَ باللهِ ما فعلَ، ثمَّ جاءَ بأصحابِه فحَلَفوا فنزلَتْ.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ نوعًا مِن العَذابِ مُتفاقِمًا.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فتمرَّنُوا على سوءِ العملِ وأصرُّوا عليه.

قوله: «رويَ أنَّه عليهِ السَّلامُ كانَ في حُجرَةٍ مِن حُجُراتِه فقال: «يدخلُ عليكُمْ الآنَ رجلٌ..» الحديث:

رواهُ أحمدُ والبزَّارُ وابنُ جَريرٍ والطَّبرانيُّ والحاكمُ مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ(٢).

---

(١) في (ض) زيادة: «فكان حينئذ الكذب نوعين».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٤٧)، والبزار في «مسنده» (٥٠١٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٢): رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٠) عن السدي ومقاتل. =

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٦ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ أي: التي حَلَفوا بها.

وقُرِئَ بالكسرِ[1]؛ أي: إيمانَهُم الذي أظهروهُ.

﴿جُنَّةً﴾ وقايةً دونَ دِمائِهم وأموالِهم.

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فصَدُّوا النَّاسَ في خلالِ أَمنِهم عن دينِ اللهِ بالتَّحريشِ والتَّثبيطِ.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وعيدٌ ثانٍ بوَصفٍ آخرَ لعَذابِهم.

وقيل: الأوَّلُ عَذابُ القَبرِ، وهذا عذابُ الآخرةِ.

﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قد سبقَ مِثلُه.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٨ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

= ولفظ الإمام أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل حجرته فقال لأصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلما رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: «علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟» قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فهذب، فجاء بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

(١) أي: (إيمانَهم) وهي عن الحسن، انظر: «المحتسب» (٢/ ٣١٥).

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي: للهِ على أَنَّهُم مُسلمونَ ويقولونَ(١)، ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدُّنيا: إنَّهُم لمِنكُم.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾(٢) لأنَّ تمكُّنَ النِّفاقِ(٣) في نُفوسِهم بحيثُ يُخيِّلُ إليهم في الآخرةِ أنَّ الأيمانَ الكاذبةَ تُروِّجُ الكذبَ على اللهِ كما تَروجُهُ عليكُم في الدُّنيا.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ البالِغونَ الغايةَ في الكذبِ حيثُ يكذبونَ مع عالمِ الغيبِ والشَّهادةِ ويحلفونَ عليه.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استوْلى عليهم، من حُذْتُ الإبلَ وحُزْتُها: إذا استوليتَ عليها وجمعتَها، وهو ممَّا جاءَ على الأصلِ.

﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ لا يذكرونَه بقُلوبِهم ولا بألسِنَتِهم.

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ جنودُه وأتباعُه.

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنَّهُم فوَّتوا على أنفُسِهم النَّعيمَ المُؤبَّدَ وعرَّضوها للعذابِ المُخلَّدِ.

(٢٠ - ٢١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ في جملةِ مَن هو أذلُّ خلقِ اللهِ تعالى.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوحِ ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي: بالحجة.

---

(١) «ويقولون»: ليست في (ض).

(٢) في (ض) زيادة: «في حلفهم الكاذب».

(٣) في (خ): «الكذب والنفاق».

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿ورسليَ﴾ بفتحِ الياءِ[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على نصرِ أنبيائِه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يُغلَبُ عليه في مرادِه.

(٢٢) - ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: لا يَنبَغي أن تَجِدَهُم وادِّين أعداءَ اللهِ، والمراد: أنه لا يَنبَغِي أَنْ يوادُّوهُم.

﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ ولو كانَ المُحادُّونَ أقربَ النَّاسِ إليهِم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: الذينَ لَمْ يُوادُّوهم ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أثبتَه فيها، وهو دليلٌ على خروجِ العَملِ مِن مَفهومِ الإيمانِ، فإنَّ جُزءَ الثَّابتِ[2] في القلبِ يكونُ ثابتًا فيه، وأعمالُ الجوارحِ لا تثبُتُ فيه.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: مِن عندِ اللهِ، وهو نورُ القلبِ، أو القرآنُ، أو النَّصرُ على العدوِّ.

وقيل: الضَّميرُ لـ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾ فإنَّه سببٌ لحياةِ القلبِ.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعَتِهم، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بقضائِه، أو بما وعدَهُم مِن الثَّوابِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٢) في (ض): «فإن ما كتب».

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ جندُه وأنصارُ دينِه.

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزونَ بخيرِ الدَّارينِ.

عن النبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأَ سورةَ المجادلةِ كُتِبَ مِن حزبِ اللهِ يومَ القيامةِ».

قوله: «مَن قرأَ سورةَ المُجادلةِ..» إلى آخره:

موضوعٌ[1].

* * *

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١١٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٥٨)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ الحَشْرِ

مَدنيَّةٌ، وآيُها أربعٌ وعِشرونَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ لَمَّا قَدِمَ المدينةَ صالحَ بني النَّضيرِ على أَنْ لا يكونوا له ولا عليهِ، فلَمَّا ظهرَ يومَ بَدرٍ قالوا: إنَّه النَّبيُّ المَنعوتُ في التَّوراةِ بالنُّصرةِ، فلمَّا هُزِمَ المُسلمونَ يومَ أحدٍ ارتابوا ونكثوا وخرجَ كعبُ بنُ الأشرفِ في أربعينَ راكبًا إلى مكَّةَ وحالَفُوا أبا سُفيانَ، فأمرَ رسولُ اللهِ أخا كعبٍ مِن الرَّضاعةِ فقتلَهُ غِيلةً ثمَّ صبَّحَهُم بالكتائبِ وحاصرَهُم حتى صالَحُوه على الجَلاءِ، فجَلَا[1] أكثَرُهم إلى الشَّامِ ولَحِقَت طائفةٌ بخيبرَ والحِيرةِ فأنزلَ اللهُ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ...﴾ إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾.

سُورَةُ الحَشْرِ

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ لَمَّا قَدِمَ المدينةَ صالَحَ بني النَّضيرِ..» إلى آخره:

ذكَرَه الثَّعلبيُّ بغيرِ إسنادٍ[2].

---

(١) في (ض): «فجلوا».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ١٧٩)، وانظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣١٧)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢١٤).

(٢) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ أي: في أول حشرهم من جزيرة العرب؛ إذ لم يُصِبْهم هذا الذلُّ قبلَ ذلك.

أو في أولِ حشرِهم للقتال أو الجَلاء إلى الشَّام، وآخرُ حشرِهم إجلاءُ عمرَ إياهم من خيبرَ إليه[1].

أو في أوَّلِ حشرِ النَّاسِ إلى الشَّامِ وآخرِ حَشرِهم؛ فإنَّهُم يُحشَرونَ إليه عندَ قيامِ السَّاعةِ فيدركُهُم هناك، أو أنَّ نارًا تخرجُ مِن المشرقِ فتَحشُرُهم إلى المغربِ، والحشرُ إخراجُ جمعٍ مِن مَكانٍ إلى آخرَ.

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ لشِدَّةِ بَأسِهم ومَنَعتِهم.

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أنَّ حُصونَهُم تمنَعُهم مِن بأسِ اللهِ، وتغييرُ النَّظمِ وتَقديمُ الخبرِ وإسنادُ الجملةِ إلى ضميرِ (هم) للدَّلالةِ على فرطِ وُثوقِهم بحَصانَتِها واعتِقادِهم في أَنفُسِهم أنَّهم في عزَّةٍ ومَنعةٍ بسببِها، ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿حُصُونُهُم﴾ فاعلًا لـ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: عذابُه، وهو الرُّعبُ والاضطرارُ إلى الجلاءِ.

وقيل: الضَّميرُ للمُؤمنينَ؛ أي: فأتاهُم نصرُ اللهِ.

وقُرِئَ: (فآتاهم)[2] أي: العذابَ أو النَّصرَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٨٦) عن مرة الهمداني.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٨)، و«الكشاف» (٩/ ٤٠).

﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لقوَّةِ وُثوقِهِم.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وأثبتَ فيها الخوفَ الذي يرعِبُها؛ أي: يملَؤُها.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ ضنًّا بها على المسلمينَ وإخراجًا لِمَا استحسَنُوا مِن آلاتِها.

﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنَّهُم أيضًا كانوا يخربونَ ظواهِرَها نكايةً وتوسيعًا لِمَجالِ القتالِ، وعطفُها على (أيديهم) مِن حيثُ إنَّ تخريبَ المؤمنينَ مُسبَّبٌ عَن نقضِهم، فكأنَّهُم استعملوهُم فيه، والجملةُ حالٌ أو تفسيرٌ لـ﴿الرُّعْبَ﴾.

وقرأ أبو عمرٍو: ﴿يخرِّبونَ﴾ بالتَّشديدِ[1]، وهو أبلَغُ لِمَا فيه مِن التَّكثيرِ.

وقيل: الإخرابُ: التَّعطيلُ أو تركُ الشَّيءِ خَرابًا، والتَّخريبُ الهَدمُ.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ فاتَّعِظُوا بحالهم فلا تَغدُروا ولا تعتَمِدُوا على شيءٍ[2] غيرِ اللهِ، واستُدِلَّ به على أنَّ القِياسَ حُجَّةٌ مِن حيثُ إنَّه أَمرٌ بالمجاوزةِ مِن حالٍ إلى حالٍ، وحملُها عليها في حُكمٍ لِمَا بينَهُما مِن المشاركةِ المُقتضيةِ له على ما قرَّرْناهُ في الكتبِ الأُصوليَّةِ.

قوله: «وتَقديمُ الخبرِ وإسنادُ الجملةِ إلى ضَميرِ (هم)..» إلى آخره:

قال أبو حيَّان: يعني أنَّ ﴿حُصُونُهُم﴾ هو المُبتدَأُ و﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ الخبرُ، ولا يَتعيَّنُ هذا، بل يترجَّحُ أن تكونَ ﴿حُصُونُهُم﴾ فاعلةً بـ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ لأن في تَوجيهِه تقديمًا وتأخيرًا، وفي إجازةِ مثلِه مِن نحو: (قائمٌ زيدٌ) على الابتداءِ والخبرِ خلافٌ، ومذهبُ أهلِ الكوفةِ مَنعُه[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٢) «شيء» من (خ).

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٢٦٥).

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾ الخروجَ مِن أَوطانِهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والسَّبيِ كما فُعِل ببَنِي قُرَيظةَ.

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ استئنافٌ مَعناه: أنَّهم إن نَجوا مِن عذابِ الدُّنيا لم يَنْجوا مِن عذابِ الآخرةِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الإشارةُ إلى ما ذكرَ مما حاقَ بهم، وما كانوا بصَددِه، وما هو مُعَدٌّ لهم، أو إلى الأخيرِ.

(٥) ـ ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾.

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ أيَّ شيءٍ قَطَعتُم مِن نخلةٍ، فِعْلَةٌ مِن اللونِ، ويُجمعُ على ألوانٍ.

وقيل: من اللِّينِ، ومعناها: النَّخلةُ الكريمةُ، وجمعها أَلْيَان.

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الضَّميرُ لـ(ما)، وتأنيثُها لأنَّها مُفسَّرةٌ باللِّينةِ.

﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ وقُرِئَ: (أُصُلِها) اكتفاءً بالضمَّةِ عن الواوِ[1]، أو على أنَّه كـ﴿رُهُنٌ﴾.

﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فبأمرِه ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ عِلَّةٌ لِمَحذوفٍ؛ أي: وفعلْتُم، أو وأَذِنَ لكم في القطعِ ليُخزِيَهُم على فسقِهِم بما غاظَهُم منه.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٩/ ٤٢)، و«البحر» (٢٠/ ٢٦٩) دون نسبة.

رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ لَمَّا أمرَ بقَطعِ نَخيلِهم قالوا: يا محمَّدُ! قد كنتَ تنهى عن الفسادِ في الأرضِ، فما بالُ قطعِ النَّخلِ وتَحريقِها؟ فنزلَتْ.

واستدلَّ به على جوازِ هدمِ ديارِ الكفَّارِ وقطعِ أشجارِهِم زيادةً لغيظِهِم.

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا أَمَرَ بقطعِ نَخيلِهِم قالوا: يا مُحمَّدُ! قد كنتَ تنهى عَنِ الفَسادِ...» إلى آخره:

رواه ابنُ إسحاقَ في «المغازي»، وابنُ جَريرٍ عَن يزيدَ بنِ رُومانَ مرسلًا، ورواهُ ابنُ مردويه مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ(١).

(٦) ـ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وما أعادَهُ عليه بمَعنى صيَّره له أو ردَّهُ عليه، فإنَّه كانَ حقيقًا بأن يكونَ له لأنَّه تعالى خلقَ النَّاسَ لِعبادَتِه وخلقَ ما خلقَ لَهُم ليتوسَّلُوا به إلى طاعَتِه، فهو جديرٌ بأن يكونَ للمُطيعينَ.

﴿مِنۡهُمۡ﴾ مِن بني النَّضيرِ أو مِن الكفرةِ.

﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ فما أجريتُمْ على تحصيلِه، مِن الوَجِيفِ، وهو سرعةُ السَّيرِ.

﴿مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ ما يُركبُ مِن الإبلِ، غلبَ فيه كما غلبَ الراكبُ على راكبِه، وذلك إن كانَ المرادُ فيءَ بني النَّضيرِ فلأنَّ قُراهُم كانَتْ على مِيلَيْنِ مِن المدينةِ

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٩١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٠)، وانظر: «تخريج الأحاديث والآثار» للزيلعي (٢/ ٤٢٨)، وفيه: ورواه ابن مردويه في «تفسيره» من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره. وقال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٤٧٩) عن الكلبي: متهم بالكذب.

فمَشَوا إليها رجالًا غيرَ رسولِ اللهِ ﷺ، فإنَّه ركبَ جَمَلًا أو حِمَارًا، ولم يجرِ مزيدُ قتالٍ، ولذلك لم يعطِ الأنصارَ مِنه شيئًا إلا ثلاثةً كانَتْ بهم حاجةٌ[1].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بقذفِ الرُّعبِ في قُلوبِهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ فيفعلُ ما يريدُ تارةً بالوسائطِ الظاهرةِ وتارةً بغيرِها.

(٧) ـ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ بيانٌ للأوَّلِ، ولذلك لم يُعطَف عليهِ.

﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ اختُلِفَ في قسمِ الفيءِ فقيل: يُسدَّسُ لظاهرِ الآيةِ ويُصرَف سهمُ اللهِ في عمارةِ الكعبةِ وسائرِ المساجِدِ.

وقيل: يخمّسُ لأنَّ ذكرَ اللهِ تَعالى للتَّعظيمِ، ويُصرَفُ الآنَ سهمُ الرَّسولِ إلى الإمامِ على قولٍ، وإلى العساكرِ والثغورِ على قولٍ، وإلى مَصالحِ المسلمينَ على قولٍ.

وقيل: يخمَّسُ خمسُهُ كالغنيمةِ فإنَّه عليهِ السَّلامُ كان يقسمُ الخمسَ كذلك، ويَصرفُ الأخماسَ الأربعةَ كما يشاءُ، والآنَ على الخلافِ المذكورِ.

﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ أي: الفيءُ الذي حقُّهُ أن يكونَ للفُقراءِ.

﴿دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ الدُّولةُ: ما يَتداوَلُه الأغنياءُ ويَدورُ بينَهُم كما كانَ في الجاهليَّةِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٠٢)، والثلاثة هم: أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة، انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٥٠٣).

وقُرِئَ: (دَوْلَةً)[1]، بمعنى: كيلا يكونَ الفيءُ ذا تَداوُلٍ بينَهُم، أو أَخْذُهُ غَلَبةً تكونُ بينَهُم، و﴿دُولَةٌ﴾[2] بالرَّفعِ على كانَ التَّامَّةِ؛ أي: كيلا يقعَ دولةٌ جاهليَّةٌ.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ وما أعطاكُم مِن الفيءِ أو من الأمرِ.

﴿فَخُذُوهُ﴾ لأنَّه حلالٌ لَكُم، أو فتمسَّكُوا به لأنه واجبُ الطَّاعةِ.

﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ عن أخذِه منه أو عن إتيانِه.

﴿فَٱنتَهُواْ﴾ عنه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مُخالفةِ الرَّسولِ[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَن خالفَ.

(٨) ـ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بدلٌ مِن ﴿لذي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما عُطِفَ عليه، فإنَّ الرَّسولَ لا يُسمَّى فقيرًا، ومَن أعطى أغنياءَ ذوي القُربى خصَّصَ الإبدالَ بما بعدَهُ، أو الفيءَ بفيءِ بني النَّضيرِ.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فإنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ أخرجُوهم وأَخذوا أموالَهُم.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ حالٌ مُقيِّدةٌ لإخراجِهِم بما يوجِبُ تفخيمَ شأنِهم.

﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بأنفُسِهم وأموالِهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الذين ظهرَ صِدقُهُم في إيمانِهم.

---

(١) قراءة علي والسلمي وابن عامر في غير المشهور عنه، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٤).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٦).

(٣) في (ت) و(ض): «رسوله».

قوله: «﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بدلٌ من ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما عُطِفَ عليه»:

تبعَ في ذلك صاحبَ «الكشاف»[١].

وقال أبو حيَّان: إنَّما جعَلَه الزَّمخشريُّ بدلًا مِن قَولِه: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ لأنَّه مَذهَبُ أبي حنيفةَ: لا يستحِقُّ ذو القُرْبى الغَنِيُّ إنما يَستحِقُّ ذو القُربى الفَقيرُ، فالفقرُ فيه شَرطٌ على مذهبِ أبي حنيفَةَ ففسَّرَه الزَّمخشريُّ على مَذهبِه.

وأما الشَّافعيُّ فيرى أنَّ سببَ الاستِحقاقِ هو القَرابَةُ فيأخذُ ذو القُرْبى الغِنَيُّ لقَرابَتِه[٢].

وقال صاحبُ «التَّقريب»: في كونِه بدلًا مِن (لذي القربى) نظرٌ؛ لأنَّه يشعِرُ باشتراطِ الفَقرِ في ذي القُربى وليسَ بشرطٍ فليُجعَلْ بدلًا فما بعدَه[٣].

قال ابنُ المُنيِّرِ: هو عَلى مَذهَبِ أبي حَنيفَةَ أنَّ استِحقاقَ ذِي القُربَى للفيء مَشروطٌ بالفَقر[٤].

قال: ونقولُ إنَّ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدلٌ من ﴿المساكين﴾ لا غير؛ لأنَّه تعالى أرادَ وَصفَ المساكينِ بما يُبيِّنُ استِحقاقَهُم ويحثُّ الأغنياءَ على إيثارِهِم وأَنْ لا يَجِدُوا في صُدورِهِم حاجةً ممَّا أُوتوا.

وقد طالَ الفَصلُ بقولِه: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾... إلى ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فطوى ذِكرَهُم تَوطئَةً للصِّفاتِ فذُكِرُوا بصفَةٍ أُخرى مناسبةٍ للأُولى فاشتملَ على وَصفِهِم

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٩/ ٤٦).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٢٧٤).

(٣) نقله الطيبي في «فتوح الغيب» (١٥/ ٣٢٢).

(٤) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٥٠٣).

بالمَسكنَةِ والفَقرِ جميعًا ثمَّ تُليت صِفاتُهم بعدُ بأنَّهم أُخرِجُوا مِن دِيارِهم.. إلى آخرها، فهذا الذي يرشِدُ إليه السِّياقُ، وأولو القُرْبَى ذُكِرُوا على الإطلاقِ، فالأَوْلى بقاؤُهُم على ذلك.

ويؤيِّدُ ذلك أنَّ الحَنفيَّةَ يرَوْنَ أنَّ الاستثناءَ إذا تعقبَ جُمَلًا اختصَّ بالأخيرة، فكذلك البدلُ يَكفي في صحَّةِ عَودِه إلى الأخيرِ، ولأنَّه إذا جُعِلَ بدلًا مِن ذَوِي القُربى كانَ بدلَ بَعضٍ مِن كُلٍّ إذ فيهِم أَغنياءُ، وإن جُعِلَ بدلًا من المساكين أيضًا كان بدلَ الشَّيءِ مِن الشَّيءِ وهما لعَيْنٍ واحدَةٍ، فيكونُ البدلُ مُحتَوِيًا على نَوْعَي البَدلِ وهو مُتعذِّرٌ لتَغايُرِهما، إذ كلُّ واحدٍ يتقاضَى ما يأباهُ الآخرُ، وعلى هذا أعربَ الزَّجَّاجُ الآيَةَ فجعَلَها بَدَلًا مِن المساكينِ خاصَّةً[1]، انتهى.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾، والمرادُ بهم الأنصارُ فإنَّهم لَزِموا المدينةَ والإيمانَ وتمكَّنوا فيهما.

وقيلَ: المعنى: تبوَّؤا دارَ الهجرةِ ودارَ الإيمانِ، فحُذِفَ المضافُ مِن الثَّاني والمضافُ إليه مِن الأوَّلِ وعُوِّضَ عنه اللامُ، أو تبوَّؤا الدَّارَ وأخلَصُوا الإيمانَ كقولِه:

---

(١) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٥٠٣)، و«فتوح الغيب» للطيبي (١٥/ ٣٢٣).

علفتُــه تبنًــا ومــاءً بــاردًا[1]

وقيل: سمَّى المدينةَ بالإيمانِ؛ لأنَّها مَظهَرُه ومَصِيرُه.

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من قبلِ هجرةِ المهاجرينَ، وقيل: تقديرُ الكلامِ: والذين تبوَّؤُا الدَّارَ مِن قبلِهِم والإيمانَ.

﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ ولا يثقلُ عليهِم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ﴾ في أنفُسِهم ﴿حَاجَةٗ﴾ ما تحملُ علـيه الحاجةُ، كالطَّلبِ والحزازةِ والحسدِ والغيظِ.

﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ مما أُعطِيَ المهاجرونَ من الفيءِ وغيرِه.

﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ويقدمونَ المُهاجرينَ على أنفُسِهم، حتى إنَّ مَن كانَ عندَهُ امرأتانِ نزلَ عَن واحدةٍ وزوَّجَها مِن أَحدِهِم.

﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ حاجةٌ مِن خَصَاص البناءِ، وهي فُروجُه.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ حتَّى يُخالِفَها فيما يغلبُ عليها مِن حبِّ المالِ وبُغضِ الإنفاقِ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الفائزونَ بالثَّناءِ العاجلِ والثَّوابِ الآجلِ.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ هم الذين هاجروا بعدُ حينَ قَوِيَ الإسلامُ، أو التَّابعون بإحسانٍ وهم المؤمنونَ بعدَ الفَريقينِ إلى يومِ القيامةِ، ولذلك قيل: إنَّ الآيَةَ قد استوعبَتْ جميعَ المؤمنينَ.

---

(١) صدر بيت أنشده الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٤) لبعض بني دبير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه، وتقدم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: لإخوانِنا في الدِّينِ ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حقدًا لهم.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فحقيقٌ بأن تُجيبَ دُعاءَنا.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ⑪ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريدُ الذينَ بينَهُم وبينَهُم أخوَّةُ الكفرِ أو الصَّداقةُ والموالاةُ.

﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ مِن ديارِكُم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالِكُم أو خِذلانكُم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: مِن رسولِ اللهِ والمُسلمينَ[1].

﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ لنُعاونَنَّكُم ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لعلمِهِ بأنَّهُم لا يفعلونَ ذلكَ كما قال:

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وكان كذلكَ، فإنَّ ابنَ أُبيٍّ وأصحابَه راسلوا بني النَّضيرِ بذلكَ ثمَّ أخلَفُوهم، وفيه دليلٌ على صحَّةِ النبوَّةِ وإعجازِ القُرآنِ.

﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ على الفرضِ والتَّقديرِ ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ انهزامًا ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعدُ، بل يخذلُهم ولا يَنفعُهم نصرةُ المنافقينَ أو نفاقُهم؛ إذ ضميرُ الفعلينِ يحتملُ أن يكونَ لليهودِ وأن يكونَ للمُنافقينَ.

---

(١) في (ت) و(ض): «والمؤمنين».

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي: أشدُّ مَرهوبيَّةً، مصدرٌ للفعلِ المبني للمَفعولِ.

﴿فِي صُدُورِهِم﴾ فإنَّهُم كانوا يُضمرونَ مَخافتَهُم مِن المؤمنين.

﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ على ما يُظهرونه نفاقًا، فإنَّ استبطانَ رهبَتِكُم سببٌ لإظهارِ رهبةِ اللهِ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمونَ عظمةَ اللهِ حتَّى يَخشَوْنَهُ حقَّ خشيتِه ويعلمون أنَّه الحقيقُ بأَنْ يُخشى.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ اليهودُ والمنافقونَ ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعينَ ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالدُّروبِ والخَنادقِ ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ لفرطِ رَهبَتِهِم.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ﴿جدار﴾ وأمالَ أبو عمرٍو فتحةَ الدَّالِ(١).

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: وليسَ ذلك لضَعفِهم وجُبنِهم، فإنَّه يشتدُّ بأسُهُم إذا حاربَ بعضُهُم بعضًا، بل لقذفِ اللهِ الرُّعبَ في قلوبِهم، ولأنَّ الشُّجاعَ يَجبُنُ والعزيزَ يَذِلُّ إذا حاربَ اللهَ ورسولَه.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعينَ مُتَّفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقةٌ لافتراقِ عَقائدِهِم واختلافِ مَقاصِدِهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه صلاحُهُم وأنَّ تَشتُّتَ القلوبِ يُوهنُ قُواهُم.

قوله: «أيْ: أَشَدُّ مَرهُوبًا، مصدرٌ للفعلِ المبنيِّ للمَفعولِ».

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

قال ابنُ المُنيِّرِ: لأنَّ المخاطبينَ مَرهوبٌ مِنْهُم لا راهبونَ[1].

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: مَثَلُ اليهودِ كمثَلِ أهلِ بدرٍ أو بني قَينُقاع إن صحَّ أنَّهُم أُخرجوا قبلَ النَّضيرِ، أو المهلَكينَ مِن الأُمَمِ الماضيةِ.

﴿قَرِيبًا﴾ في زمانٍ قريبٍ، وانتصابُه بـ(مَثَلِ) إذ التَّقديرُ كوجودِ مَثَلِ.

﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوءَ عاقبةِ كفرِهِم في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرةِ.

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: مَثَلُ المنافقينَ في إغراءِ اليهودِ على القتالِ كمَثَلِ الشَّيطانِ.

﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ أغراهُ على الكفرِ إغراءَ الآمرِ المأمورَ.

﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ تبرَّأَ عنه مخافةَ أن يُشارِكَه في العذابِ ولم ينفَعْه ذلك كما قال: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ والمرادُ مِن الإنسانِ الجنسُ.

وقيل: أبو جهلٍ، قال له إبليسُ يومَ بدرٍ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨].

وقيل: راهبٌ حملَهُ على الفجورِ والارتدادِ.

---

(١) نقله الطيبي في «فتوح الغيب» (١٥/ ٣٣٥).

وقُرِئَ: (عاقبتُهما)[١]، و(خالدانِ)[٢] على أنَّهما الخبرانِ لـ(كان) و(أنَّ)، و﴿فِي النَّارِ﴾ لغوٌ.

(١٨ - ٢٠) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليومِ القيامةِ، سمَّاه به لدُنوِّه، أو لأنَّ الدُّنيا كيومٍ والآخرةُ غدُه، وتنكيرُه للتَّعظيمِ، وأما تنكيرُ النَّفسِ فلاستقلالِ الأنفُسِ النَّواظرِ فيما قدَّمْنَ للآخرةِ كأنَّه قال: فلتنظُرْ نفسٌ واحدةٌ في ذلك.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ مكررٌ للتَّأكيدِ، أو الأوَّلُ في أداءِ الواجباتِ لأنَّه مَقرونٌ بالعملِ، والثَّاني في تركِ المحارمِ لاقترانِه بقولِه: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو كالوعيدِ على المعاصي.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ نسُوا حقَّه.

﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ فجعلَهُم ناسينَ لها حتَّى لم يسمَعُوا ما ينفَعُها ولم يفعَلُوا ما يخلِّصُها، أو أراهم يومَ القيامةِ مِن الهولِ ما أنسَاهُم أنفُسَهُم.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكاملونَ في الفسوقِ.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الذين استكمَلُوا نفوسَهُم فاستأهَلُوا

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٥)، عن الحسن وسليمان بن أرقم.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٥) عن الأعمش، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٩) عن ابن مسعود والأعمش، وزاد في «البحر» (٢٠/ ٢٨١) نسبتها لزيد بن علي وابن أبي عبلة.

الجنَّةَ والذين استَمْهَنُوها فاستحقُّوا النَّارَ، واحتجَّ به أصحابُنا على أنَّ المسلمَ لا يُقتَلُ بالكافرِ.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بالنَّعيمِ المقيمِ.

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ﴾ تمثيلٌ وتخييلٌ كما مرَّ في قولِه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ولذلك عقَّبَه بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإنَّ الإشارةَ إليه وإلى أمثالِه، والمرادُ توبيخُ الإنسانِ على عدمِ تَخشُّعِه عندَ تلاوةِ القرآنِ لقَساوةِ قلبِه وقلَّةِ تدبُّرِه، والتَّصدُّعُ: التَّشقُّقُ.

وقُرِئَ: (مُصَّدِّعًا)[1] على الإدغامِ.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ما غابَ عن الحسِّ مِن الجواهرِ القدسيَّةِ وأحوالِها وما حضرَ لهُ مِن الأجرامِ وأعراضِها، وتقدمُ الغيبِ لتَقدُّمِه في الوجودِ وتعلُّقِ العلمِ القديمِ به، أو المعدومِ والموجودِ، أو السرِّ والعلانيةِ.

قوله: «تَمثيلٌ وتَخييلٌ»:

قال ابنُ المُنيِّرِ: تقدَّمَ إنكارُ لَفظِ التَّخييلِ عليه، أفَلا يُتأدَّبُ بأدبِ القُرآنِ حيثُ سمَّاها اللهُ أمثالًا ولَمْ يَقُل تلكَ الخيالاتُ نَضرِبُها للنَّاسِ[2]؟!

---

(١) وهي قراءة طلحة بن مصرف، انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٥٠٩).

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ البليغُ(١) في النَّزاهةِ عمَّا يوجبُ نقصانًا.

وقُرِئَ بالفَتحِ(٢)، وهو لغةٌ فيه.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السَّلامةِ مِن كلِّ نقصٍ وآفةٍ، مصدرٌ وُصِفَ به للمُبالغةِ.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ واهبُ الأمنِ، وقُرِئَ بالفتحِ(٣) بمَعنى المؤمَنِ به على حذفِ الجارِّ.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرَّقيبُ الحافظُ لكلِّ شيءٍ، مُفَيْعِلٌ مِن الأمنِ، قُلِبَتْ همزَتُه هاءً.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي جَبرَ خلقَهُ على ما أرادَ، أو جَبرَ حالَهم بمعنى أصلَحَه.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تكبَّرَ عن كلِّ ما يوجِبُ حاجةً أو نقصانًا.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إذ لا يُشارِكُه في شيءٍ مِن ذلك.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدرُ للأشياءِ على مُقتَضى حكمتِه.

---

(١) في (ض): «البالغ».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٧)، وعزاها ابن خالويه لأبي السمال، ثم قال: قال أعرابي: حضرت الكسائي فقرأ كذلك، بينما نقل ابن جني عن ابن مجاهد وأبي حاتم عن يعقوب قال: سمعت أعرابياً يكنى أبا الدينار عند الكسائي يقرأ (القدوس).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٥)، و«البحر» (٢٠/ ٢٨٧) عن أبي جعفر محمد بن علي، أو أبي جعفر المدني.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجِدُ لها بريئًا مِن التَّفاوُتِ.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الموجدُ لصورِها وكيفيَّاتِها كما أراد، ومَن أرادَ الإطنابَ في شرحِ هذه الأسماءِ وأخواتها فعليهِ بكتابي المُسمَّى بـ«منتهى المنى»[١].

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنَّها دالَّةٌ على محاسنِ المَعاني.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لتنزُّهِه عَن النَّقائصِ كلِّها.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الجامعُ للكمالاتِ بأَسرِهَا، فإنَّها راجعةٌ إلى الكمالِ في القدرةِ والعلمِ.

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأ سورةَ الحشرِ غفرَ اللهُ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِه وما تأخَّرَ».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ الحَشرِ..» إلى آخره:

موضوعٌ[٢].

* * *

(١) تقدم التعريف به في مقدمة تحقيق هذا الكتاب، وكذا أفاض المصنف في شرح الأسماء الحسنى على وجوه ومعان لم نقف عليها عند غيره في كتابه «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبغوي» فلتنظر ثمة.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه. وفيه محمَّد بن يونس الكديمي ويزيد بن أبان الرقاشي، وهما ضعيفان كما في «التقريب».

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

مَدنيَّةٌ، وآيُها ثلاثَ عشرةَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ نزلَتْ في حاطبِ بن أبي بَلْتعةَ، فإنَّه لَمَّا عَلِمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يغزو أهلَ مَكَّةَ كتبَ إليهم: أنَّ رسولَ اللهِ يريدُكُم فخُذوا حِذرَكُم، وأرسلَ مع سارةَ مولاةِ بني المطَّلبِ، فنزلَ جبريلُ فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عليًّا وعمَّارًا وطلحةَ والزُّبيرَ والمقدادَ وأبا مَرْثَدٍ وقال: «انطَلِقُوا حتَّى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظَعينةً مَعها كتابُ حاطبٍ إلى أهلِ مكَّةَ فخُذوا منها وخلُّوها، فإنْ أبَتْ فاضرِبُوا عنقَها»، فأدركُوها ثَمَّ، فجحَدَتْ[1]، فسَلَّ عليٌّ السَّيفَ فأخرَجَتْهُ مِن عَقيصَتِها، فاستحضرَ رَسولُ اللهِ حاطبًا وقال: «ما حملكَ عليه؟» فقال: ما كفرتُ منذُ أسلَمْتُ وما غَشَشْتُكَ منذُ نَصحتُكَ، ولكنِّي كنتُ امرأً مُلْصَقًا في قريشٍ وليسَ

---

(١) في (خ) زيادة: «فهمّوا بالرجوع».

لي فيهم مَن يَحمِي أهلي، فأردتُ أن آخُذَ عِندَهُم يدًا، وقد علمتُ أنَّ كتابي لا يُغني عنهم شيئًا، فصدَّقَهُ رسولُ اللهِ وعذرَهُ.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ تفضونَ إليهم المودَّةَ بالمكاتبةِ، والباءُ مَزيدةٌ، أو إخبارُ رسولِ اللهِ بسببِ المودةِ، والجملةُ حالٌ مِن فاعلِ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ أو صِفَةٌ لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ جرَتْ على غيرِ مَنْ هيَ له، فلا حاجةَ فيها إلى إبرازِ الضَّميرِ لأنَّه مَشروطٌ في الاسمِ دون الفعلِ.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ حالٌ مِن فاعلِ أحدِ الفِعلينِ.

﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: مِن مكَّةَ، وهو حالٌ مِن ﴿كَفَرُوا﴾، أو استئنافٌ لبَيانِه.

﴿أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ بأَنْ تؤمِنُوا به، وفيه تغليبُ المخاطَبِ والالتفاتُ مِن التَّكلُّمِ إلى الغَيبةِ للدَّلالةِ على ما يوجِبُ الإيمانَ.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ عن أوطانِكُم ﴿جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ عِلَّةٌ للخروجِ وعمدةٌ للتَّعليقِ، وجوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ دَلَّ عليه ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بدلٌ مِن ﴿تُلْقُونَ﴾ أو استئنافٌ مَعناه: أيُّ طائلٍ لكُم في إسرارِ المودَّةِ أو الإخبارِ بسببِ المودَّةِ.

﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أي: مِنْكُم.

وقيل: ﴿أَعْلَمُ﴾ مضارعٌ والباءُ مَزيدةٌ، و(ما) موصولةٌ أو مَصدريَّةٌ.

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي: يفعلُ الاتِّخاذَ ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأَهُ.

سُورَةُ المُمتَحنَةِ

قوله: «نَزَلَتْ في حَاطِبِ بنِ أبي بلتعَةَ..» إلى آخره:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ عليٍّ[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني =

(٢ ـ ٣) ـ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفرُوا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ ولا ينفعكُم إلقاءُ المودَّةِ إليهم.

﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ ما يَسوؤُكُم[1] كالقتلِ والشَّتمِ.

﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ وتمنَّوا ارتدادكُم، ومجيئُه وحدَهُ بلفظِ الماضي للإشعارِ بأنَّهم وَدُّوا ذلك قبلَ كلِّ شيءٍ، وأنَّ وَدادَتَهم حاصلةٌ وإن لم يَثقَفُوكُم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتُكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذين تُوالونَ المشركينَ لأَجلِهم.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يفرقُ بينكُم بما عَراكُم مِن الهولِ فيفِرُّ بَعضُكم مِن بَعضٍ، فما لكم تَرفضونَ اليومَ حقَّ اللهِ لِمَن يَفِرُّ عنكم غدًا.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ بكسرِ الصَّادِ والتَّشديدِ وفتحِ الفَاءِ، وعاصمٌ: ﴿يَفْصِلُ﴾، وقرأَ ابنُ عامرٍ ﴿يُفَصَّلُ﴾[2] على البناءِ للمَفعولِ مع التَّشديدِ: وهو بينكُم.

= رسولُ الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد، فقال: «انْطَلِقوا حتى تأتوا روضةَ خَاخٍ، فإنَّ بها ظَعينةً معها كتابٌ، فخُذوه منها» قال: فانطَلَقْنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى أَتينا الروضةَ، فإذا نحن بالظَّعِينة، فقُلنا لها: أَخْرِجي الكتاب، قالت: ما معي كتابٌ، فقلنا: لَتُخْرِجِنَّ الكتابَ أو لَنُلْقِيَنَّ الثِّياب، قال: فأخرجَتْه مِن عِقَاصِها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: مِن حاطبِ بن أبي بلتعةَ، إلى ناسٍ بمكة من المشركين، يُخْبِرُهم ببعضِ أَمْرِ رسول الله ﷺ... ثم ذكر قصة حاطب مع النبي ﷺ لما سأله عن الكتاب.

والخبر كما ذكره المصنف تابع فيه صاحب «الكشاف» (٩/ ٦٢) مختصراً، وروى بعضه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه، وسمى المرأة: أم سارة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٦٨): فيه الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف.

(١) «ما يسوؤكم»: ليست في (ض).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكُمْ عليه.

قوله: «ومجيءُ ﴿ودُّوا﴾ وحدَهُ بلفظِ الماضي...» إلى آخره:

قال أبو حيَّان: كأنَّ الزَّمخشريَّ فَهِمَ مِن قَولِه: ﴿ودُّوا﴾ أنَّه معطوفٌ على جوابِ الشَّرطِ، والذي يظهَرُ أنه ليسَ مَعْطوفًا عليه لأن ودادَتَهُم كُفرَهُم ليسَتْ مُترتِّبَةً على الظَّفرِ بهم والتَّسليطِ عليهِم، بَلْ هُم وادُّونَ كُفرَهُم على كلِّ حالٍ سواءٌ ظَفِرُوا بهم أَمْ لَمْ يَظفَرُوا، وإنَّما هو مَعطوفٌ على جملةِ الشَّرطِ والجزاءِ، أخبرَ تعالى بخَبرينِ أَحدُهُما إيضاحُ عَداوَتِهم والبَسطُ إليهم ما ذكرَ على تقديرِ الظَّفرِ بهم، والآخرُ ودادَتُهُم كُفرَهُم لا على تقديرِ الظَّفرِ بِهِم[1].

وقال الحَلَبيُّ: الظَّاهرُ أنَّه عطفٌ على الجوابِ[2].

(٤ ـ ٥) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوةٌ حسنةٌ، اسمٌ لِمَا يُؤتَسى به.

﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ صفةٌ ثانيةٌ أو خبرُ (كان)، و﴿لَكُمْ﴾ لغوٌ أو حالٌ مِن المستكنِّ في ﴿حَسَنَةٌ﴾ أو صِلَةٌ لها لا لـ﴿أُسْوَةٌ﴾؛ لأنَّها وُصِفَت.

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرفٌ لخبرِ (كان) ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ جمعُ بَريءٍ كظَريفٍ وظُرفاءَ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٢٩٣).

(٢) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ٣٠٢).

﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينِكُم أو معبودِكُم، أو بِكُم وبه فلا نعتَدُّ بشأنِكُم وآلِهَتِكُم.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ فتنقلبُ العداوةُ والبَغضاءُ أُلفةً ومَحبَّةً.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناءٌ مِن قولِه: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فإنَّ استغفارَهُ لأبيهِ الكافرِ ليس ممَّا يَنبغي أن يَأتَسُوا به، فإنَّه كانَ قبلَ النَّهيِ، أو لموعدَةٍ وعدَها إيَّاه.

﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ مِن تَمامِ قولِهِ المُستثنى، ولا يلزمُ مِن استثناءِ المَجموعِ استثناءُ جميعِ أَجزائِه.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ مُتَّصِلٌ بما قبلَ الاستثناءِ، أو أمرٌ مِن اللهِ للمُؤمنينَ بأَنْ يقولوه تتميمًا لِمَا وَصَّاهُم به مِن قطعِ العَلائقِ بينهم وبين الكُفَّارِ.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأَنْ تُسلِّطَهُم علينا فيَفتِنُونا بعذابٍ لا نتحمَّلُه، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرطَ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ومَن كانَ كذلك كانَ حقيقًا بأن يُجيرَ المتوكِّلَ ويُجيبَ الدَّاعِيَ.

قوله: «استثناءٌ مِن قَولِه: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾»:

قال أبو حيَّان: الذي يظهرُ أنَّه مُستثنًى مِن مُضافِ ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ تقديرُه: أُسوةٌ حَسنةٌ في مقالاتِ إبراهيمَ ومُحاوراتِه لقومِه إلا قولَ إبراهيمَ لأبيهِ لأَستغفرَنَّ لك وليسَ فيه أسوةٌ حسنةٌ، فيكونُ على هذا الاستثناءِ مُتَّصِلًا.

وأمَّا أَنْ يكونَ قولُ إبراهيمَ مُندَرِجًا في ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لأنَّ معنى الأسوةِ هو الاقتِداءُ والتَّأسِّي فالقولُ ليسَ مُندَرِجًا تحته لكنَّه مُندرجٌ تحت مَقالاتِ إبراهيمَ[1].

(٦ ـ ٧) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٦ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ تكريرٌ لِمَزيدِ الحثِّ على التأسِّي بإبراهيمَ، ولذلك صُدِّرَ بالقسمِ وأُبدِلَ قولُه: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ مِن ﴿لَكُمْ﴾؛ فإنَّه يدلُّ على أنَّه لا ينبَغِي لِمُؤمنٍ أن يتركَ التَّأسِّيَ بهم، وأنَّ تركَهُ مُؤذِنٌ بسوءِ العقيدةِ، ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فإنَّه جديرٌ بأن يوعِدَ به الكفرةَ.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لَمَّا نزلَ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ عادى المؤمنونَ أقاربهم المشركينَ وتبرَّؤُوا عنهم، فوعدَهُم الله بذلك وأنجزَ إذ أسلمَ أكثرُهُم وصارُوا لهم أولياءَ.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما فرطَ مِنكُم في مُوالاتِهم مِن قبلُ ولما بقيَ في قلوبِكُم مِن ميلِ الرَّحِمِ.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا ينهاكُم عَن مبرَّةِ هؤلاءِ؛ لأنَّ قولَه: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدلٌ مِن ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ تُفضُوا إليهم بالقسطِ؛ أي: العدلِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٢٩٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلينَ.

رُوِيَ أن قُتَيلة بنتَ عبد العُزَّى قَدِمَتْ مُشرِكَةً على بنتِها أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ بهدايا فلَمْ تَقبَلْها ولم تأذَنْ لها بالدُّخولِ، فنزلَتْ.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ كمُشرِكي مَكَّةَ فإنَّ بعضَهُم سَعَوْا في إخراجِ المؤمنينَ، وبعضَهُم أعانوا المُخرَجِين.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدلٌ مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلَ الاشتمالِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لوَضْعِهِم الولايةَ في غيرِ مَوضعِها.

قوله: «رُوِيَ أنَّ قتيلةَ بنتَ عبدِ العُزّى قَدِمَت مُشرِكَةً على ابنَتِها أسماءَ..» إلى آخره:

أخرجَه أبو داودَ والحاكمُ مِن حَديثِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ[1].

---

(١) رواه أبو داود (١٦٦٨)، من حديث عروة بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٤)، من حديث عبد الله بن الزبير، قال: قدمت قتيلة بنت العزى بنت أسعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما... فذكره بنحوه.
وأصل الحديث رواه مسلم (١٠٠٣)، وعلقه البخاري (٥٩٧٩) جزماً، من حديث أسماء رضي الله عنها، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٦): اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها في أسماء بنت أبي بكر، والثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج...، وعزاه لابن عباس والحسن، والثالث: نزلت في قوم من بني هاشم من الهباس، قاله عطيّة العوفي ومرّة الهمداني، والرابع: أنها عامة في الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قاله قتادة، والخامس: نزلت في النساء والصبيان، حكاه الزجاج.

(١٠) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ فاختبِرُوهنَّ بما يُغلِّبُ على ظنِّكُم موافقةَ قلوبِهنَّ لسانَهُنَّ(١) في الإيمانِ.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ فإنَّه المطَّلعُ على ما في قلوبهنَّ.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ العلمَ الذي يمكنكُم تَحصيلُه وهو الظنُّ الغالبُ بالحلفِ وظهورِ الأَماراتِ، وإنَّما سمَّاه علمًا إيذانًا بأنَّه كالعلمِ في وجوبِ العملِ به.

﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي: إلى أزواجهنَّ الكفرةِ؛ لقولِه: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ والتَّكريرُ للمُطابقةِ والمبالغةِ، أو الأوَّلُ لحُصولِ الفرقةِ والثَّانيةُ للمنعِ عن الاستئنافِ.

﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ ما دفعوا إليهنَّ مِن المهورِ، وذلك لأنَّ صُلحَ الحديبيَّةِ جرى على أنَّ مَن جاءَنا مِنْكُم ردَدْناه، فلمَّا تعذَّرَ عليه ردُّهُنَّ لوُرودِ النَّهيِ عنه لَزِمَه ردُّ مُهورِهنَّ إذ رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ كان بعدُ بالحديبيةِ إذ جاءَتْه سُبَيْعةُ بنتُ الحارثِ الأَسلميَّةُ مُسلِمَةً فأقبلَ زَوجُها مسافرٌ المخزوميُّ طالبًا لها فنزلَتْ، فاستَحْلَفَها رسولُ اللهِ ﷺ فحلَفَتْ، فأعطَى زَوْجَها ما أنفقَ وتزوَّجها عمرُ رضيَ اللهُ عنه(٢).

---

(١) في (ض): «ألسنتهن».

(٢) ذكر الخبر عند تفسير هذه الآية مقاتل والفراء وأبو الليث السمرقندي والثعلبي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي في تفاسيرهم، وهبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨)، =

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ فإنَّ الإسلامَ حالَ بينَهنَّ وبينَ أزواجِهنَّ الكفَّارِ.

﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ شَرطَ إيتاءَ المهرِ في نكاحِهنَّ إيذانًا بأنَّ ما أُعطيَ أزواجُهُنَّ لا يقومُ مقامَ المهرِ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ بما تعتَصِمُ به الكافراتُ مِن عقدٍ ونَسبٍ، جمعُ عصمةٍ، والمرادُ نهيُ المؤمنينَ عن المُقامِ على نكاحِ المُشركاتِ.

وقرأَ البَصريَّانِ: ﴿ولا تمسِّكوا﴾ بالتَّشديدِ[1].

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ مِن مُهورِ نِسائِكُم اللاحقاتِ بالكفَّارِ ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ مِن مُهورِ أزواجِهِم المهاجراتِ.

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني: جميعَ ما ذكرَ في الآيةِ ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ استئنافٌ أو حالٌ مِن الحكمِ على حذفِ الضَّميرِ، أو جَعلِ الحكمِ حاكمًا على المبالغةِ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يشرعُ ما تقتضيهِ حِكمَتُه.

(١١) ـ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ وإن سبقَكُم وانفلتَ مِنكُم ﴿شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أحدٌ مِن أزواجِكُم، وقد قُرِئَ به[2]، وإيقاعُ ﴿شَىْءٌ﴾ موقِعَه للتَّحقيرِ والمبالغةِ في التَّعميمِ، أو شيءٌ مِن مُهورهنَّ.

= وعزاه الثعلبي والبغوي، وكذا الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٤) لابن عباس لكن دون إسناد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢١) عن الكلبي، فلعله كغيره من الأخبار التي رويت من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٠)، و«النشر» (٢/ ٣٨٧).

(٢) وهي قراءة ابن مسعود، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٤)، و«الكشاف» (٩/ ٧٥).

﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ فجاءَتْ عُقْبَتُكم؛ أي: نَوْبَتُكم مِن أداءِ المهرِ، شَبَّهَ الحكمَ بأداءِ هؤلاءِ مهورَ نِساءِ أولئك تارةً وأداءِ أولئكَ مُهورَ نِساءِ هؤلاءِ أُخرى بأمرٍ يَتعاقبونَ فيه كما يُتعاقَبُ في الرُّكوبِ وغيرِه.

﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ مِن مهرِ المهاجرةِ، ولا تؤتوهُ زوجَها الكافرَ.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا نزلَت الآيةُ المتقدِّمةُ أبى المشركونَ أن يُؤَدُّوا مهرَ الكوافرِ فنزلَتْ[1].

وقيل: معناهُ: إن فاتَكُم فأَصَبْتُم مِن الكفَّارِ عُقْبى ـ وهي الغنيمةُ ـ فآتوا بدلَ الفائتِ مِن الغنيمةِ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ فإنَّ الإيمانَ به يقتَضِي التَّقوى منه.

(١٢) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ نزلَتْ يومَ الفتحِ فإنَّه عليه السَّلامُ لَمَّا فرغَ عن بيعةِ الرِّجالِ أخذَ في بَيعةِ النِّساءِ.

﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ يريدُ وأدَ البَناتِ.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ في حسنةٍ تأمرُهُنَّ بها، والتَّقييدُ بالمَعروفِ مع أنَّ الرَّسولَ لا يأمرُ إلَّا به تنبيهٌ على أنَّه لا يجوزُ طاعةُ مَخلوقٍ في مَعصيةِ الخالقِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٤) عن الزهري.

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا بايَعْنَك بضمانِ الثَّوابِ على الوفاءِ بهذه الأَشياءِ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: عامَّةَ الكفَّارِ، أو اليهودَ، إذ رُوِيَ أنَّها نزلَتْ في بعضِ فُقراءِ المُسلمينَ، كانوا يواصِلُونَ اليهودَ ليُصيبوا مِن ثمارِهم.

﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لكُفرِهم بها أو لعلمِهم بأنَّه لا حظَّ لهم فيها لعنادِهم الرَّسولَ المنعوتَ في التَّوراةِ المؤيَّدَ بالآياتِ.

﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أن يُبعَثوا أو يُثابوا أو يَنالَهم خيرٌ منهم، وعلى الأوَّلِ وُضِعَ الظَّاهرُ فيه مَوضِعَ المُضمَرِ للدَّلالةِ على أنَّ الكفرَ آيَسَهُم.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ المُمتحنةِ كانَ له المؤمنونَ والمؤمناتُ شفعاءَ يومَ القيامةِ».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ المُمتحنةِ...» إلى آخره:

موضوعٌ[1].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٨٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٨١)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ الصَّفِّ

مَدنيَّةٌ، وقيل: مَكِّيَّةٌ[1]، وآيها أربعَ عشرةَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ رُوِيَ أنَّ المسلمينَ قالوا: لو عَلِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ لبَذَلْنا فيهِ أموالَنا وأنفُسَنا فأنزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فولَّوا يومَ أحدٍ، فنزَلَتْ.

و﴿لِمَ﴾ مركَّبةٌ مِن لامِ الجرِّ و(ما) الاستفهاميَّةِ، والأكثرُ حذفُ ألِفِها مع حرفِ الجرِّ لكثرةِ استعمالِهما معًا واعتِناقِهما في الدلالةِ على المُستفهَمِ عنه.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ المَقْتُ: أشَدُّ البُغْضِ، ونصبُه على التَّمييزِ للدَّلالةِ على أنَّ قولَهُم هذا مقتٌ خالصٌ كبُرَ عندَ مَن يَحقُرُ دونَهُ كلُّ عظيمٍ مُبالغَةً في المنعِ عنهُ.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٥)، وفيه: مدنية في قول قتادة، وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء: هي مكِّيَّة.

سُورةُ الصفِّ

قوله: «رُوِيَ أنَّ المُسلمينَ قالوا: لو عَلِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ...» إلى آخره:

أخرجَه أحمَدُ والتِّرمذيُّ وابنُ حِبَّانَ والحاكِمُ مِن حَديثِ عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ[1].

(٤ ـ ٥) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ مُصطفِّينَ، مَصدرٌ وُصِفَ به.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ في تراصِّهم مِن غيرِ فُرجةٍ، حالٌ مِن المستكنِّ في الحالِ الأولى.

والرَّصُّ: اتِّصالُ بعضِ البناءِ بالبعضِ واستحكامُه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ مقدَّرٌ بـ: اذكر، أو كانَ كذا.

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ بالعِصيانِ والرَّمي بالأُدْرةِ.

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جِئتُكم مِن المُعجزاتِ، والجملةُ حالٌ مُقرِّرةٌ للإنكارِ، فإنَّ العلمَ بنُبوَّتِه يوجِبُ تَعظيمَه ويمنَعُ إيذاءَه، و(قد) لتَحقيقِ العلمِ.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحقِّ ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صَرَفَها عن قبولِ الحقِّ والميلِ إلى الصَّوابِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ هدايةً مُوصِلَةً إلى معرفةِ الحقِّ أو إلى الجنَّةِ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧٨٩)، والترمذي (٣٣٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٩٩)، قال الذهبي في «التلخيص»: على شرط البخاري ومسلم.

(٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولعلَّه لم يقل: يا قوم كما قالَ مُوسى؛ لأنَّه لا نسبَ له فيهم.

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا﴾ في حالِ تَصديقِي لما تقدَّمني مِن التَّوراةِ وتَبشيري ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي﴾ والعامِلُ في الحالينِ ما في الرَّسولِ مِن معنى الإرسالِ لا الجارِّ؛ لأنَّه لغوٌ إذ هو صِلَةٌ للرَّسولِ فلا يعملُ.

﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني: محمدًا عليه السَّلامُ، والمعنى: ديني التَّصديقُ بكُتُبِ اللهِ وأنبيائِه، فذكرَ أوَّلَ الكتبِ المَشهورةِ الذي حكم به النَّبيُّونَ، والنَّبيَّ الذي هو خاتَمُ المرسَلين[1].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الإشارةُ إلى ما جاءَ به أو إليه، وتَسميَتُه سِحرًا للمُبالغَةِ، ويؤيِّدُه قراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ: ﴿هذا ساحرٌ﴾[2] على أنَّ الإشارةَ إلى عيسى.

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحدَ أظلَمُ ممَّنْ يُدعى إلى الإسلامِ الظَّاهرِ حقِّيَّتُه المقتضي له خيرُ الدارينِ فيضعُ مَوضِعَ إجابَتِه الافتراءَ على اللهِ بتكذيبِ رَسُولِه وتسميةِ آياتِه سِحرًا، فإنَّه يَعُمُّ إثباتَ المنفيِّ ونفيَ الثَّابتِ.

وقُرِئَ: (يُدَّعى)[3] يقال: دَعاهُ وادَّعاهُ كـ: لَمَسهُ والتَمسهُ.

---

(١) في (خ) و(ت): «خاتم النَّبيين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٣) وهي قراءة طلحة بن مصرف، انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢١)، و«الكشاف» (٤/ ٥٢٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٣).

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يُرشِدُهم إلى ما فيه فلاحُهم.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ أي: يريدونَ أن يُطفِئُوا، واللامُ مَزيدةٌ لِمَا فيها مِن مَعنى الإرادةِ تأكيدًا[1] كما زِيدَتْ لِمَا فيها مِن مَعنى الإضافةِ تأكيدًا لها في: (لا أبا لك)، أو يريدونَ الافتراءَ ليُطفِئُوا.

﴿نُورَ اللَّهِ﴾ يعني: دينَهُ أو كتابَهُ أو حُجَّتَه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بطَعنِهم فيه.

﴿والله متِمُّ نورَهُ﴾ مبلِّغٌ غايتَه بنَشرِه وإعلائِه، وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ بالإضافةِ[2].

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إرغامًا لهم.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ بالقرآنِ والمُعجزةِ ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ والمِلَّةِ الحنيفيَّةِ.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليغلبَه على جميعِ الأديانِ[3] ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ لِمَا فيهِ مِن محضِ التَّوحيدِ وإبطالِ الشِّركِ.

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿تُنَجِّيكُم﴾ بالتَّشديدِ[4].

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ استئنافٌ مُبيِّنٌ للتِّجارةِ، وهو

---

(١) في (خ) زيادة: «لها».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٣) في (خ) زيادة: «كلها».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

الجمعُ بينَ الإيمانِ والجهادِ المُؤدِّي إلى كمالِ عزِّهم[1]، والمرادُ به الأمرُ، وإنَّما جيءَ بلَفظِ الخبرِ إيذانًا بأنَّ ذلك مما لا يُترَكُ.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني: ما ذكرَ مِن الإيمانِ والجِهادِ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنْ كُنتم مِن أهلِ العلمِ؛ إذ الجاهلُ لا يُعتَدُّ بفعلِه.

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جوابٌ للأمرِ المَدلولِ عليه بلفظِ الخبرِ، أو لشرطٍ أو استفهامٍ دلَّ عليه الكلامُ تقديرُه: أن تُؤمِنُوا وتُجاهِدُوا، أو هَلْ تَقبلونَ أَنْ أَدُلَّكُم يغفِر لكم، ويبعُدُ جعلُه جوابَ ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ لأنَّ مُجرَّدَ دلالته لا تُوجِبُ المغفرةَ.

﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الإشارةُ إلى ما ذكرَ مِن المغفرةِ وإدخالِ الجنَّةِ.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم إلى هذهِ النِّعمَةِ المذكورةِ نِعمَةٌ أُخرَى عاجِلَةٌ مَحبوبَةٌ، وفي ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ تعريضٌ بأنَّهم يُؤثِرونَ العاجلَ على الآجلِ.

وقيل: ﴿أخرى﴾ منصوبةٌ بإضمارِ: يُعطِكُم أو تُحبُّونَ، أو مبتدأٌ خبرُه:

﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو على الأوَّلِ بدلٌ أو بيانٌ، وعلى قولِ النَّصبِ خبرُ محذوفٍ، وقَدْ قُرِئَ بما عطفَ عليه بالنَّصبِ[2] على البدلِ أو الاختصاصِ أو المصدرِ.

﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجلٌ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفٌ على محذوفٍ، مثل: قُلْ يا أيها الذينَ آمَنُوا وبشِّر، أو على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فإنَّه في معنى الأمرِ، كأنَّه قال: آمِنُوا وجاهِدُوا أيُّها المؤمنونَ وبشِّرْهُم يا رسولَ اللهِ بما وعدتَهُم عليه آجلًا وعاجِلًا.

---

(١) في جميع النسخ عدا (خ): «غيرهم».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٤)، و«البحر» (٢٠/ ٣١٩) عن ابن أبي عبلة.

(١٤) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ وقرأ الحِجازيَّانِ وأبو عمرٍو بالتَّنوينِ واللامِ[1]، لأنَّ المعنى: كونوا بعضَ أنصارِ اللهِ.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَن جُندي مُتوجِّهًا إلى نصرةِ اللهِ؛ ليطابقَ قولَه:

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ والإضافةُ الأُولى إضافةُ أحدِ المُتشاركينِ إلى الآخرِ لِمَا بينَهُما مِن الاختصاصِ، والثَّانيةُ إضافةُ الفاعلِ إلى المفعولِ، والتَّشبيهُ باعتبارِ المعنى؛ إذ المرادُ: قُل لَهُم كمَا قال عيسى، أو كونوا أنصارًا كما كانَ الحواريُّونَ حينَ قال لهم عيسَى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، والحواريُّونَ: أصفياؤُه وهُمْ أوَّلُ مَن آمنَ به، مِن الحَوَرِ وهو البياضُ، وكانوا اثْني عشرَ رَجُلًا.

﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ أي: بعيسى ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ بالحُجَّةِ أو بالحربِ، وذلك بعدَ رَفعِ عيسى ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ فصاروا غالِبينَ.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأ سورةَ الصفِّ كان عيسى مصليًّا عليه مُستغفرًا له ما دامَ في الدُّنيا وهو يومَ القيامةِ رَفيقُه».

قوله: «مَن قرأ سورةَ الصفِّ...» إلى آخره: موضوعٌ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠)، و«النشر» (٢/ ٣٨٧).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٤٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٠)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ الجُمُعَةِ

مَدنيَّةٌ، وآيُها إحدى عشرةَ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وقد قُرِئَ الصِّفاتُ الأربعُ بالرَّفعِ على المدحِ[(١)].

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي: في العربِ؛ لأنَّ أكثرَهُم لا يكتبونَ ولا يقرؤونَ.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ مِن جُملَتِهِم، أو أمِّيًا مِثلَهُم.

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ مع كونِهِ أُمِّيًّا مثلَهم لم تُعهَدْ منه قراءةٌ ولا تعلُّمٌ.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ مِن خبائثِ العَقائدِ والأعمالِ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القرآنَ والشَّريعةَ أو معالمَ الدِّينِ مِنَ المنقولِ والمعقولِ، ولو لم يكن سِواهُ مُعجزَةً لكَفاهُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٦)، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ورؤبة وأبي الدينار.

﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ مِن الشِّركِ وخَبَثِ الجاهليَّةِ، وهو بيانٌ لشدَّةِ احتياجِهِم إلى نبيٍّ يُرشِدُهُم وإزاحةٌ لِمَا يُتوهَّمُ أنَّ الرَّسولَ تعلَّمَ ذلك مِن مُعلِّمٍ، و(إن) هي المُخفَّفةُ واللامُ تَدلُّ عليها.

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطفٌ على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ أو المنصوبِ في ﴿يُعَلِّمُهُمُ﴾، وهم الذينَ جاؤُوا بعدَ الصَّحابةِ إلى يومِ الدِّينِ، فإنَّ دعوتَهَ وتعليمَهُ يعمُّ الجميعَ.

﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يلحَقُوا بهم بعدُ وسَيلحَقُون.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في تمكينِه مِن هذا الأمرِ الخارقِ للعادةِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ في اختيارِه وتعليمِه.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ ذلك الفضلُ الذي امتازَ به عن أقرانِه فضلُهُ.

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ تفضُّلًا وعَطِيَّةً.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الذي يُستحقَرُ دونه نِعَمُ الدُّنيا ونعيمُ الآخرةِ.

(٥) ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ عُلِّمُوها وكُلِّفُوا العملَ بها.

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعمَلُوا ولم يَنتفِعُوا بما فيها.

﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ كتبًا من العلمِ يَتعَبُ في حملِها ولا يَنتفِعُ بها، و﴿يَحْمِلُ﴾ حالٌ والعامِلُ فيه معنى المثلِ، أو صفةٌ؛ إذ ليسَ المرادُ مِن الحمارِ معيَّنًا.

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مثلُ الذين كذَّبُوا وهم اليهودُ المكذبونَ بآياتِ اللهِ الدَّالة على نبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿الَّذِينَ﴾ صفةً للقومِ، والمخصوصَ بالذَّمِّ محذوفًا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

سُورَةُ الجمعةِ

قوله: «أو صفةٌ؛ إذ ليسَ المرادُ مِن الحمارِ مُعيَّنًا»:

قال أبو حيَّان: هذا الذي قالَه قد ذهبَ إليه بعضُ النَّحويِّينَ، وهو أنَّ مثلَ هذا مِن المعارفِ يوصَفُ بالجُمَلِ، وحَمَلوا عليهِ: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، وهذا وأمثالُه عند المحقِّقينَ في موضعِ الحالِ لا في مَوضعِ الصِّفَةِ، ووصفه بالمعرفَةِ ذي اللامِ دليلٌ على تَعريفِه، مع ما في ذلك المذهبِ مِن هدمِ ما ذكرَهُ النَّحويونَ المُتقدِّمونَ مِن أنَّ المعرفةَ لا تُنعتُ إلَّا بالمعرفةِ والجُمَلُ نكراتٌ[1].

(٦ ـ ٨) ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ تهوَّدُوا ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ﴾ إذ كانوا يقولونَ نحنُ أولياءُ اللهِ وأحبَّاؤُه.

﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ فتمنَّـوْا مِـن اللهِ أَنْ يُميتكُـم وينقُلكُـم مِـن دارِ البليَّـةِ إلى محلِّ الكرامـةِ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زَعمِكُم.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسببِ ما قدَّموا مِن الكفرِ والمعاصي.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيُجازِيهم على أعمالِهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافونَ أَنْ تتمنَّوْهُ بلِسانِكُم مخافةَ أَنْ يُصيبَكُم فتُؤخَذُوا بأعمالِكُم.

﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[١] لاحِقٌ بكُمْ، والفاءُ لتَضمُّنِ الاسمِ معنى الشَّرطِ باعتبارِ الوَصفِ، وكأنَّ فرارَهُم يُسرِّعُ لحوقَهُ بهم.

وقد قُرِئَ بغيرِها[٢]، ويجوزُ أن يكونَ الموصولُ خبرًا والفاءُ عاطفةً.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأَنْ يُجازيَكُمْ عليه.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أُذِّنَ لها.

﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ بيانٌ لـ﴿إِذَا﴾، وإنَّما سُمِّيَ جمعةً لاجتماعِ النَّاسِ فيه للصَّلاةِ، وكانت العربُ تُسمِّيهِ العَرُوبة.

وقيل: سمَّاه كعبُ بنُ لُؤَيٍّ لاجتماعِ النَّاسِ فيه إليه.

وأوَّلُ جمعةٍ جمَّعَها رسولُ اللهِ ﷺ أنه لَمَّا قدمَ المدينةَ نزلَ قُباءَ وأقامَ بها إلى الجمعةِ، ثمَّ دخلَ المدينةَ وصلَّى الجمعةَ في دارٍ لِبَني سالمِ بنِ عَوفٍ.

---

(١) في (أ) زيادة: «لا تفوتونه» وجاءت في (خ): «لا تفوتون».

(٢) أي: بغير الفاء، وهي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه: (إنه ملاقيكم)، انظر: «الكشاف» (٩/ ١٠٤)، و«البحر» (٢٠/ ٣٢٧).

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فامْضُوا إليه مُسرعينَ قصدًا، فإنَّ السَّعيَ دونَ العَدْوِ، والذِّكرُ الخُطبةُ، وقيل: الصَّلاةُ. والأمرُ بالسَّعيِ إليها يدلُّ على وُجوبِها.

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ واتركوا المعاملةَ.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: السَّعيُ إلى ذكرِ اللهِ ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِن المُعاملَةِ، فإنَّ نفعَ الآخرةِ خَيرٌ وأَبْقى.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ الخيرَ والشَّرَّ الحَقيقيينِ، أو إن كنتُم مِن أهلِ العلمِ.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أُدِّيَتْ وفُرِغَ مِنْها.

﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ إطلاقٌ لما حُظرَ عليهم. واحتجَّ به مَن جعلَ الأمرَ بعدَ الحظرِ للإباحةِ.

وفي الحديثِ: «وابتَغُوا مِن فَضلِ اللهِ ليسَ بطلبِ الدُّنيا وإنَّما هو عيادةٌ وحُضورُ جنازةٍ وزيارةُ أخٍ في اللهِ».

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ واذكروهُ في مَجامعِ أَحوالِكُم ولا تخصُّوا ذكرَهُ بالصَّلاةِ.

﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ بخيرِ الدَّارينِ.

قوله: «وأوَّلُ جُمعةٍ جمَّعها رَسولُ اللهِ ﷺ أنَّه لَمَّا قَدِمَ المدينةَ..» إلى آخره:

أخرجه ابنُ إسحاقَ في «المغازي»، والبَيهقيُّ في «الدلائل»، مِن حَديثِ عبدِ الرَّحمنِ بن عويم: أخبرني بَعضُ قَومي[1].

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٩٤). ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥١٢) عن عبد الرحمن بن عويم، قال: أخبرني بعض قومي... فذكره.

قوله: «وفي الحديثِ: فابتَغُوا مِن فضلِ اللهِ ليسَ هو بطلبُ الدُّنيا وإنَّما هو عِيادةُ مَريضٍ وحضورُ جنازةٍ وزيارةُ أخٍ في اللهِ»:

أخرجَه ابنُ جَريرٍ مِن حديثِ أنسٍ مرفوعًا[1]، وابنُ مردويه عن ابنِ عبَّاسٍ موقوفًا[2].

(١١) - ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ كان يخطبُ للجمعةِ فمرَّتْ عِيرٌ تحملُ الطَّعامَ فخرجَ النَّاسُ إليهم إلَّا اثني عشرَ، فنزلَتْ.

وإفرادُ التِّجارةِ بردِّ الكنايةِ لأنَّها المقصودةُ، فإنَّ المرادَ مِن اللهوِ الطَّبلُ الذي كانوا يستقبلونَ به العِيرَ، والتَّرديدُ للدَّلالةِ على أنَّ مِنْهُم من انفضَّ بِمُجرَّدِ سَماعِ الطَّبلِ ورُؤيَتِه، أو للدَّلالةِ على أنَّ الانفضاضَ إلى التِّجارةِ مع الحاجةِ إليها والانتفاعِ بها إذا كانَ مذمومًا كان الانفضاضُ إلى اللهوِ أَوْلَى بذلك.

وقيل: تَقديرُه: إذا رأوا تجارة انفَضُّوا إليها، وإذا رَأَوا لهوًا انفضُّوا إليه.

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أي: عَلى المِنبَرِ.

﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ مِن الثَّوابِ ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ فإنَّ ذاك محقَّقٌ مخلَّدٌ بخلافِ ما تتوهَّمُونَ مِن نَفعِهِما.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فتوكَّلُوا عليه واطلُبوا الرِّزقَ مِنه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٤) وفي سنده أبو عامر الصائغ، قال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (٢/ ٧٩٤): أبو عامر الصائغ عن أبي خلف عن أنس، قال الأزدي: كان يضع الحديث.

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٥)، وعزاه لابن مردويه.

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ الجُمعةِ أُعطِيَ مِن الأجرِ عشرَ حَسناتٍ بعَددِ مَن أَتى الجُمعةَ ومَنْ لَمْ يَأْتِها في أَمصارِ المُسلمينَ».

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ كان يخطبُ الجُمعةَ فمرَّت عيرٌ تحملُ الطَّعامَ فخرجَ النَّاسُ إلا اثني عشرَ فنزَلَت»:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ جَابرٍ[1].

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ الجُمعةِ...» إلى آخره:

مَوضوعٌ[2].

***

---

(١) رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٤)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ المنافقون

مَدنيَّةٌ، وآيُها إحدى عشرةَ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ الشَّهادةُ إخبارٌ عن علمٍ، مِن الشُّهودِ، وهوَ الحضورُ والاطِّلاعُ، ولذلكَ صدَّقَ المشهودَ بهِ وكذَّبهم في الشَّهادةِ بقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنَّهم لم يعتقدوا ذلك.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ حلفَهُم الكاذبَ أو شهادتَهُم هذهِ، فإنها تجري مجرَى الحلِفِ في التَّوكيدِ.

وقُرِئَ (إيمانَهُم)[1].

﴿جُنَّةً﴾ وقايةً عن القتلِ والسَّبيِ.

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صدًّا أو صدودًا.

---

(١) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٢).

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِن نِفاقِهم وصَدِّهِم.

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكلامِ المتقدِّمِ؛ أي: ذلكَ القولُ الشَّاهدُ على سوءِ أعمالِهم، أو إلى الحالِ المذكورةِ من النِّفاقِ والكذبِ والاستجنانِ بالإيمانِ.

﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بسببِ أنَّهُم آمنوا ظاهرًا ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ سرًّا، أو آمنُوا إذا رأَوا آيةً ثمَّ كفرُوا حينما سمعُوا من شياطِينهم شُبهةً.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى تمرَّنُوا على الكفرِ واستحكمُوا فيهِ.

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ حقيقةَ الإيمانِ ولا يعرفونَ صِحَّتَهُ.

(٤) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لضخامَتِها وصَباحَتِها.

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لذَلاقَتِهم وحَلاوةِ كلامِهم، وكان ابنُ أبيٍّ جسيمًا فصيحًا يحضرُ مجلسَ رسولِ اللهِ في جمعٍ مثلِهِ فيُعجَبُ بهيكَلِهم ويُصغي إلى كلامِهم.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ حالٌ من الضَّميرِ المجرورِ في ﴿لِقَوْلِهِمْ﴾ أي: تسمعُ لما يقولونه مشبَّهينَ بأخشابٍ مَنصوبةٍ مسندةٍ إلى الحائطِ في كونِهم أشباحًا خاليةً عن العلمِ والنَّظرِ.

وقيل: الخُشُبُ جمع خشباءَ، وهي الخشبةُ التي نَخِرَ جوفُها، شبِّهُوا بها في حسنِ المنظرِ وقبحِ المَخْبَرِ.

وقرأ أبو عمرٍو[1] والكِسائيُّ وقُنبل عن ابنِ كثيرٍ بسكون الشِّينِ على التَّخفيفِ[2]، أو على أنه كبُدْن في جمعِ بَدَنةٍ.

﴿يَحسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقعةً عليهم لجُبنِهم واتهامِهم، فـ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثاني مفعولَي ﴿يَحسِبُونَ﴾[3]، ويجوزُ أن يكونَ صلتَهُ والمفعولُ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾، وعلى هذا يكونُ الضَّميرُ للكلِّ، وجمعُه بالنَّظرِ إلى الخبرِ، لكنَّ ترتُّبَ قولِه: ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ عليهِ يدلُّ على أنَّ الضَّميرَ للمنافقينَ.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهِم، وهو طلبٌ من ذاتِهِ أن يلعنَهُم، أو تعليمٌ للمؤمنينَ أن يدعُوا عليهِم بذلكَ.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيفَ يُصرفونَ عن الحقِّ.

سُورَةُ المُنافِقونَ

قوله: «ويجوزُ أن يكونَ صِلتَهُ والمفعولُ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾».

وقال أبو حيَّان: تخريجُ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ على أنَّه مَفعولٌ ثانٍ لـ﴿يَحْسَبُونَ﴾ تَخريجٌ مُتكلَّفٌ بَعيدٌ عن الفصاحةِ، بل المتبادِرُ إلى الذِّهنِ السَّليمِ أنْ يكونَ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ إخبارًا منه تعالى بأنَّهم وإنْ أظهَروا الإسلامِ وأتباعهم هُم المبالغونَ في عداوَتِكَ، ولذلك جاءَ بعدَه: ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ فالأمرُ بالحذرِ مُتسبَّبٌ عن إخبارِه بأنَّهم هم العَدُوُّ[4].

---

(١) في (خ): «وقرأ أبو بكر».

(٢) وهي بخلف عن قنبل فروى ابن مجاهد عنه الإسكان، وروى ابن شنبوذ عنه الضم، وقراءة الباقين: ﴿خُشُبٌ﴾، انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١)، و«النشر» (٢/ ٢١٧).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ١٩١)، و«النشر» (٢/ ٢٣٦).

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٣٤١).

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطَفُوها إعراضًا واستكبارًا عن ذلكَ، وقرأ نافع بتخفيف الواو(١).

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرِضونَ عن الاستغفارِ(٢) ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عَن الاعتذارِ.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لرسوخِهم في الكفرِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجينَ عن مَظِنَّةِ الاستصلاحِ(٣) لانهماكِهم في الكفرِ والنِّفاقِ.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: للأنصارِ ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ يعنونَ فقراءَ المهاجرينَ.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بيدِهِ الأرزاقُ والقِسَمُ.

---

(١) وقراءة الباقين بالتشديد، انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٢) في (ض): «الاستكبار».

(٣) في (أ) و(خ): «الإصلاح».

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلكَ لجهلِهم باللهِ.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ رُوِيَ أنَّ أعرابيًّا نازعَ أنصاريًّا في بعضِ الغزواتِ على ماءٍ، فضربَ الأعرابيُّ رأسَهُ بخشبةٍ فشكى إلى ابنِ أبيٍّ فقال: لا تنفِقُوا على من عندَ رسولِ اللهِ حتى ينفضُّوا، وإذا رَجَعْنا إلى المدينةِ فلْيُخرج الأعزُّ الأذلَّ. عنى بالأعزِّ نفسَهُ وبالأذلِّ رسولَ اللهِ[1].

وقُرِئَ: (لَيَخْرُجَنَّ) بفتحَ الياءِ[2]، ....

---

(١) ذكر الأثر بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٥٢ ـ ٤٦٣)، وعزاه لأهل التفسير وأصحاب السير، وكذلك تلميذه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣١ ـ ٤٣٣)، ورواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٢٩٠) في غزوة بني المصطلق من طريق ابن إسحاق، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٦) من طريق ابن إسحاق.

قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٣٤): واعلَمْ أن الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما مختصراً من حديث زيد بن أرقم، اهـ.

ورواه البخاري (٤٩٠٠) وأطرافه، ومسلم (٢٧٧٢).

وروى طرفاً منه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه بعد قول ابن أبي: والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، قال عمر: دعني أضربُ عنقَ هذا المنافق، فقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتلُ أصحابه».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٥)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٥)، ونسبها ابن عطية وأبو حيان للكسائي والفراء عن قوم لم يسمهم، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٠)، وليس فيه التصريح بكونها قراءة، ولفظه: «ويجوز في القراءة...» فذكرها.

ومعناها كما قال ابن خالويه: ليخرجن العزيز منها ذليلاً، وليصيرن العزيز ذليلاً، قال: حكاه الخليل في كتاب «العين»، قلت: لم أجد ذلك في مطبوعه، وقاله الفراء في الموضع المذكور من «معاني القرآن».

و(ليُخْرَجَنَّ) على بناءِ المفعولِ[١]، و(لنُخرِجَنَّ) بالنُّونِ ونصبِ (الأعزَّ) و(الأذلَّ)[٢] على هذهِ القراءاتِ[٣] مَصْدرٌ أو حالٌ على تقديرِ مُضافٍ، كخُرُوجِ أو إخراجِ أو مثل.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وللهِ الغلبةُ والقوَّةُ ولِمَن أعزَّهُ مِن رسولِهِ والمؤمنينَ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ فرطِ جهلِهم وغُرورِهم.

(٩ ـ ١١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لا يُشْغِلْكم تدبيرُها والاهتمامُ بها عن ذكرِهِ كالصَّلاةِ وسائرِ العباداتِ المذكِّرة للمعبودِ، والمرادُ نهيُهم عن اللَّهوِ بها، وتوجيهُ النَّهيِ إليها للمبالغةِ، ولذلكَ قال:

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: اللَّهوَ بها وهو الشُّغلُ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنَّهم باعوا العظيمَ الباقي بالحقيرِ الفاني.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٩/ ١٢٨)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٥) دون نسبة.

(٢) وهي قراءة الحسن وابن أبي عبلة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٨)، و«الكشاف» (٩/ ١٢٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٥)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٥)، وهي في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٠) دون نسبة.

(٣) يعني القراءات الثلاث.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ بعضَ أموالِكُم ادِّخارًا للآخرةِ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أن يرى دلائلَهُ ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ أمهلتَني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أمدٍ غيرِ بعيدٍ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدَّقَ ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالتَّدارُكِ.

وجزمُ ﴿أكن﴾ للعطفِ على موضعِ الفاءِ وما بعدَهُ.

وقرأ أبو عمرٍو ﴿وأكونَ﴾ منصوبًا[1] عطفًا على أصَّدق، وقُرِئَ بالرَّفعِ[2] على: وأنا أكونُ فيكونُ عِدَةً بالصَّلاحِ.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ ولن يمهلَها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ آخرُ عمرِها.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فمجازٍ عليهِ.

وقرأ أبو بكرٍ بالياءِ[3] ليوافقَ ما قبلَهُ في الغَيبةِ.

عن النبيِّ ﷺ: «من قرأ سورةَ المنافقينَ بَرِئَ من النِّفاقِ».

قوله: «وجزمُ ﴿أكن﴾ للعَطفِ على موضعِ الفاءِ وما بعدَه»:

قال أبو حيَّان: تبعَ في هذا أبا عليٍّ الفارسيَّ، والذي حكاهُ سِيبويه عن الخليلِ غيرُ هذا وهو أنَّه جزمٌ على توهُّمِ الشَّرطِ الذي يدلُّ عليه التَّمنِّي[4].

قوله: «مَن قرأ سُورةَ المنافقون برئَ مِن النِّفاقِ»:

مَوضوعٌ[5].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٢) انظر: «الكشاف» (٩/ ١٣٢)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٨).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٣٤٨).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣١٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠٢). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مختلفٌ فيها، وآيُها ثمانِ عشرةَ[1].

بسم اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بدَلالتِها على كمالِهِ واستغنائِه.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ قدَّمَ الظَّرفينِ للدَّلالةِ على اختِصَاصِ الأمرينِ بهِ مِن حيثُ الحقيقةُ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأنَّ نسبةَ ذاتِهِ المقتضيةِ للقدرةِ إلى الكلِّ على سواءٍ، ثمَّ شرعَ فيما ادَّعاهُ فقالَ:

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدَّرٌ كفرُهُ موجَّهٌ إليهِ ما يحملهُ عليهِ ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مقدَّرٌ إيمانُهُ موفَّقٌ لما يدعوهُ إليهِ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعامِلُكُم بما يناسبُ أعمالَكُم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢٧٩) عن عطاء بن يسار، ونسب القول بمدنيتها للجمهور، منهم كما قال: ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. ونسب للضحاك القول بأنها مكية كلها.

(٣ ـ ٤) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحِكْمَةِ البالغة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ فصوَّركُم مِن جُملةِ ما خلقَ فيهما بأحسنِ صورةٍ، حيثُ زيَّنكُم بصَفوةِ أوصافِ الكائناتِ، وخصَّكُم بخُلاصةِ خصائصِ المبدَعاتِ، وجعلكُم أنموذَجَ جميعِ المخلوقاتِ.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحسِنُوا سرائرَكُم حتى لا يَمسَخَ بالعذابِ ظواهِرَكُم.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فلا يخفَى عليهِ ما يصحُّ أن يُعلَم كليًّا كان أو جزئيًّا؛ لأنَّ نسبةَ المقتَضِي لعلمهِ إلى الكلِّ واحدةٌ، وتقديمُ تقريرِ القدرةِ على العلمِ؛ لأنَّ دلالةَ المخلوقاتِ على قدرتهِ أولًا وبالذَّاتِ وعلى علمِه بما فيها من الإتقانِ والاختصاصِ ببعضِ الأنحاءِ.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا أيُّها الكفارُ ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ كقومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ.

﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ضررَ كفرِهِم في الدُّنيا، وأصلُهُ الثِّقلُ، ومنهُ الوبيلُ لطَعَامٍ يَثقلُ على المَعِدَةِ، والوابلُ للمطرِ الثَّقيلِ القِطارِ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرةِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي المذكورُ من الوبالِ والعذابِ ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بسببِ أنَّ الشَّأنَ ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزاتِ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكرُوا وتعجَّبُوا أن يكونَ الرُّسلُ بشرًا، والبشرُ يطلقُ للواحدِ والجمعِ.

﴿فَكَفَرُوا۟﴾ بالرُّسلِ ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن التدبُّرِ في البيِّناتِ.

﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن كلِّ شيءٍ فضلًا عن طاعتِهم.

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عبادتِهم وغيرِها ﴿حَمِيدٌ﴾ يدلُّ على حمدِهِ كلُّ مخلوقٍ.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ الزَّعمُ: ادِّعاءُ العلمِ، ولذلكَ يتعدَّى إلى مفعولَينِ، وقد قامَ مقامَهُما أنْ بما في حيِّزِهِ.

﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ أي: بلى تُبعثونَ ﴿وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ قسمٌ أُكِّدَ بهِ الجوابُ.

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالمحاسبةِ والمجازاةِ.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لقبولِ المادَّةِ وحصولِ القدرةِ التامَّةِ.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ يعني: القرآنَ، فإنَّهُ بإعجازِهِ ظاهرٌ بنفسِهِ مُظهِرٌ لغيرِهِ ممَّا فيهِ شرحُهُ وبيانُهُ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمجازٍ عليهِ.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظرفُ ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ أو مقدَّرٌ بـ: اذكرْ، وقرأ يعقوبُ: ﴿نجمَعُكُم﴾[1].

﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ لأجلِ ما فيهِ منَ الحسابِ والجزاءِ، والجمعُ جمعُ الملائكةِ والثَّقلينِ.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يَغبِنُ فيهِ بعضُهم بعضًا لنزولِ السُّعداءِ منازلَ الأشقياءِ

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٨).

لو كانوا سعداءَ، وبالعكسِ، مستعارٌ من تَغابُنِ التُّجَّارِ، واللَّامُ فيهِ للدَّلالةِ على أنَّ التَّغابُنَ الحقيقيَّ هوَ التغابُنُ في أمورِ الآخرةِ لعِظَمِها ودوامِها.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي عملًا صالحًا.

﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ بالنُّونِ فيهما[1].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الإشارةُ إلى مجموعِ الأمرينِ ولذلكَ جعلَهُ الفوزَ العظيمَ لأنَّهُ جامعٌ للمصالحِ مِن دفعِ المضارِّ وجلبِ المنافِعِ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ كأنَّها والآيةَ المتقدِّمةَ بيانٌ للتَّغابُنِ وتفصيلٌ لهُ.

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلَّا بتقديرِهِ وإرادتِهِ.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للثَّباتِ والاسترجاعِ عندَ حلُولِها.

وقُرِئَ: (يُهْدَ قلبُه) بالرَّفعِ على إقامتِهِ مقامَ الفاعلِ، وبالنَّصبِ على طريقةِ سَفِهَ نفسَهُ[2]، و(يَهْدَأ) بالهمزِ؛ أي: يسكُنْ[3].

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ حتَّى القلوبِ وأحوالِها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٨)، و«النشر» (ص: ٢١١).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨) عن أبي جعفر والسلمي.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٣) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعكرمة وعمرو بن دينار.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ أي: فإن تولَّيتُم فلا بأسَ عليه؛ إذ وظيفتُهُ التبليغُ وقد بلَّغ.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ لأنَّ إيمانَهُم بأنَّ الكلَّ منهُ يقتضِي ذلكَ.

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ ﴾ يَشْغَلُكم عن طاعةِ اللهِ أو يخاصمُكم في أمرِ الدِّينِ أو الدُّنيا.

﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ ﴾ ولا تأمنُوا غوائِلَهُم.

﴿وَإِن تَعۡفُواْ ﴾ عن ذنوبِهم بتركِ المُعاقبةِ ﴿وَتَصۡفَحُواْ ﴾ بالإعراضِ وتركِ التثريبِ عليها ﴿وَتَغۡفِرُواْ ﴾ بإخفائِها وتمهيدِ معذرَتِهم فيها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ يعاملُكُم بمثلِ ما عمِلتُم ويتفضَّلُ عليكُم.

﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ اختبارٌ لكُم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ لمن آثرَ محبَّةَ اللهِ وطاعتَهُ على محبَّةِ الأموالِ والأولادِ والسَّعيِ لهُم.

(١٦ ـ ١٨) ـ ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (١٦) إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ أي: ابذلُوا في تقواهُ جُهدَكم وطاقتَكُم.

﴿وَٱسۡمَعُواْ ﴾ مواعظَهُ ﴿وَأَطِيعُواْ ﴾ أوامرَهُ ﴿وَأَنفِقُواْ ﴾ في وجوهِ الخيرِ خالصًا لوجهِهِ.

﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أي: افعلوا ما هوَ خيرٌ لها، وهو تأكيدٌ للحثِّ على امتثالِ هذهِ الأوامرِ، ويجوزُ أن يكونَ صفةَ مصدرٍ محذوفٍ أي: إنفاقًا، أو خبرًا لـ(كانَ) مقدَّرٍ جوابًا للأوامرِ.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ سبقَ تفسيرُهُ.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ بصرفِ المالِ فيما أمرَهُ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مقرونًا بإخلاصٍ وطيبِ قلبٍ[1].

﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يجعلْ لكُم بالواحدِ عشرًا إلى سبع مئةٍ وأكثرَ.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ: ﴿يُضَعِّفْهُ لَكُم﴾[2].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركةِ الإنفاقِ.

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعطي الجزيلَ بالقليلِ ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلُ بالعقوبةِ.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ لا يخفى عليهِ شيءٌ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تامُّ القدرةِ والعلمِ.

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سورةَ التَّغابُنِ دُفِعَ عنهُ موتُ الفجأةِ».

سورةُ التَّغابُنِ

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ التَّغابُنِ دُفِعَ عنه مَوتُ الفَجأةِ»:

موضوعٌ[3].

---

(١) في (ض): «وطيب نفس».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٨)، و«التيسير» (ص: ٨١)، و«النشر» (٢/ ٢٢٨).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠٦) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور سورة سورة. انظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنيَّةٌ، وآيُها اثنا عشرةَ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ خصَّ النداءَ وعمَّ الخطابَ بالحكمِ لأنَّهُ إمامُ أُمَّتِهِ، فنداؤُهُ كندائِهم، أو لأنَّ الكلامَ معهُ والحكمُ يعمُّهم، والمعنى: إذا أردتُم تطليقَهُنَّ على تنزيلِ المُشارفِ لهُ منزلةَ الشَّارعِ فيهِ.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: وَقْتِها، وهو الطُّهرُ، فإنَّ اللَّامَ في الأزمانِ وما يُشبِهُها للتَّأقيتِ، ومَن عدَّ العِدَّةَ بالحيضِ علَّقَ اللَّامَ بمحذوفٍ مثل: مستقبِلاتٍ، وظاهرهُ يدلُّ على أنَّ العِدَّةَ بالأطهارِ، وأنَّ طلاقَ المعتدَّةِ بالأَقْرَاءِ ينبغي أن يكونَ في الطُّهرِ، وأنَّهُ يحرمُ في الحيضِ من حيثُ إنَّ الأمرَ بالشَّيءِ يستلزمُ النَّهيَ عن ضدِّهِ ولا يدلُّ على عدمِ وقوعِهِ؛ إذ النَّهيُ لا يستلزمُ الفسادَ، كيفَ وقد صحَّ أنَّ ابنَ عمر لمَّا طلَّقَ امرأَتَهُ حائضًا أمرَهُ عليه السَّلامُ بالرَّجعةِ، وهو سببُ نزولهِ.

﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ واضبِطُوها وأكمِلوها ثلاثةَ أقراءٍ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويلِ العِدَّةِ والإضرارِ بهنَّ.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهنَّ وقتَ الفِراقِ حتَّى تنقضيَ عِدَّتُهنَّ.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ باستبدادِهنَّ، أمَّا لو اتفقا على الانتقالِ جازَ؛ إذ الحقُّ لا يعدوهما، وفي الجمعِ بينَ النَّهيينِ دلالةٌ على استحقاقِها السُّكنى ولزومِها ملازمةَ مسكَنِ الفِراقِ.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ مستثنًى من الأوَّلِ، والمعنى إلَّا أن تبدوَ على الزَّوجِ، فإنَّهُ كالنُّشوزِ في إسقاطِ حقِّها، أو إلَّا أن تزنيَ فتخرُجَ لإقامةِ الحدِّ عليها، أو منَ الثَّاني للمبالغةِ في النَّهيِ والدَّلالةِ على أنَّ خروجَها فاحشةٌ.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ الإشارةُ إلى الأحكامِ المذكورةِ.

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بأن عرَّضَها للعقابِ.

﴿لَا تَدْرِي﴾ أي: النفسُ، أو أنت أيُّها النَّبيُّ، أو المطلِّقُ.

﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ وهو الرَّغبةُ في المطلَّقةِ برجعةٍ أو استئنافٍ.

سورة الطَّلاق

قوله: «علقَ اللامَ بمَحذوفٍ مثل: مُستقبِلاتٍ»:

قال أبو حيَّان: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ هو ظرفٌ مُضافٌ أي: لاستقبالِ عِدَّتِهنَّ، واللامُ للتَّوقيتِ نحو: كتبتُه للَيْلَةٍ بقيَتْ مِن شهرٍ كذا.

وتقديرُ الزَّمخشريِّ هُنا حالًا محذوفَةً يدلُّ عليها المَعنى متعلقًا بها المجرورُ أي: مُستقبلاتٍ لِعدَّتِهنَّ ليسَ بجيِّدٍ لأنَّه قدرَ عامِلًا خاصًّا ولا يحذفُ العامِلُ في الظَّرفِ، والجارِ المجرورِ إذا كانَ خاصًّا، بل إذا كانَ كونًا مطلقًا[1].

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٣٦٤).

قوله: «وقَدْ صَحَّ أنَّ ابنَ عُمَرَ لَمَّا طلَّقَ امرأتَهُ حائضًا أمرَهُ ﷺ بالرَّجعةِ»:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِه[1].

(٢ ـ ٣) ـ ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ شارفـنَ آخرَ عِدَّتِهنَّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فراجعوهنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسنِ عِشرةٍ وإنفاقٍ مناسِبٍ.

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاءِ الحقِّ واتِّقاءِ الضِّرارِ مثلَ أن يراجِعَها ثمَّ يطلِّقَها تطويلًا لعِدَّتِها.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرَّجعـةِ أو الفُرقـةِ تبريًّـا عـن الرِّيبـةِ وقطعًـا للتَّنـازُعِ، وهو نـدبٌ كقولِه: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وعن الشَّـافعيِّ وجوبُهُ فـي الرَّجعةِ[2].

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أيُّها الشُّهودُ عندَ الحاجةِ خالصًا لوجهِهِ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يريدُ الحثَّ على الإشهادِ والإقامةِ أو على جميعِ ما في الآيةِ.

﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإنَّهُ المنتفعُ بهِ والمقصودُ تذكيرُهُ، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ جملةٌ اعتراضيَّةٌ مؤكِّدةٌ لِمَا سبقَ بالوعدِ على الاتقاءِ عمَّا نهى عنهُ صريحًا أو ضِمْنًا مِن الطَّلاقِ في الحيضِ

---

(١) رواه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١).

(٢) انظر: «المجموع شرح المهذب» للنووي (١٧/ ٢٧٠).

والإضرارِ بالمعتدَّةِ وإخراجِها من المسكنِ وتعدِّي حدودِ اللهِ وكتمانِ الشَّهادةِ وتوقُّعِ جُعْلٍ على إقامَتِها، بأن يجعلَ اللهُ لهُ مخرجًا ممَّا في شأنِ الأزواجِ من المضايقِ والغمومِ، ويرزقَهُ فرجًا وخَلَفًا من وجهٍ لم يخطر ببالِهِ، أو بالوعدِ لعامَّةِ المتَّقينَ بالخلاصِ عن مضارِّ الدَّارَينِ والفوزِ بخيرِهما من حيثُ لا يحتسبونَ، أو كلامٌ جيءَ بِهِ للاستطرادِ عندَ ذكرِ المؤمنينَ.

وعنهُ عليهِ السَّلامُ: «إني لأعلمُ آيةً لو أخذَ النَّاسُ بها لكفتهُم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾» فما زالَ يقرؤُها ويعيدُها.

ورويَ أنَّ سالمَ بنَ عوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيَّ أسرهُ العدوُّ فشكا أبوهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «اتقِ اللهَ وأكثر قولَ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ»، ففعلَ، فبينا هو في بيتهِ إذ قرعَ ابنهُ البابَ ومعهُ مائةٌ من الإبلِ غَفَلَ عنها العدوُّ فاستاقَها، وفي روايةٍ: رجعَ ومعهُ غنيماتٌ ومتاعٌ[1].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيهِ.

﴿إنَّ اللهَ بالِغٌ أمرَهُ﴾ يبلغُ ما يريدهُ ولا يفوتهُ مرادٌ.

وقرأَ حفصُ بالإضافةِ[2]، وقُرِئَ: (بالغٌ أمرُه)[3] أي: نافذٌ، و(بالغًا)[4] على أنهُ حالٌ، والخبرُ: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ تقديرًا أو مقدارًا أو أجلًا لا يتأتَّى تغييرُهُ، وهو بيانٌ لوجوبِ التوكُّلِ، وتقريرٌ لِمَا تقدَّمَ من تأقيتِ الطَّلاقِ

(١) في (ض): «فاستاقها فنزلت».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٤)، عن داود بن أبي هند وابن أبي عبلة.

(٤) انظر: «الكشاف» (٩/ ١٦٠)، و«البحر» (٢٠/ ٣٧٠) عن المفضل.

بزمانِ العِدَّةِ والأمرِ بإحصائِها وتمهيدٌ لما سيأتي من مقادِيرِها.

قوله: «وعنه عليهِ السَّلامُ: «إنِّي لأَعرِفُ آيةً لو أخذَ النَّاسُ بها لكَفَتْهُم»»:

أخرجه ابنُ ماجَه وابنُ حِبَّان في «صحيحه» والحاكمُ مِن حَديثِ أبي ذرٍّ[1].

قوله: «رُوِيَ أنَّ سالمَ بنَ عَوف بنِ مالكٍ الأَشجعيَّ أسرَهُ العَدُوُّ...» إلى آخره:

رواه الثَّعلبيُّ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ[2]، والبَيهقيُّ في «الدلائل» مِن حَديثِ ابنِ مَسعودٍ[3].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٥٥١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٣٩)، من حديث أبي السليل ضريب بن نقير عن أبي ذر رضي الله عنه، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٤١): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع؛ أبو السليل لم يدرك أبا ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٥٦)، من حديث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والكلبي هو محمد بن السائب، متهم بالكذب كما في «تقريب التهذيب» (ص: ٤٧٩).

وروى نحو هذه القصة الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٣) من طريق أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: أبو عبيدة ثقة لكن قال الحافظ في «التقريب»: الراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه.

وروى نحوها أيضاً الحاكم أيضاً (٣٨٢٠) من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر. وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٧٤): فيه عبيد بن كثير تركه الأزدي.

قلت: ورويت في القصة مرسلات عن السدي وسالم بن أبي الجعد عند الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣ ـ ٤٥)، وعن محمد بن إسحاق عند ابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية.

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٠٦)، من حديث أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه رضي الله عنه، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، فقد سئل: هل تذكر من عبدالله شيئاً؟ قال: لا. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٤/ ٦٢).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾.

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ لكبرِهنَّ ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككتُم في عِدَّتِهنَّ؛ أي: جَهِلتم ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾.

رويَ أنَّهُ لما نزلَ: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قيلَ: فما عِدَّةُ اللائي لا يحضنَ؟ فنزلَت[1]: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ أي: واللَّائي لم يحضنَ بعدُ كذلكَ.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ مُنتهى عِدَّتِهنَّ.

﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ وهو حكمٌ يعمُّ المطلَّقاتِ والمتوفَّى عنهنَّ أزواجُهنَّ، والمحافظةُ على عمومهِ أولى من محافظةِ عمومِ قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ [البقرة: ٢٣٤]؛ لأنَّ عمومَ ﴿أولات ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ بالذَّاتِ وعمومُ ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ بالعرَضِ، والحكمُ معلَّلٌ هاهنا بخلافِ ثَمَّ، ولأنَّه صحَّ أنَّ سُبيعةَ بنتَ الحارثِ وضعَتْ بعدَ وفاةِ زوجِها بليالٍ فذكرَتْ ذلكَ لرسولِ اللهِ عليهِ السَّلامُ فقال: «قد حللتِ فتزوَّجِي»، ولأنَّهُ متأخرُ النُّزولِ، فتقديمهُ في العمل تخصيصٌ، وتقديمُ الآخرِ بناءٌ للعامِّ على الخاصِّ، والأوَّلُ راجحٌ للوفاقِ عليهِ.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٠٤)، وابن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٢١) وصححه، من طريق عمرو بن سالم عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وعمرو لم يدرك أبيًّا كما قال أبو حاتم عندما سئل عن هذا الحديث، انظر: «العلل» لابنه (١/ ٤٣٨).

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أحكامِهِ فيراعي حقوقَها ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ يُسَهِّلْ عليهِ أمرَهُ ويوفِّقْهُ للخيرِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذكرَ من الأحكامِ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أحكامِهِ فيراعي حقوقَها ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ فإنَّ الحسناتِ يذهبنَ السَّيئاتِ، ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ بالمضاعفةِ.

قوله: «صحَّ أنَّ سبيعةَ بنتَ الحارثِ وَضَعَت..» إلى آخره:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ أمِّ سلمَةَ[1].

(٦ ـ ٧) ـ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: مكانًا مِن مكانِ[2] سُكناكُم.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ من وُسعِكُم؛ أي: مما تُطِيقُونَهُ، وهو عطفُ بيانٍ لقولِهِ: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ في السُّكنَى ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ فتُلجئوهنَّ إلى الخروجِ.

﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجنَ من العِدَّةِ، وهذا يدلُّ على اختصاصِ استحقاقِ النَّفقةِ بالحاملِ من المعتدَّاتِ، والأحاديثُ تؤيِّدُهُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٠٩)، ومسلم (١٤٨٥).

ورواه بنحوه البخاري (٥٣١٩)، ومسلم (١٤٨٤)، من حديث سبيعة رضي الله عنها.

(٢) «مكان»: ليس في (خ) و(ض).

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعدَ انقطاعِ عُلْقةِ[1] النّكاحِ ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاعِ.

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ وليأمر بعضُكم بعضًا بجميلٍ في الإرضاعِ والأجرِ.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتُم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ امرأةٌ أخرى، وفيهِ معاتبةٌ للأمِّ على المعاسَرَةِ.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أي: فلينفقْ كلٌّ من الموسرِ والمعسِرِ ما بلغَهُ وسعُهُ.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ فإنَّهُ تعالى لا يكلِّفُ نفسًا إلا وُسعَها، وفيهِ تطييبٌ لقلبِ المُعسرِ، ولذلكَ وعدَ لهُ باليسرِ فقال: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: عاجلًا أو آجلًا.

قوله: «وهو عَطفُ بيانٍ لقولِه: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾»:

قال أبو حيَّان: لا يُعرَفُ عَطفُ بيانٍ يعادُ فيه العاملُ، إنَّما هو طريقةُ البدلِ مع حرفِ الجرِّ، ولذلك أعربَهُ أبو البقاءِ: بدلٌ من قولِه: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾[2].

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أهلِ قريةٍ ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ أعرضتْ عنهُ إعراضَ العاتي المعانِدِ ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاءِ والمناقشةِ ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ منكرًا، والمرادُ حسابُ الآخرةِ وعذابُها، والتعبيرُ بلفظِ الماضي للتَّحقيقِ.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبةَ كفرِها ومَعاصيها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربحَ فيهِ أصلًا.

---

(١) في (خ): «عقدة».

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٣٧٤).

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكريرٌ للوَعيدِ وبيانٌ لِمَا يوجبُ التَّقوى المأمورَ بهِ في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بالحسابِ استقصاءَ ذنوبِهم وإثباتَها في صحائفِ الحفَظةِ وبالعذابِ ما أصيبُوا به عاجلًا.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾ يعني بالذِّكرِ جبرئيلَ لكثرةِ ذكرِهِ، أو لنزولِهِ بالذِّكرِ وهوَ القرآنُ، أو لأَنَّهُ مذكورٌ في السَّماواتِ، أو ذا ذكرٍ؛ أي: شرفٍ، أو محمَّدًا عليهِ السَّلامُ؛ لمواظبَتِهِ على تلاوةِ القرآنِ أو تبليغِهِ، وعبَّرَ عن إرسالِهِ بالإنزالِ ترشيحًا، أو لأَنَّهُ مسبَّبٌ عن إنزالِ الوحيِ إليهِ، وأبدلَ عنهُ ﴿رَّسُولًا﴾ للبيانِ، أو أرادَ بهِ القرآنَ و﴿رَّسُولًا﴾ منصوبٌ بمقدَّرٍ مثلِ: أرسلَ أو ذكرَ، والرَّسولُ مفعولُهُ أو بدلُهُ على أنه بمعنى الرِّسالةِ.

﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ حالٌ مِن اسمِ ﴿اللَّهِ﴾ أو صفةُ ﴿رَّسُولًا﴾، والمرادُ بـ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ليُحَصِّلَ لهم ما هم عليهِ الآنَ من الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، أو ليُخرجَ من عَلِمَ أو قدَّرَ أنَّهُ يؤمنُ.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ مِن الضَّلالةِ إلى الهُدى، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿نُدْخِلْه﴾ بالنُّونِ[1].

﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ فيهِ تعجبٌ وتعظيمٌ لما رُزِقُوا منَ الثَّوابِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

قوله: «وأبدلَ عنه ﴿رَسُولًا﴾ للبَيانِ»:

قال أبو حيَّان: لا يَصِحُّ لتَبايُنِ المَدلَولينِ في الحقيقَةِ ولكَونِه لا يكونِ بدلَ بعضٍ ولا اشتمالٍ، والزَّمخشريُّ تبعَ في ذلك الكلبيَّ(١).

وقال الحَلَبيُّ: اعتراضُه عليه غيرُ لازمٍ، لأنَّه بُولِغَ فيه حتى جعلَ نفسَ الذِّكرِ رَجُلًا(٢).

قال السَّفاقسيُّ: قد يجابُ بأن يجعلَ نفسَ الذِّكرِ مجازًا.

(١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

مبتدأٌ وخبرٌ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: وخلقَ مثلهنَّ في العددِ منَ الأرضِ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ(٣) على الابتداءِ، والخبرُ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: يجري أمرُ اللهِ وقضاؤُهُ بينهنَّ وينفُذُ حكمُهُ فيهنَّ.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ عِلَّةٌ لـ﴿خَلَقَ﴾ أو ﴿يَتَنَزَّلُ﴾، أو مضمَرٌ يعمُّهمَا، فإنَّ كلًّا منهمُا يدلُّ على كمالِ قدرتِهِ وعلمِهِ.

عنِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: «من قرأَ سورةَ الطَّلاقِ ماتَ على سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ».

قوله: «مَن قرأ سورةَ الطَّلاقِ ماتَ على سُنَّة رسولِ الله»:

مَوضوعٌ(٤).

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢٠/ ٣٨٠).

(٢) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (١٠/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٣) رواية عصمة عن أبي بكر، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥١٧ ـ ٥١٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: مصنوع بلا شكٍّ.

سُورَةُ التَّحرِيم

مَدنيَّةٌ، وآيُها ثِنتَا عشرةَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ رويَ أنَّهُ عليهِ السَّلامُ خلا بماريَّةَ في يومِ عائشةَ أو حفصةَ فاطَّلعت على ذلكَ حفصةُ فعاتبتْهُ فيهِ فحرَّمَ ماريَّةَ، فنزلَتْ.

وقيل: شَرِبَ عسَلًا عندَ زينب[1] فواطَأَت عائشةُ سودةَ وصفيَّةَ فقُلْنَ لهُ: إنا نَشُمُّ[2] منكَ ريحَ المغافيرِ فحرَّمَ العسلَ فنزلتْ[3].

---

(١) في جميع النسخ: «حفصة»، والمثبت من هامش (أ)، وهو الموافق لما في المصادر.

(٢) وفي (ت) و(ض): «نتنسم».

(٣) رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢٠)، وجاء في رواية عند البخاري (٦٩٧٢)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢١): وكان رسولُ الله ﷺ يشتدُّ عليه أن يُوجَدَ منه الريحُ.

قال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٨/ ٢١٠): اختلف في سبب النزول، فقيل: قصة مارية، وقيل: قصة العسل، وقال في «شرح مسلم»: الصحيح أنها في قصة العسل، لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح. انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٠/ ٧٧)، وكلامه منقول عن القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٥/ ٢٠)، وقد ذكرنا بعضه في أعقاب قصة مارية.

﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾ تفسيرٌ لـ﴿تُحَرِّمُ﴾ أو حالٌ من فاعلِهِ أو استئنافٌ ببيانِ الدَّاعِي إليهِ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لكَ هذهِ الزَّلَّةَ فإنَّهُ لا يجوزُ تحريمُ ما أحلَّهُ اللهُ.

﴿رَّحِيمٞ﴾ رحمكَ حيثُ لم يؤاخِذكَ بهِ، وعاتبكَ محاماةً على عِصمَتِكَ.

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ قد شرعَ لكُم تحليلَها، وهو حلُّ ما عقدتَهُ بالكفَّارةِ، أو الاستثناءُ فيها بالمشيئةِ حتَّى لا يحنثَ، من قولهم: حلَّلَ في يمينهِ: إذا استثنى فيها.

واحتجَّ بهِ من رأى التَّحريمَ مطلقًا أو تحريمَ المرأةِ يمينًا، وهو ضعيفٌ؛ إذ لا يلزمُ من وجوبِ كفَّارةِ اليمينِ فيهِ كونُهُ يمينًا مع احتمالِ أنَّهُ عليهِ السَّلامُ أتى بلفظِ اليمينِ كما قيلَ.

﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ متولِّي أمرِكُم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما يصلحُكُم ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ المتقنُ في أفعالِهِ وأحكامِهِ.

سُورَةُ التَّحريمِ

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ خَلَا بمَاريةَ...» إلى آخره:

رواهُ ابنُ سَعْدٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وفيه أنَّه في يَومِ عائشَةَ(١)، ورواه ابنُ إسحاقَ وابنُ أبي خيثَمَةَ عَن بعضِ آل عمر وفيه: أنَّه في يومِ حفصَةَ(٢).

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٨٥) من طريق محمد بن عمر الواقدي، قال عنه الحافظ ابن حجر في «ص: ٤٩٨»: متروك مع سعة علمه.

(٢) رواه بنحوه الطبراني في «الكبير» (١٢٦٤٠) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٨): فيه إسماعيل البجلي وهو ضعيف والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

ورواه بنحوه أيضاً العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣١٦) من =

قوله: «واللهُ غفورٌ: لك هذه الزلَّةَ فإنَّه لا يجوزُ تحريمُ ما أحلَّ اللهُ»:

اللهُ أكبرُ، أستغفرُ اللهَ مِن ذكر هذه الكلمةِ الشَّنعاءِ، ما حكيتُها إلا لأرُدَّهَا وأُحذِّرَ الناسَ منها، والمصنِّفُ تَبِعَ فيها الزَّمخشرِيَّ[1]، وقد أطبقَ الأئمَّةُ على التَّشنيعِ عليه فيها.

قال صاحبُ «الانتصاف»: افترى الزَّمخشريُّ على رسولِ اللهِ ﷺ بتَحريمِ ما أحلَّ اللهُ تعالى لأنَّه ليسَ لأَحَدٍ أن يَعتقِدَ حِلَّ ما حرمَ اللهُ وذلك لا يَصدرُ مِن مُؤمنٍ.

وأمَّا مُجرَّدُ الامتناعِ مِن الحلالِ فقد يكونُ مؤكَّدًا باليَمينِ وليس مِن ذلك، وغايَةُ الأمرِ أنَّه حلفَ لا يقربُ ماريةَ فنزَلَتْ كفَّارةُ اليمينِ.

ومعاذَ اللهِ وحاشَا لله مما نسبَه الزَّمخشريُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فهذه جراءَةٌ عليه ﷺ[2]، انتهى.

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

= حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير عن عمه، قال الذهبي: مجهول، وخبره ساقط. وقال العقيلي: موسى بن جعفر الأنصاري مجهول بالنقل لا يتابع على حديثه ولا يصح إسناده.
وفي كلا الحديثين أن ذلك كان في بيت حفصة رضي الله عنها، وكونه في بيت عائشة قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٧٥): لم أقف في شيء من الطرق على أن ذلك كان في بيت عائشة. ثم ذكَرَ أثر عائشة المتقدم.

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٩/ ١٧٥).

(٢) انظر: «الانتصاف» لابن المنير (٤/ ٥٦٢).

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ يعني: حفصةَ ﴿حَدِيثًا﴾ تحريمَ ماريَّةَ أو العسلِ، أو أنَّ الخلافةَ بعدهُ لأبي بكرٍ وعمرَ.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: فلمَّا أخبرت حفصةُ عائشةَ بالحديثِ.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وأطلعَ النبيَّ عليهِ السَّلامُ على الحديثِ؛ أي: على إفشائهِ.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ عرَّفَ الرَّسولُ حفصةَ بعضَ ما فعلَتْ ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ عن إعلامِ بعضٍ تكرمًا، أو جازاها على بعضهِ بتطليقهِ إيَّاها، وتجاوزَ عن بعضٍ.

ويؤيِّدُهُ قراءةُ الكسائيِّ بالتَّخفيفِ[1]، فإنَّهُ لا يحتملُ هاهنا غيرَهُ، لكنَّ المشدَّدَ من بابِ إطلاقِ اسمِ المسبَّبِ للسَّببِ والمخفَّفُ بالعكسِ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ قولُهُ:

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فإنَّهُ أوفقُ للإعلامِ.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خطابٌ لحفصةَ وعائشةَ رضي الله عنهما على الالتفاتِ للمبالغةِ في المُعاتبةِ.

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقد وُجدَ منكُما ما يوجبُ التَّوبةَ، وهو ميلُ قلوبِكُما عن الواجبِ من مخالصَةِ الرَّسولِ بحبِّ ما يحبُّهُ وكراهةِ ما يكرَهُهُ.

﴿وإن تَظَّاهَرَا عليهِ﴾ وإن تَتَظاهرا عليهِ بما يسوؤُهُ، وقرأَ الكوفيُّونَ بالتَّخفيفِ[2].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلن يعدمَ مَن يُظاهِرُهُ من اللهِ والملائكةِ وصُلحاءِ المؤمنينَ؛ فإنَّ اللهَ ناصرُهُ، وجبرئيلُ رئيسُ الكروبيِّينَ قرينُهُ، ومَن صلحَ من المؤمنينَ أتباعُهُ وأعوانُهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٣)، و«التيسير» (ص: ٧٤)، و«النشر» (٢/ ٢١٨).

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ متظاهرونَ، وتخصيصُ جبريلَ لتعظيمِهِ، والمرادُ بالصَّالحِ الجنسُ، ولذلكَ عمَّ بالإضافةِ، وقولُه: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ تعظيمٌ لمظاهَرةِ الملائكةِ من جملةِ ما ينصرهُ اللهُ بهِ.

(٥) ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ على التَّغليبِ أو تعميمِ الخطابِ، وليسَ فيهِ ما يدلُّ على أنَّهُ لم يطلِّقْ حفصةَ وأنَّ في النِّساءِ خيرًا منهنَّ؛ لأنَّ تعليقَ طلاقِ الكلِّ لا ينافي تطليقَ واحدةٍ، والمعلَّقُ بما لم يقع لا يجبُ وقوعهُ.

وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو: ﴿يُبْدِلَهُۥ﴾ بالتَّخفيفِ[1].

﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مقرَّاتٍ مخلصاتٍ، أو منقاداتٍ مصدِّقاتٍ.

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مصليَّاتٍ أو مواظباتٍ على الطَّاعةِ.

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ عن الذُّنوبِ.

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متعبداتٍ أو متذلِّلاتٍ لأمرِ الرَّسولِ.

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائماتٍ، سمَّى الصَّائمَ سائحًا لأنهُ يَسيحُ بالنَّهارِ بلا زادٍ، أو مهاجراتٍ.

﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ وُسِّطَ العاطفُ بينَهُما لتنافِيهما، ولأنَّهما في حكمِ صفةٍ واحدةٍ؛ إذِ المعنى مشتملاتٍ على الثيِّباتِ والأبكارِ.

---

(١) هذا سهو من المصنف رحمه الله، حيث قرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد والباقون بالتخفيف، انظر: «التيسير» (ص: ٢١٢).

(٦ ـ ٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بتركِ المعاصِي وفعلِ الطَّاعاتِ.

﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنُّصحِ والتَّأديبِ.

وقُرِئَ: (وأهلوكم)[1] عطفًا على واوِ ﴿قُوٓا۟﴾، فيكونُ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ أنفسَ القبيلَتِين على تغليبِ المخاطَبِينَ.

﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ نارًا تتَّقدُ بهما اتِّقادَ غيرِها بالحطبِ.

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ تَلِي أمرَها وهم الزَّبانيةُ ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ غلاظُ الأقوالِ شِدادُ الأفعالِ، أو غلاظُ الخِلَقِ شدادُ الخُلُقِ أقوياءُ على الأفعالِ الشَّديدةِ.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيما يُستقبلُ، أو لا يمتنعونَ عن قبولِ الأوامرِ والتزامِها ويؤدُّونَ ما يؤمَرُونَ بهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقالُ لهم ذلكَ عندَ دخولِهِمُ النَّارَ، والنَّهيُ عنِ الاعتذارِ لأنَّهُ لا عُذرَ لهم أو العذرُ لا ينفعُهم.

(٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٩/ ١٨٥)، و«البحر» (٢٠/ ٣٩٦) دون نسبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ بالغةً في النُّصحِ، وهو صفةُ التَّائبِ فإنَّهُ ينصحُ نفسَهُ بالتَّوبةِ، وُصفَت بهِ على الإسنادِ المجازيِّ مبالغةً، أو في النِّصاحةِ، وهي الخِياطَةُ، كأنَّها تنصحُ ما خرَقَ الذَّنبُ.

وقرأَ أبو بكرٍ بضمِّ النُّونِ[1]، وهو مصدرٌ بمعنى النُّصحِ، كالشُّكرِ والشُّكورِ، أو النِّصاحةِ كالثَّباتِ والثُّبوتِ، تقديرُهُ: ذاتُ نُصوحٍ أو تنصحُ نُصوحًا أو توبوا نُصوحًا لأنفُسِكُم.

وسُئلَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ عن التَّوبةِ فقال: يجمعُها ستَّةُ أشياءَ: على الماضي من الذُّنوبِ النَّدامةُ، وللفرائضِ الإعادةُ، وردُّ المظالِم واستحلالُ الخصومِ، وأن تعزِمَ على أن لا تعودَ، وأن تُذيبَ نفسَكَ في طاعةِ اللهِ كما ربَّيتَها في المعصيةِ[2].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ ذكرَ بصيغةِ الإطماعِ جريًا على عادةِ الملوكِ وإشعارًا بأنه تفضُّلٌ، والتَّوبةُ غيرُ موجِبٍ، وأنَّ العبدَ ينبغي أن يكونَ بينَ خوفٍ ورجاءٍ.

﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ ظرفٌ لـ﴿يدخلكم﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾ إحمادًا لهم وتعريضًا لمن ناوأَهُم، وقيلَ: مبتدأٌ خبرُهُ:

﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: على الصِّراطِ ﴿يَقُولُونَ﴾ إذا طفِئَ نورُ المنافقينَ:

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وقيل: تتفاوتُ أنوارُهم بحسَبِ أعمالِهم فيسألونَ إتمامَهُ تفضُّلًا.

---

(١) وقراءة الباقين بفتحها، انظر: «السبعة» (ص: ٦٤١)، و«التيسير» (ص: ٢١٢)، و«النشر» (٢/ ٣٨٨).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وفيه شيخ الثعلبي الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم المفسر صاحب الأصم، وهَّاه الحاكم في رقعة بخطه، انظر: «المغني في الضعفاء» (١/ ١٦٦).

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسَّيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجَّةِ ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ واستعمِلِ الخُشونةَ فيما تجاهدُهم إذا بلغَ الرِّفقُ مداهُ.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنَّمُ أو مأواهُم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ مثَّلَ اللهُ حالهم في أنَّهم يُعاقَبونَ بكفرِهم ولا يُحابَونَ بما بينَهم وبينَ النَّبيِّ والمؤمنينَ منَ النِّسبةِ بحالِهما.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ يريدُ بِهِ تعظيمَ نوحٍ ولوطٍ.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنِّفاقِ.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فلم يغنِ النبيَّانِ عنهما بحقِّ الزَّواجِ إغناءً ما.

﴿وَقِيلَ﴾ أي: لهُما عندَ موتِهما أو يومَ القِيامةِ: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ مع سائرِ الدَّاخلينَ منَ الكفرةِ الذينَ لا وُصلةَ بينَهُم وبينَ الأنبياءِ.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ شبَّهَ حالَهُم في أنَّ وُصلةَ

الكافرينَ لا تضرُّهم بحالِ آسيةَ، ومنزلَتُها عندَ اللهِ تعالى مع أنَّها كانت تحتَ أعدى أعداءِ اللهِ.

﴿إِذْ قَالَتْ﴾ ظرفٌ للمثلِ المحذوفِ.

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ قريبًا من رحمتِكَ، أو في أعلى درجاتِ المقرَّبينَ.

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ من نفسِهِ الخبيثةِ وعملِهِ السَّيِّءِ.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من القِبطِ التَّابعينَ لهُ في الظُّلمِ.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ تسليةً للأراملِ.

﴿ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الرِّجالِ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في فرجِها.

وقُرِئَ: (فيها)(١)؛ أي: في مريمَ، أو الحَبَلَةِ.

﴿مِن رُّوحِنَا﴾ مِن روحٍ خلقناهُ بلا توسُّطِ أصلٍ.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ بصُحفِهِ المنزَّلةِ، أو بما أوحَى إلى أنبيائِهِ ﴿وكتابه﴾ وما كتبَ في اللَّوحِ، أو جنسِ الكتبِ المنزلةِ، ويدلُّ عليهِ قراءةُ البصريَّيْنَ وحفصٍ بالجمعِ(٢).

وقُرِئَ: (بكلمةِ اللهِ وكتابِه)(٣)؛ أي: بعيسى عليهِ السَّلامُ والإنجيلِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٩/ ١٩٥)، و«البحر» (٢٠/ ٤٠٤).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٩).

(٣) ذكرها الزمخشري في «الكشاف» (٩/ ١٩٦) هكذا، ولم أقف عليها، وقراءة الجمهور ﴿بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾، وقرأ مجاهد والجحدري والحسن: (بكلمة ربها) كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٩)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٥٠).

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ من عِدادِ المواظبينَ على الطَّاعةِ، والتَّذكيرُ للتَّغليبِ والإشعارِ بأنَّ طاعتَها لم تَقْصُر عن طاعةِ الرِّجالِ الكاملينَ حتى عُدَّت من جملَتِهم.

أو من نَسلِهم فتكونُ ﴿مِنَ﴾ ابتدائيةً.

عن النبيِّ ﷺ: «كمُلَ من الرِّجالِ كثيرٌ ولم يكمُل من النِّساءِ إلا أربعٌ: آسيةُ بنتُ مزاحمٍ امرأةُ فرعونَ، ومريمُ بنتُ عمرانَ، وخديجةُ بنتُ خويلدٍ، وفاطمةُ بنتُ محمَّدٍ، وفضلُ عائشةَ على النِّساءِ كفضلِ الثَّريدِ على سائرِ الطَّعامِ».

وعنهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَن قرأَ سورةَ التَّحريمِ آتاهُ اللهُ توبةً نصوحًا».

قوله: «كمُلَ مِن الرِّجالِ كثيرٌ..» الحديث:

رواه الثَّعلبيُّ وأبو نعيمٍ في «الحلية» مِن حَديثِ أبي موسى بهذا اللفظِ[1]، وأصلُه في الصَّحيحِ بدونِ ذكرِ خديجةَ وفاطمةَ[2].

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ التَّحريمِ آتاه اللهُ توبةً نَصوحًا»:

مَوضوعٌ[3].

* * *

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣١٧)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).